ديوان



مراجعة وتقديم:

فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديــــوان
عبد الرحمن شكرى

(١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)

جمعه وحققه : نقولا يوسف

شارك فى جمعه : محمد رجب البيومى

مراجعة وتقديم : فاروق شوشة



٢٠٠٠

عبد الرحمن شكرى

شاعر النفس الإنسانية

بقلم

فاروق شوشة

لم يتح لعبد الرحمن شكرى ما أتيح لزميليه فى جماعة الديوان : عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى من شهرة وذيوع صيت ، بالرغم من سبقه لهما فى الظهور على الساحة الأدبية والثقافية بنشر ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، بينما نشر المازنى ديوانه عام ١٩١٣ والعقاد ديوانه الأول عام ١٩١٣ ، بالإضافة إلى أن شكرى – فى معظم شعره – يقترب من طبيعة الفهم للشعر الذى أشاعته جماعة الديوان – منذ صدور كتاب الديوان عام ١٩٢١ – وهو أن الشعر فى جوهره تعبير عن الوجدان ، وكشف لحالات النفس الإنسانية ، وهو الفهم الذى فى ضوئه وضع عبد الرحمن شكرى فى مستهل ديوانه الأول « ضوء الفجر » بيته المشهور الذى سيصبح من بعد شعاراً للجماعة وهو :

ألا ياطـــائرَ الفـــردو   سِ إنَّ الشعــرَ وجـــــدان

والغريب أن شكرى لم يشارك فى تأليف كتاب الديوان ، بل إن الجزء الثانى من الكتاب يتضمن فصلين كاملين فى الهجوم على شكرى كتبهما المازنى حين ساءت العلاقة بينهما ، بسبب نقد وجهه شكرى لشعر المازنى ،عندما رأى فيه سرقة واضحة لقصائد معروفة لعدد من الشعراء الإنجليز والألمان والأمريكيين : وقد بدأت القصة عندما نشر شكرى فى مقدمة ديوانه الخامس « الخطرات » عام ١٩١٦ قائمة بقصائد للمازنى يرجعها شكرى إلى مؤلفيها الأصليين ، مبيناً الفرق بين التأثر والسرقة ، ذاكراً صعوبة النقل من لغة إلى أخرى تختلف عنها جوهرياً فى خصائصها . وفى آخر فقرات هذه المقدمة يقول شكرى وهو يتحدث عن المازنى : « وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الشاعر المحتضر » اليائية التى نشرت فى « عكاظ » ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شيللى الإنجليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى »» الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصـــيدة المـازنى « فتى فى سباق الموت » وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضا أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الراعى المعبود » وهى منقولة عن الشاعر

لويل الأمريكي . وقصيدة المازني التي عنوانها « الوردة الرسول » وهي للشاعر ولر الإنكليزي . وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له في مجلة « البيان » مقالة « تناسخ الأرواح » وهي من أولها إلى آخرها من مجلة « السبكتاتور » لأديسون الكاتب الإنكليزي . ومن مقالاته في ابن الرومي التي نشرت في البيان قطع طويلة عن العظماء . وهي مأخوذة من كتاب « شكسبير والعظماء » تأليف ڤيكتور هيجو ومن مقالات كارلايل الأدبية .

وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعرف أن المازني تعمد أخذها لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكني لا أصدق تعمد أخذها . ولو أني رأيت عفريتا لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ما عراني لرؤية هذه الأشياء . ولا أظن أني أبرأ من دهشتي طول عمري . وفي أقل من ذلك مبرر لمروِّجي الإشاعات والتُّهم . ولا أظن أن أحداً يجعل مدحي المازني وإيثاري إياه وإهدائي الجزء الثالث من ديواني إليه ، وصداقتي له . ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته في عمله . لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع في ماضيه ، حتى يداوي ما فعل ويرد كل شيء إلى أصله . وليس الاطلاع قاصرا على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا في قرية من قرى النمل حتى تخفى » . وكان رد المازني على صديقه شكري عنيفا ومفزعا . فقد اتهمه بالجنون ، وبأنه صنم الألاعيب ، وكتب يقول : « ولقد سبق لنا أن نبهنا شكري إلى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي ، وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً ، ولأن جهوده عقيمة وتعبه ضائع ثانياً » .

ويبدو أن خطأ شكري كان يتمثل في إيثاره الحق والحقيقة على مراعاة الصداقة والزمالة والأخوة ، فلم يشأ أن يغفر للمازني سقطته التي رآها موجبة للنقد العلني والتصريح الفاضح ، لكن رد الفعل الهائل عند المازني جعل شكري يكفر بكل شيء ، ويفضل الانطواء والانزواء والعكوف بعيدا عن المشاركة في الحياة الأدبية والنقدية .

وتكفلت نفسه الشديدة الحساسية – حتى المرض – وطبعه المتوجس السيء الظن بالحياة والأحياء ، بإغلاق الدائرة على نفسه ، والتوقف عن الكتابة والنشر ، حتى إن ما جمع له من شعر فى مناسبات متفرقة بعد عام ١٩١٩ – وهو عام الخصومة بينه وبين المازنى – حتى وفاته فى ديسمبر عام ١٩٥٨ لم يزد عن قصائد معدودة هى مجموعة ديوانه الثامن الذى نشر بعد وفاته بعامين ، والذى لا يجاوز حجمه حجم ديوانه الأول .

وسيظل شكرى – نتيجة للعزلة والاعتكاف ، وإهمال رفيقيه له سنوات طويلة بعد هذا التاريخ – مغمورا ، بعيد عن الشهرة والأضواء ، لا يكاد يذكره أحد ، والكثيرون يعتقدون أنه رحل عن الدنيا دون أن يدروا برحيله ، وآخرون يبحثون عنه ويطمعون فى مراسلته أو زيارته ، حتى إذا طيَّر بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم فى القاهرة نبأ العثور على الشاعر هرع عدد من المحررين والمصورين لمقابلته وإجراء حوارات معه ، لكن آلام الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة كانت حائلة بينه وبينهم ، وما هى إلا أيام قليلة حتى رحل شكرى فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

أسهم شكرى بنفسه إذن ، بحساسيته المفرطة وتوجسه الدائم فى صنع هذا المصير الفاجع ، كما أسهم رفيقاه العقاد والمازنى – عندما تجاهلاه وأسقطاه من حسابهما سنوات طويلة – فى الإسراع بهذا المصير . بالرغم من اعترافهما معا بأستاذية شكرى ، وريادته ، وسبقه لهما فى الإبداع والمعرفة والاطلاع وتبنى الفكر الجديد فى الشعر والنقد ، ومتابعة التيارات العالمية الشعرية والأدبية .

يقول عنه العقاد – بعد رحيله – فى مقالة نشرت بمجلة الهلال – فبراير ١٩٥٩ – : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ولا

سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعة صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره فى الجلسات الطوال » .

ويعترف المازني بدوره بأستانية شكرى وسبقه فى مقالة نشرها فى جريدة السياسة عام ١٩٣٠ يقول فيها : « كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا ، وكانت صلتى به وثيقة . كان كل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه . ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة . وأننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى » .

وفى موضع آخر ، ومناسبة أخرى – فى مقالة له بجريدة أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٤٧ – يقول المازنى عن شكرى قبيل وفاته بعامين : « وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار أستاذى وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . وبفضل شكرى عرفت عبدالحميد بدوى والسباعى رحمة الله ، ثم عرفت العقاد عن طريق آخر وعرفته بشكرى . فصرنا ثالوثا : العقاد وشكرى والعبد لله . وهكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

بل المدهش والغريب أن يكون المازنى – وهو الأديب والناقد والكاتب – أعرف الناس بشعر شكرى ، وعمق تمثيله للمذهب الجديد الذى تدعو إليه جماعة الديوان فى الشعر . عندما كتب عدداً من المقالات فى جريدة عكاظ الأسبوعية يقارن فيها بين شعر شكرى باعتباره مثالا للجديد وشعر حافظ إبراهيم باعتباره مثالا للقديم . وكان رأى

المازنى أن شكرى شاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوّبه إلى أعمق من قلبها ، وذلك دأبه ووكده ، وهو لا يبالغ – كحافظ – فى تحبير شعره وتبييجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد . وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفقة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معانٍ لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل وأشبهها بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعرا نقيّ المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن . وهو يختتم رأية النقدى بأن حافظا إذا قيس بشكرى كالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر .

وهى رؤية تؤكد ما قلناه فى بداية هذه السطور ، من أن شعر شكرى كان أصدق تمثيلا لمفهوم الشعر الجديد وللدعوة الجديدة التى تبنتها جماعة الديوان من شعر رفيقيه العقاد والمازنى . أما المازنى فقد أجاد وتفوق فى المقالة والقصة والرواية والترجمة ، وتراجع شعره إلى المحل الثانى فى تقدير عبقريته الأدبية والإبداعية . وأما العقاد فإن شعره – على كثرته – لم ينجُ من تأثير معاركه القلمية ومواقفه السياسية – تأكيدا لزعامته وشخصيته القوية المسيطرة – فاتسم بعضه بالنبرة العالية والخطابية والمحفلية والاستجابة للمناسبات الخارجية – التى عابها على شوقى وأضرابه – وابتعد عن فورة الوجدان وأشواق النفس الإنسانية . وأية مقارنة عابرة بين عناوين قصائد شكرى والعقاد تكشف على الفور عن نوعية العالم الشعرى عند شكرى وتفرده وخصوصيته . وهو الأمر الذى التفتت إلى جوهره الدكتورة / سهير القلماوى فى دراستها النقدية عن شكرى فى الكتاب الثالث من سلسلة « أعلام الأدب المعاصر فى مصر » التى تصدر عن مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، والتى كان يشرف عليها الدكتور / حمدى السكوت والدكتور / مارسدن جونز الأستاذان بالجامعة ثم انفرد بالإشراف عليها الدكتور / السكوت بعد رحيل الدكتور / جونز . فهى ترى « أن شعر الخيال والوجدان

شعر المدرسة الجديدة - كما مثّله شكرى - الذى أنزل العقل من على عرشه فى إلهام الشعراء المعانى والأفكار ، شعر ليس له حدود . إنه خيال متحرر يرفض حدود الزمان والمكان ،كما يرفض أضعف سمات القصيدة التقليدية وهى الطول أو الاتصال والاستمرار ، حتى عندما تنتهى الفكرة أو يبرد الوجدان . إن مدرسة الخيال ، مدرسة رواد الرومانسية ، والرومانسيين أنفسهم ، يركزون على الوحدة العضوية أى على وحدة الموقف الانفعالى . ولذلك لابد أن تندمج الأبيات بعضها فى البعض ، ومن ثم كانت وحدة القصيدة من أهم ما ضغطوا عليه شرطاً من شروط الشعر التجديدى الذى يدعون إليه ، وكان ألذع نقدهم ، وربما أكبر سلاح لهم ، هو نقد تفرق الأبيات فى قصائد شوقى وحافظ وعدم المساس بقيمة القصيدة مهما خالفنا ترتيب الأبيات وغيرّنا نظام تتابعها » .

ثم تقول الدكتورة / سهير القلماوى فى تحليلها لشعر الجماعة الجديدة - جماعة الديوان - : « هذه النقلة الضخمة من شعر العقل إلى شعر الخيال - وأهم روادها شاعرنا شكرى - كانت تجتاز مرحلة المخاض ، وكانت ترتاد ميادين جديدة تمزج فيها الخيال بالفكر للتعبير عن الوجدان . إن الفكرة لابدّ لها من صدى فى الوجدان ، وكل فكرة لها رد فعل فى وجدان الشاعر . وإذا كان سهلاً أن نعدد الأوصاف وأن نتناول مفردات الواقع بالذكر والشرح والوصف فليس سهلاً أبداً أن نسبر غور هذا الوجدان للتعبير عن رد الفعل العاطفى الذى يمتزج فيه الخيال بالفكر والوجدان بالعقل . لهذا كثرت الأفكار وتناثرت الموضوعات التى لا يمكن أن يفى التشبيه بوصفها أو الإلمام بالأجزاء للتعبير عما أثارته فى نفس الشاعر من خواطر وأحاسيس » .

وتدرك الدكتورة / سهير القلماوى ببصيرتها النقدية وقدرتها على التذوق والتحليل أن شكرى لم يقدم نظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره أى موضوع الشعر ، وهو أكثر موضوع شغل فكره ، والأمر كذلك فى سائر الموضوعات التى وقف عندها فى شعره . فقد تحدث عن الموت والحياة والحب والثورة والتغير والناس من حوله والمجتمع ككل ، وغير ذلك من موضوعات ، فى أنحاء دواوينه المختلفة . وفى رأيها أننا لو جمعنا أقواله فى الحب مثلا فإننا لن نظفر بموقف موحد . هو فى كل مرة فى حال ، وفى كل مرة هو

أمين على وجدان ، لذلك فهو يعبر عنه دون مراجعة ما قال أو تخيل ما سيقول . إنه – في رأيها – شاعر قلق في مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا .

وللمرء أن يتساءل بعد قراءة ما قالته الدكتورة / سهير القلماوى : وهل كان شكرى مطالباً بنظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره ؟ ألا يتنافى هذا مع كونه شاعرا رومانسي الوجدان والنزوع ، قلقا – فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا – كما تقول هى فى عباراتها السابقة ؟ لقد كان شكرى صادقا مع وجدانه ، واهتزازات نفسه وجيشان مشاعره ، بأكثر مما كان منضبط الوتر والاستجابة لنظرية ثابته أو فكرة مستقرة أو وجهة نظر مكتملة . وكان قلقه عنوان حريته وتمرده ومغامرته الإبداعية ، وانتقاله من حال إلى حال ، ومن رؤية إلى رؤية ، ومن أفق إلى أفق دون قيد إلا قيد الشاعرية وفورة الوجدان .

وفى قصيدته « إلى المجهول » التى يضمها ديوانه الخامس « الخطرات » نجد نموذجاً لعالم شكرى الشعرى ، وقصيدته ذات الأفق اللامحدود ، ونفسه الرومانسى المقترن بجدلية الحوار مع الذات والحياة والكون . وهو يقدم لقصيدته بسطور نثرية شاعرية ، يتحدث فيها عن الولوع بالمجهول وكيف أنه من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، وأن الشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة فأخذ يبحث تلك المظاهر . وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء في الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه عن المجهول من أمور الحياة والكون .

ثم يقول شكرى :

يحوطنى منك بحر لست أعرفُه ... ومهمه لست أدرى ما أقاصيه
أقضى حياتى بنفس لست أعرفها ... وحولى الكون لم تُدرك مجاليه
ياليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى ... لعلّ فيه ضياء الحق يبديه
أخال أنى غريب وهو لى وطن ... خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه
أوليت لى خطوة تدحو مجاهله ... وتكشف الستر عن خافى مساعيه
كأنّ روحىَ عود أنت تُحكمهُ ... فابسط يديك وأطلق من أغانيه
والروح كالكون لا تبدو أسافله ... عند اللبيب ولا يبدو أعاليه
وأكبر الظن أنى هلك أبدا ... شوقا إليك ، وقلبى فيه ما فيه !

هذا الانخلاع فى مواجهة المجهول ، وهذا الظمأ الحاد إلى الكشف والمعرفة والنفاذ إلى سرّ الأسرار ، ملمح رومانسى أصيل فى شعر شكرى ، الذى عندما نضعه فى إطار زمانه بدءاً من العقد الأول من عقود هذا القرن ، مقارنا بما كان يكتبه غيره من الشعراء ، وجدنا هوة شاسعة ، ومذاقاً مغايراً ، ونفساً شعرياً مختلفاً ، وقصيدة تضجّ بالخواطر الكبرى وتجيش بزلزال الوقت وبركان الشعور ، تاركة للآخرين أن يجربوا حظوظهم مع شعر المناسبات الخارجية والموضوعات التقليدية والتناول الفاتر البارد .

يقول شكرى فى إحدى قصائده التى تتفجر منها روح التجديد والمغايرة :

أقلّب طرفى فى وجوه كثيرة ... وأُكثر من تلحاظها وأُطيلُ
وأبغى بديلا من هواك يتاحُ لىّ ... وهيهات ، مالى من هواك بديلُ !
وكيف ! وعندى من خيالك حارسٌ ... تجسّم حتى مايكاد يزولُ
فيهمس فى أذنى ، ويسرى بخاطرى ... ويسمع ما أشدو به وأقولُ
ويشغلنى عما سواه ، فإن أُردْ ... سلواً تصدّى دونه فيحولُ
كأنى أسير وهو فى السجن ... فما لى إلى طعم الخلاص سبيلُ

وأعجب من أمرى ، وكيف عشقتكم	وقــد كنت لا يقــوى علىّ غليلُ
وأرخصنى حُبّيك من طول هجرة	فــإن عــزيز العــاشــقين ذليلُ
فأبكى على نفسى ، وليس بنافعى	إذا تلفتْ نفســى لديك عــويلُ
وأبكى على العــزم الذى أنا ناشــدٌ	فعــزمى شــريد فى هواك ضئــيلُ
فيــا جنّة العشــاق ظلك وارف	وإنّىَ فى حــرّ الغــرام أقــيلُ
وكيف يفرُّ المرء من ظلّ جسمه ؟	فطيــفك لى ظلٌّ لدى ظليلُ

يبقى أمران لابدّ من الإشارة إليهما ضمن أى حديث عن عبد الرحمن شكرى .

لقد نجح فى أن يضمن مقدمته لديوانه الخامس « الخطرات » ما يمكن أن يعتبر مشروع نظرية أو وجهة نظر فى الشعر ومذاهبه . ولقد اعتبرتها الدكتور / سهير القلماوى أهم وثيقة فى شرح مذهب مدرسة الديوان ، وأقرب محاولة للخروج بنظرية جديدة ورأى جديد فى الشعر والشاعر وعملية الإبداع نفسها ، ولولا أنه لم يكتبها فى أسلوب علمى لخرجت فعلا نظرية متكاملة جديدة .

فى هذه المقدمة يهاجم شكرى الشعراء الذين يملأون شعرهم بالكلمات الغريبة ، حتى تجيز لهم ادعاء الغرابة ، كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهنا واطلاعا . وهو يرى أن العبارة الملأى بالكلمات الغريبة قد تكون أخسّ أسلوبا وديباجة وأقل متانة من العبارة السهلة التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدئ أن يتطلب المتانة وألا يخلط بينها وبين الغرابة ، كى لا تضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها .

وبالرغم من هذه الدعوة الواضحة لتجنب الغريب فى الشعر ، فإن قارئ شعر شكرى تستوقفه مئات الكلمات الغريبة التى يولع شكرى بتكرارها مرة ومرة ، حتى فى القصيدة الواحدة . فهو يكثر من استخدام كلمة الوزيلة بمعنى المرآة ، والإقليد بمعنى ما يفتح به الباب ، واللأواء بمعنى الشدة ، والدقعاء بمعنى الأرض ، والعباديد بمعنى المتفرقة ، والمصمئلات بمعنى المصائب والكوارث ، والضريك بمعنى الأحمق أو الفقير ،

والشخشخان بمعنى القوى الشجاع ، والرعبلة بمعنى الثوب البالى ، والخضرم بمعنى الكثير الواسع والسّيراء بمعنى المخططة ، والثؤباء بمعنى التثاؤب ، والعزهاة بمعنى الزاهد ، والغطريف بمعنى الماجد السخىّ ، والضمّاء بمعنى الضمام ، إلى آخر هذه المفردات الشديدة الغرابة والحوشية ، وهى كما قلت كثيرة فى شعره ، بالرغم من قوله الصريح المعلن : « إن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعا جليلا من غير تكلف للغريب ، أما المبتدئ فهو الذى يتكلف الغريب كى يخفى به ركاكة عبارته ، وكذلك الوزان يتكلف الغريب كى يخفى به جمود طبعه وقلة معانيه ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد ، وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة » .

الأمر الثانى هو تعرض عبدالرحمن شكرى لموضوع السرقة فى الشعر فى سياق حديثه عن دلائل هلاك الأمم ، وكيف أن من بينها نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذائهم فيها احتذاء لا روح فيه ولا قوة ولا ذكاء ولا فطنة . ويتحدث شكرى عن النقل والأخذ والسرقة ويحتكم للقراء فى أن يميزوا ما يقال ، فالجهل لا يمنع من السرقة كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة ، وفى شعر شكرى – على امتداد دواوينه الثمانية – أبيات كثيرة تستحضر بصياغتها وتركيبها ومعناها أبياتا قديمة مشهورة على الفور ، ويعجب القارئ لهذا الاستدعاء الذى قد يحدث أحيانا بمعظم صورة الأبيات القديمة ، ويتساءل عن الهدف منه إذا كان شكرى واعيا به ، وهل هى رغبة فى المعارضة الشعرية أو الفكرية أو استنبات للبيت الشعرى فى تُربة مختلفة وبيئة مغايرة ، أو هى ذاكرة شكرى تنساب من خلال إبداعه الشعرى دون أن يتنبه إلى أن هذه الأبيات ليست له وإنما هى لشعراء سابقين معروفين . وهو يلجأ فى مواضع أخرى إلى تضمن أبيات تراثية مشهورة بين ثنايا قصائده وكأنه يستشهد بها ويؤكد توجّهاً أو فكرةً أو موقفاً ، من بينها :

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ومن بينها :

أترثى للعباد وأنت منهم ... من الرب الذى خلق العبادا

ومـنـهـا :

تبسّطنا على الآثام لما ... رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

ومـنـهـا :

ولو أنى أردت لرعت قوما ... (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

وأصل الكلام :

أضاعونى وأىَ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

وقـولـه :

راحة الهوى تعب ... واحتماله عجب

الذى يذكرنا بقول أبى نواس :

حامل الهوى تعبُ ... يستخفّه الطربُ

وقـولـه :

وما الخلد إلا عزةٌ وطماعة ... وأنبل كذب يخدع اللُّبَّ والفهما

الذى يذكرنا بقول المتنبى :

وما العشق إلا غرّةٌ وطماعة ... يعرض قلب نفسه فيصابُ

ويـقـول :

ألا لا أُبيح العيش مدحا ولا ذما ... سكت فلا عذراً نطقتُ ولا لوما

الذى يذكرنا بقول المتنبى فى رثاء جدته :

ألا لا أُرى الأحداث حمدا ولا ذما

ويـقـول :

كللوا بالمجد هاماتهمو ... فى نعيم العزّ أو فى الأبؤس

وهو يذكرنا بقول مهيار الديلمي في الفخر بقومه الفرس :

عمّموا بالشمس هاماتهمو وبنوا أبياتهم بالشهبِ

ويقول :

فليتك تحلو والحوادث مرة وليتك وافٍ والأنامُ غوادرُ

وهو يذكرنا بقول أبى فراس الحمداني :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليت ترضى والأنامُ غضابُ

ويقول :

كفى بنفسى داء أننى رجل أخشى الحياة وأقلى سطوة الأجل

وهويذكرنا بقول الشاعر القديم :

كفى بجسمى نحولا أننى رجلٌ لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

ويقول :

إنا لفى زمن عيش الأديب به عيش الخبال سقيم الوجه والحال

وهو يذكرنا بالبيت المعروف :

إنا لفى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإفضالُ

ويقول :

وإذا كانت النفوس لئاما فلماذا تقرّ فى الأجساد

وهو يذكرنا بقول المتنبى :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسامُ

ويـقـــــــــــــــول شـكـرى :

للناس فـى العيـش من بدو وحـاضـرة طبع العـقـور وإمـا طبع مـعـقـور

فـيـذكـرنا ببـيت أبى العـلاء المعـرى :

النـاس للنـاس من بـدو وحـاضـرةٍ بعض لبـعض وإن لم يشـعروا خـدمُ

ويـقـــــــــــــــول شـكـرى :

وإنى لـتـعـــرونى - إذا لحـت - هزة كما ارتعش المصروع حـينا وجمجما

فيذكرنا بالبيت المشهور لأبى صخر الهذلى :

وإنى لـتـعـــرونى لـذكــراك هزة كـما انـتفض العـصـفـور بلّله القطر

أكتفى بهذه النماذج التى تشير إلى ظاهرة واضحة فى العديد من قصائد شكرى : اتكاء دائم على الموروث الشعرى ، واستدعاء لأبيات مختارة من عيون قصائده ، تأكيدا لحضورها الحىّ ، ورغبة فى استعادة جمرها أو جلوتها داخل سياق الإبداع الشعرى الجديد ، أو لعله لون من الولع بامتطاء المألوف من التراكيب والتعابير رغبة فى الوصول إلى أفق شعرى جديد ولغة شعرية جديدة ؟؟

يبقى أن أشير إلى الجهد الكبير الذى يقوم به المجلس الأعلى للثقافة من أجل إعادة نشر ديوان شكرى وتيسيره لقراء هذا الزمان ودارسيه ، من خلال طبعة جديدة تعنى بتحقيق القصائد ومراجعتها وضبطها ضبطا محكما ، بعد أن امتلأت الطبعة السابقة الصادرة عام ١٩٦٠ بأخطاء لا حصر لها ، لغوية وعروضية وإملائية ، فكان لابد من تصويب القديم وصولا إلى صحة الجديد وسلامته ، من خلال جهد شاقٍ مضنٍ ، تطلّب وقتاً وصبْراً كبيرين .

لكن إعادة قراءة ديوان شكرى ، والتجوّل فى أبهاء عالمه الشعرى ومنعطفاته ، متعة كفيلة بإزالة أى عناء ، والقضاء على أية شكوى ... وهى المتعة التى نرجوها لكل من يقبل على قراءة شكرى الذى ظل طويلا مظلوما حياً وميتاً ، وآن أوان إنصافه حتى يعتدل الميزان ، فى النظر إلى شعراء جماعة الديوان .

تقديم

بقلم الأستاذ عبد العزيز مخيون

كان واجباً عليّ ، ووفاءً لأستاذنا الشاعر الكبير ، المغفور له عبد الرحمن شكرى ، وتقديراً لفضله وعلمه وأدبه ، أن أتكفل بطبع ديوانه ، وتقديمه لأدباء هذا العهد الجديد الناهض ، ليتناولوه بالبحث والدرس .

وما أعز تلك الذكرى - ذكرى أيام الدراسة بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية - وكنت بين تلاميذ هذا المربى العظيم ، يوم كان أستاذاً بتلك المدرسة ، كنا نلمس فيه العطف ، والرعاية ، والسماحة ، والتواضع ، والخلق الكريم .

ومع ما امتاز به من اطلاع واسع على شتى العلوم والآداب ، مع ما بلغه منذ شبابه الباكر من مجد أدبي ، وتقدير فى ميادين الشعر والنثر ، وحصوله على الدرجات العلمية العالية ، ما كان ليأنف أن يجلس معنا بعد انتهاء الدروس ساعات كل يوم ، ليزودنا بعلمه ومعرفته ، ويجيبنا على أسئلتنا التى نوجهها إليه فى كل علم وفن .

ثم فرق بيننا الدهر مدة طويلة ، إلى أن قرأت فى إحدى الصحف فى صيف ١٩٥٧ أنه مريض يسكن مع أبناء أخيه بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، فذهبت لزيارته ومعى أخى - الأستاذ عبد الله مخيون المحامى ، وهو من تلاميذه أيضاً . كان ، رحمه الله ، يعانى يومذاك مرض الشلل ، وقد ساءت حاله ، وبدا عليه الضعف والعجز عن المشى والكلام ، وفارقناه فى ذلك اليوم والألم يعتصر قلبينا ، وتركنا له عنواننا ورجوناه أن يتصل بنا متى شاء .

وراحت الصحف قبيل وفاته تكتب عنه وعن مرضه واعتكافه ، فأبدى الأستاذ الكبير السيد / ثروت عكاشة - وزير الثقافة والإرشاد - اهتماماً بالغاً بصحة الفقيد وآثاره ، وقرر أن ترعاه الدولة بالعناية والعلاج . غير أن القدر كان السابق ، وانتقل أستاذنا إلى رحمة الله فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

واليوم إذ تغمرني السعادة لما وفقني الله لإحياء ذكرى هذا الرائد العظيم ، بطبع ديوانه الجليل ، تخليداً لذكراه واعترافاً بفضله ، لا يفوتني أن أسجل عميق شكري لصديقي الكاتب الكبير الأستاذ نقولا يوسف – ناظر مدرسة أبو حمص الإعدادية بوزارة التربية سابقاً – على ما قام به من جمع هذا الديوان وتصحيحه ، والإشراف على طبعه وتحقيقه ، وهو عمل شاق دقيق ، نهض به هذا الرجل الوفي لأستاذه على أكمل وجه مستطاع ، وللأستاذ الأديب محمد رجب البيومي ، المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية ، على معاونته في البحث عن القصائد المتفرقة في الصحف والمجلات ، جزاهما الله خير الجزاء على هذا التطوع المشكور .

واللهَ نسألُ أن يوفقنا إلى ما فيه خير الأمة العربية في ظل ورعاية رئيسنا الظافر ، وقائد نهضتنا المباركة ، جمال عبد الناصر ، وفقه الله ونصره .

الإسكندرية في ٢٢ يوليه ١٩٦٠

عبد الرحمن شكرى
حياته وآثاره

بقلم: نقولا يوسف

ولد الشاعر عبد الرحمن شكرى بمدينة بورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وتوفى بالإسكندرية فى ١٥ من ديسمبر ١٩٥٨ . وبين هذين المكانين ، وبين هذين الزمنين ، تدور قصة حياته التى دامت اثنين وسبعين عاماً .

وكان أسلافه من عرب المغرب ، نزحوا منذ جيلين إلى وادى النيل ، واندمجوا فى فلاحيه ، وأصبحوا منهم ، وإلى هذه العروبة الأصيلة والموروثة ، يعزى ما عرف عنه من رصانة الأسلوب ، وبلاغة اللفظ ، والصراحة ، والأنفة ، وحب الحرية .

فقد جاءت أسرة « عياد » المغربية إلى أطراف بنى سويف المتاخمة للصحراء ، واستوطنتها ، واختلطت بالفلاحين ، وزرعت النخيل ، وأصبح حسن عياد بن حسن عياد عربياً مصرياً ، ورزق غلاماً سماه أحمد شكرى عياد ، وألحقه بالمدارس وتعلم الفرنسية ، فلما شب ، وظف فى « الضبطية » بالإسكندرية ، ثم صار رئيساً بقلم المرور بالميناء ، ثم تزوج ابنة السيد / محمد المغربى ، وقد عمرت هذه السيدة طويلا ، وكانت مولعة بالحكايات والأساطير ، تقصها على أحفادها الأطفال ، ومنهم شاعرنا ، فتثير خيالهم وشاعريتهم .

وكان نجله محمد شكرى عياد - والد الشاعر - يحتذى أباه ، فلما كبر التحق بوظيفة فى « الضبطية » أيضا ، ثم تزوج من ابنة سعد المغربى ، ورأس أسرة مغربية ، كان مهندساً وأثرى وأسرف ، وخلف نسلاً كثيراً تشتت واندثر .

وبينما كان محمد شكرى عياد مستقراً فى وظيفته بالضبطية فى عهد الخديو توفيق بدأت الحوادث التى أدت إلى الثورة العرابية . كانت الأحداث تجرى سراعا ؛ فالجيش والشعب فى جانب ، والخديو وأعوانه من الجراكسة وعمال الاستعمار فى جانب آخر .

ويتظاهر الجيش فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أمام عابدين مقدماً مطالبه القومية ، ويضرب الأسطول الإنجليزى الإسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢ ، ثم تحدث موقعة التل الكبير ، ويحتل الجيش الإنجليزى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ، ويسلم عرابى نفسه ، ويحاكم ، ويقبض الإنجليز على زعماء الثورة وعلى الكثيرين من أبناء الشعب .

ويلقى القبض على محمد شكرى عياد - والد الشاعر - متهماً بمناصرة العرابيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وخاصة لعبد الله النديم - خطيب الثورة - ويحكم عليه بالسجن ، ويظل فى الحبس زمناً ؛ ولما كان أبوه يُدرِّس اللغة الفرنسية لبعض الكبراء فقد استشفع لابنه المعتقل حتى أطلق سراحه ، ولكنه ظل متعطلا يطارده غضب المحتلين ، وما زال أبوه يواليه بشفاعته حتى عين معاوناً للإدارة بمحافظة بورسعيد .

ونجم عن هذا السجن وهذا التعطل ، وعما كابده من الضيق والإرهاق ، أن مات بعض أبنائه ، ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، منهم الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى ولد ببورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وقد أسقط منه لقب « عياد » عندما التحق بالمدارس .

ويحدثنا الشاعر عن طريقة تلقيه العلم فى ذلك العهد . ففى المدرسة الابتدائية كان الشيخ مصطفى يعلم تلاميذه الإعراب قبل تعلم النحو والصرف ، ويعلمهم النحو والصرف عن طريق الإعراب . وكان الشيخ مصطفى شاعراً يجيد حفظ الشعر ، ويلقى على التلميذ بيتاً فى الغزل ، ثم يطلب منه إعرابه ويساعده ، فإذا نسى التلميذ أو سها عما يلقن ، ضربه بالعصا ضرباً مبرحا . فكان تلاميذه - ومنهم شاعرنا - يحفظون الشعر ، وكذلك الإعراب والنحو والصرف ، هكذا بالعصا .

وفى مكتبة أبيه وجد الصبى عبد الرحمن ، بعض دواوين الشعر ومنها : ديوان ابن الفارض ، وديوان البهاء زهير ، وهما من أوائل الدواوين التى درسها ، ثم ديوان

المتنبى ، وكتاب « الوسيلة الأدبية » التى اختار فيها الشيخ المرصفى شيئاً من شعر العرب ، وبعض قصائد محمود سامى البارودى . ومن هنا قرأ شكرى شعر البارودى ووصله بشعراء العرب كالشريف الرضى ، وأبى تمام ، وأبى نواس ، وغيرهم .

وكان السيد عبد الله النديم - الشاعر والصحفى وخطيب الثورة العرابية - يزور والد الشاعر فى بيته وينزل فى ضيافته ، وكانت الحكومة الخديوية تناوئه وتطارده . وكان الصبى يستمع إلى ما يدور من حديث ويعيه . ويقول شكرى : « إنه كان يرى النديم دائماً فى حيرة وقلق ، ولكنه كان ينظر بعين الصقر أو النسر . فكان كالصقر الحائر . وكان هذا بيناً ظاهراً حتى للغلام ، فلابد أن همومه كانت كثيرة » . وكان الشاعر صبياً فى العاشرة حين بلغه موت النديم عام ١٨٩٦ .

قضى الشاعر أيام صباه ببورسعيد مع أبيه حتى عام ١٩٠٠ ، وكان فى الرابعة عشرة من العمر حين حصل على الشهادة الابتدائية عامذاك .. وعلى شاطئ البحر فى مسقط رأسه ، كان يلهو ويمرح ويقرأ .. وتراه فى كتابه « الاعترافات » - الذى طبعه فى شبابه عام ١٩١٦ - يعود فى بعض فصوله إلى أيام الطفولة والصبا ؛ فيتحدث عنها بأسلوب فلسفى ساحر .

ينتقل الشاعر إلى الإسكندرية ليلتحق بمدرسة رأس التين الثانوية المطلة على الميناء ، وعلى شاطئ البحر كان يطوف مع الشعراء فى دواوينهم ، ويتمرس بنظم الشعر ، وظل بهذه المدرسة السنوات الأربع المقررة ، ثم نال الشادة الثانوية (البكالوريا) فى شهر مايو ١٩٠٤ - وترك مدرسة رأس التين ليعود إليها بعد ثمانى سنوات مدرساً .

ثم ارتحل الشاعر إلى القاهرة ، والتحق « بمدرسة الحقوق » ، وظل بها عامين (١٩٠٤ - ١٩٠٦) ، وكانت الحركة الوطنية التى تزعمها مصطفى كامل فى أشدها . فاندمج فيها الشاعر ، وحدث أن نظم شكرى قصيدة وطنية مطلعها :

ثباتاً فإن العار أصعب محملا ∴ من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

(وهى القصيدة التى نشر بعض أبياتها بالجزء الأول من ديوانه بعنوان « الثبات » بعد أن صادرتها السلطات) .. وألقاها بحديقة الأزبكية على الجماهير زميل الشاعر بمدرسة الحقوق عبد الحميد بدوى - (القاضى فيما بعد بمحكمة العدل الدولية بلاهاى) - واتصل الخبر برجال الاحتلال ، فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة ، وفصلوه من مدرسة الحقوق .

وعند ذلك قابل الشاعر الزعيم مصطفى كامل ، وطلب أن يشتغل محرراً بجريدة اللواء ليدفع بقلمه عن حقوق البلاد ، ولكن الزعيم رأى أن يتابع دراسته العالية أولا بمدرسة أخرى ، ثم يعمل بعد ذلك ، إذا شاء فى ميدان الصحافة . وقال له إن البلاد فى حاجة إلى المثقفين ثقافة عالية ؛ فعمل الشاعر بنصيحته ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وظل بها من عام ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ حين حاز دبلومها بتفوق .

وقد وجد الشاعر بمدرسة المعلمين مجالا لإشباع ميوله الأدبية ، إذ كانت تدرس بها الآداب العربية والإنجليزية والفرنسية ، إلى جانب المواد الأخرى : كالتاريخ والتربية وعلم النفس وغيرها ، كما كان يدرس بها كتاب « الذخيرة الذهبية » وهو مجموعة مختارة من أحسن الشعر الإنجليزى ، فوجد فيه شاعرنا ألواناً جديدة من الشعر ، ودفعه ذلك إلى قراءة شكسبير وبيرون وشلى وكيتس وتنيسون ووردسورث وغيرهم .

كان فى أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد إلى كتاب الأغانى ، وحماسة أبى تمام ، وديوان الشريف الرضى ، وغيرهم . ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات ، والشعر الوجدانى ، فتأثر بهذا كله ، وظهر هذا الأثر فى دواوينه الباكرة ؛ فكان فى أول الأمر - كما يقول - ينظر إلى الشعر كأدب ترف وزخرف وتشبيهات ، ثم راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان - « فن إيمان فى الموضوع الوطنى ، وفن إيمان ووجدان فى العقيدة والنسب » . وقلّت فى شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة ، وامتزجت فيه الرومانسية بالواقعية .

كما كان فى تلك الفترة ينظم القصائد ، ويكتب المقالات ، وينشرها فى صحف ذلك العهد ، ومن ذلك مراثيه فى مصطفى كامل وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨) والشيخ محمد عبده (١٩٠٥) – وقصائد : فى سبيل الجامعة ، والثبات ، وغيرها .

وقبل أن تتصرم هذه الأعوام الثلاثة بمدرسة المعلمين ، كان الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » فى أيدى القراء . ظهر عام ١٩٠٩ ، وكان الشاعر فى الثالثة والعشرين ، يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها ومتاهات تجاريبها ، ومع ذلك فإن روح الثائر المجدد ، الذى سطع فى تلك الباكورة ، كان باهراً ؛ فانبرى

المازنى يقرظه فى الصحف ، وأرسل الشاعر حافظ إبراهيم إلى شكرى يقول :

أفى العشرين تعجز كل طوق	وترقصنا بإحكام القوافى ؟
شهدت بأن شعرك لا يجارى	وزكيت الشهادة باعترافى !
لقد بايعت قبل الناس شكرى	فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وبمدرسة المعلمين توطدت الصلة بين شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى ، فقد كان كلاهما شغوفاً بالشعر ونظمه . ويحدثنا المازنى عن تلك الصلة فى مقالة نشرها بجريدة السياسة فى ٥ أبريل ١٩٣٠ ، ومما قال :

« .. كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا . وكانت صلتى به وثيقة . وكان كل منا يخلط صاحبه بنفسه . ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً ، على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه ، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه ، أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة . وأننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى ...) وعاد المازنى – رحمه الله – يتحدث مرة أخرى عن هذه الذكريات (فى مقالة له بجريدة « أخبار اليوم » ٢٥ – ١٠ – ١٩٤٧) أى قبل وفاته بعامين) :

« ... وشاءت الأقدار – أو المصادفة – أيضاً أن أشتغل بالأدب لا بالطب ولا بالقانون ، فقد كان من زملائى فى مدرسة المعلمين : الأستاذ عبد الرحمن شكرى وكان كاتباً شاعراً ، واسع الاطلاع على الأدب العربى ، والآداب الغربية ، وقد أخرج أول جزء من ديوان شعره ، وهو فى السنة الأولى بمدرسة المعلمين ؛ فكانت له ضجة . وكان هذا الديوان – كما كانت يوميات الأستاذ العقاد – بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب للميدان ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم – مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما – وتوثقت الصلة بيني وبين شكرى ، فصار أستاذى وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . ومن الإنصاف أن أقول إن أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية وآدابها كانوا رجالا مخلصين أكفاء ، فأحسنوا توجيهنا وتشجيعنا . وبفضل شكرى عرفت عبد المجيد بدوى (باشا الآن) والسباعى رحمه الله . ثم عرفت العقاد من طريق آخر ، وعرفته بشكرى . فصرنا « ثالوثا » العقاد وشكرى والعبد لله . هكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

وما أن تخرّج شكرى من مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ حتى أرسل ، لتفوقه ، فى بعثة إلى جامعة شيفيلد بإنجلترا . وهناك مكث ثلاث سنوات (١٩٠٩ – ١٩١٢) قضاها فى الدرس والتحصيل ، والاطلاع والتثقف . ودرس فى الجامعة : التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستورى ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والأدب الإنجليزى . وفى نهاية الأعوام الثلاثة حاز من جامعة شيفيلد درجة B . A . فى الآداب ، وذلك فى ٣١ أكتوبر ١٩١٢ .

وكانت هذه الإقامة بإنجلترا ، وزيارته لبعض أقطار أخرى ، ما وسع آفاق ثقافته وتجاربه ، وما أوحى إليه بقصائد ذات صور جديدة ، ومن ذلك قصائد عن الغابة ، والبحر ، والجبل ، والشلال ، والشتاء فى إنجلترا ... وفى ليالى الشتاء الطويلة كان ينكب على مطالعة المئات من الكتب الإنجليزية والمترجمة إليها ، وخاصة فى التاريخ والقصص والأدب ودواوين الشعر .. « وتذكى نار المواقد فى البيوت ، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية فى جنة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه ، فكأن فى

المواقد جمراً وفى الوجوه جمرا . وتبحث فى القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغض منها برد الشتاء وثلجه » ، ولكنه يعود بخياله إلى وطنه ، ويحن إلى سمائة وشمسه ونيله ، وينظم « حنين غريب » و « شاعر فى الغربة » :

أنشقونى نسائم النيل إنى لعليل والنيل حاجة نفسى !

وتنقضى أعوام الغربة ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وفى قلبه آمال عراض : فلسوف يعلم ويكتب وينظم ، ولن يلقى القلم حتى يتحقق لبلاده ما تصبو إليه من حرية ورفعة ، وتربية صحيحة .

وعاد من إنجلترا فى خريف عام ١٩١٢ ، وكان فى السادسة والعشرين ، واستقبله صديقه المازنى لدى وصوله بقصيدة يقول فيها : - (ديوان المازنى جـ١ - استقبال صديق) :

قد قل من يصدق الوداد فما أحس من ودهم سوى كذبه

أما فتى صادق الهوى كأخى « شكرى » يرد الزمان عن نوبه

أوثق من تصطفى وأكرم من تأخذ من عقله ومن أدبه

وعين الشاعر فى ذلك العام مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية ، وبدأ يومذاك جهاده التربوى الذى دام نحو ربع قرن .

ولم يمض عام على عودته هذه إلى وطنه ، حتى ظهر الجزء الثانى من ديوانه (عام ١٩١٣) مصدراً بمقدمة للأستاذ العقاد يقول فيها عن شعر شكرى إنه « ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون .. » « فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثانى من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ، قد سمح بها قلم سخى وقريحة خصبة .. » وفى هذا الجزء الثانى نرى نماذج من الشعر المرسل ومن الرباعيات والمطولات فى شتى المعانى والصور ، وما برح الشاعر الشاب يوقع أناشيده إلى الليل والفجر والطير والزهر ، ولكن هذا كله لا ينسيه وطنه الراسف فى

أغلال الاحتلال والجمود والرجعية ، فتتوالى قصائده : « حياة الأمم أو التجدد والتغير » و « الحياة والعبادة » و « الحياة والعمل » و « الحرية » و « الحجاب » و « الإيمان بالحياة » و « نحن إخوة » و « مصر مهد العلوم » و « الشام فى عصر الاستبداد » .. منادياً بالنهوض ، والعمل ، والتحرر من الخرافات ، والسير فى موكب الحضار والعلم ، نحو الحرية والاستقلال والمجد .

وفى خلال عام ١٩١٤ أخذ المازنى ينشر فى جريدة « عكاظ » الأسبوعية ، نقداً لشعر حافظ إبراهيم ، ويعقد الموازنة بين شاعرية شكرى وشاعرية حافظ . ويقول :

« لا نجد أبلغ فى إظهار فضل شكرى والدلالة عليه ، وبيان ما للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن ، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكرى ، وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ إبراهيم . فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً فى المذهب و وتبايناً فى المنزع ، من هذين . والضد - كما قيل - يظهر حسن الضد » .

وبعد أن ينقد شعر حافظ يعود إلى شكرى فيقول :

« أما شكرى فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه إلى أعمق من قلبها . ذلك دأبه ووكده . وهو لا يبالغ كحافظ فى تحبير شعره وتدبيجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد ، وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل ، وأشدها ارتباطا بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعراً نقى المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن .. » .

ويختم المازني موازنته بين الشاعرين بقوله : إن حافظاً إذا قيس إلى شكرى لكالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر » .

وفي عام ١٩١٤ أعاد شكرى طبع الجزء الأول من ديوانه لنفاد طبعته . وفي ١٩١٥ طبع الجزء الثالث ، وكان قد سطع نجمه في أفق الأدب ، وسعى الأدباء إلى مجالسه ، وسجل بعضهم فيما بعد شيئا من ذكريات تلك المجالس . ويقص الأستاذ العقاد بعضاً من تلك الذكريات (وذلك في مقالته بمجّلة « الهلال » ١٩٥٩/٢/١) – فيقول :

« .. عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى . ولا أذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ، ولاسيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه . فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزناً لا يتأتى لغيره في الجلسات الطوال ! » .

ويقول :

« .. ولم يسبقه أحد ، فيما أذكر ، إلى تطبيق البلاغة النفسية – السيكولوجية – المستمدة من أدب الغرب ، على ما يقرؤه من شعر الفحول في اللغة العربية . ولعله أول من كتب في لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم . وهما ملتبسان حتى في موازين بعض النقاد الغربيين .. » .

ويقول : « ولم يكن أمتع من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربية أو الأوربية ، ويعلق عليها بيتاً بيتاً . أمثال هذه التعليقات ، وما كتبه من النقد في مؤلفاته قطرة من بحر تلك الآراء النفسية التي كان يرسلها عفو الساعة – ولا يعنى بتقييدها » .

ثم يقول الأستاذ العقاد في مقالة أخرى نشرها بمجلة « الشهر » (عدد مارس ١٩٥٩) :

« .. إن ما قاله شكرى لصحبه وتلاميذه فى توضيح رأيه لأضعاف ما كتبه أو نشره فى دعوته الأدبية ؛ لأنه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعاته ومطالعات غيره . يتناول الديوان أو الكتاب أو المقال ، فيجيل فيه بصره لحظة بعد لحظة ، ثم يلقيه وقد فرغ من وزنه وتقديره كما يفرغ الصيرفى البصير من تقويم الجوهرة بعد لمحة من بصره ، ولمسة من يديه . فإذا اطلع سامعه بعد ذلك على الكتابة ، وعاود الاطلاع عليه مرة بعد مرة ، لم يكن ينتهى فيه إلى رأى أصدق من ذلك الرأى الذى فاه به شكرى فى جلسة واحدة ، وخيل إلى سامعه أنه من آراء البديهة والارتجال ، وإنما هو فى الواقع رأى الأناة المحفوظة لساعتها ، يظهر مع المناسبة الحاضرة كلما تحركت دواعيه .. » .

ويتحدث الأستاذ على أدهم (وكان من تلاميذ الشاعر بمدرسة رأس التين الثانوية فيما بين عامى ١٩١٣ – ١٩١٤) عن ذكريات تلك الأيام – وذلك فى مقالة نشرها « بالمجلة » فى فبراير ١٩٥٩ :

« .. وكان الأستاذ شكرى ، فى مجالسه الخاصة ، محدثاً لبقاً ، شائق الحديث ، واسع المعرفة ، نافذ النظرات . وكان يزيد حديثه متعة أنه كان دائم الاطلاع ، سريع القراءة ، قوى الاستيعاب ، حسن الهضم لما يقرأ . وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة ، وتعقيبات نافعة ، وإذا اطمأن إلى جليسه واستراح له ، مضى ينثر ذخائر معرفته ، ونفائس علمه فى تواضع محبب ، وسخاء جميل . وإن أنسَ من الأشياء فإننى لا أنسى تلك المجالس الرائعة التى كان ينظم شملنا فيها الود الصادق ، والتقدير المتسامى فوق الأغراض الدنيوية والمآرب الأرضية .. » .

* * *

كانت الفترة بين عامى ١٩١٣ و ١٩١٩ فترة خصبية فى إنتاج الشاعر . ففى ١٩١٣ ظهر الجزء الثانى من ديوانه . وفى ١٩١٥ ظهر الجزء الثالث . وفى١٩١٦ طبع له كل من

الجزء الرابع ، والجزء الخامس من الديوان ، كما نشر له ثلاثة كتب نثرية : « الثمرات » و « حديث إبليس » و « الاعترافات » - (وقد نشر أكثر فصول الكتاب الأخير في (الجريدة) بين عامي ١٩٠٩ و ١٩١٣ . وفي ١٩١٨ ظهر كل من الجزء السادس من الديوان ، وكتاب « الصحائف » . وفي ١٩١٩ ظهر الجزء السابع ، وقصة « الحلاق المجنون » وهي قصة سيكولوجية نشرها بتوقيع ع . ش .

وفي تلك الفترة فيما بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ بدأ تعرفي بعبد الرحمن شكري ، كان ذلك في يوم من أكتوبر ١٩١٨ - وكنت بين تلاميذ مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ، كنا صبية صغارا نستهل العام الدراسي الجديد جلوساً في الفصل المطل على ميناء الإسكندرية ؛ حيث كان الشاعر يجلس مثلنا منذ أربعة عشر عاما ، وكنا ننتظر أستاذنا في حصته الأولى ذلك العام . وكان بعضنا قد سمع به وعرفه ، والبعض الآخر لم يره بعد ، حين دلف إلى الغرفة ، بخطا ثابتة بطيئة ، شاب نيف على الثلاثين ، متوسط القامة ، ممتلئ الجسم ، مع ميل إلى القصر وإلى السمرة ، وقور ، عصبي المزاج قليلا ، حسن البزة في غير تأنق ، ذو شارب أسود صغير ، وعلى عينيه الواسعتين النافذتين منظار سميك مستدير ، وفي يده كتب ودفاتر وأضابير ؛ فحييناه وقوفاً كالعادة ، ثم جلسنا ، وراح البعض يهمس : عبد الرحمن شكري الشاعر الكبير ! .

ولم تمض الدروس الأولى حينذاك - وكان يدرس لنا التاريخ واللغة الإنجليزية - حتى ثبت لدينا أنه رجل جد وعمل ، يميل إلى الهدوء والنظام ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، مثقل بالتجارب والذكريات ، متمكن من اللغتين العربية والإنجليزية على وجه خاص ؛ هذا إلى أنه شاب رصين، قوي الشخصية ، عطوف ، طيب القلب ، مهذب اللفظ ، لا تخرج من فمه كلمة نابية أو لفظة جارحة .. فإذا ما انتهى الدرس رحب بأية مسألة يعرضها عليه تلاميذه ، وناقشهم فيها بصدر رحب ، لا يطعن في أديب أو غير أديب ، أو صحبهم إلى مكتبة المدرسة ليحبب إليهم المطالعة والبحث .

لم نقنع بهذه الصورة المجملة ، وقد علمنا أنه شاعر وكاتب وناقد .. له خارج النطاق المدرسي جولات وصولات ، فرحنا ننقب عن آثاره المطبوعة في مكتبات الأنفوشي ورأس

التين ، وهناك عثرنا على ما نشر له حتى ذلك العهد من كتب ودواوين ، وكانت لحسن الحظ ، رخيصة الثمن ، ووجدنا فيها من الأدب والأفكار والإنشاء ما لم نعهده في جل ما لدينا من كتب ومطبوعات .

كانت أيام العام الدراسى تمر على هذا المنوال ، وإذا بثورة عام ١٩١٩ تشب فتضطرب معها الدراسة ، ويخرج التلاميذ إلى المظاهرات ، وتغلق المدارس ويتشتت الشمل ، ثم نعود لنرى أستاذنا فترة أخرى ، ثم نقلت إلى مدرسة أخرى بالقاهرة ، ولم أعد أرى شاعرنا إلا لماما ، وشاءت الظروف أن ألتحق مثله بمدرسة المعلمين العليا ، وأتلقى ما تلقاه هناك من علوم ، ثم أشتغل معلما مثله ، فكانت تجمعنا فيما بعد وفى بلاد شتى ، لجان الامتحان حين كان يعهد إليه أحيانا برئاستها ، فأراه لم يتبدل .. الرجل الفاضل ، المحب للهدوء والعمل والنظام ، ثم الاعتكاف فى صومعته ليلاً ليقرأ الكتاب تلو الكتاب .

كان يقف بيننا فى خلال ثورة ١٩١٩ والدنيا تغلى وتفور .. صامتاً متأملا حزينا ، والشرر يتطاير خلال منظاره السميك ، كانت عيناه تهتفان معنا .. وقصائده الوطنية الصارخة تتحرك أمامنا فى دواوينه وتلتهب .. ها هم تلاميذه يفصلون ، ويعتقلون فى السجن ، ويضربون فى الشوارع بالرصاص ، كما اعتقل والده وسجن من قبل فى الثورة العرابية وتعطل .. وكما فصل هو من المدرسة فى عهد مصطفى كامل وتشرد . وها هو يواجه ثورة ثالثة فى حياته .. أما كان ينبغي أن تحرر بلاده منذ زمن بعيد ؟ ويروح ليتابع جهاده بالقلم نظما ونثرا ، ولكن الصحف تعطل أيضا ، والأقلام تشرد ، والسجون تبتلع الجميع .

كانت الفترة منذ عام ١٨٨٠ فترة ثورية متصلة . يناضل فيها الشعب فى معركة دائمة متأرجحا بين النصر والهزيمة . وكانت الطبقة المتوسطة بالبلاد ، قد جمعت تحت شعاراتها التقدمية كل الطبقات الصاعدة . فمما لا شك فيه أن التحرر الوطنى ، وإلغاء الامتيازات الإقطاعية ، وتسليم المصريين دفة الحكم ، كانت مطالب ضرورية للطبقة المتوسطة فى تلك المرحلة من تاريخها ، ضرورتها لسواها من الطبقات الجديدة ، وإن لم

تكن أشد ضرورة . ولكن لم يقدر لتلك الثورة أن تنجح لأسباب تاريخية . فوجود عامل طفيلي كالاستعمارية العالمية ، كان عائقاً للتطور الطبيعي في مصر . كما أن الطبقة الجديدة نفسها كانت ما تزال أضعف من أن تقود كل هذه الجماهير وتنظمها في معركتها مع الإقطاع الراسخ وحليفه الاستعمار ، وكانت - إذن - أول هزيمة للطبقة المتوسطة المصرية أفضت إلى تحالف دائم بين الاستعمار والإقطاع ؛ ولذلك كان رد الفعل تنكيلا بكل من كانت له بالثورة أدنى صلة نفياً أو قتلا أو سجنا أو تشريدا .

وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكري من أهوال نتيجة لفصل والده من عمله لاشتراكه في الثورة ، ولاعتقالة ، وكيف مات بعض أبنائه من الضيق والإرهاق ، وكيف شب البعض الآخر - والشاعر منهم - غير أشداء العود ، وكيف كان يرى عبد الله النديم كالصقر الحائر تثقله الهموم .. في هذا الجو ولد شاعرنا وسط الهزيمة والفشل والتردد ، عقب ضرب الإسكندرية وهزيمة العرابيين ، وشاهد بعينيه قادة الثورة أنفسهم يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه ، فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته .

وشب عبد الرحمن شكري وترعرع في فترة الجزر الثوري التي اقترنت بالاحتلال البريطاني ولورد كرومر وما سمي بسياسة الوفاق . ثم فتح عينيه فجأة على شئ جديد غريب : محاولات لشراء الطبقة المتوسطة نفسها ، وهي التي كان يحمل لها شكري حتى ذلك الوقت كل احترام ، والتي كانت تتمثل في عرابي والنديم والبارودي ووالده ، وكل الذين أسهموا في ثورتها تلك .وهنا بدأت خيانات الأصدقاء وترددهم ، ولأسباب تاريخية جديدة راحت البرجوازية المصرية تؤثر التسليم لأعدائها ، متنكبة بذلك طريقها الذي قدر لها أن تسلكه . ففشلت ثورة ١٩١٩ لتحالف البرجوازية المصرية مع نقيضها الإقطاع . وكانت قد ارتبطت - عن طريق هذا التحالف - بالبرجوازية العالمية الرجعية . مما أدى إلى تحطيم جميع الأجهزة الديمقراطية في البلاد ، وكانت الضربة التي أصابت الكُتّاب

العرب المصريين . وكانت خط تقسيم حدد لكل منهم غايته وطريقه ، وكذا تعددت مدارس الفكر في الإقليم المصري وتبلورت ، وظهر مكان كل كاتب من كتابنا وشعرائنا . وفهمت دوافع الهجوم المجحف غير الموضوعي الذي قام به عدد من الكتاب على شاعرنا شكري .

ومن هنا انبثقت مأساة شكري ؛ فثمة آمال عريضة في كفة ، ونأى تلك الآمال في الكفة الأخرى ، والرجل لم يولد ميتا كما كتب أحدهم ، وهو الذي يقول :

« كنت أتمنى أن أقطف أزهار الحياة كلها ، وأن أخرج من الحياة عطرها . فإن للحياة عطراً كما للزهر عطرا . كنت أتمنى أن أمتع نفسي بكل شئ في هذا الوجود ، وفي كل وجود تتصوره وتتوق إليه النفس . كنت أتمنى أن أعانق الوجود ، وأن أقبله قبلة أسقي بها كل ما في روحه من الجمال والجلال ... » .

فسوداوية شكري التي تنبري أحيانا في شعره ، ليست إذن مرضية ، بل هي بالأحرى وليدة ظروفه الاجتماعية ؛ فهو لم يرفض الحياة قط ، كما أن إيمانه بمسرات الحياة لم ينهزم ، وإنما المسألة أن الآمال بلغت غايتها في تلك النفس الكبيرة ، الطموح ، ولكن شاءت الأحداث ، وشاءت الأقدار إلا أن تبدل من الأمل يأساً ، وتدفع الشاعر الشاب إلى أن يخلق حوله عالماً من الأحلام والأماني .. « خلقت كثيراً من الأماني والأطماع . كنت أطلب كل شئ ، وصارت هذه الأطماع تعظم كلما كبرت ، فصرت أقضي الساعات في أحلام الأماني .. » .

إن شكري لم يرفض النجاح بين قومه ، بل كان النجاح غايته ، ولكنه رأى فئة ممن حوله تصطنع صفات ووسائل معينة للوصول إلى هذا النجاح . وهو لا يرتضي لنفسه هذه الصفات ، بل يؤمن بالوصول السوي إلى غايته . فإذا حاول أن يصطنع مثل هذه السبل لبلوغ غايته فشل في مسعاه ، وهنا يلجأ الشاعر إلى نقد هذه العادات ويلوم مصطنعيها ، واتخاذهم العلم كقناع ، وهنا نجد حملاته على الرياء والخبث والكذب ،

والحقد والحسد ، والشر عامة .. ومع ذلك فهم فرائس لقوى قاهرة تعبث بهم .. وهذا ما يستدعى العطف عليهم والرثاء لهم .. ويقول لهم إنما نحن إخوة ، وارحمةً للناس ، صرعنا القدر بما بذره فى نفوسنا من قيود لا فكاك لنا منها لسوء الحظ ! .

وفى تلك الأيام حدثت جفوة بين الصديقين شكرى والمازنى .. بالغ بعض الكتاب فى وصفها ، ووقعها فى نفس الشاعر ، وإن كانت لا تعدو كونها مناقشة قلمية فى الصحف ، ما لبثت أن ذهبت مع الريح ، ومع ذلك فلا مفر لمن يؤرخ لشكرى من أن يشير إليها وقد باتت فى ذمة التاريخ .

فقد ظل الأديبان - رحمهما الله - صديقين منذ عهدهما بمدرسة المعلمين ، ثم نقل إلى شكرى أن صديقه يتنقص من شعره وينسب بعضه إلى شعراء الغرب . فكان رد شكرى على ذلك تلك الصفحة التى ختم بها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه المطبوع عام ١٩١٦ . وفيها يعد للمازنى ما نقل من شعر ونثر عن الأدباء الغربيين . وقال إن صداقته للمازنى لا تمنع من معاتبته فى عمله هذا ، « لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شئ إلى أصله » ، وكان جواب المازنى أن شرع فى نقد شعر شكرى فى إحدى الجرائد اليومية ، ولعلها جريدة « النظام » ، ورد شكرى على نقد المازنى فى الجريدة نفسها .. ولما طبع المازنى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٧ دافع فى مقدمته عن نفسه ، وختم مقالته بقوله : « هذا لا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام » . ولكن لم يصفُ الجو بين الصديقين ، وظهر بجريدة « عكاظ » خلال سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ فصول فى نقد شعر المازنى والعقاد بقلم « ناقد » ، وظن البعض أن « ناقداً » هو شكرى نفسه .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب « الديوان » الذى اشترك فى تأليفه العقاد والمازنى ، وفيهما فصلان كتبهما المازنى فى نقد شكرى وشعره ، فى لهجة عنيفة يتخللها السب واتهام شكرى بالجنون ، وانتهز بعض الكتاب هذه الجفوة بين

الشاعرين فراحوا يزيدون النار ضراما ، وظهرت بعكاظ ثم بمجلة أبولو مقالات فى هذا الموضوع .

وكان الأستاذ مختار الوكيل قد أصدر كتاباً نقدياً بعنوان « الشعراء المجددون » شاد فيه بفضل شكرى وأدبه ، كما أصدر الدكتور رمزى مفتاح كتاباً بعنوان : « رسائل فى النقد » يناصر فيه شكرى على خصومه .. وأخيراً كتب المازنى مقالة فى « البلاغ » – فى أول سبتمبر ١٩٣٤ – يعتذر فيها عما بدر منه ، ويعلن فضل شكرى وتوجيهه له ، وكتب العقاد بجريدة « الجهاد » فى ٤ سبتمبر ١٩٣٤ يعلن أنه لم يتأثر بأحد ، وعلق شكرى على هاتين المقالتين فى البلاغ (١٩٣٤/٩/٦) فقال إنه ليس أستاذاً لأحد ، ثم عاد شكرى فكتب فى « المقطم » فى ١٩٣٤/٩/١٢ كلمة تحت عنوان : « الشهرة والخلود » يكرر ما قاله ، كما نظم قصيدة بعنوان « بعد الإخاء والعداء » ، وقد ذكر العقاد بجريدة « الأخبار » أن هذه القصيدة قيلت فى الأستاذ المازنى ، وزاد فقال إنها من أروع قصائد الأدب العربى .

تلك خلاصة ذلك النقاش الذى دام بضع سنوات ، وبالغ بعض الناس فى نتائجه حتى قال ذلك البعض إنه أرغم شكرى على الانزواء وتحطيم القلم !! .

ولقد زار شكرى القاهرة عام ١٩٤٤ ، وانتهز تلك الفرصة فزار صديقه القديم المازنى فى دار جريد البلاغ ، كما زار العقاد ، ولم يعد يذكر هذا الموضوع أو يتحدث عنه .

وكانت الفترة – كما سلف – فيما بين عامى ١٩١٢ و ١٩٣٨ هى المدة التي قضاها الشاعر مشتغلا بالتعليم بمدارس وزارة التربية ، وبدأ حياته التعليمية مدرساً بالمدارس الثانوية كما سلف ، وأولاها مدرستا رأس التين والعباسية الثانويتان بالإسكندرية ، ثم رقى ناظراً بالمدارس الثانوية الكبرى ، ومنها مدارس الزقازيق والفيوم وحلوان ، والعباسية الثانوية (١٩٣٤ – ١٩٣٥) ، فمفتشاً بالتعليم الثانوى من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٣٨ حين اعتزل الخدمة ولم يعد لأية وظيفة بقية حياته .. فقد بلغ برمه بالوظائف

أقصاه ، وقد ظل بها نحو ٢٦ عاما ، كان يشتهى خلالها التفرغ للأدب والبحث وحدهما ، فلم يلق من حكومات ذلك العهد البائد التقدير الجدير بأديب كبير مثله ، أو العمل الذى يتفق مع مواهبه ، بل لقد كان يرى التجاهل والتخطى فى الحقوق ، وقد ادخر الشاعر من مهنة التعليم كثيراً من الذكريات والتجارب . وكان ينوى فى شبابه أن ينشر كتاباً بعنوان « المدارس » - آراء فى التعليم والقائمين به وفى المدارس ونظارها - ونرى إعلاناً عنه عام ١٩١٨ على غلاف ديوانه الجزء السادس وعلى كتابه « الصحائف » . ولكنه عدل عن ذلك ، واكتفى ببعض الفصول التى نشرها فيما بعد كمقالتيه عن « ذكريات سنى التعليم » (بمجلة الرسالة عام ١٩٣٩) .

وكان الشاعر فى أثناء طوافه بالمدن التى قام بها بمهام وظيفته ، يقضى جل فراغه فى القراءة والكتابة ونظم الشعر ، وكان قد كف عن النشر طويلا ، وإن كان لم ينقطع عن الكتابة والنظم . ثم عاد فنشر بمجلة الهلال فى أغسطس ١٩٣٢ قصيدة عن « الطفل » بتوقيع ع . أ . ش ، كما نشر بمجلة أبولو فى يونيه ١٩٣٣ مقالة عن « نقد الطريقة الرمزية » ، نشرتها هذه المجلة التى كانت تناصره ومعها صورة بديعة له ، ثم عاد فكف عن النشر ، وفى عام ١٩٣٥ نشط إلى إذاعة قصائده ومقالاته وقد تراكم منها الكثير . فنشر فى ذلك العام نحو عشرين قصيدة جديدة بالرسالة والمقتطف والمجلة الجديدة وتابع النشر ، فى العام التالى ١٩٣٦ ، فظهر له بالمجلات نحو عشرين قصيدة ، ونحو عشر مقالات ، كما أعاد نشر بعض قصائده القديمة لتوضيح أغراضها . ولم يذع عام ١٩٣٧ غير مقالة بالرسالة بعنوان : « بين تولستوى وماكس نوردو » .

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعليم حتى رحل إلى مسقط رأسه ومسرح صباه بورسعيد . وسكن مع عائلة أخيه بشارع أفريقية فى إحدى شقق منزل متواضع قريب من البحر تملكه الأسرة هناك ، قانعاً بالمعاش الضئيل الذى كان يتقاضاه كل شهر وعاش نباتياً ، مستقيماً ، مفكراً ، مشغولا بمطالعاته وكتاباته ، متريضاً أحيانا على شاطئ البحر ، ومصطحباً أحيانا أخرى أبناء أخيه يلاعبهم ويدربهم على السباحة

والرياضة ، وظل عزباً لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل ، شغوفاً بالأطفال والأزهار والبحر والكتب . فإذا ما انفرد فى مكتبته العامرة بشتى صنوف المؤلفات نسى نفسه أحيانا ، وراح يقرأ حتى اليوم التالى ، وهكذا قضى الشاعر سبعة عشر عاما فى بورسعيد ، قلما كان يبرحها إلى القاهرة أو غيرها ، وفى خلال تلك الأعوام ، نشر كثيراً من القصائد والأبحاث فى الصحف والمجلات .

ففى عام ١٩٣٨ نشر أكثر من عشر مقالات وثمانى قصائد جديدة ، وزاد اهتمامه عام ١٩٣٩ بكتابة الفصول النقدية والأدبية والنفسية ، فنشر منها فى ذلك العام أكثر من ثلاثين مقالة ، منها دراسات قيمة فى نقد الشعر العباسى ، وقصيدتين جديدتين ، ثم انقطع ثانية عن مراسلة الصحف والمجلات ، وإن كان لم ينقطع عن مطالعاته وكتاباته الخاصة .. وبغتة عاد إلى الميدان عام ١٩٤٧ ، فنشر بعضاً من المقالات فى المقتطف ، وتبعها بفصول كتابه : « نظرات فى النفس والحياة » .. ظهرت فى سلسلة رائعة من ٣٢ مقالة بمجلة المقتطف أيضاً ، وذلك فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ ، وكلها بتوقيع ع . ش . ويعد هذا الكتاب من خير ما كتب فى النقد والتحليل والتعليق على آراء كبار المؤلفين ، ومنهم جوته وبيكون وأناتول فرانس وشوبنهور ومارسيل بروست وابن المقفع ، وغيرهم .

وفى يوم من يناير ١٩٥٢ كان الشاعر يسير فى أحد شوارع بورسعيد ، حاملا رزمة من الكتب ، اشتراها كعادته وعاد بها فرحاً إلى بيته ، وإذا بالشلل الذى أفلج نصفه الأيمن يباغته فيترنح ويسنده بعضهم إلى المنزل ، وظل مشلولا بقية حياته ، وبذلك أرغمته العلة على ترك القراءة والنظم والكتابة ، وانصرف إلى الراحة والعلاج ، وكان الشلل قد أضعف ذاكرته قليلا وعطل ذراعه اليمنى التى كان يكتب بها ، ومع ذلك فقد ظل إلى آخر نسمة من حياته محتفظاً بقواه العقلية ، ومتحلياً بالصبر والتجلد والإباء . ولما كان من عادته أن يرد على كل من يكتب إليه ، فقد اضطر إلى الكتابة بيده اليسرى حتى لا يكلف غيره عناء الكتابة بدلاً منه ؛ وبذلك أرسل إلى أهله وأصحابه عشرات البطاقات والرسائل فى تلك الفترة العصيبة من حياته !

وفي أكتوبر ١٩٥٥ انتقل إلى الإسكندرية نزولا على رغبة أهله ، وكان يحب الإسكندرية ؛ حيث قضى أعواماً كثيرة طالباً ومدرساً وناظراً ، وحيث طبع كل ما نشر له في حياته من كتب ودواوين .. واستأجر شقة على مسافة قريبة من البحر بناحية سيدى بشر برمل الإسكندرية ، ونقل معه نصف مكتبته ، ونسق كتبه في خزائنها ، ولو لم يستطع العودة إلى مطالعتها .

وفى مكتبه بتلك الشقة الصغيرة كان يستقبل القليل من مريديه وتلاميذه ، ويجلس معهم مرحباً مصغياً ، وقضى هناك الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته ملازماً بيته لا يبرحه إلا فيما ندر ؛ وذلك حينما يصفو الجو فيخرج متوكئاً على عصاه ليشترى شيئا من الحوانيت المجاورة ، ليتسلى ثم يعود إلى صومعته .

وكان لا يهتم بالشهرة والدعاية قدر اهتمامه بالهدوء والسلام ، ولطالما نشر فى القديم المقالات والقصائد بتوقيع ع . ش . أو بإمضاءات أخرى ، وحدث أننا أردنا عام ١٩٥٦ تكريمه لبلوغه السبعين فرفض كل نوع من التكريم أو النشر ، وآثر السكينة والسلام . ثم وافق أخيراً على رغبة مجلة « العالم العربى » بالقاهرة – والتى يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسنى – فى إصدار عدد خاص عنه فى هذه الذكرى ، وصدر العدد فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ، وبه بعض الدراسات والذكريات عن الشاعر ، فلفت صدوره أنظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يكن يعرف عنه غير القليل ، لعزوفه عن الدعاية والضجيج . وراح بعض الأدباء والصحفيين يبحث عن بيته أو يكاتبه ، والرجل بطبيعته السمحة يستقبل كل زائر ، ويرد على كل رسالة أو بطاقة ، يكتبها بيده اليسرى ، ثم تكالب عليه الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة ، فهدت قواه ، واستجدت آلام أخرى فى نفسه ، وقت الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد ، فقد هدمت قنابل الأسطول الإنجليزى فيما هدمت وهى تضرب بورسعيد ، منزل الشاعر الذى كان لا يملك غيره هو وأسرته ، وأسر ابنا أخيه الضابطان فى البحرية ، ولم يسمع عنهما طويلا .

وفى عام ١٩٥٨ – قبيل وفاته – طير بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم بالقاهرة « نبأ العثور على الشاعر » ! فحضر نفر من المحررين والمصورين

لمقابلته وهو يحتضر ، ثم نسبوا إليه الأحاديث المختلقة والطرائف العجيبة ، كما نسبوا إليه كلمات لم يقلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

وفى الساعة الثانية بعد ظهر الإثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر إلى عالم الخلود ، بمنزله بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، وتحققت أمنيته فى الراحة والهدوء والسلام . كما تحققت آماله فلم يمت حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والعزة والاستقلال .

وشيعت جنازته عصر الثلاثاء ١٦ من ديسمبر ١٩٥٨ بالإسكندرية ، وكان على رأس المشيعين نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ونائب السيد وزير الثقافة والإرشاد ، ودفن فى مقبرة متواضعة بمدافن « العمود » بالإسكندرية طبقاً لوصيته ، فلقد ترك الشاعر مظروفاً وحيداً كتب عليه : « لا يفتح إلا بعد وفاتى » . وبه ورقة صغيرة مكتوبة بيده اليسرى جاء بها : « لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن . ولكن فى قبر يهال عليه التراب » !

ولقد كتب الكثير من الأدباء عن شكرى – شاعراً وكاتباً وناقداً ومعلماً ومصلحاً – كتبوا عنه شتى الفصول النقدية والتحليلية ، منذ أن أخرج ديوانه الأول عام ١٩٠٩ وما برحوا يكتبون عنه إلى الساعة ، ولو جمعت ما كتب عنه فى هذه الأعوام الخمسين ، وما كتبه هو فى الرد على ناقديه ومناقشة آرائهم ، لخرجت بكتاب كبير يزدحم بالمتناقضات ، وكثيراً ما كان يناقض ناقده نفسه .. ولا عجب فى هذا ، فهو ككل عظيم من الناس تتضارب فيه الأقوال ، وتختلف وجهات النظر ، وتمدحه فئة وتقدح فيه أخرى ، ويطيب للبعض أن يحوك حوله الطرائف والأساطير .

وأراد شكرى أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ منذ الشباب الباكر ينشر فصول « الاعترافات » فى الصحف ، ثم طبعها عام ١٩١٦ فى كتاب ، كما راح يصحح بعض الآراء فى عدة مقالات لم تزل مبعثرة فى الصحف والمجلات ، إلى جانب الفصول التى تضمها كتبه الخمسة المطبوعة ، ثم كانت مقدماته النثرية التى صدر بها أجزاء دواوينه *الخمسة الأخيرة* : شرح فيها رأيه فى الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحقيقتهم ،

كما عرف الشعر والشاعر نظماً فى بعض قصائده ، كما فى قصيدته « الشعر » (جـ ٤ ص ٣٢٤) و« أغاريد شاعر » (جـ ٤ ص ٣٤٧) وفى أبيات من قصائد أخرى ، ومن ذلك قوله :

والشعر مرآة الحياة تطل فى مرآتها

فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتها

والكون آية شاعر يأتى بمبتكراتها

ويقول فى إحدى تلك المقدمات الموضحة : « لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . وكل شيء فى الوجود قصيدة من قصائد الله ، والشاعر أبلغ قصائده ، والشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه ، هو الذى يحلق فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته ، وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً » .

والحق ، إن نفس شاعرنا كانت مرآة عظيمة صافية ، تنعكس عليها صورة الحياة ومناظر الوجود .. فهنا ترى صور الحياة الدنيا فى مدها وجزرها ، وسعادتها وشقائها ، وتفاؤلها وتشاؤمها ، وحلوها ومرها .. وهنا تعرض أمامك صور الطبيعة فى كافة أشكالها وألوانها ، فترى سماءها وأفلاكها ، وبحرها وبرها ، وجبالها ووديانها ، وصحراءها وخضرتها ، وغابها وشلالها ، واختلاف فصولها وأجوائها .. « فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة مثل النجم أو السماء أو البحر فاعلم أنه خير الشعر ، وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة فاعلم أنه شر الشعر ! » .

وها هنا ترى صور النفوس البشرية فى سموها وضعتها ، خيرها وشرها ، فإذا ما أطربك من مرآى جنات الخير والفضائل ، وكشف لك عن محاسن المحبة ، والجود ، والرحمة ، والأمانة ، والعفة ، والسلام .. عرج بك إلى الجحيم الرذيلة والشر ، فكشف لك

عن قبحها وضراوتها ونفَّرك من بشاعتها ، فترى قبح الظلم والحقد ، والحسد واللؤم ، والخداع والرياء ، والبغض والعداء ، وهو في هذا كله لا يعني إنساناً بالذات فيمدحه أو يهجوه ، بل هو يمدح الفضائل أينما كانت ، ويذم الرذائل حيثما وجدت .

وكما يصور لك النفوس في كمالها ونقصها ، يصور لك أيضاً الأجساد في فتنتها وقبحها ، وما تلده تلك الفتنة في النفس من حب وهجر ، وصد وعتاب ، وأمل ويأس ، وشوق وحنين ، وابتسامات ودموع .

فأنت أمام دنيا سحرية زاخرة بألوان الجمال ، وأزاهير الحب ، ورياحين الحكم ، وأنوار الفلسفات ، وأنت أمام دنيا من الأنغام والموسيقا والترانيم ، تأخذك أول وهلة تلك « السمفونية » الرائعة الصادرة عن قلب يحكي « الأركستر » الكثير الآلات ، والمتعدد النغمات ، فإذا زدت تمعنًا وجدت وسط ذلك المحيط من العاطفة المتوقدة ، والخيال المحلق ، والألحان المنوعة ، والصور الشاملة للنفس والحياة والطبيعة ، فكراً قوياً مسيطراً ، أشبه « بالمايسترو » القدير ، الذي لا تفلت الآلات والأنغام من رقابته .

والحب عند شكري هو الحياة ومحور الوجود .. الحب الصوفي النبيل .. والعشق الأسمى العفيف ، الخالي من المجون والميول الوضيعة ، الدافع إلى الخير والفضيلة :

يا من به قد نسيت الشر أجمعه	لا يجتلي الحسن والأرزاء في آن
ولن يضيع رجاء في الحياة إذا	ما ظل حبي مكلوءا بإيماني

****

لست الخليق بأن تنال محبتي	إن لم تنل من عفة ورشاد
إني أريدك كعبة لا حانة	إن الدنايا جمة الوراد
خير الهوى حب الفضائل والنهى	ومودة الأمثال والأنداد

فتفرد في الغزل والنسيب ، في رقة وعفة ورجولة ، واقترنت ترانيم الحب عنده بصور الجمال البشرى والطبيعى فى شتى أجزائه ، وبموسيقى النظم ، ومحاسن التشبيهات ، وتعد ترانيم الحب المتفرقة في جميع دواوينه ، في جملتها ، من أعذب وأعظم أشعار الحب والغزل في الأدب العالمي بأسره ، وكان ينبغي أن يلحن منها الكثير ، ويتغنى بها المطربون ..

وتراه يناجي « المحبوب » بلفظة المذكر ولو كان أنثى، بالأسلوب الصوفى التقليدى ، وهو المحبوب المثالي الذى يعيش فى خيال الشاعر أكثر مما يعيش فى الحقيقة والواقع .. « وما يدرينا - على حد قوله - لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التى فى الدنيا ، التى فى نفسه ، لا بليلى العامرية ! » .

ويوضح لنا الشاعر (فى مقدمة ديوانه الرابع) منزلة الغزل فى الشعر : « وإن مزية الغزل سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء ... » .

وشكرى يحب الله ، ويحب الوطن ، ويحب الحياة ، ويحب الجمال ، ويحب الناس ، ويجب الحب ، ولكنه ينفر من الشر والرذيلة والانحراف والقبح .. ويخطئ من يزعم أنه كان يرفض الحياة ، ويزهد فيها ، ويهرب منها ، ويعيش دائما فى عزلة واعتكاف وتشاؤم ويأس . وحتى فى سنيه الأخيرة ، وقد حطمه الشلل ، وقف مرة فى نافذة بيته يسرح البصر فى جمال البحر ، فطرب من روق الجو ، فأخذ قلماً وكتب بيده اليسرى : فى فبراير ١٩٥٦ « .. فاليوم الجو صحو فى الإسكندرية . أقول اليوم والواجب أن أقول الساعة : الجو بلورى ! » .

والعالم عنده عالمان - (مقدمة الجزء السادس) - « عالم الجمال ، وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه ، والشاعر رسول الجمال ، يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر

محتوم ، ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً ، سواء أعرف أم لم يعرف ... » .

وشكرى رجل مؤمن بالله وخيره وجماله ، وله صوفيته الدينية السامية . ولقد دافع عن إيمانه في مقدمة الجزء السابع حين قال : « ولى كلمة أريد ذكرها في العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء ، وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة في الإيمان ، بل إن ذلك غاية الإيمان .. » .

أليس هو القائل :

إنما الدين قوة وجمال　　　وحياة وعدة وعديد

كيف يدرى جلالة الله غر　　　حركته ضغائن وحقود ؟

والقائل في قصيدة : « صوت الله ونجوى المؤمن » :

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس　　　فإن صوت الله دان كليم

والنفس بيت الله إن طهرت　　　والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

وهو يدعو إلى الرحمة بالناس ، وإلى الأخوة العامة :

تعلمنى الأقدار أن أرحم الورى　　　فقلبى لكل العالمين رحيم

وإن جميع الناس أهلى وإخوتى　　　وإن كان منهم جارم وذميم

وقد تكون هناك حيرة وتساؤل وشك ، ولكن :

والشك مشعال الحكيم وربما　　　أضحى حريقاً للجهول الوانى !

وهو يعود لينبه قارئه إلى « سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس في قراءة القصائد

التى تشرح أمثال هذه الخواطر ، والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة ، الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصائد ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية ، وما تقتضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها ، واختلاف حالات النفس التى ضمتها القصيدة .. » .

وكما أنه ينبغى على القارئ ألا يتسرع فى الحكم على الشاعر من بيت أو أبيات مفردة ، لا من وحدة القصيدة أو جملة الديوان ، فينسب إليه المروق والإلحاد وهو المؤمن المحب لله ولخليقته ، أو يصفه بالتشاؤم وهو المتفائل المرنم بجمال الحياة ومباهج الوجود فى أكثر شعره ، أو يلصق به الهروب من المجتمع وهو من قضى جل حياته يكتب لهم وينظم ، ويعلم ويربى ، كذلك لا يجب الخلط بين الحقائق التى يؤمن بها الشاعر وبين السخرية اللابسة ثوب الحقيقة أحيانا ، أو الخلط بين التخيل والتوهم (وهو من شرح لنا هذا الفرق فى مقدمة ديوانه الخامس) .. إن الحكم فى كل ذلك للديوان ككل لا يتجزأ ، كما أن النفس لا تتجزأ ، وإن كانت تلبس لكل ظرف لبوسه ، كالسنة تتغير فصولها وتتشكل أجواؤها ، ولكنها سنة واحدة .

هذا الديوان تتشكل فصوله أيضا ، ولكنه يجتمع فى النهاية فى ديوان واحد لشاعر واحد ؛ فبعض قصائده مطولات تجتمع فيها العاطفة والفكر والإرادة ، وبعضها ترانيم وأناشيد وأغان « ليريكية » نظمت للموسيقى والغناء ، وبعضها شعر قصصى للعظة والعبرة ، والبعض شعر مرسل ملئ بالحكم والتجارب ، وغيره رباعيات بها رائع الأمثال .. وهنا وهناك تفنن فى المعانى وابتكار فى القوافى ، وتحرر من القافية أحيانا ومن قواعد العروض قليلا .. روح شعرى منطلق متحرر ، لا يترسم خطا غيره من الشعراء ، ولا يتقيد بنهج معين مرسوم ، وقد يذكرك بشكسبير فى إحاطته بصور النفوس خيرها وشرها ، وحينا ببيرون فى رعده وبرقه ، أو بشلى فى مثالياته ، أو ببليك فى رمزياته ، أو بالمعرى فى بعد غوره وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وتعمقه فى التصورات الفلسفية ، وفى زهده وشكه وحيرته ، أو بأبى تمام فى لطافة حسه وميله إلى الحكم

والعظات ، أو بالبحترى فى بداعة الخيال الشعرى ، وصقل اللفظ ، وبداعة المعنى ، أو بابن الرومى فى المعانى المخترعة والتوليد النادر ، أو بابن المعتز فى براعة الوصف والتشبيهات ، أو بالمتنبى فى ثروة الحكم والأمثال ، أو بابن الفارض فى صوفيته وروحانيته ، أو بابن هانئ الأندلسى فى فخامة اللفظ وروعة التراكيب وإجادة التشبيه .. قد يذكرك بهذا أو بذاك ، ولكنه فى النهاية نسيج وحده ، لا يحتذى ولا يسطو ، ولا ينسب لنفسه ما ليس له .

وكما يقول الدكتور محمد مندور فى مقاله عن شكرى : « .. وبذلك جاء شعره أصيلا متميزاً بطابعه الخاص . فهو لا يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفى ، ولا بأنه شعر عقلى ، ولكنه شعر ذو طابع خاص يمكن أن نصفه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى ؛ أى تأمل العقل فى النفس البشرية وتحليل عناصرها كوسيلة لمعرفة تلك النفس .. » .

لقد كان شكرى رائداً أهلّ على القصيدة العربية فوجدها ترسف فى أغلال من الشكل والموضوع التقليديين . فكان فى طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض القديمة التى كانت تستنفد طاقة الشاعر الإبداعية ؛ فعمد إلى تجاربه الذاتية ، وانفعالاته الخاصة ، ينظمها شعراً رائعا عكس موقفه من الحياة والناس . كما أنه لم يخضع للصياغة الكلاسيكية الموروثة ، فافتن فى أوزانه ؛ مما أضفى على شعره مرونة وموسيقية ، كما كان له الفضل فى أن يكون أول من يثور على القافية ، ويرى فيها عائقاً عن الوحدة العضوية للقصيدة . فأدخل الشعر المرسل . وبذلك أسهم فى وضع أساس القصيدة العربية الجديدة .

أما عن الأسلوب اللغوى ، فلشكرى طريقته الخاصة فى النظم والتعبير .. شعر عربى قوى رصين ، وأسلوب لغوى مكين متين .. يدل على تبحر الشاعر فى اللغة وأساليبها ، وألفاظها ، واشتقاقات الألفاظ ومترادفاتها .. والذين لا ينظرون إلى هذا

الديوان إلا بمنظار اللغة وحدها ، نحوها وصرفها ، فلهم ألا يتسرعوا فى الحكم على هفوة هنا أو فلتة – غير مطبعية – هناك ، قبل القليل من التحقق والبحث . فإن لغتنا العربية أرحب صدراً ، وأكثر مرونة ، وأوسع ترادفا واشتقاقا مما نظن أول وهلة .. وأمامنا المعاجم الكبرى تؤيد هذا وتزيد عليه .. ونحن لا نحاسب الشعراء المجنحين ، كما نحاسب علماء النحو والصرف والعروض . بقدر ما نحاسب الطيور المنطلقة فى رحب الفضاء على طريقة حطها وطيرانها .. ومع هذا كله ، فأين هو الشاعر الذى لم يهفُ قط ؟ !

* * *

هذا هو ديوان الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى ، فى واقعه وفى طبعته الأولى الشاملة الجامعة .. بعد أن نفدت طبعات أجزائه الأولى منذ أربعين عاما ، ولم يجمع جزؤه الثامن والأخير قبل اليوم .. نخرجه وفاء لأستاذنا ، وعملا بتفويضه ، – وإن كنا لم نحذف منه شيئا – عالمين بأن سنة التطور سوف تخرجه فيما بعد أكثر كمالا ودقة ، وشكلاً وشرحا . فقد كان همنا هنا أن نجمع – بقدر المستطاع – شمله ونضعه فى أيدى أدباء الجيل الجديد الذين كانوا يبحثون عنه ، ويطالبوننا بجمعه وإخراجه .

ولقد تركنا دواوين الشاعر متتابعة طبقاً لتاريخها القديم كما أصدرها الشاعر فى حياته ، دون تبديل ولا تعديل ، وبترتيب القصائد كما كان فى الأصل .. فقد أصبحت فى ذمة التاريخ وهو يقتضينا الدقة والأمانة .

وما كان فى مقدور من يخرج مثل هذا الديوان فى مجلد واحد ، أن يعمد إلى شرح كل بيت وكل لفظ .. وإلا احتاج الأمر إلى مجلد آخر .. فهنا مئات الألفاظ والأبيات التى فسرت فى الهوامش ، ولكن هناك أيضا ألفاظ كثيرة قد يصعب على القارئ المبتدئ تفهمها . كما أن هناك كلمات شرحت مرة ثم تركت لتكرارها فى قصائد أخرى ، وكذلك

لم يكن من السهل شكل هذا الديوان شكلا كاملا كما يحدث فى كتب المطالعة المدرسية .. وأخيراً لم يكن من المستطاع خروجه خلواً من كل هفوة مطبعية لاسيمًا فى الشكل والهمزات وما أشبه .. ففى الطبعات المثالية القادمة نرجو الكمال .. ولله تعالى الحمد على توفيقه ، ولكل من أيدنا وعاوننا وشد عزيمتنا ، عميق الشكر والوفاء .

عبد الرحمن شكرى

رائد الشعر الحديث واحد أساطين الأدب العربى

بقلم محمد رجب البيومى

ما ذكرتُ فقيد الأدب العربى المغفور له الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، إلا طاف بذهنى قول أبى الطيب : « ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله » . فقد كان ذهنه الجبار سر مأساته ، إذ أتعب نفسه فى التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد فى دنيا مليئة بالغرائب والفجاءات ، وقد رزق من رهافة إحساسه ، وشبوب عاطفته ما عمق أغوار المأساة فى فؤاده الملتاع .. وبعقله الحصيف ، وإحساسه الرقيق ، ناء تحت عبء ثقيل من المحن ، فضاق بالأحياء والحياة ، وانزوى فى ركنه الهادئ البعيد ، حتى لقى ربه ، فاستراح من شجنه الثائر ووجده المقيم .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة مثقفة مستنيرة ، فقد كان جده أستاذاً للغة الفرنسية ، ووالده رجلا وطنيا ناصر الثورة العرابية ، وتعرف بزعمائها وأبطالها ، حتى إذا بلغت نهايتها الأليمة ، ترصده الاعتقال والفصل والتعذيب ! وقد ولد فى هذا الجو العابس نجله عبد الرحمن ، فتفتحت عيناه على مظاهر الأسف والحسرة فى أسرته ، والحزن واللهف فى أمته ، ثم نما عوده فتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وسافر إلى إنجلترا فى بعثة تعليمية ، ورجع إلى وطنه ، وقد ألم بثقافات متسعة محيطة ، وعرف الجديد عن رسالات الخيال والفكر والشعر فى الحياة ، وعقد العزم على التبشير بمُثُل رفيعة فى عوالم الفن والفكر والتربية ، ثم والى أبحاثه الأدبية وقصائده الشعرية فى قوة وإيمان ، فكان رائدا كبيراً فى المضمار الأدبى شعراً ونقداً وتصويراً ، ولكن نوازعه الصريحة قد ألّبت عليه كثيراً ممن أشربوا أدبه ونهلوا من حياته ، فثابر وجالد حتى أدركته العلة الوبيئة ، فلجأ إلى الاستسلام بعد إنتاج حافل ، ويقظة ذات توجيه وتسديد .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى تحليل مأساته - نقلا عن جريدة الأخبار ١٩٥٨/١٢/٢٢ : « كان شكرى رجلا مرهف الحس ، عزيز النفس ، كبير الأمل ، كانت

له آمال فى النهضة الأدبية ، وآمال فى وظائف التعليم ، وآمال فى حياته الوجدانية ، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات ، ولم يكن له جلد على العراك والجدال ، ولم تكن له تلك الأعصاب التى تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة . فاعتزل الصحب والناس ، وسكن إلى مأواه الأمين » .

وقول العقاد صادق فى أكثره ، فقد حصر الجهات الثلاث التى اتجه إليها الشاعر ، وسيطرت ردحاً على آفاقه ، فقدم لنا فى محيطها الشاسع خير ما أنتج من أفكار وأقوى ما أسس من البناء ، وإذا كان الرجل قد قوبل بالصدمات تلو الصدمات ، كما ذكر الأستاذ العقاد ، فقد كانت هذه الصدمات تجد مكانها فى شعوره وحده ، ولكنها لم تصب ما أذاع على الناس من روائع خالدة فى البحث النفسى ، والتحليل الأدبى ، أو ما تغنى به من قصائد قوية رنانة كانت فاتحة نهضة حية فى الشعر العربى ، وطلائع صباح مؤتلق وضئ .

لقد كانت رسالة الشعر فى مطلع هذا القرن مجهولة أو كالمجهولة لدى كثير من الشعراء والقراء معاً ؛ فالكثرة الكاثرة من أولئك وهؤلاء يرون جودة الصياغة ، وجزالة التركيب ، وكثرة التشبيه هى كل ما يطلب من الشاعر ، ولا ينتظرون منه غير الحديث عن الأغراض التقليدية فى قوالب محفوظة تمدها الذاكرة الدارسة لا الإحساس المتوقد ، وقصارى المجيد منهم أن يتحدث عما يشعرون به من العواطف السطحية ، أو يألفونه من حوادث الحياة اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو تهنئة بميلاد ، أو مرثية لفقيد . فجاء مطران لينتقل بالشعر إلى الموضوعية الرحبة ، وليتحرر من القوالب المكرورة ، وجاء شكرى عقبه ليعلن وحدة القصيدة ، ويوضح رسالة الشاعر فى الحياة ، وليعمق نظرات مطران - رحمه الله - إلى الفن تعميقاً يصل به إلى الأغوار الدفينة والمسارب الملتوية فى ظلمات الهواجس ، واختلاج النوازع ، ثم ليحل به أسرار الوجود ؛ فيعلل ظواهره ، ويفسر تياراته ، فوظيفة الشاعر كما يقول شكرى : « هى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئاً ،

أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القساوة والجهل ؟ » .

وقد أغرى أهل القساوة والجهل بشكرى رحمه الله ، فتعرض لحملات جاهلة من نظامى القريض ، ومحترفى الصناعة ، إذ عجزت قرائحهم الكليلة عن إدراك مناحيه ، فإذا أخذتهم قوة فكرته ، واضطراد منطقه ، ظنوا بشعره جفافاً موهوما ، وجمودا مزعوما ، ونأوا به عن العاطفة المترقرقة ، والوجدان المشبوب ، واهمين أن العاطفة قرينة السطحية والسذاجة والبداهة ! جاهلين أن الوجدان فى عمقه وسعته وانبساطه ، يمنح الشاعر خصوبة حية ونماء مثمرا ، وشكرى يضطر إلى الرد عليهم فيقول : « إن الشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة ، ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع ، فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصيب وخيال واسع لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، وقلب الشاعر مرآة الكون ، فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة ، أو قبيحة مرذولة » .

وإذا كان توماس كارليل قد جعل الشاعر فى كتاب الأبطال بطلا يلى النبى منزلة ومكانة ، فما نحسبه يختلف عن شكرى في فهم رسالة الشاعر المجيد ، تلك الرسالة التى تلوح فى استشفاف الروح الإلهى المتدفق فى الأحياء والأشياء ؛ فعليه أن يؤدى مهمته السامية فى إخلاص ووفاء سواء لقى الإقبال أو الإعراض ، فهو - مشتهراً أو غير مشتهر - يقوم بدوره الحى فى الوجود الإنسانى ، فإذا مات كانت الشهرة كما يقول شكرى - فى كتاب الاعترافات - زهرة على قبرة ، فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء ، تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان ... » .

وشكرى إذ يقول ذلك ، إنما يسطر الوحى الملهم فى سياق نثرى لا يدع من الشعر غير القافية والوزن ، وكثيراً ما كانت تأملاته الفكرية ميداناً رائعاً للخيال والإلهام

البصير ، على أن القدر الساخر قد شاء لشكرى أن يحاربه أنصاره وتلاميذه من دعاة التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرتين ، وتضطرب أعصابه فى مجالين متناقضين فيميل إلى الانطواء . ولعل مما يعزينا في ذلك أن الرجل قد قاوم فترة طويلة حتى استطاع أن يكتب مئات القصائد ، وأن يخرج أيضا مئات الفصول والأبحاث فى مختلف فنون الثقافة ! وبذلك احتل مكان الريادة فى الأدب العربى عن جدارة أكيدة وجهد سباق .

أما الحقل التربوى فقد جابهه بأشواك وصخور ، فقد قرأ الشاعر كثيراً عن أساليب التربية الحديثة ، ولمس التقدم التعليمى فى أوربا لمس المتأمل البصير ، ثم عاد إلى مصر ، فوجد المدارس لعهده ، تمهد للوظيفة لا للتربية . وتعطى الدروس للاستظهار لا للتمثيل ، وهى قبل كل شئ بعيدة كل البعد عما ينبغى له من دراسة المجتمع وتفهم نفسيات التلاميذ على ضوء الأبحاث السيكولوجية والاجتماعية ! وتلك حال تصيب المربى الملهم بعقابيل مؤلمة تؤرقه وتضنيه . أضف إليها ما أحاط به من كيد الوصولية ، وتناطح الزمالة ووثوب الأنانية ، وكان شكرى بطبيعته منكمشاً يألف الوحدة ، فحسب هذا عليه ، وعد تكبراً وصلفاً ، ولعل أحرج ما قاساه من ذلك قد كان فى نظارته للمدارس الثانوية ، وإنه ليقول فى مذاكرته عن سنى التعليم التى نشرها سنة ١٩٣٩ بمجلة الرسالة الغراء : « ومنصب ناظر المدرسة الثانوية منصب تحوطه العداوات ، فإذا أراد أن يهئ أسباب النظام قيل إنه متشدد مرهق مجرم ، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل إنه ضعيف كسول ، وإذا كان بين بين اتُّهِم تارة بالإرهاق والإجرام ، وتارة بالضعف والكسل ، واتهم فوق ذلك بالتذبذب والاضطراب » ... وإذا كان الرجل قد ولى النظارة فى عهود مترنحة تعصف بها زعازع السياسة الحزبية ، فإنه باعتداله ونزاهته قد كسب خصومات أليمة ، وأذكر أن بعض كبار الرسميين قد رجاه أن يزيد درجة ابنه فى اللغة الإنجليزية لينتقل من فرقة إلى فرقة فوقها ، فأفهمه شكرى أن الناظر لا يملك شيئا من ذلك ، فاضطغن عليه وشهر به لدى الرؤساء ، فظنوا به الظنون ، ثم آثر الاستقالة حين

تقدمه في الترقية من دونه دون سبب معقول يذكر ! فأراح الشاعر نفسه ، وترك شئون التعليم لمن يجيدون التحايل والانتهاز . وهكذا خرج من ميدان العمل صفر اليدين قانعاً بمعاش ضئيل لا يفي ببعض ما تطلبه العلة المرهقة من دواء ! فضلا عن الطعام والسكنى والكساء .

أما إخفاقه الوجداني فلا نعرف دواعيه الأصيلة ، إذ إن شكرى في غزله وحنينه وشكواه لم يكن شاعرا جزئيا يرسم الصورة القريبة من علاقاته الشخصية ، ولكنه كان يربط الحب بالوجود ، فيتحدث عن فلسفة الألم وطغيان الحسن ، ويرى في جمال حبيبته مثالا رائعاً لجمال مثالي يتدفق في النهر والزهر والبدر والأفق والشجر وشتى مجالي السحر في الطبيعة الناطقة والصامتة ! ومثل هذا العاشق لا تدرك قصته العاطفية من قصائده ، إنما تستشف نوازعه استشفافا يشعل الإحساس ، ويدفع الفكر إلى الاستبصار ، ولن نلمس في الشعر حقيقة الحوادث العاطفية إلا عند شاعر حسي يدون قصائده الغزلية على طريقة المذكرات اليومية ، ولن يكون ذلك عبد الرحمن شكرى بحال !

على أن اعترافات الشاعر ، وهي قريبة جدا من المذكرات اليومية ، تؤكد لنا أن الرجل قد أحس الحب إحساسا عميقاً تغلغل في أغواره ، وتسرب في أعماقه ، وهي وإن لم تصف نهاية حبه التي لا نعرف عنها غير الإخفاق ، فإنها تصور شكرى العاشق تصويراً رائعا ، وتجلو لك صورة حلوة من عاطفة الشاعر ، وأخيلته الحالمة المغردة ، فهو يقول : « إن طيش الحب مثل طيش العصافير في حركاتها ، وإنه ليخيل إليه أن الحب قد أنبت في كتفيه أجنحة يطير بها إلى حيث يشاء ، فيحسب أنه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ، ولم يصبه أذى ، بل يطير به الحب ، ويخيل إليه أنه قادر على أن يقفز من شارع إلى شارع فوق المنازل من غير أن يلمسها ، ويسمع الحب ألحاناً وأنغاماً غريبة لا يسمعها غيره ، ويحسب أنه مركز هذا الوجود ، وأن حبه موجود منذ الأزل خالدا إلى الأبد مثل جمال حبيبته ، ويحسب أن هذا الوجود لو أصابه العدم لبقي حبه مستقلا عن الوجود » .

وقد كان فشل شكرى الوجدانى أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه ، فالعاشق إذا كان مفكراً محللا من ناحية وعاطفياً ثائراً من ناحية ثانية فإن أمواج الهواجس ، وتيارات الظنون لابد أن تقيمه وتقعده، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال ، فهى لا تفهم صاحبها ، ولا تستطيع أن تسبح معه فى عوالمه ، فتتسع الفجوة بين القلبين ، وتأتى الجفوة الظالمة فتسحق القلب وتذيب الضلوع !! ولعل هذا ما كان .

إن مأساة شكرى هى مأساة العقل الحصيف والإحساس المتوقد ! ذلك العقل الذى يحلل كل شئ ويعلل كل شئ ! وذلك الإحساس الذى يستشف أدق السرائر ، وألطف الخواطر ! ولئن رماه الداء بكارثته الأليمة فما بلغ به غير جسمه ، وبقيت روحه عالية شماء تكلف صاحبها ما تقتضيه الرجولة والإخاء ، فكان لا يهمل الرد على أقل بطاقة صغيرة ترد إليه ، بل يكتب بيده اليسرى ما عجزت عنه يمينه الشلاء ! وظل صابراً على فراش مرضه البطئ حتى لقى ربه ، فعرف الناس مكانته ، وشرفته الدولة أعز تشريف ، وفاضت أنهار المجلات بتحليل أدبه ، والاعتراف بزعامته ، ولن نخلى هذه المقدمة المتواضعة من بعض ماقيل ، ولكننا نختمها بقول الأستاذ عباس محمود العقاد نقلا عن مجلة الهلال فبراير سنة ١٩٥٩ : « .. وله فى ميدان القريض فضل الرائد الذى سبق زمانه فى عدة صفات مأثورات : فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة وإلى التصرف فى القافية على أنواع من التصرف المقبول ، فنظم القصيدة من وزن واحد ومقطوعات متعددة القوافى ، ونظمها مزدوجات وأبياتاً من بحر واحد بغير قافية ملتزمة ، وآثر فى تجاربه الأخيرة أن تلتزم القافية مع تعديدها فى مقطوعات القصيدة الواحدة ! وتسنى له فى جميع هذه المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص فى أدبنا الحديث .. » .

هذا رأى العقاد ، وإنه لشهادة رائعة بزعامة الشاعر وريادته ، وما أجدرها أن تكون مسك الختام لمقدمة سريعة تعتمد على الإيجاز .

الطبعة الأولى للديوان جميعه
في مجلد واحـد
عام ١٩٦٠
بتفويض من الشاعر
ويشمل أجزاء الديوان السبعة التي طبعها
الشاعر في حياته من ١٩٠٩ - ١٩١٩

والجزء الثامن ، ويتضمن القصائد
التي نشرها الشاعر في الصحف والمجلات
بعد عام ١٩١٩ ، والتي لم تنشر
ولم تجمع من قبل في ديوان .

مؤلفـات
عبد الرحمن شكرى

(أ) - شعر:

ديوان عبد الرحمن شكرى (فى ثمانية أجزاء) :

١ - الجزء الأول	:	ضوء الفجر	١٩٠٩ و ١٩١٤
٢ - « الثـانى	:	لآلئ الأفكار	١٩١٣
٣ - « الثـالث	:	أناشيد الصبا	١٩١٥
٤ - « الرابـع	:	زهر الربيع	١٩١٦
٥ - « الخـامس	:	الخطرات	١٩١٦
٦ - « السـادس	:	الأفنان	١٩١٨
٧ - « السـابع	:	أزهار الخريف	١٩١٩
٨ - « الثـامن	:	(ويشمل القصائد التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات ، والتى لم تنشر، ولم تجمع بعد فى ديوان ١٩٦٠) .	

(ب) - نثر:

١ - كتاب الثمرات ١٩١٦

٢ - « حديث إبليس ١٩١٦

٣ - « الاعترافات ١٩١٦

٤ - « الصحائف ١٩١٨

٥ - قصة الحلاق المجنون ١٩١٩ (بقلم ع . ش)

٦ - فى الشعر العباسى - (نشرت فصوله متفرقة بمجلات : الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف ، فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ولم تجمع بعد فى كتاب) .

٧ - دراسات نفسية - (نشرت فصوله بمجلات الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف ، والهلال فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ولم تجمع بعد) .

٨ - بين القديم والجديد - (سلسلة مقالات فى إيضاح حقيقة القديم والجديد فى الأدب . نشرت بمجلة الرسالة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بإمضاء مستعار ، ومصدرة بهذه العبارة : « بقلم أحد أساطين الأدب الحديث) .

٩ - كتاب « نظرات فى النفس والحياة » - (نشرت فصوله بمجلة المقتطف بالقاهرة فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١) بتوقيع ع . ش .

١٠ - مقالات وأبحاث مختلفة فى النقد والأدب - (نشرت فى الصحف والمجلات فيما بين ١٩٣٣ - ١٩٤٧) .

الجزء الأوّل

ضوء الفجر

أَلا يا طائرَ الفردو س إنَّ الشعرَ وجدان

(من قصيدة « عصفور الجنة » فى الجزء الثالث لصاحب الديوان)

الطبعة الأولى للجزء الأول

عام ١٩٠٩

والطبعة الثانية ١٩١٤

كسرى والأسيرة

قصة

يا فتاةَ الحيّ قومي فاسمعي ... قصةً تقتل أطماعَ الهوى

قصة ذات اعتبار آخذ ... بصميم اللبِّ يقريه الهدى[1]

غضب الجبارُ كسرى غضبةً ... فنما من شره ما قد نما[2]

غضبة ذات وعيدٍ رائع ... ترك العرب كأطيار العرا

ترك العربَ على عزتها ... تبتغي المنعةَ ما بين الربى

أرسل الغارة في ذى مرة ... ينزع الغلَّ بتقطير الدما[3]

يفقد الطرف لديه لحظه ... ويضل السيف فيه والقنا[4]

رام أمراً لم يرمه غيرُه ... رُبَّ باغ نال أطراف المنى

فرمى العرب بعزم ناقمٍ ... ذى اغتيال لم يمانعه حمى

فغزا من أرضهم ما قد غزا ... وسبى من أهلهم ما قد سبى

إن في السبي لخوداً علمت ... سنة البدر ملاشاة الدجى

جال ماء الحسن في أعضائها ... فإذا ناجيته مجَّ الضحى

* * *

رأت الإيوان في أبهته ... تطّبى النفس لأوطار الهوى[5]

---

(١) ذات اعتبار : أى فيها ما يعتبر به - يقريه هنا معناها يمنحه .

(٢) نما : ذاع وانتشر . المنعة : التحصن - الربى : جمع ربوة وهى أعالى الجبال والأماكن المرتفعة .

(٣) المرة بكسر الميم : الشدة والقوة أى جيش عظيم . وتقطير الدماء : إراقتها .

(٤) أى لعظم هذا الجيش تفقد العين لحظها فيه ويضل السيف .

(٥) اطبى على وزن افتعل : بمعنى استمال .

لو بغـيـر الطهـر عينٌ نظرت ... لـرأت ذاك مقـامًا للعـلى

رامَ كـسـرى من هواها بغـيـة ... فحسا من حسنها حتى انتشى [1]

وأذلت شـهـوة مـقـبـوحـة ... منه حـتى رامَ مـا فـوق الرضى

أكلت أحـشـاءَه والجـنـة ... كـولوج النارِ فى عودِ الغضا [2]

جـاء كـسرى شاهرًا أطماعه ... فنضا من حلمه ما قد نضا [3]

سـامـهـا كلُّ خـسـيس كـارثٍ ... قـاتل اللذات يزرى بالنهى [4]

ورمـاها بوعـيـدٍ حـاسـر ... شرس الإرهاب مجلوب الأذى [5]

سـاءه أن قـد تأبت فـأتـت ... نقـمـة فى طى ذياك الإبـا

فـاحـتـمت عنها بصبرٍ دارعٍ ... كاحتماء الحر عن ضيم عرا [6]

إيه لله عـفـاف مـخلص ... لك مـا سـيم الخنى إلا أبَى

ثم قـالت قـولة فى أسـرها ... تبـعث الغلَّ وتهـفـو بالوغى

« قـيـدونى*، غللونى ، ضـربوا ... ملمس العـفـة منى بالعـصـا »

فـأتاها نبـأ من قـومـهـا ... أنهم عـافـوا لذاذات الكرى [7]

أو تجـول الحـربُ فى مـيـدانهـا ... كمجال الطيشِ فى عهد الصبا

أو يكون السـيفُ فى أعـدائهم ... مُـعـمـلاً يودى بهـامٍ وطلا [8]

---

(١) حسا الخمر : شربها . انتشى بمعنى : سكر . (٢) الغضا : نوع من الشجر .

(٣) نضا بمعنى : خلع . (٤) كارث : جالب للحزن . (٥) جاسر : عار .

(٦) دارع : أى لابس الدرع ، والمراد هنا صبر ذى احتمال . (٧) عاف : كره .

(٨) أعمل السيف فى الهام : أى جعله عاملا فيها . أودى بالشىء إذا ذهب به . والهام : جمع هامة ، وهى الرؤوس . والطلى : جمع طلية ، وهى العنق .

خطراتٌ فى المساء

مناجاة يوم مضى

نحن نبكى كلَّ ميت راحلٍ — كيف لا نأسى على يومٍ مضى [١]

أشباب لك مرجو الضحى — أم مشيب لك معذول المسا [٢]

أنت فى حاليك كاس من بهاءٍ — خالب الأنحاء محمود الروا

رحم أنتَ لما تأتى به — أم ضريح للذى مر بنا

يا حليفَ الحدثِ المقدور ما — فعل الحظ بمخلوف المنى

يا سليلَ الدهر كم من حادثٍ — يجعل البائسَ محلول العزا [٣]

أنت مأواه فهل من عطفةٍ — تدع الناقمَ مجلوب الرضى

قد عهدناك ملاذاً من شقاءٍ — وعهدناك ملاذاً للشقا

تبعث الأحداث من مسكنها — بعثة الفارسِ أطراف القنا [٤]

تطلق الأحوالَ فينا مثلما — يطلق الساحر أقوال الرُّقى [٥]

---

(١) نأسى : أى نحزن .

(٢) اليوم مرجو الضحى ؛ لأن الإنسان إذا استيقظ استيقظت آماله، وانفتحت أبواب حيله، وانبعثت مساعيه ، فإذا أمسى كان قد صادف من الحوادث ما ينيم آماله .

(٣) العزا : هو العزاء مقصوراً .

(٤) الأحداث : هى الحوادث .

(٥) الرُّقى : جمع رقية .

عـــاشق المـــال

خداع الغوانى

نســمــاتُ الربيع تخـفـق كـالعـتـ ـب برفقٍ فـعل اللـبـيـبِ الخـبـيـرِ

فـهى تغـدو مـا بين غـصن نضـيرٍ فـاتن حـسـنه وغـصـن نضـيـر

كـــالرســولِ الأديـبِ بين مـحـب وحـبـيـبٍ أو كـالحكيم السـفـيـر

يعـقـد الصلح فى أناةٍ كـمـا يعـ ـقـد ربُّ النهى قـضـاء الأمـور (١)

وضـيـاءُ الشـمسِ المنيـرة كـالبـشـ ـرِ إذا مـا احـتـواه وجـه البـشـيـر

والندى عــاشقٌ يـدل عـليـه الـ ـورد إدلال فـاتنات الثـغــور (٢)

وهناك الطيــر المغــرد كـــالشـــا عـرِ يتلو حـمـدَ الزمـان النضـيـر

نغــمــات لم يحـوها المطرب البـا رع إلا دعـــــوى نـفـــــاقٍ وزور

هى برد على القلوبِ وعـــقـــد للأمـــانى ومـــدخـل للســرور

تستـميـل الأغـصـانَ بالنغم العـذ بِ فـتـهـتـز هزة المخـمـور (٣)

لك شـأو لم تلتـمـسـه مـيـاه مـا أعـدت سـوى غـنـاء الخـريـر

منظرٌ يجـعـل المهـذب يبـغى لبَّ ذاك الأمـر الجليلِ الستـيـر

منظر يبـعـث الشـجـونَ ويحـبـو فـاتنات المنى ببـردٍ نضـيـر (٤)

* * *

---

(١) الأناة : التؤدة . (٢) معنى إدلال الورد على الندى : أنه إذا تمايل سقط عنه الندى .

(٣) المخمور : هو الذى عملت فيه الخمر . (٤) برد بمعنى : ثوب .

وأتت تخطر المعشّقةُ الحسنـ ـاءُ تزهي بوجهها المستنير [1]

بقوامٍ ينقد من دونه القلـ ـب وطرف يسطو بحسن الفتور [2]

خلفها العاشق المتيمُ يمشي مشيةَ الظافرِ الأمير الخطير

هو يتلو آيات حبٍّ كريح الـ ـزهر في طيبهِ ونشر العبير

وهي ملذوذة به كتملى ذي عناء للظل وقت الهجير [3]

كلمات كأنها الحلم العذ ب وود يحكي صفاءَ الطَّهور [4]

ومواثيق جمة تدع الحرَّ على حكمها قرين الأسير

لم تذر للفتاة ما يبعث الشَّك ويزري بعهدهِ في الضمير

بينما كان جاثيًا يرسل البثَّ بشجوٍ يلين صم الصخور

جاءت الخادم العجوز لأمر مستجدٍّ من طارقات الأمور

أرسلت دمعها الغزيرَ وقالت أنشب اليأسُ ظفره في الأمير

أكل الدهرُ ماله وقواه فغدا حظُّه كحظِّ الفقير

وحليف القمار يدركه الذلُّ ولو كان في ذمامِ القصور [5]

أثقل الدَّين ظهرَه وعدا الدهـ ـر عليه بقسمة المقمور [6]

فغدا يائسًا تكاءده الهـ ـمُّ ببال جوٍ وجدّ عثور [7]

ثم أهوى إلى الحسامِ وكان الـ ـموتُ منه بموعدٍ مقدور

---

(١) المعشقة بتشديد الشين : هى المعشوقة تزهى أى يدخلها العجب . والمستنير : المضىء .

(٢) ينقد : أى ينقطع . (٣) تملى بالشىء : نعم به .

(٤) الطهور بفتح الطاء : الطاهر . (٥) أى فى حمى القصور .

(٦) عدا معناها : سطا ، والمقمور : المغلوب فى القمار . (٧) تكاءده : أثقله ، جو : أى كسيف .

فاندبى حظَّك الضئيلَ وعيشى بعد هذا عيش الذليلِ الحقير !

* * *

مَن معينى على الحياةِ وقد ما ت معينى وراحَ عنى نصيرى

حين لم يبقَ لى سوى الأمل المرِّ وذكرٍ رثٍّ وحظٌّ نزور [1]

جزع القلبُ يوم مات وما القلـ ـب على كل نكبةٍ بصبور

هكذا قالت الفتاةُ ومالت فى التجاء إلى الحبيب الظهير [2]

فرماها بنظرة لو رمى الليـ ـث بها لاغتدى بقلب كسير

نظرة ملؤها الخيانة والحقـ ـد تصيب الأحشاءَ قبل الصدور

نظرة تبعث الغضاضة فى النفـ ـس وتصمى بمثل وقع الذكور [3]

ثم قال اذهبى فقد ذهب الما لُ جميعًا بأنَّتى وزفيرى

فات عمرُ الخداع وانكشف الغيـ ـهبُ منى عن الرجاء القصير [4]

كنتُ أهواكِ حين مجدك عال يأسر الدهر بالدرور المطير [5]

كنت أهواك حين جاهك عذب وذراك الأغرّ غير حقير [6]

كنت أهواكِ حين أنت من الإقـ ـبال والعزِّ بالمكان الأثير

كنت أهواك والزمان مؤاتيـ ـك وريب الزمان غير مغير

فإذا شئت فالفراق قريب غير مُبك ولا مهيب قدير

قال ما قال ثم مال إلى البا بِ كميلِ الظمآن نحو الغدير !

---

(١) النزور بفتح النون : المقل .

(٢) الظهير : هو النصير .

(٣) تصمى : أى تصيب ، والذكور : هى السيوف .

(٤) الغيهب : الظلام .

(٥) الدرور بفتح الدال : كناية عن الثروة .

(٦) الذرى بالفتح : الكنف .

هكذا تخدع الرجال الغواني والغواني قنيصةٌ للغرور

باحتيالٍ أدق من خدع الدهـ ـر وزى غض ودمع غزير !

حنين الغريب

عند غروب الشمس

أيُّهذا الغريب ذو البلد النا زح ماذا دهاك عند الغروب ؟ (١)

قد عهدناك مستكينًا لريْب الـ ـدهر مستلئماً بعزمٍ صليب (٢)

وعهدناك لست تعرف ما الحـ ـبُّ ولا لوعة الفؤادِ الطروب

وعهدناك ليس يكرثك الضيـ ـمُ ولا سطوة الزمان العصيب (٣)

وعهدناك خاشعًا مستقاداً ذاكراً نعمة الأغر النجيب (٤)

وعهدناك إن زللت فأدليـ ـت بعذر سللت غلّ القطوب (٥)

وعهدناك لا حسوداً ولا غراً طموحًا إلى المكان الخصيب

وعهدناك لا بكيًّا قطوعًا لرجاء المستصرخ المستثيب (٦)

أنت واسيتنا وقد أجلب الدهـ ـر علينا بالمستذلِّ الجديب (٧)

أنت علمتنا الرجاءَ بأن كنـ ـت غريبًا مباسلاً للخطوب (٨)

---

(١) أيهذا أصلها أيها ذا ، وذا هنا اسم إشارة ، هكذا استعملتها العرب .

(٢) المستلئم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .

(٣) يكرث : يجلب الحزن القاتل . والعصيب : الصعب الشديد .

(٤) أى إذا أولاك أحد منة كنت ذاكراً لها .

(٥) أدلى بعذره إذا اعتذر . والغل : الحقد . والقطوب : الذى يقطب حاجبيه كثيراً .

(٦) الناقة البكى بتشديد الياء : القليلة اللبن . والمستصرخ : المستنجد . المستثيب : العافى .

(٧) أجلب فلان على فلان : أعان عليه ، أى عاداه وآذاه .

(٨) مباسلا : من البسالة ، أى مدافعاً ومباعدا .

فسقى الله غربةً ألحقتنا برجاءٍ عذبٍ وصبرٍ لبيب

أنت أعطيتنا الطلاقةَ والبشـ ـر وأرفدتنا برأيٍ مصيب [1]

فخليق بنا وقد ظهرت في وجهك السمح ظلمةُ التقطيب

أن نفدّيك بالنفوس اللواتي هن من جودك الغزير الصبيب [2]

* * *

أيها النافثون في قلبه الحز ن ولا تعلمون داءَ القلوب

قد ذكرتم حالاً يروح لها مشـ ـتملا بالشقاءِ والتعذيب

إنما العزُّ أن يكون بأرضٍ أنبتت نبعَ شمله المشعوب

حيث لا يعرف المداراة والضيـ ـم وذلَّ السؤال والتثريب

ما به قلة الولاءِ ولكن ودّه أن يكونَ غير غريب

* * *

مستعير من السماءِ شعار الـ ـحزنِ أم مرتدٍ بعيش الأديب [3]

فأخوك الأديب في الأهل والدّا ر له عيشة الغريب الكئيب

ليس في ثوبه سوى طلل با لٍ وداء صعب وجرح رغيب

ليس في وجهه من البشر إلا مدمع مشرقٌ كلمع الضريب [4]

ليس في قلبه سوى الحبِّ والحز نِ وغيظ على الزمان المريب

---

(١) أرفد ورفد : أى أعطى .

(٢) القطعة الأولى التى تنتهى هنا قيلت على لسان أصحاب البلد التى نزلها هذا الغريب .
والقطعة التى بعدها على لسان أناس يلومون أصحاب هذه البلد .

(٣) أى هل ظلمة التقطيب مستعارة من ظلمة السماء عند الغروب ، أم لأنك ارتديت بعيش الأديب وهو أسود اللون .

(٤) الضريب الثلج .

فـانـدب الـنـادبـات والمرأة الحـمـ ـقـاء ممن يـعـددن شق الجـيـوب [1]

فـتـنـتـنـا الحـسـنـاءُ بـالـزبـرج المحـ ـض وغـابـت فـى مـسـتـقـرٍّ غـريـب [2]

أضـمـر الـغـرب وجـهـهـا فـقـنـعـنـا بـذؤابـاتـهـا قـنـوع الـسـلـيـب

منظر يـبـعـث الـشـجـونَ ويـحـبـو فـاتـنـات المنى بـبـردٍ قـشـيـب [3]

مـسـتـمـد من الجـلال جـلال الـ ـلـه والمـظـهـر الـعـظـيـم المهـيـب

أذكـرتـنـى الـعـيـش الـلـذيـذ الـذى فـا ت بـغـصـن كـاسٍ وعـود رطـيـب

ثم لـم يـبـق لـى سـوى الـذكـر الـغُـرِّ فـسـحـقًـا لـصـرفـه من غـصـوب [4]

يـا حـنـيـنًـا إلـى الحـبـيـب تـرفـق بـفـؤادٍ أجـهـدتـه بـالـوجـيـب [5]

يـا حـنـيـنًـا إلـى الأغـر الـذى كـا ن خـبـيـرًا طـبـا بـداء الـقـلـوب

هـل يـطـيـب الـزمـان والأمـل المعـ ـسـول نـاءٍ والـصـبـر غـيـر قـريـب !

حمام الكازينو

بالإسكندرية

مــاذا دهـى الـقـلـب مـن الـ أشـجـانِ يـوم الأحـدِ

حـيـث الـغـوانـى فـتـنـة آخـذة بـالجـلـد

حـالـيـة كـأنـهـا آتـيـة عـن مـوعـد [6]

خـاطـرة فـى مـهـلٍ كـمـشـيـةِ المقـيـد

تـهـتـز فـى مـشـيـتـهـا كـهـزةِ المسـوّد [7]

---

(١) ندب : أى دعا .
(٢) المراد بالحسناء : الشمس ، والزبرج : الذهب .
(٣) القشيب : الجديد .
(٤) سحقاً : أى بعدا .
(٥) الوجيب : الخفقان .
(٦) حالية : أى لابسة حليها .
(٧) المسود بتشديد الواو : الذى يسود ويشرف .

باسمة ضاحكة ... كالبلبلِ المغرد

خصورها خافية ... كأنها لم توجد

ضعيفة ناحلة ... كالزاهد المقتصد [١]

ثيابُها خافقة ... كالنفس المردد

والبحرُ لا تحده ... إلا بطولِ الأبد

كأنه ذو دولة ... مكلل بالزبد

كأنه ذو مهجةٍ ... موسومة بالحسد

أمواجه سائرة ... كالمثلِ المطرد

مياهه ممتدةٌ ... مثل امتداد الأمد

منبسطٌ منقبضٌ ... كالعاذل المفند [٢]

ظلالها واقعةٌ ... فى مائه المرتعد

كأنما أطرافها ... دراهمُ المنتقد

عابثة بمائه ... مائلة على اليد

كأنما أعضاؤها ... مخلوقة من غَيَد [٣]

فقدُّها معتدلٌ ... مقوم من أود [٤]

وخصرها مختبىء ... فى قدِّها المنعقد

وشعرُها منتشرٌ ... كالذهبِ المبددا!

---

(١) الزاهد : المقتصد الذى لا يريد من الدنيا غير الكفاف .
(٢) المفند : المكذب .
(٣) الغيد بفتحتين : النعومة .
(٤) الأود : هو العوج .

الحبُّ نائمٌ ويقظان

نبّئتُ أن الحورَ جئن حديقةً … بكراً كحاشية الرداءِ الأجدد

حيث الندى فتق الزهور بحيلةٍ … أزرت بوقعِ الصارمِ المتعمد

والطير مفتونٌ بحسن بيانه … فمغرد يشجو وغير مغرد

والأرض كالحسناءِ يوم زفافها … رود النواحي بالمحاسن ترتدى

حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه … شرك الأبى وعقلة المتعبد [1]

أرخى لواحظَه وأطبق جفنَه … فعل اللبيب القانصِ المترصد

فأمنَّ منه صولة عربية … تدع العزيز من الفناءِ بموعد

يحسبن ذاك وما أمنّ وإنما … هى حيلة ذهبت بحزم الأرشد

فمشى إليهن الهوى بترقبٍ … مشى الشجاعةِ فى فؤاد القعدد [2]

فعثرن فى أذيالهن تخوفاً … منه وسوين المطارف باليد [3]

وعدون عدوة خائف متظالعٍ … إن لم يكن متزايلاً فكأن قد [4]

* * *

فكأنهن أزاهر منثورةٌ … نثر المبشر غرة الخبر الندِى [5]

---

(١) العقلة : ما يربط ويقيد به .

(٢) القعدد : الجبان ، والشجاعة تمشى ببطء فى قلب الجبان ، فكأن الهوى أراد أن يأسر الحسان فى غفلتهن فمشى إليهن ببطء كى لا ينتبهن .

(٣) المطارف : جمع مطرف وهو نوع من الثياب . وتسوية المطارف : كناية عن الاستعداد للجرى .

(٤) التظالع فى المشى : الخروج عن الطريق المستقيم . والتزايل : التفكك . والمتزايل الذى تتفكك أعضاؤه .

(٥) غرة الشئ : أوله . والخبر الندى : كناية عن الخبر السار .

وكــأنهن صــوادفــاً وشــوارداً حـبـات عـقـدِ اللؤلـؤِ المتـبـدد[1]

وكــأنهن نســائم الصـيـف التى تحـيـى رجـاءَ العـاشق المتنهـد

وكــأنهن كـواكب السـعـدِ التى سكنت فؤادَ الحندس المتجسد[2]

وكــأنهن عــزائم النحسِ الذى لعب القـضـاءُ بسعـيـه المتجـدد

* * *

إلا فــتــاة علّهــا مــاء الصــبــا فـتـمـهلت كبـراً بحسن تأود[3]

أأخــاف هذا الحب فى يقظاته وأنا التى لعبت بلُبٍّ الأصيـد[4]

وأنا التى شقىَ السعيدُ بهجرها وقضى الجليد بدلها المتوعد[5] ؟

* * *

قـال الغـرام وربّ قـولة ناصح أبدت لها وجه السبيلِ الأقصد[6]

يارب غــانيــة طرقت فناءها فوصمتـها بضراعةِ المستعبد[7]

كـانت تظنُّ فـؤادَها مـتـابيًـا عنى ولم تعلم بسهمى المقصد[8]

فتركتـهـا والنار بين ضلوعهـا تدعـو علىَّ بلهـفـةٍ وتلدد[9]

أحسبت أن الحسنَ يأنف أن يرى بحنين مفتون وجفنٍ مسهد

* * *

(١) صدف : أى نفر وصد . والمتبدد : المتفرق .

(٢) الحندس : الظلام .

(٣) علها : أى سقاها . والتأود : التثنى .

(٤) الأصيد : السيد الشريف .

(٥) قضى : أى مات .

(٦) الأقصد : أى الأكثر استقامة .

(٧) الضراعة : الذل .

(٨) المقصد : المصيب .

(٩) تلدد : أى تحرق .

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعنى ... لنظمتها لك فى القريض نسيبا

أو ما علمت بأننى لك عاشقٌ ... أفنى الزمانَ صبابة ونحيبا

يا بؤس من سكنت إليك لحاظه ... أن كنت أنت على المحبِّ رقيبا

أرنو إليك فتحتوينى هيبةٌ ... فأرد طرفى خاشعًا مغلوبا

ما حيلة الطرفِ الذليل إذا كبا ... أن كان شخصك فى الفؤاد مهيبا(١)

يا نظرة تهدى الشجون وتنتضى ... سيفًا من الطرف الكحيل مصيبا(٢)

ويعيذك القلب الذى عانى القلى ... من أن تكونَ على الجفاء معيبا

وإذا وضعتك فى الجفونِ صيانة ... أذرت عليك لدى البكاء صبيباً

وإذا رغبت لك الضلوع فإننى ... أخشى عليك لهيبها المشبوبا

وإذا وضعتك فى الفؤاد فإننى ... أخشى عليك من الفؤاد وجيبا

إن كنت تأبى أننى بك هائم ... فاردد إلىَّ فؤادىَ المسلوبا

أو كنت تبعد بالوصال مضنة ... فابعث إلىَّ خيالكَ المحجوبا

هل بعد أن أفنى الغرامُ حشاشتى ... يأبى دلالك أن تكون طبيبا ؟

حب كماءِ المزن حين وقوعه ... فوق الزهورِ مرقرقًا مسكوبا

ياليت حظى منك أنى نفحة ... تسعى إليك مع النسيم هبوبا

وأود لو ركد النسيمُ وقد رمى ... بى دون قيد الرمح منك قريبا(٣)

فأكونُ منك بحيث يطمع عاشقٌ ... لا أتقى هجرًا ولا تأنيبا

---

(١) كبا : أى عثر .   (٢) انتضى : سل .

(٣) ركد : أى وقف . وقيد الرمح : مقدار طوله .

لو ذاق طعمَ الحب كلُّ مؤنب قلبى لصارَ العاذلون قلوبا

هل نافعى أنى أكتّم لوعتى عمن يظل بما أسر لعوبا ؟

عجبًا لطرفى يستريح إلى البكا من بعد ما كان البكاءُ غريبا

ما أخلق الدنف المشوق بسلوةٍ إن كان لا يرجو المحب حبيبا

شكوى الزمان

كفى حَزَنًا أن التطلبَ بالصبر وأن مآقى العينِ أدمعها تجرى

لقد لفظتنى رحمةُ الله يافعا فصرت كأنى فى الثمانين من عمرى

رضيتُ بهذا العيش بعد أبوة لأَبلغ شأوًا أو أُغيَّب فى قبرى

وحاول منى الهمُّ صبرًا فلم أزل أدافعه حتى أبحتُ له صدرى

وإنى لأدرى أن فى الموت راحة وأجنبه حتى كأنىَ لا أدرى [١]

ولولا تقى لا يملك اليأسُ صرفه لأَوردنى يأسى على المسلك الوعر

فما أسرع الأحداثَ إن قلت أبطئى وما أبطأ الآمال إن سمتها نصرى

فإن كان ذنبى من تناقض خطتى فعذرى إلى الأيامِ أن ضاق بى عذرى

وربَّ ليال بتُّ أدحو ظلامها بطرفى وذيل الليل يعثر بالفجر [٢]

وزاولتُ صرف الدهر حتى عرفته فسيّان ما لاقيت فى العسر واليسر

دعانى إليه الفضلُ لما دعوته فما زال بى حتى التقينا على قَدْر [٣]

فما ساءنى ما بتُّ أخفيه جاهداً ولا سرنى ما يعلم الناسُ من أمرى

هل العيش إلا أن تنالَ بعزمة مقامًا كان النجم من تحته يسرى

---

(١) أجنبه : أى أتجنبه . (٢) أدحو : أى أبسط .

(٣) أى موعد مقدر .

فـمـا العـزمُ إلّا مـا يبلّغك المنى وما العـجز إلّا أن تُنهنه بالزجر [1]
إذا كنت ذا عسر فكن ذا قناعة فإنَّ احتمالَ العسر يذهب بالعسر

شكوى الصّديق

ومطّلب بالعتبِ هجرىَ لم أزل أداريه حتى عارضته مذاهبُه
يعالج منى باسمَ الثغر راضيًا وأخبر غرًا أنكرته معايبه [2]
أجودُ بنفسى فى هواه سماحة ويبخل بالنذرالذى أنا طالبه [3]
وما كل أمرٍ تستقيم صدوره لمن لم يَرُضْهُ تستقيم عواقبه [4]
لقد سامنى أن أقبل الذل ضلةً هل الغبن إلا ما تقل مطالبه [5]
ووكل بى الأعراض حتى ألفته وما كل صافى الوجه تصفو مشاربه [6]
سأندب عهدًا كنت فيه بغبطة وهل يرجع العهدُ الذى أنا نادبه
وليل كأغضاءِ الحليم درعته لأقضىَ أو تنجاب عنى غياهبه
وصلت به الأوهام حتى كأنما يراقبها فى مكثها وتراقبه

تحية للشمس
عند شروقها

أَشرقى يا طلعة الشّمـ ـس علينا وأنيرى
أنت للغرس حياةٌ وحلى الروض النضير
كيف لا ترتاح نفسٌ للبهاءِ المستنير

---

(١) تنهنه : أى تدفع . (٢) أخبر : أختبر . (٣) النزر : القليل .
(٤) راض الأمر : ذلله . (٥) أقل : أى حمل . (٦) مشاربه : كناية عن مودته .

مـــا رأى ضـــوءك غـــرٌ بسـوى الطرف الحسـيـر[1]

غـــازلى الغـــصنَ برفق وامســـحى وجـهَ الغـدير

وسلى الغـيـد ابتـسـامـا من أقـــاحىّ الثـــغــور

واذمى وجــــه مـــريب واحـــمـــدى وجـهَ بشـيـر

وسـلـى المـقـلـةَ أن تـشـ ـرق بالـدمـع الغـــزير

إن فى الدمع إذا اسـتـغـ زر إعـــلان الســـرور

وتمشى فى فـــضـــاءِ الـ ـله مـشىَ المسـتـغـيـر

مـــشـــيـــة الحـــرٍّ المرجى لعظيـــمـــات الأمـــور

* * *

وابعـــثى أبناءَك الغـــر إلـى بـيـت الـعـلـيـل[2]

ســـهـــر الليلَ ولا مـــســ ـعـــد فى الليل الطويل

نـظـرة مـنـك إلـيـــــه خلست بشــر الرســول

نـظـرة غـــــرّاء تـودى بجـــوى الداء الدخـــيل

وكـــــأن الـلـيـلَ لمـــا خـــانه وقت الرحـــيل

ضـــامن قـلـب مـــحب راعــــه قـــول عـــذول

* * *

وكـــأن الشـــمس تجلى فى خـــمـــارٍ من لهـــيب

أقـبـلت فى الأفق تسـعى مـثل إقـبـال الحـبـيـب

منظر يفـــعل فـــعل الـ ـعـــودِ بالقـلـب الطروب

---

(١) الحسير : الكليل والضعيف . (٢) أبناء الشمس : كناية عن أشعتها .

غـيـر أنَّ الـليـلَ أدرى بـأحـاديـثِ الـقـلـوب

شـمـلـة الـعـاشق والسـا رقِ والعـادى المهـيـب [1]

لبـس الأفق ضـيـاءً بـدّل الجـنـح المـريـب

وشـبـاب المرءِ لا يـعـ ـقـبـه غـيـرُ المشـيـب

الحـبُّ والليـل

عـمـىَ الدجى عن مطلع الفـجـرِ في لـيـلةٍ كـسـريرة الـدهـرِ

ولـع البـكـاء بنـاظـرىَّ كـمـا ولـع الـنـدى ببـدائـع الـزهـر

والـروض ممتـنـع الـرقـادِ وقـد نمّت عليـه مـواقـعُ القـطـر

والليل مـشـقـوق الجـيـوب وقـد باح الـسـحـاب بطلعـة البـدر

والطـرف بالإفـشـاءِ مـتـهـمٌ والقـلـب مـؤتمن عـلى الـسـر

وأكـادُ أن لا أسـتـقـر جـوى فـكـأنمـا خـلس الـدجى صـبـرى

وأمـلـت أن أجـد الـوسـيلـةَ لى عـنـد الـصـبـا فـمـنيـت بالـهـجـر

لا تـلـح مـشـتـاقًـا على شـجـنٍ إن الـشـبـاب مطيـة الـعـذر [2]

والـسـعى رزقٌ والـهـوى أمل والـهـجـر يأكـل جـدةَ الـعـمـر

والحـب إن دبَّ الـسـلـو بـه فـكـمـا يـدب الشـرُ فى الخـيـر

والصـفـو قـد يـفـضى إلى كـدرٍ والـيـسـر قـد يفـضى إلى عـسـر

مـن نـاوشـت نـظـراتـه حـسـنًـا فـقـد اسـتـثـار المـوت بالـسـحـر

---

(١) الشملة : كساء .

(٢) الشطر الثانى من هذا البيت مأخوذ من قول أبى نواس : إن الشباب مطية الجهل .

النغمـــات

إذا تـرنَّم والآذان ظـامــــــئـــــة ... خلـنا الروىَّ على آذاننا اندفـقـا

لج من النغمـات الغرُّ يحـمـدها ... إن النفـوس تعـانى بينهـا الغـرقـا

لو صـورت فـأقـامـت غـير خـافـية ... كـانـت أجل الذى يستعـبد الحدقا

كـأن شـيئًـا من الحب الذى غـريت ... به الخليـقـة فى أثنـائهـا انبـثـقـا

* * *

إذا ابتـــداها عظيم فى مـــهـــارته ... حسبت كل ضجيجٍ لج فى الخرس

تظل تفـعـل بالأحـــزان مـا فـعـلت ... أشـعـةُ القـمـر الوضـاح بالغلس[1]

تذوب فـيـهـا همومُ النفس خافـية ... كما يذوب الندى فى موقع النفس

ينزو الهيـامُ بقلبى حين أسـمعـهـا ... لعب الرياح بثوب البائس التعس[2]

كـعـصـفـهـا حين لجت فى تأوبهـا ... كلجة البحر تطفى شعلةَ القبس[3]

تثيـر من نزعـات القلب مـرحـمـةً ... ترد عــاديةَ المســتــأســد الشـرس

وتبعث الذكر العهد الذى ضمنت ... فتودع القلبَ وجداً غـيـر ملتبس

* * *

كـأنهـا ذات حـول ليس يعـجـزها ... إحـيـاء منعـفـر فى القـبـر منفـرد

كـأنهـا شـاعـرٌ جـادت مـخـيلتُـه الـ ... ـغــراءُ بالكلم المسـعـود بالسـدد

لا شىءٌ من حسن الألحان يفضلها ... إلا الخــرير وصــوت الطائر الغــرد

وأنّة النســـمـــة المعطار جـــاذبة ... جيد الغصون بحبلٍ ليس من مسد

---

(١) الغلس : الظلام .　　(٢) ينزو : أى يثب .

(٣) الهاء فى كعصفها تعود على الرياح ، كذلك الضمير المستتر فى تطفى .

الفونوغراف

هل علمَ الغريد فى وكره ... شأنَ الذى خفض من قدره ؟

وهل درى المطرب ماذا الذى ... يستحضر الملحود من قبره ؟

يا عجبًا من ناطقٍ أبكم ... تأتلف الألحانُ فى صدره

يستخرج اللحن بمسنونة ... تزيل ذاك اللبس عن أمره

تخطُّ فى أعطافه أحرفاً ... كأنها تبحث عن سره

يروى أحاديث أناسٍ مضوا ... كأنها مرَّت على فكره

حديقة

فيحاء زان شبابها ... لون الربيع الأزهرِ

حيث الفرائد جمةٌ ... تزهو بأروع منظَر

من كل محمود البها ... ءِ مكلل ومنوّر

والوردُ يقطر بالندى ... كالعاشقِ المستعبر

والنهر يرفل عندها ... فى ثوبه المتكسّر

فكأنه وكأنها ... أحوى استكن بمئزر

تجلى بصفحة مائه ... صور الربيع الأخضر

فكأنّ فوق الماءِ ما ... صنعته كفٌّ مصوِّرٍ

وكأنّ صورة درهمٍ ... سكنت بخاطر معسر

وكأنّ طلعة فاتن ... أخذت بلبٍّ محير

تتـــــردد الأطيـــــارُ فـــو ق غـــصـــونهـــا بتـــخطر
كـــــتـــــردّد الآمـــــالِ فى خلد الطمـــوح المـمـــتـــرى
مـــــرح الطيــــور أجل من مـــــرح الخليع الموســــر
هـذا يدبُّ به الشـــقـــا ءُ وذاك غـــــيـــــر مكدر

مغالبة الهوى

هل قلدوك مـــــدامعَ الآمـــاق أم ضمنوك مصارع العشاق !
يا فتنة أخذت علىَّ مذاهبى وسطت بنقمة هجرة وفراق
إن كنتِ لا تخشين صولة ظالم مـرّ الوقـيـعـةِ صـادق الإبراق
فدعى مغالبةَ الضعيف وناجزى ذل الهوى وصبابة المشتاق

مطال الهوى

حاذر الطيف أن يلم فيشفى باتصال الرقاد نضواً صريعا
أودع القلب حبه زفرات سجرته حتى استحال دموعا
أيُّها العاذلون قد وضع الحـ ـبُّ على مسمعى حجابًا منوعا
قد تبعت الهوى إلى آخر المطـ ـل فما اسطعت بعد ذاك نزوعا
وتخوفت أن يدبَّ به الخلـ ـف فطالبتُ بالوفاءِ تبوعا
ما يضيرُ الذى يعللنى بالـ ـمطل أن أجعل البكاءَ شفيعا
طالما قد ذممت مطلك قبل الـ ـخلف حتى فقدت منه صنيعا
وتنبهت حين أعلنت الأقـ ـدار بؤْسى ونازعتنى الهجوعا

نظـــرة

نظرت إليّ بعين مستخبر جمع الدلالَ وحيرة الساهى

يا نظرة فى طيها نعم فكأنها من رحمة الله

فى سبيل الجامعة

برأى سديدٍ واعتزام مصمم يقوّم ميل الحادث المتجهّمِ

فلا قول يغنى عنك غير مؤيدٍ بفعل حميد الوقع غير مذمّمِ

ألا عصبة غراء يصدق سعيها تنادى لأمرٍ مدبر غير مجرم

ألا قائل أو باذل أو مؤازر برأى يقوى عزمةَ المتبرم

فنبصر إما أسعدت عزماتهم محاسن تزرى بالجمانِ المنظم

هنالك آمال كأن بطونها تفتح عن عيشٍ رقيق منعم

فيا حسن ذكر للذين تملكوا لبابَ الغنى فاستمسكوا بالتكرم

أيدعى غنى القوم سيد قومه إذا غاب عنه فضل فعل معظم

إذا لم يكن طبعٌ فجودوا تطبعا فربَّ جميل جاء من متندم

وأنتم عمادٌ للبلاد مشيّد فلا تتركوها كالبناءِ المهدم

ألم يكفكم فخراً وعزاً وسؤدداً رجاء محلًّى بالثناءِ المفخم

فجودوا فقد جادَ البهاليل قبلكم وحظهم الموفورُ غير المثلم

وإنَّ شنيع العار أعظم سبّة من الفقر إما عادكم من توهّم

إذا لم تناصركم حميةُ ماجدٍ فياضيعة الآمالِ فى الزمن العمى !

مصـرى عـربى

يخطاب أخاه القبطى

بنى البـهـاليل من علياء شـاهقـة ... ومحتـد الصيد لا تمشى له الريبُ

إذا تناءى بكم عن مـجـدنا نسبٌ ... فـأنتم فى مـراقى مـجـدكم عـرب

إن التـآلفَ لم يتـرك لنا نسـبًـا ... يلوى بكـم دوننا من دونه نسب

أما وقومى وقومى خير ما حلف ... إذا حلفت تدانى المجد والحسب

إذا الأواصـر لم تجـعل لنا سـببًـا ... فحـرمة الودِ فيـمـا بيننا سـبب

إذا هفـوتم رمـيناكم بمعـتـبـة ... فـإن هفـونا فـلا يملككم الغـضـب

يدان إن تـقطعـونا تقطعـوا يدكم ... كـذاك نحن لنا فى عـزكم أرب

إنى على شـغـفى بالأهل يطربنى ... أنى إليكم إذا فـاخـرت أنتـسـب

فإن فخرت فبالصيد الأولى أسروا ... حـوادث الدهر لم يخذلهم الغلب

كـانت لكـم دولة غـراءُ ثابتـة ... فى مرتقى العز تبغى شأوها الشهب

كنتم تطلون فـوق النجـم من أنف ... حـتى تركـتم سـهـيلاً قلبـه يجب

ضـرر اليأس

أخـذ القنوطُ عليكَ كلَّ وسـيلةٍ ... من حـيث لم يتـرك لرأيك منزلا

واليـأس إن يعـرض لعـزمـة عـازمٍ ... بلغ الصـميمَ وحال من أن يعملا

لولا مـزاولة التـجـهّم مـا رأت ... هذى الرذيلة فى فـؤادك مـدخـلا

فـإذا نهـجت من التفكّر منهـجًـا ... فـاجـعل فـؤادك للطلاقـة مـوئلا

كم طالـبٍ وجـد التجـهم مغنمـا ... حـتى ثناه اليـأسُ عن طلب العـلا

ذكــــرى

مـحبٌّ حـمـاه الـهجر أن يتصبّرا ... ومن حـاجـة المهـجورِ أن يتـذكـرا

وفى الذكـر الغـرّ التـذاذٌ بما مـضى ... ورجــعـة عـيش جلَّ عن أن يـكدرا

ذكـرت بـه لـيــلاً كــان نجـومَـهُ ... ثقوبٌ نرى منهـا الصـبـاحَ المستـرا

يبيت الندى فــوق الزهــور مرقرقًا ... كـمـا انبـعـث الطلُّ الرقـيق ليـقطرا

وفى ساعدى ريان من نـهلة الصبا ... كـمـا فـتح الشـؤبوب زهرًا منوّرًا

يبـيت يناجـينى بسـحـر لحـاظه ... ويسـمـعنى ذاك الحـديث المغـررا

فـمـا إن طلبتُ الوصل إلاّ تحـرجـا ... ومـا إن شكوت الـهجـرَ إلاّ تحـسـرا

والتـمس العـذر الخـفىَّ لصـده ... ولسـتُ أريد العـــذر إلا تعــذرا

فاغضيتُ عن بعض الذى كان فى الهوى ... ومـا عـشق الفـتـان إلا ليـعـذرا

أعمى يرثى بصره

قال الرغيبُ المواسى لا تكن جزعا ... فـفـتنة العين داءٌ غـيـر مـأمـون

وفـى الظلام عـبـارات منمـقـة ... تكن فـى لبِّهـا مـا ليس بالدون[1]

لو أن كل فـتـون مـثل مـا زعـمـوا ... وددت أن لنفـسى حـالَ مفـتـون

إذا سمعت حبيبًا ليس فى نظرى ... علمت أنى بين العـزِّ والهــون

كــان الأمين المرجى يوم كــارثةٍ ... فـأصـبح الدهرُ فيه غـيـر مـأمـون

أبكـى عليـه بعينٍ كـان يعـمـرها ... كـأنهـا نحـر دامى النحـر مطعـون

---

(١) يقال إن الخيال يقوى إذا فقد البصر . وقد قال بشار : « عميت جنيناً والذكاء من العمى » .

لى بعد فقدك سمع كله حذر يظل يسعدنى من حيث يعيينى[1]

البخيـــل

يرعى البخيلُ ماله لولده يحرسه في نومه وسهده يلصقه في نومه بخده

كأنه يحسبه من جلده يجمعه بكده أو جده كأنه يجمعه لعده

وبخله داعية لفقده فعيشه مستعبد لزهده مجدبه مستجلب من رغده

إن البخيل معدمٌ فى سعده كأنما يطلبه برده

ألومهُ فى التجنّى

ألومُهُ فى التجنّى ثم أعذرُه والدمع يفصح عما كنت أستُرُه

يبيت ممتلىء الأجفان من وسنٍ منعماً وحليف الليل يسهره

ياليته كان يدرى كيف يرحمنى أو ليتنى كنت أدرى كيف أهجرُه

لكل صبٍّ شفيع من صبابته ودمعه وشفيع الحسن منظره

إذا نظرت إليه حرتُ من ولهٍ ياليت قلبى يقسو حين أنظره

أبيت أعذل قلبى فى محبته والعين فى عبرات الدمع تحدره

فهل تعاون قلبى فى حوائجه يأيُّها الأمل الممنوع مصدره

بالله يا نسمات الريح سائرة نحو الحبيب الذى قد طاب عنصره

استودعيه سلامًا كله شجن من المحبِّ الذى قد مات أكثره !

---

(١) يعييه لأنه لا يقوم مقام النظر ، وقد قال ابن الرومى :

هل العين بعد السمع تكفى مكانه أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

الخُمُـــول

كـم وردةٍ لـيـس لـهـــــا نـاشـقٌ | يحـفـهـا الـروضُ بـوادٍ سـحـيق
تَنبت في زهـرٍ كـريم الثـرى | مستوثق الأصلِ عـزيز العـروق
طيـبـة النكهـة لم تبـتـذل | يخلس رياها النسـيم الرقـيق
كـللهـا القـطر ومـاءُ الندى | بلؤلـؤٍ من دمـعـه ذى بريق
وجـدول ينسـاب بين الرُّبى | يحـسـبـه الـذائقُ كـاس الرحـيق
وبلبل يعـرب عن شـجـوه | من حيث لا يأخـذ سمع المشوق
وخـامل والفـضل من حظِّه | قـد أحـرجـوه بالأذى والعـقـوق

اليُسرُ بعد العُسْرِ

إن الشـتـاءَ إذا تطاول أمـرُه | دخل الربيع بطيـبـه وروائه
والليـل إمـا لجّ فى غلـوائه | جـاء الصـبـاح بضـوئه وبهـائه
والسحبُ إما اسقمت وجه السما | برز الهـلال يزينهـا بضـيـائه
وكـذا الشـقـاء إذا تمادى عـهـده | جـاء النعـيم يذل من غلوائه

حسناء ماتت فى صِبَاها

أى مـهـدٍ أهدى المنونُ إليـهـا | واسـتـعـار الربيعُ من وجنتيـهـا
وهى حـسناء مـثـل لؤلؤة الحـا | لى إذا قـامت اللحـاظ عليـهـا
وسـقـاها مـاءُ الحـيـاءِ مـريئًـا | واستبدّ الفتونُ فى مقلتيـهـا
عظة تبـعـث الشـجـونَ وتجلى | خـادعـات الصروف فى حالتيـهـا

عتابٌ وأعتابٌ

ألا مبلغ عنى الصديق رسالة ... ودون التراضى معتب وغضوب
حمدتك لا أنى أردت مثوبةً ... على الحمدِ لكن كى يقال مصيب
لقد أعلمتك الحادثات مكانها ... فصار على المقدار منك رقيب
وما كنت إلا الدهر فى حال سلمه ... سوى أنه فى الحالتين مريب
وما أخذتك النفس إلا فضائلا ... كأنك معنى فى الضمير عجيب
أظل ولم أكحل بمرآك ناظرى ... كأنىَ بين الأقربين غريب

المشنوق

ضاقت الأرض عن مآثمه فاعـ ... ـتاض عنها برقة الملحود
حملته على الرياحِ وأعلتـ ... ـه عن الناس زاجراً بالوعيد
يعظ الناسَ بالممات كأنّ الـ ... رشد مستجلبٌ من التبعيد
جمعت حوله الورى فله حا ... ل حسود ووقفة المحسود
وأقالته من مآثمه فر ... قة عيش معجل التنكيد
منظر ما أقام بالعين إلّا ... راعها بالبكاءِ والتسهيد
وله فى النفوس وقع أليمٌ ... ينزع الغلَّ من فؤاد الحقود
ذاك من ملَّه الشقاء وكل الـ ... ـبؤس منه فصار صنو الشريد
كان فى عيشه من الخبث كالأجـ ... ـربِ يغدو فى أهله كالوحيد
ربَّ صحو من سكرةٍ ورخاء ... من عناءٍ ويقظة فى رقود

حسناءُ تغنّى

ربَّ لحنٍ كــــأنه المنظر الغض يـبـثُّ الآمـــــــالَ والأوطـارا

وغناء عـــذب يدبُّ إلى حـــيـ ـثُ الأمـانى فـيـخـرج الأسـرارا

وفـم لا يـكـاد ينـطـق مـن دقـّـ ـتـــــه بـالـغـنـاءِ إلا اضطرارا

وكــأنَّ السكونَ أصـغى إليــهـا فــأفــاضت على السكون وقــارا

نصيبى من الحياة

هـل ألومُ المنى وهـن ثـقـــاتى وأسـيـغ الأسى بغـيـر شكاةِ ؟

يـا غـــــريمَ البُـكـا رويدك لاتمـ ـحى دواعى الهـمـومِ بالعـبـرات

إن يكن حظُّك القليل فـهل تقـ ـضى عليـه بهـذه الحـسـرات

إنَّ عـشـرين حـجـةً تركـتـنى لا أرجّى سـوى الذى هو آت

إنَّ من أخطأ الرجـاءَ يرى الدّهـ ـرَ بعين تقـذى بغـيـر قـذاة

من دهاه الشـقـاءُ فى يقظة الدّهـ ـرِ جـزاه النعـيمَ فى الغـفـلات

كـلُّ يوم يـفـنى مـن المرءِ شىءٌ مـا سـمعنا عليه صوت النعـاة

كـيف أثنى على الزمـان إذا كـا ن ارتقـابُ الآمـالِ من عـزمـاتى

إن تراخى الرجـاءُ عنى قليـلا فــوداعًـا لما بقى من حـيـاتى

يا لهـذى الحـيـاة مَنْ لأُنـاسٍ يدفـعـون الحـقـوق بالشـبـهـات

فـأناسٌ تسـرُّهم سـيـئـاتى وأناس تسـوؤهم حـسـناتى !

الصغير والكبير

رأيتُ الكبيرَ ضئيل الطماح ... يتبع خاطره ما تولّى

وفي الذكر الغر ذخر جليلٌ ... لمن جعلته العوادي مقلاً

وإن الصغير أبيُّ الطماح ... يرجي من الغد عزًّا ونبلا

وفي الحق إن غنيٌّ الأماني ... يعجز أن يتبع القولَ فعلا

وفي السعي شيءٌ يعوق الطموحَ ... فيخطى الأجلّ ويصمى الأفلا

الطموح

بكاءُ العين علّمها السُّهادا ... وهمُّ النفسِ جشّمها الجلادا

وبي ظمأٌ لو أن الماءَ ريّ ... له مابتُّ أفتقد الرقادا

ولو أن الظلامَ بقدر مابي ... لما عرف الصباحُ له نفادا

وقد كان الزمانُ إذا رماني ... تطرقني فعلمني السدادا

وناشتني الهمومُ ولم أرعها ... كأنّ لها على حلمي اعتمادا

أهمُّ إلي العلا وتعافُ نفسي ... لغير قلي مخافةَ أن تكادا

وروَّضها طموحي للتمنّي ... فصيّرت الطلابَ لها اعتقادا

وزاولت السباق بها فلمّا ... سبقت البرق جاريت المرادا

بلغت بها المدى فلو استزادت ... علواً ما وجدت المستزادا

رثاء مصطفى كامل[1]

نفد العمر على طولِ الليالى … واستباح الموتُ ذكراً غير بالى

ومجالُ الدهر فى أحواله … ألحق التالين منا بالأوالى

ياضلوعاً دونها حرُّ الجوى … أصبح السلوانُ بعد الدمعِ غالى

فاجزعى يانفس أولا تجزعى … ما بقاءُ المرءِ إلا للزوال

وانقعى الحزنَ بآماقى إذا … وجد الظمآن ريًّا عند آل

قد يفيد الحزن فى مرزئة … لو يعود المرءُ بعد الانتقالِ

وإذا المقدار لم ينج امرأ … جزع الدرع على ذكر النصال

قد مضى من كان فينا رحمةً … لليتامى واعتصاماً للعيال

ولقد عاش على غير قلى … فرماه الدهرُ بالداءِ العضال

باشر الآمال مبذول اللهى … واستقاد الدهر محمود الجلال

ولقد دك المعالى أنه … فارق الأحوال مفقود المثال

أوحش الموت به أنفسنا … والمنى دانيةٌ والمجد عالى

وهب الدهر نفيساً للعلا … واستباح الرد ضنًّا بالنوال

ولئن أودى فقد أبقى لنا … سيراً فى مجده غير بوالى

إنما العيش طريقٌ للردى … وخلود المرءِ فى حسنِ الفعال

موقف

وليلةٌ كشعار الحزن داجية … لا أستعيذ بها إلا من الأرق

جاءت بأغيد يفرى الليل عن وضح … من وجهه كطلوع البدر فى الغسق

---

(١) كانت وفاة الزعيم مصطفى كامل فى ١١ من فبراير عام ١٩٠٨ .

فبت أودعه النجوى وقد فعلت … بى الصبابةُ فعل النوم بالحدق
ينأى به الدلُّ عنى ثم تعطفه … نحوى الدموع فعطفيه على قلق
وبات أدنى من الأشواق يحرسه … أن لا ألذ سوى مرأى ومعتنق
يدٌ على القلب تستجدى الهوى ويد … على الجفون تصادى عادىَ الغرق
يقول والحر فى الأنفاس يؤلمه … ما بال قلبك مطوياً على حرق ؟

التألـيـف

أبنى أبينا والأمور ضعيفة … أسبابها أن تقطعوا اليد باليد
إن الثريا لو تسر نجومها … غير الوفاقِ غدت بشمل مشرد
والفرقدين إذا تخلى عنهما … ودٌّ تناءى فرقد عن فرقد
هل سرَّكم يوم اللجاجةِ أننا … ندنى على الأحقادِ عادية الغد ؟
كنا وكنتم فى الصميم من العلا … لولا مداهنة الزمان الأنكد
لولا اللجاجة والمراء وعصبة … رصدت لكل محزبٍ وموحد
ومن البلية أن نكون وجمعنا … متقسمٌ والشامتون بمرصد
يا ابن الفراعنة الأولى ورثوا العلى … أرث الأماجد سيداً عن سيد
قم نرجع الفضل الصريحَ ودولة … يمشى عليها الدهر مشى مقيد
هذا مقالى شيته بنصيحةٍ … فتلق فيه رقة المتودد

الشـاعر وحبيبتـه

دعينى وحظى لست أهلاً لأن ترى … حبيبة مشبوب الفؤادِ معذب
إذا ما رأيت البشرَ يملأ صفحتى … ضياءً فآمالى خديعة خلب

ومـا بعث الله الأديبَ ليـمـتطى | على سـروات العـزِّ أطيبَ مـركب
تـريه مكانَ الهـمّ عينٌ بصـيـرةٌ | فـيـحـويه منه كـالخـبـاءِ المطنب
يفـرُّ الرجـاء العـذبُ من خطراته | فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
مـهـيـجـة أشجـانه لا يمسّهـا | سـوى كل فـوّارِ الصـبـابة أغلب
فـهن كـأعـضـاءِ اللديغ إذا دَنت | لشيءٍ تأذت من حكاك المقـرب

ليلة من ليالى الحبّ

يـارُبَّ ليـلٍ بتُّ فى جنحــه | أسـتنصـرُ البـدرَ على ندّه
فـزارنى زورةً ذى رقـبـة | يرى التـدانى منتـهى جـدّه
فـرحت أحكى الدهرَ فى سلمـه | وراح يحكى السيف فى جـهـده
وانتـزع الرقـةَ من قلبـه | وأسـكن الرقـة فى قـده
ثـم ائتلفنا عند حكمِ الهـوى | مـثل ائتـلاف الدرِّ فى عـقـده

عين اليقظة وعين الحلم

مـا لعـينى دمـعـهـا قـد نفـدا | ولجنبى لا يمسُّ المرقـدا
آفـةُ العـاشق من حـيث يرى | كـشـقـاءٍ من نعـيمٍ وردا
بعـثت عـينى منهـا نظرةً | قـربتنى منه حـتى بعـدا
قـد عـرفتُ الصبـر حتى راعنى | بالتنائى فـعـرفتُ الكمـدا
إنَّ عـينى ولهـا الحـمـد لقـد | أنجـزت بالنومِ مـا قـد وعـدا
فـأسلّى الهـمَّ عنى بالمنى | ويبـيح العـتب منه مـوعـدا

قـــد أحلَّ اليـــأس قلبى أننى ... قـد سجرتُ الشوقَ حتى خمدًا
إنما الآمـــالُ أزكى مـــتـــجـــرٍ ... لا تخَف من حبسـهـا أن تكسـدا

النصيحـــة

ورُبَّ خـليـلٍ لا أجــــود بودّه ... أراه على العلاّت وهو حـمـيـدُ
أناصحه جـهـدى فيحسب أننى ... أريدُ به شـــــرًا ولستُ أريد
فـــصــرتُ أداريه وإنّى لمشـــفق ... إذا مــا طويت الرأىَ وهو سـديد
مخافةَ أن يقضى الأمورَ بضدها ... فـيــدركــه من دونهن قــعــود
إذا اعترضتك الحادثاتُ فلا تكن ... عـيـوفـاً لما يلقى عليك مـريد
فـإنّ التـمـاسَ الحق ليس بعـائبٍ ... مـجـداً إذا عـاب العنيد جـحـود

الحــزم والحدثانُ

أهاب بحـــزمى طارقُ الحـــدثان ... ولم يبق منى الدهرُ غـيـر لسـانى
فلو حاولت منى الخطوبُ استكانةً ... لبـاشـرتهـا مـسـتلئـمـا ببـيـانى
ولو أوطأتنى الحـادثاتُ مـهـانةً ... أبى لىَ طبـعـى أن تكون مكانى
ولكنّ مـثلى ليس تكبـو به المنى ... ولو كـان فى أيدى الخطوب عنانى

عتـابٌ ومحبــة

أيمنعنى الأعـــتـــابُ أنك جـــارم ... فـتنسب لى الهـجـران وهو توهُّمُ
وإنى ضنين أن تمسّك وحـــشـــةٌ ... إذا مـا دنا من مـسـمـعيك الملوم
فـمـا أنا بالراجى عن الحبّ نبـوة ... ولا أنا بالمسطيع صـبـرًا فـأكـتم

ولكن إذا مـــا الداءُ دبَّ بمعــصمٍ ... فأوشكْ بأن لا يحمل الكفَ معصمُ

وما كنتُ أدرى قبلَ هجرك ما الهوى ... ولكنَّ مَنْ يَبْلُ الأحـــبـــةَ يعلم

وما أنكر العتبَ الذى يبعث الرضى ... فإن كـان فى لا شيءَ فـهـو تبرّم

ولست أبيحُ الســرَ للجـفنِ ضلّةً ... ولـكـنّه بين الضـلوعِ مكـتّم

آمــال النفــس

مــالى أراقبُ نفــسى فى تمنّيــهــا ... وحـالة اليأسِ ترضينى وأرضيـهـا

نزهتـــهـــا عن رجـــاءٍ لست آمنه ... حـــتى كـــأنّىَ بالتنزيه أغنيـــهـــا

إن الحـيـــاةَ إذا مـــا شَـــابَهَـــا ضـرعٌ ... عـادت كـأنّ المنايا فى حـواشـيـهـا

لو أنّ لى حـيلةً فى الذل أجنبــهـــا ... خـوفًـا فـلا بلغت نفـسى أمـانيـهـا

أيحـــسـب القـــومُ أن أرضَى بمنزلةٍ ... العـــجـــزُ أولُهـــا والذلُ ثانيـــهـــا

ســأرقبُ النجحَ والآمــال داجـيــةٌ ... حتى يجـابَ إلى العلياءِ داعـيهـا

إن الحــــمــــيَّـــــة لو دبّت إلى رممٍ ... ريعت قلوب الأعـادى من عـواديهـا

ولو سَـرت بوضـيعٍ صـار ذا شـرفٍ ... حـتى كـأنَّ المعـالى من مـعـانيـهـا

ولـو سَـــرت بـأســيـــرٍ عـــاده جلـد ... كـــأنّمـــا أسْـــرُهُ أغـرى بـه تيــهـــا

إن اللئـيمَ يريك الحــزمَ مــهلكة ... ويخلط النصحَ بالتـضليل تمويهـا

وحـالة العـجـزِ لا تبـقى على أملٍ ... من النهـوضِ فـإن العـزمَ ينفـيـهـا

ذكــرى ليــلة

كـلفـــتنى فى هـواك أمـــرا ... يدعـوه أهلُ الوفـاءِ غـدرا

فابلُ الهـوى واستعر ضلوعى ... لكى ترى هل نطيق صـبـرا

وربَّ هجرٍ يعودُ وصلا — وربّ وصلٍ يعود ذكرَى
وربَّ ليلٍ أرخى علينا — لما احتوانا الظلامُ سترا
وشى بى البدرُ عند ليلى — فخلته من دجاه يعرى
بات يمجّ الظلامَ طرفى — كأنه بالسهادِ مغرى
وحين وافى الحبيبُ ليلا — كاد يكون المساءُ فجرا
أخبره الطرفُ ما أعانى — فهل رأى فى الجفاءِ عذرا
أضنى اصطبارى ونوم عينى — كلاهما خاف منه هجرا
يحفظ سمعى عنه حديثاً — أيام كان الزمانُ نضرا
بتُّ وعينى بالحزنِ عبرى — لأعين بالذبولِ سكرَى
جعلت قلبى للحبِّ وكراً — فصار طرفى للطيفِ وكرا
ملأت صدرى من الليالى — فصار مابى فى الصدرِ صدرا

أمانى الحب

لواعجُ الحبِّ تلويهم وتغرينى — وسطوةُ الهجرِ تبقيهم وتفنينى
وفى الجفون دموعٌ ضلَّ رائدها — قول العذول عليها غيرُ مامونِ
نجبى من اليأسِ أن الحبَّ ذو غير — وهل يعودُ بما قد كان يلوينى
ما أبعدَ الصبر من قلبى على جلدى — وأقربَ الوجد من قلبى على دينى
رجعتُ بالخسرِ والآمال تخدعنى — حتى ظننتُ بانى غير مغبون
من لى به وعيون الليلِ تنظرنا — بعد التصافى فأدنيه ويدنينى
يكفى من الدهرِ أن الدهرَ يمطلنى — فإنّ وعدَ الليالى غيرُ مضمون

يكفى من القربِ أنّ النومَ يجمعنا ... فإنّ ذلك وصلٌ غيرُ مظنون

إنى لأهوى الردى والعيش مقتبلٌ ... لعلّه بعد موتى فيه يبكينى

كن كيف شئتَ مدلاً أو على صلةٍ ... فكلُ شيءٍ من الأحبابِ يرضينى

دليل الشوق

أتنكرُ أشواقى وأنت دليلُها ... وتطفيء أشجانى وأنت غليلُها

وهل عائبى عند العيونِ إذا رنت ... سوى أنها تدرى بأنى قتيلها

هل الوجدُ إلا أن ترانىَ باكياً ... إذا لوعة زادت وضرّ قليلها

بسطت لكم بينَ الضلوعِ مكانةً ... على القلبِ لا يأبى الوفاءَ نزيلها

ولكنَّ آمالى يرجين عطفةً ... لديك ولو أن الجفاءَ رسولها

شقيتُ بنفسى والحسود عذيرها ... فكيف شقائى والحبيب عذولها !

مرثية فقيد الوطن والعلم

قاسم أمين[1]

أودى البكاءُ بمعوز السلوان ... وبقيتُ بين طوارق الأحزانِ

طوراً تكاثرنى الهمومُ وتارةً ... آوى إلى صبرِ الضعيفِ العانى

يا دمع رفقًا بالمحاجر واتئد ... فالمرءُ رهنُ قطيعةٍ وليان

ولقد علمتُ وإن عرتنى وحشةٌ ... أن المنايا آفةُ الإنسان

إن الفجيعةَ بالرجالِ أجلّها ... فقد الكفاة لطارق الحدثان

لهفى على الفضلِ الصريح إذا ثوى ... فى حفرةِ القرم العظيم الشان

ليتَ الزمان وقد أرادك بالذى ... يأبى أحسّ بمقتلى فرمانى

(١) توفى قاسم أمين عام ١٩٠٨ .

مـال الرجـالُ أمام نـعشِك حسـرةً	مـيلَ الغـصـونِ مع النسيم الوانى

وضعوا الشمالَ على الجفونِ واختها	مـوكـولة بمجـامعِ الأشـجـان

وبكى الجليـدُ بكاءَ ثكلى واحـد	فـرد رمـاه مـقطر الفـرسـان

فاذهب كما ذهبَ السحابُ محببا	تثنى عليـه نفـحـةُ الريحـان

يا سـعـد مـا فـعل الزمـانُ بماجـدٍ	غـدَر الزمـانُ بعـودهِ الفـينان

قـد كنتَ تدعـو للعظيم مـغلبـاً	يدنى الرجـاء بهـمـةِ المعـوان

قـد كـان يدنى من فـؤادِك حبّـه	صـدق الجـهـادِ وصـحّـة الإيمان

رثـاء قـاسـم أمـين

الدمعُ بعـدك قـد أصـابَ مـسيلا	والرزءُ مكَّن فى الضلوعِ غليـلا

وعـدا على الآمـالِ بعـدك عـاصفٌ	صـعبٌ أمـرَّ رجـاءنا المعـسـولا

كـانـت تفـتح كـالزهورِ فـيجـتنى	لحظُ العـيـون بهـاءَها المطلولا

فـغَدت كوجـهِ التربِ أعوزه الحيا	جـدباً ضنينا بالثـمـارِ وبيـلا

هل عند رهن القـبـرِ أن زفـيـرَنا	يقـرى السـلامَ جنابه المأمـولا

هل عنده أنى افـتـقـدتُ بفـقـده	رَبَّ الكفـايةِ بكرةً وأصـيـلا

أخـذَ الفـؤادُ على الجـفون وثيـقـةً	أن لا تميل إلى العـزاءِ قليـلا

ولقـد رأيتُ الدهـرَ فى أحـوالهِ	تخـذ الأمـانَ على النفـوسِ دليـلا

قل للذى لم يصم رزؤك قلبَـه	إنى حـسـبت فـؤادَه مـدخـولا

كـيف احـتواك القـبرُ فى أحشائه	ولقـد عـهـدتك صـارمـاً مسلولا

يـارُبَّ أقـوامٍ نفـيـت ضـلالهم	وعـجـمـتـهـم حتى أقـمتَ مميلا

أخـذوك بالطرفِ الحسـيـر وربما بعث العليلُ إلى الضيـاء عليـلا

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العلّات آمالى لما انتزعت حديثَ اليأسِ من بالى
ورحتُ أدأبُ والآمال تُسعدنى حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالى
وفـاتنى الحظُّ منبـوذاً بمنزلةٍ ينمُّ فيها الهوى عن راحةِ السالى
حسبت دمعى قرى والشوق منتجعاً وخلت قلبى لهيباً والجوى صالى
جريت فى الحبّ مدفوعًا بلاعبث فما اعتذارى إذا ما فاتنى التالى
يسعى أُناسٌ إلى وردٍ لينقذهم من الغليلِ وهذا الورد يسعى لى
يا أيها الزائر المدلى بمعذرةٍ وفى تمهلهِ لو شاءَ إبلالى
لو أننى مودع فى طىٍّ مقبرة تسعى على تربها أحييت أوصالى

الحبُ والرقة

شكوتُ إليه ذلّتى فتحكّما وأرسلتُ دمعى شافعاً فتبرَّما
وقال له الواشون أنت وصلته ببعثك طيفاً فى الكرى فتظلّما
وخبر أنى قد تخيلت أننى تزودتُ منه قبلةً فتألّما
وخبر أنى سوف أخلس نظرةً إليه فأضحى بالحياءِ ملثَّما
وإنى لأهوى أن أموت لعله إذا مرّ ذكرى فى الحديث ترحَّما

فى الفخر والحكم

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحان ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمان
ما زاد ذو جدٍّ ليحتاز العلى لكنّه قد زادَ للنقصان

ولقد علمتُ وإن شكوت خصاصةً أن المنيـــةَ غـــايةُ الإنســـان
عَجَمَ الزمانُ عزيمتى وعجمتُه فكأننا علمـــان يصطدمـــان
ولئن سفلت كما عليت تواضعاً حيث الأسافل ما جهلت مكانى
صاحبتهم بالشك حتى ذقتهم فعلمتُ أنى قد أبحتُ عنانى
وإذا كريت عن الحوادث غرةً راعيتهـا بلواحظِ اليقظان
روّضتُ نفسى للطماح فراعها أنَّ الأمـــانى آفـــةُ الإنســـان
أربى بنفسى أن أبين سريرتى لمضللٍ قـــد غـــرَّه إعـــلانى
وملمة تنسى الجبان حياتَه كشّفتها بحفيظتى وبيانى
ولربما أدع المناظر أبكمـــا فى موقفٍ ما حار فيه لسانى
وإذا الحـــوادثُ نوَّهت بملمّـــةٍ لتـــروعنى لا يســـتطارُ جنانى

إلى صديق

دافع الآمـــال بالتُّـــهمِ لـو قـــراه النومُ لم ينمِ
فيبيتُ الليل يسهـره وهو يرجو الوصلَ فى الحلم
وإذا ناجى مســـامـــره لم يجبه النجمُ من صمم
فاجتباه السهدُ يؤنسه واجـــتبـــاه الحبُّ للألم
وشبـــابُ الليل متـــهمٌ يقـــرع الأفـــلاكَ بالظلم
دبَّ فيه البدر مهتتكاً (كدبيب النار فى الفحم)
واستباح الصبحُ دولتَه إذ رماه الفجـرُ بالهـرم
لم يدع منه الصباحُ سوى رمقٍ فى شـــخص منعـــدم

يقـتـفـيـه وجـهُ ذى خلق ... أصله من عنصـــرِ الكرمِ
قــد أنار البــشــرُ صـــورتَه ... فـهو فى التعبيس يبتسم
حـلّ بـين الـنــاسِ مـنــزلـةً ... كـحلولِ الصفـوِ فى الشيَم
واقعٌ فى حـــيث لا دنس ... مــوقع الآمــالِ فى الهـمم
ســـائرٌ إلا إلى عـــبثٍ ... واقـــفٌ إلا عــلــى نـــدم
نفـســه للفـضل تدفـعـه ... فـــهـــواه غـــيــرُ مـتَّـــهم
جـالَ فـيـه المدحُ ملتـثـمـاً ... كـمجالِ الحـمـدِ فى النعم
ومــشت فـيــه فـضـائلُه ... مــشـيــة الآرام فى الحـــرم
وجــدت فـينا مـحـبـتـه ... كــوجــودِ الدين فى الذمـم

ضيقــة حــال

أعـــاتبُ دهرى أو تـهــون خطوبُه ... وأعـذلُ حـالى والدمـوعُ تثـيـبُه
وكـيف ألومُ الدهرَ فيـمـا يريبنى ... وأحـسنُ شىءٍ فى الزمـانِ عـيـوبه
سـأندبُ حظى والأمـانى شــواردٌ ... كـأنى سـقـيٌم قـد جفـاه طبيبُه
إذا عــبثَ الدهرُ اللئـيـمُ ببـائسٍ ... فحسب نصيبى أنَّ مثلى نصيبه
وصرتُ كمـا شاء الزمانُ مخيباً ... يعـــاتبنى قلبى كـــأنى رقـــيـبـه
ودافـعتُ آمـالى كـأنى سئـمتُـهـا ... وأخلفنى صـبـرى كـأنى أريبـه
وَضَـاقَتْ بى الأحوالُ حتى كـأنَّهـا ... فـؤاد مـحبٍّ غـاب عنه حـبيـبـه
أضن بصـــدرى أن يلمّ به الأسى ... على الخطبِ إلا أن يضيقَ رحيبه
ولا أرقـبُ الآمـــــالَ إلا تـعـللاً ... لعلّ الذى يعـدو المراد يصيـبـه

ســأذكـرُ أيامــاً نعـمـت بلبـسـهــا … إذا مــاشــدا عند الـنـضـيـرِ خطيـبـه

ومـــا أنـا ممـن لا يعـــزى فُــؤاده … إذا خـــان جـــدّ أو تـنـاءى قــريـبـه

ولـلـمــرءِ أحـــوالٌ تـريـد عـــزيمةً … يـذود بهـــا عن قلبــه مـــا ينوبه

إذا كـان دون الـشـيـبِ لـلمـرءِ مـانعٌ … من الموتِ لـم يجـرؤ عليـه مـشـيـبـه

رثاء الشيخ محمد عبده[1]

سـجــرت فــؤادَك حــتى خـمــد … وأرخــصت دمــعك حــتى نفــدْ

وحـق عـلـى الـعـينِ أن لا تـنـى … تشـــرد من دمــعــهــا مــا جــمــد

أردتَ الـوفـــاءَ فـــهـــان البـكـاءُ … ورمــتَ الـتــعــزّى فــخــانَ الجلد

وأســمــعك الموت حــتى أصم … فــهـل للذى فـات من مــســتـرد

ولو أقـصــد الموت غــيــر الإمـــا … مِ لهـان على مـصـرَ من تـفـتـقـد

فكم من مـــضـلٍّ له قـــد عنا … وكم من شــقـيٍّ به قــد ســعــد

تـرقـب مـنـه الـردى غـــــــرة … فـقــد صــار يمزح حــتى عــمــد

أبى ذخـــره أن يـهـــابَ الـردى … وقـــد عــرف الـعـيـشَ حــتى زهد

وإنَّ الـفـــتى ليــخـــاف المـمـــا … تَ ومـــا جنب الـورد حـــتى ورد

يـقـــيـم على أملٍ خـــادعٍ … ومن غــرَّه الـعـيشُ لا يـقـتـصـد

يـرجي ســفـــاها مـتـاب الـغـدا … ة فـــهل أمن الموت من دون غـــد

ومـــا أخطأ الموتُ فى حـكـمـه … ولـكـنْ لـكـل بـقــــاءٍ أمــــد

وقـد نـال من فـضـلـه الحـاسـدو … ن حـــتى الزمـــان عليـــه وجـــد

فـيـــا آيـة الله لـم تـقـــصــرى … فـقـد عـرف الحقَّ من قـد جـحـد

---

(١) كانت وفاته يوم ١١ من يوليو عام ١٩٠٥ .

وكم رام شأوَك من حاقدٍ   فما ذمّ فضلك حتى حمد
وهل يجهلُ الضوءَ إلا العمى   وينتقصُ الشمسَ إلا الرمد !
وهل يُنكر العيبَ إلا الرضى   وهل يجحد الفضلَ إلا الحسد !

عقيدة الحبّ

زارني والطرفُ مسلوب الكرَى   وانثنى والجسمُ مسلوب الفؤاد
حالة لم ينعم الطرف بها   فأباح الطيفُ لي طعمَ الرُقاد
لم يدر في خلدي السلوان حـ   ـتى كأن الحبَّ في قلبي اعتقاد
إنما يوحش في القرب التجافي   مثلما يوحش في البعد افتقاد
إنْ يَجُدْ بالوصل يُحي رمقاً   هالكاً من مطله هلك اقتصاد
خطة الهجران ما أنكرتها   هكذا الآرام لا تعطي قياد
وعيون ناطقات بالكرى   ألهمتني كلَّ معنى مستفاد

وصفُ راقصة

آنسةٌ تمرحُ في جلبابها   كأنها تعجب من شبابها
وشعرها كأمة تعنى بها   راقصة كالصلِّ في انسيابها
كأنها تدور في إهابها   تكاد أن تخرج من ثيابها
وثوبها يكاد أن يزهى بها !

حالات الحب

مـا لعـيني خـانهـا الدمعُ ولا عـذر للعين إذا لم تسـجمِ

نفـد الدمع على طول البكى فاسـتعـار الحب لحمي ودمي

أنا والآلام تسـتـهـدفني نادم لو كـان يغني ندمي

قـد كـرهت النومَ حـتى إنني لو أتاني طيـفُكم لم أنم

مـا أبالي والهـوى يبـرئني إن رمـاني حـاسـدٌ بالتُّهـم

هانت الأنفسُ في الحبِّ فـلا ترحم العـاشقَ إن لم يسـقم

إن أعنت الصبّ في حمل الهوى هزئت أعـضـاؤه بالألم

قـد منعت الوصلَ من غيـر قلي فـارض لي الصـدَّ إذا لم يحـرم

طلعة وشجون

يا طلعـةً طلعت بكلِ شـجـوني أجـهـدت قلبَ مـتيمٍ مـفـتـون

ومن العجائب أن تصد حبيبة وثقت بحب الصـادق المأمـون

أنا في هواكِ بمنزلٍ لم يعـده أسف الحـزين وحـالة المجنون

رضي الفؤادُ بذلتي وخصاصتي أرثيـتِ أنتِ لذلك المسـكين ؟

طوراً تكاثرني الشـجـونُ وتارةً آوي إلى صـبـرٍ عليك أمين !

الحظ القليل الكثير

حسبي من الدر أني كلما نظرت عـيني إلى الأفق جـادتني بلألاءِ

وإن ترصَّـدَ للأسـعـار جـاهلُهـا مـا ضـرّني حـالُ إرخـاصٍ وإغـلاءِ

وإن ترفع بالأسرار كاتمها ناجيت صوت التقاء الماء بالماء

وإن تمادى غنى فى غوايته علمت أنى كفيت الداءَ بالداء

إنى لأنظرُ بالعينِ التى نظرت ما بين ذلك من حالات آلاء

حساد على الصبر

نقم الحسّادُ أنى صابر رُبَّ صبر فى فؤاد البائسِ

قد رأونى ذا سلام صارمٍ ربّ ثَلْمٍ فى سلاح الفارس

الحزن والسرور

إنّما الحزنُ والسرور غذاءٌ لفؤاد الإنسان طولَ الحياة

فإذا طاح بالسرور قضاءٌ فارضَ بالحزن قبل أن لا يؤاتى

مواطن الأشياء

تعرض الأشياء فى أوطانها آفة الجوهرِ أن لا يعرفا

كم جهولٍ عزبت عنه النُّهى نَبذَ الدرَّ ونالَ الصَّدَفا

إلى صديق
بعد إبلاله من مرض

رضينا بالبعادِ وأنت دانى فصرتَ على بعادك كالأمانى

وكلَّفنا احتجابك عنك صبراً وهل يغنى السماعُ عن العيانِ

وكيف تنالك الدنيا بشيءٍ وأنت البرءُ من حَدَثِ الزمان

وما هزئت بصعدتك العوادى ولكن غرّها سلس الليان

ولما جــــــاءك الأملُ المرجّى | طعلت طلوع يوم أضــحـيــان
ببـشـرٍ مـثل مـا نقم الأعـادى | ووجــهٍ مـثل مـا عـشق الغـوانى
أرانى يوم أغـبطُ فـيك نفـسى | كـأنى لستُ أمنحك التـهـانى !

شاهد الدمع

أحـبـيبُ لو دبت إليك صـبابتى | لـعـلـمـت أن الحبَّ لـيس بمنكـر
لا تحـسبنّ الدمعَ ليس بخلقــه | إن البكاءَ مــوكلٌ بالمحــــجـــر
وهل ابتـغيتَ على وفـائى شاهداً | أم هل دللتَ على الصباح بنيّر ؟ !

رثاء الحبّ

ولا تـدفـنـوه بـأرضٍ خَـــــلاء | فـقـد كـان يأبىَ المكانَ الجـديبـا
ولا تنزلوه صــمـــيمَ الفـؤادِ | فـإنى أخـافُ عليـه الوجـيـبـا
ولكن بحــيـث غـناء الطيــو | ر يقـــريه لحنًا لذيذاً رطيــبــا
وإنى لأخـــشى عليـــه الأذى | كـمـا كنتُ أخشى عليـه الرقـيبـا
وإن خليــقًـــا بطيـبِ المقـــا | مِ من كـان يـهـدى إلىّ الحبـيبـا
فــلا تشـمـتـوا بعظيمٍ مـضى | فـقـد كـان فـينا قـديرًا مـهـيـبـا
ومن عـجـبٍ أن أراه الحــمـيــد | وقـد كــان يدمى الكُلَى والقلوبا
يصـــول بحـــالين هجــر ووصل | يشبّ لهـيـبًـا ويطفى لهـيـبـا
تعـــالوا نُظَلّلْهُ بالغـــاديات | من السحب لو أسعدت مستثيبا
ونـنـهـلـه مــن قـطـرات الـنـدى | هنيـئـاً وننزلْهُ روضـاً قـشـيـبـا

استهداء رَسْم جميل

يا أبيًّا يعافُ مدرجةَ الجا ه إذا ما رأى عليها الهوانا
قد عهدناكَ منعة لضئيل الـ ـحظ إن لده الشقاء طعانا
وعهدناكَ أعظم الناسِ قلبًا وجماحاً وهمةً وبيانا
ترسل اللفظَ فى مناجزة البطـ ـل فيهوى سيفًا وينحى سنانا
أنت خلو من المداجاةِ واللؤ م إذا استعبد النفاقُ الجبانا
فسقىَ اللهُ عزمةً لك شما ءَ ونفساً لا تستطار جنانا
إن لى حرمةً لديك على مد حيك لا تجزنى عليها امتهانا
كان هارون يمنح الخلع الغـ ـرّاءَ برًا بأختها وامتنانا
ولديك الشفاءُ من سقم القلـ ـبِ إذا كنتَ تحمد الإحسانا
طلعة ضمنت مصارع قتلا ها اعتداء وأودعت أشجانا
من مجيرى من الذى تبل القلـ ـب وليس المواصل المعوانا
شرع اللحظَ ثم قال لطرفى فى وعيدٍ : هن يا عزيز فهانا
فأنا اليوم إن رمانى بلحظٍ قال طرفى يا مقلتيه أمانا !

عبادة الحسن

عجبتُ لأشجانٍ مجوسية اللظى أصارتك معشوقًا فصرتَ معبَّدا
وراضَ لى الأعذار أنى شاعر وأنك قد أصبحت فى الحسنِ أوحدا
حنانيكَ يا هذا الحبيب على فتى يحبك حُبًّا حيث ما نفد ابتدا
يبيت سميرَ الليلِ يخفق قلبُه فيسعده القلبُ الذى ضمن الصدى

نشـدتك لو جـاءَ النعيُّ مـخـبّـرًا بموتى فـلا تحـبس بـكـاءً مـرددا
وقل رحمَ الله الوفيَّ الذى قـضى ولم يلق منى فى المحبةِ مسعدا

الـود الرخيـص

أيهـا الناقم الذى أطلق الكيـ ـدَ ولم تثنه هوادةُ حلمى
قـد حلمت الودادَ من غير أجرٍ فـقـبلت الجفاءَ فى غيرِ جرم

إلى صديق

وقـفتُ عليك القلب عند منازلٍ أوائلها معقـودةٌ بطمـوعِـه
فكنت أخافى النائبات وساعداً قـديرًا يردّ الخطبَ قبل وقـوعه
تكثرت بالأنصار حتى عرفته فغابت غيابَ الشكِ عند طلوعه
وحسبى من الحظِّ المدلِّ بنفسه إذا قيلَ هذا القرم ملْءُ ضلوعه

لجاجة الحب

همـو قيدوا قلبى بها وتواقفوا طويلاً مع الأهواءِ يدفعها العتبُ
يريدون أن لا يجمعونا سفاهةً وما نحن إلا الخمر والبارد العذب
يقولون لا تعطِ الغرامَ مقادةً فما هو إلا الخطب أو دونه الخطب
لك الخيرُ لا تجزع فما لك حاجة إليها وما يدرون ما فعلَ الحبُّ
ألا لى غير الخير لى كل لاعجٍ قدير من الأشجانِ يضمره القلب
هوى نازع الأحشاءَ فى مستقرها وأحدث ما لا يستحث له اللب
لقد أضمر الغيبُ المضللُ وصلها فيا ليت هذا الهجر أضمره الغيب

غلالة الصهباء

زارنى زورةً أتيـــهُ بهـــا مـــا ... تاهَ بالعـــزِّ صـــاحبُ الخيـــلاءِ

قلتُ يا ظالم القلوبِ ترفق ... بحنينى ولوعـــتى وبكائى

فتمشّى الحَياءُ فى الخدِّ حتى ... حجبته غلالةُ الصهباء !

مخادعة الهم

نحن قـــومٌ إذا تطرقنا الهمُّ ... خـــدعناه بالرحـــيقِ المشـــوب

ثم ننفـــيـــه بالأزاهرِ والشـــعـ ... ـرِ ووصل المنى وعطفِ الحبيب !

العذر فى الكأس

أيُّها العاذلون فى الكأس مهلاً ... قد جهلتم علالةَ العشّاق

هى تبر يحيى الطلاقةَ فى النفـ ... ـسِ ويمحو غضاضةَ الإملاق !

خطرات فى الحياة

قنوع اليأسِ يجحدنى رجائى ... وهمُّ النفسِ داعيـــةُ الرخـــاءِ

وقد غَلَبت صروفُ الدهرِ حزمى ... فجالدتُ المصائبَ بالنجاءِ

وقد سلبت صروفُ الدهر منى ... كما سلب البقاءُ من البهاء

وقد يُغنى العزاءُ عن التمنّى ... وقد يُغنى الطلاب عن العزاء

أأجزع من مجالدتى الرزايا ... كأنى لستُ فى طلب العلاء !

مجلس

أسفرَ وجهُ الأفقِ بالصباحِ ... كأنه يبسمُ عن أقاحي
وكلُّنا من منتشٍ وصاحي ... قمنا نحيي الفجرَ باصطباحِ
ونخلطُ الوقارَ بالمراح ... لا نؤثرُ الجدّ على المزاح
فعرضنا ليس بمستباح ... ثارت بنا إلى كؤوس الراح
ولم نطع فى تركها اللواحى ... شبيبة تدعو إلى الجماح

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أنىَ هالك ... بحبِّك فابعث فى المنامِ خيالكا
وأجهلُ أسبابَ الهوى غير أننى ... أسائلُ عنها مقلتى وجمالكا
محبُّك لو تدعوه والنارُ بينهُ ... وبينك تبغى موتَه لسعى لكا

عناءُ الليل والحبُّ

ما لحدادِ الليلِ لم يخلعِ ... وما لعين الأفقِ لم تهجعِ
لعلّه يفرق من هيبتى ... أن يخلسَ الأنداءَ من أدمعى
وربَّ ليل ملّنى جنحه ... لو مرّ بالمخطىءِ لم يجزع
قريته من زفرات الحشا ... فما لهذا الليل لم يشبع
لم يُدمِ قلبى طول هجرانه ... لكن سهمَ اللحظِ لم ينزع
أبدلنى بالوعدِ من وصله ... لكنتى بالوعدِ لم أقنع
إن لم أكن عن حبّه مقلعًا ... فما لهذا الصدِّ لم يقلع

إن لم يكن حبى له شافعى ... فما لجنح الليلِ لم يشفعِ
إن أشفق الغيث على تربهم ... أقولُ هل خانهمو مدمعى ؟
هل حيلة تصرفنى عنكم ... فإن صرفَ الدهرِ لم يزمع
دلوا على عطفكم مولعاً ... ظمآن لا يسلو ولم يطمع !

خطرات الحبُّ

حبيب هل عوتبت فى مغرم ... فإننى عوقبتُ فى ظالمِ
إن يك منك البخلُ مستحسنًا ... فرحمةُ الله على حاتم
لئن أرانى عتبكم عطفة ... فإننى أشبهُ بالنائم
أعلم أنى فيكم هالك ... حتى كأنى لستُ بالعالمِ
أثريت لما أن تجافيتمو ... من مدمعى باللؤلؤِ الساجم
إن تك قد غرتكم صبوتى ... لا تستحثوا خدعةَ الراغم
أو أكُ فى معتبتى آثماً ... كيف استجزتم زلةَ النادم
أو أكُ بالكتمانِ عاهدتكم ... ما حيلتى فى لغط الحالم
وبالمنى أفدى الذى قال لى ... ما أنتَ فى حبِّك بالغانم .
إذا الرضى أعلن فى ثغره ... فخادعٌ أشبه بالباسم
وإن تبدى السخط فى وجهه ... فمعتب أشبه بالناقم
وإن أرم إرضاءه جاهداً ... لأسكرتنى نظرة الواجم
لو أثم العاشقُ فى حبِّه ... لاشتبه المظلومُ بالآثم
لئن يخاصمنى الهوى فيكمُ ... عند المنى كان الهوى خاصمى

كيف أرجّى رحمةً منكمُ إن كان قلبى ليس بالراحم ؟
من كان من أسقامه واثقاً لم تستمله قالةُ اللائم
من يجعل الحبَّ شفيعاً له خاصمه الحبُّ لدى الحاكم !

زهرة ووعد

وما زهرةٌ صان الربيعُ بهاءها وكلّلها الإصباحُ باللؤلؤ الندى
بأحسن من وعد الحبيبِ وفرحة الـ ـمحبِّ وقولِ العاذرِ المتودد

اليأس من الحب

وكيف يكونُ الحبُّ عنى راضيًا وقلبى عنه بالحوادثِ مشغولُ
أشايعه حيناً على ما يريده وإنّى لأدرى أن ذلك تعليل
ولا راحة فى العيش ما دمت هكذا يبغضنى فى العيشِ يأس وتأميل
إذا كان طرفى خاننى فى دموعه فإنّ فؤادى لا محالةَ مدخول !
وضيعنى القومُ الذين حفظتهم كأنى معنى بالإعادة مملول !

طول الليل

يا ليلُ هل وقف الفلكْ أم هل دليلك قد هلكْ ؟
ووقفت تلتمس الطريـ قَ فساءَ ظَنُّ الصبِّ بك
ولقد ثقلتَ على المحبِّ فهل ثقلتَ على الحبك ؟
بينى وبينك يا ظلا مُ وبين طرفى معترك
يا من أباحَ مقاتلى وأحلَّ فى صدرى الضنك

لولاك مــا عــدل الحــســو | دُ على هواكَ ولا مــســحـك
لو كنتَ مــحــتكمــاً عليـ | ـنا لانتــصــرتُ عليك بك
لو كنتَ تقــضى بيننا | لشكوتُ عــذالى إليك !

عفة الطرف

لو أن طرفى فــاسقُ | لعلمت أنى عــاشقُ
أغضى لحاظى عــفــةً | لكنَّ دمــعى ناطق
إنَّ المحبَّ مــشــردٌ | فكأن نومى عــاشق !

لحن يتمشى بالألم

مطربى الحيِّ تعــالوا أيقظوا | ربةَ الدلِّ على وقع النغم
واحــذروا من رقــةِ السامع أن | يتــمشى اللحنُ فيه بالألم !

الأمانى حدق

يذكرنيك ضــيــاءُ الهلال | إذا مــا الهلال بدا فى الغسق
فــإن تلكُ قــد غبتَ عن ناظرىّ | فــإنِّى تخذتُ الأمانى حدق !

الخمود والجمود

قــد أداروا من الخمود عقــارا | واستباحوا من الذهولِ وقــارا
واستكانوا فأنفذ الدهرُ فيهم | حكمَه واستردَّ مــا قــد أعــارا
سلكَ العجزُ فيهم مسلك العز | م فظلوا يرون فى المجد عــارا
ليتنى متُّ قبل أن أُنكرَ العيـ | ـشَ ولكننى فقدتُ الخيار !

أنا فى ذمةِ الزمانِ ولكن لا أسيغُ الحياةَ إلا اضطرارا
يا بنى مصرَ والمذلة عار إنما يُنكر المفيقُ الخمارا

الروض والهجير

بعثَ الهجير إلى الزهور نسيمَه بتنفس كتنفس الولهانِ
خلس الهجير إلى الزهورِ حياتها فغدَت كطرف الناعسِ الفتان
ودّت ذواتُ الحسنِ أن لبوسها من نسج ذاك الرائع الألوان

معانى النظر

لها نظرٌ جمٌ المعانى إذا رنت سألت فؤادى أى معنى تريده
إذا نظرت طاحت بقلبى نشوةٌ فينحل معقود العزاءِ جليده

شفق الغروب

وكأنما شفق الغرو بِ إذا استقرَّ على الغدير
خجل المليحةِ يومَ يجـ لوها الزفافُ إلى السرير

الحياة قمار

إنّى رأيتُ المساعى فى مَصَادرِها والنَّاس ما بين مهمومٍ ومسرور
مقامرٌ ظافر راضٍ بقسمته وآخر ناقمٌ فعلَ المقادير

الخاطر والزمن الخالى

يمرُّ بى الخاطرُ فى شجوه على هوى فاتَ وعهدٍ قديم
كما تجول الريحُ فى مرّها بدارسٍ رثٌ ذليلِ الأديم

الثَّباتُ

ثباتًا فإنّ العارَ أصعب محملاً | من الذلِ لا يفضى بنا الذلّ للعارِ
وإن تحسبوها خطةَ الطيش إننا | ذوى العزمِ لا نغضى لصولةِ جبار
فإن روعونا كى يقودوا أشدة | ثبتنا على الترويعِ نلهو بأخطار
فما زادنا الترويعُ إلا حميّةً | وهل حسبوا أن يطفئوا النارَ بالنار
سيهزمهم منا أبوةُ ماجد | وهمةُ خطار وعزمةُ مقدار
فيا قوم لا حققتمو قولَ عازبِ | عن الحقِ يستخبى الرياءَ بأعذار
أقيموا بنا نهجَ الطريق لغيرنا | فإنا بنى الأوطانِ كالجارِ للجار

الحب أعمى

يا رئم هل للوفاءِ مرتجع | فالحبُّ أعمى يقوده الطمعُ
وإن رأيتَ المحبَّ ذا ضرعٍ | ففى الصبا لا يشينه الضرع
وليلة بالنجومِ حالية | رعيتها والفؤادُ منصدع
ضنَّ بها الدهرُ أن يزوّجها | فجاء نورُ الصباحِ يفترع

لغز الحياة

إذا كان فى موتِ الفتى راحةٌ له | فأى رجاءٍ فى الحياةِ يريدُهُ
عجبتُ لهذا الدهرِ إمّا يغرنا | ببعض المنى حتى يرجى حميده
وإمّا شقاء ليس يرجى نفاده | تمرُّ علينا خيلُه وجنوده
أنضحكُ أم نبكى وهذا زمانُنا | عجيبٌ لدينا وعدُه ووعيدُه

دواء الملل

مللتُ فكان العتبُ منى سفاهةً — كلانا له ممن يملُّ بديلُ
ولولا خداعٌ شابَ طبعك لم يكن — إليك لمن يبغى الوفاء سبيل

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسعى — كسعي العامدين إلى يسارِ
إذا لاحت أوائلهُ ابتهجنا — كأنا قد نجونا من إسار
أمنا صولةَ الأيام لمَّا — رأينا الروضَ محمود الجوار
إذا ظمىء الفُؤادُ إلى بهاءٍ — فإنَّ الروضَ يذهب بالأوار
شربنا باللواحظِ ما رأينا — من الحسناتِ والطرف الكثار
بهاء آخذ بالنفسِ يسطو — بمثل الخمرِ مأمون الخمار
يميلُ الغصنُ من طرب إلينا — كأنَّ الغصنَ مخلوعُ العذار
ومرأى النجمِ من خلل الغصونِ — كمرأى الحسنِ من خللِ الستار

البرق

شَبَّ برقٌ فى فحمةِ الليلِ ماضٍ — شبَّ فى أضلعى لهيبَ الغرام
أنت لحظٌ من الحبيبِ إلينا — أم مغير من طائشات السهام !

أمنية

ولقد قلتُ إذ رأيتُ حبيبى — يتغنى بطرفةٍ من شعرى
ليتنى فى خلال بيتٍ رقيقٍ — لاثماً ثغرَه باطرافِ ثغرى !

جسم وقبر

ليس جسمى الذى ترون ولكن ... ذاكَ قبرٌ لما تكنّ الضلوعُ
من شجونٍ ولوعةٍ وادّكارٍ ... وهمومٍ تنمُّ عنها الدموع !

النجوم

لعمرك ما أدرى أتلك أزاهر ... مفتحة أم قد رأيتُ أمانيا ؟
ويبعثن نحوى باللحاظِ كأنما ... يردن ليعرفنَ الذى فى فؤاديا !

الخمول

إنى وإن كنتُ منبوذاً بمنزلةٍ ... ينمّ فيها الرضى عن موضعِ العجبِ
لذو فؤادٍ ذكى الطبعِ مختبىءٍ ... بين الضلوعِ اختباء البرقِ فى السحب !

نصيب قليل

اجعل الدمعَ والسهادَ نصيبى ... واجعل الطيفَ عاذلى ورقيبى
حسب الصدِّ أن يميل بقلبٍ ... ذى شجون عن أن يراك حبيبى
لست أصبو إلى الملالة والهجـ ... ـرِ ولو قلَّ فى هواك نصيبى

الروض والحب

زارنا والليلُ منبسطٌ ... فرأينا طلعةَ الشمسِ
قمت أسعى نحوه جذلاً ... وأفدى النفسَ بالنفس
ثم عجنا نحو حالية ... ببديع طيِّبَ الغرس
وغناءُ الطيرِ يطربنا ... كالغوانى ليلةَ العرس

صديق عـــدو

تناوشني الوشاةُ فأدريها ... ولكنْ أنتَ مغفرها المتينُ

وكيف أصيبُ أعدائي رماء ... وهم يحميهمُ الدرعُ الحصينُ ؟

كلمة فى الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذرى الدمعَ من شجنٍ ... كأنَّ قلبَك مدلولٌ على العِبرِ

ألبسته من سوادِ الحزنِ ضافيةً ... فخلتها من سوادِ القلبِ والبصر

فكرٌ كأنَّ ملاكَ الوحى يُسعده ... موكَّلٌ بصروفِ الدهرِ والغير

إذا ظفرت بمعنى كان موقعُه ... ألذَّ من وقعات النجحِ والظفر

قد اجتبيت من الآراءِ أشرفها ... حتى كأنك معنى الصدق فى الخبر !

إلى صديق[1]

سامر الليلَ بابنةِ العنقود ... وأدرها ترح فؤادَ العميد

خلدت فى الدنانِ حتى لقد أر ... بَت سنوها على مدى التخليد

وئدت كى تعيش حتى لقد حا ... لت وجلت عن هيئةِ الموجود

وتعدت مدى الصفاء فكادت ... أن توازى من خلقِ عبد الحميد

مستحيلُ النديدِ منقطعُ القر ... ن لدى مأقط البيان الشديد

متقصّى البيان يعضّده الحق ... برأيٍ فى النائباتِ سديد

أنتَ قد قمتَ بالنشير ولكنـ ... ـك أزريتَ فيه بابن العميد

---

(١) هو الصديق الجليل والأستاذ المفكر عبد الحميد بك بدوى (والقاضى بمحكمة العدل الدولية بلاهاى فيما بعد) .

واطمـأنت بك البلاغةُ حتى نسيت عهدها بعبد الحميد
وفضلتَ الورى فلو نظم الكو ن قصيداً لكنتَ بيتَ القصيد !

موعـد

موعدٌ يجذب الفؤادَ إليه سأذم الزمانَ حتى يَحينا
ووصالٌ أشهى لدىَّ من النجـ ـحِ سافنى الرجاءَ حتى يكونا
يا حبيبى لقد أقامَ بنا الهجـ ـرُ على حكمِه فكيف رَضينا ؟

عذير الحب

غال قلبى بالصدِّ حين تخلى أتراه يضن بالوصلِ بخلا
إن يكن للعذولِ فيه عذيرٌ فالعميد الشجى بالعذرِ أولى !

عذاب ونعمة

من استعار النومَ من ناظرى ومن أبان العذرَ للعاذرِ
إن فندوا الساحرَ فى فعله فإن سقمى حجةُ الساحر
وردت ظمآن فلم أرتو ما أشبهَ الوارد بالصادر
إنْ يعقبَ الصبرَ رجاءٌ فمن يؤمننى من ميتةِ الصابر
إنْ لم يَجِدْ لى عاقلٌ حيلةً ما حيلة المختبلِ الحائر
إنْ يجعلَ الحبَّ شفيعًا له فالحبُّ طوعُ الحاكم الجائر
إنَّ عذابَ الحبِّ لى نعمةٌ وجاحد النعمةِ كالكافر !

فى التبسط

أدر الكأس فقد طابَ الصبوح — لا تطع فى تركها قولَ النصيح

وافترعها نصطبح موؤدة — خلدت فى دنِّها من عهدِ نوح

عاطها أغيد معسولَ اللمى — ناعم الأطرافِ كالرئمِ السنيح

جاءنا يمشى بعطفيه الصبا — جيئة النومِ إلى الجفنِ القريح

قهوة مشمولة تبدى لنا — مثل ما يلفظه الظبىُ الذبيح !

إلى عالم جليل

إن المقرَّ بما أُوتيت مجهود — من ينكر الضوءَ والإصباحُ مشهودُ ؟

قد قمت بالبشرِ حتى قيل بارقة — وقمت بالحلمِ حتى قيلَ جلمود

وألبس اللهُ منك الدينَ حلّته — كأنما هو سِرٌ فيك موءود

إلى صديق

لابد لى منك مهجوراً ومودودا — فاكفف ولست بما تجنيه مجهوداً

وإن تكن لست تدرى كيف تحفظنا — على الوفاءِ فقد سمناك تقليدا

لقاء على صد

سائل بليلى هل ألوى بآخرهِ — خوف اغتماضى لما ملنى السهد ؟

كم خفت صبرى على من ليس ينصفنى — والآن إن رمت صبراً خاننى الجلد

أبيتُ منبعث الآمالِ يحرسنى — من السلوِ فؤادٌ ملؤه كمد

ونمّ بـالحـب لمـا زارنـى هـطـلٌ من الدمـوع ونمَّت بـالسـلام يـد

نبـيت يلهـو بنا صـد وعـاذلنا يبيتُ من وهمـه يلهـو به الحَسـد

حبٌّ من لوازم الحياة

شكوتُ إليـه هجـره فـتـعللا وحق لمن أهـواهُ أنْ يتـدللا

ووافـقـه لينٌ فـأرخَى لحـاظَه لأطلق طرفـاً راجـيـاً مـتـذللا

وإنّى ليـغـرينى بحـبـيـه أننى لثـمـتُ بشـغـرى ثغـرَه فـتـهللا

ولستُ أبالى أن يضجَّ عـواذلى إذا كـان وصلٌ منه يشـمت عُـذّلا

ومـا رغبتى فى العـيشِ إلا لأننى أُؤمّـل أن أهوى حـبـيـبـاً مؤمَّـلا

إذا مـا خـلا قلبى من الحبِ طَرْفَـةً تقـبل داءَ اليـأس فـيـمـا تقـبلا

وإن هجـر الحبُّ الضلوعَ زهادةً ترحل قلب الصبِّ فـيـمـا ترحـلا

فـمـا جـاءَ داءُ الحب إلا مـخـادعـاً ومـا راحَ داءُ الحب إلا ليـقـتـلا

يرجى المحبـون الخلاصَ من الهوى وأرغـب أن أبـقـى المحـبَّ تَـلا

الهـوى

راحـةُ الهـوى تـعـبُ واحـتـمـاله عَـجَبُ

لـم يـدع بنـا رمـقـا إنّ صـدقـه كـذب

وأعـزَّ مطلبـه أنّ جـدَّه لـعـب

الحـبـيـبُ مـسـحـتكم فـالقـلوبُ تضطرب

بـالعـتـابِ منعطف بـالدلالِ منسحب

للعيون مختطف للقلوبِ مختلبُ
غاضبٌ ومن عجبٍ يستحثنى الغضب
إن بكيتُ منتحباً يستميله الطرب !

فى التبسط

ربَّ ليلٍ لبست منه شعارَ الـ ـحزنِ حتى أبحتُ فيه السرورا
قد لهونا فيه بطيبةِ الأنـ ـفاس ملء الكؤوس ناراً ونورا
روضتها السقاة بالماء حتى خلت فيها السكونَ شيئًا ستيرا
ثم صار الزجاجُ من عنصر النو رِ وصار المزيجُ فيه ضميرا !

مغنم أم مغرم

لو أن الهوى مغنمٌ لأثريت مما أعانى
ويا ليتَ أنَّ العذولَ شجاه الذى قد شجانى
فيعلمُ أنَّ الهوى كفيلٌ بما قد دهانى
تحملتُ فيه الجوى وأفنيتُ فيه الأمانى
فما كان إلّا الرضى بما جر صرف الزمان !

الحياة

ما أشبهَ الحزن بالسرورِ وأشبهَ المكثَ بالمرورِ
وما أخالُ الحياةَ إلا كجولةِ الفكرِ فى الضمير

العزيز تعله

كلُّ مـــا كـــان عـــزيزاً ... فـــهـــو للنفس تعلّه
ومـمــــاتُ المـــرءِ رزءٌ ... وحـــيـــاةُ المرءِ ذلّه

كان الخداع وكنت الحذار

محبٌّ يخادع فيك الوقارا ... ويسألُ عن قلبه أين سارا
ولولا الوثوق بفضلِ الوفا ... ءِ لما كان يحسبُ فى الهجر عارا
وبادرة ذهبت بالعزا ... ء لا يعرف القلبُ فيها قرارا
لقد جلت فى غفلات الزما ... نِ فما أعقب السعى إلا عثارا
وخِلٌّ أعان علىَّ الهمومَ ... فكان الخداع وكنت الحذارا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارت له أملا ... والسن قد هجنه عذلا
وأعين أزرى بها سهد ... فأرسلت من دمعها هطلا
وآمل بالجهلِ ممتنعٌ ... لو يعلم المأمول ما أملا
والمرءُ إن يعرض له قدر ... يضلّ فيما يبتغى الحيلا
أرجو إيابًا بعد مرزئةٍ ... من ساكنٍ يهتاج لى خبلا

ليلة نحس وليلة سعد

هل أثارَ الخيالُ داءً دخيلا ... فاستحال العزاءُ إلا قليلا
واستعار السهادُ عينى وقد أطـ ... ـلقَ نجمُ السماءِ طرفًا كليلا

وكــأنَّ الأوهامَ من عنصـر الحبِ — فليــســت تزولُ حــتى يزولا

طال عـهـدى بذلك الليلِ يا صبـ — ـح فكـن لى مـن الظلام بـديلا

خـبـرونى أين القـبـيح إذا كـا — نَ اصطبارى عن الحبيب جـميلا

يا عـمـيـد الهـوى إذا مـا تحـرجـ — ـت فكن واصلاً شـفـيـقًـا منيلا

وإذا كـنتَ لست تعلم مـا الحبّ — تخــذنى على الوفـــاءِ دليــلا

قد بثثتُ النسيمَ ما بى وقد هبَّ — فـصـار النسـيمُ مـثلى عليـلا

سـئـمـتنى الأحـوال إنّى قـد صـر — تُ على الحادثات حـمـلاً ثقـيلا

غـفل الدهرُ يا حـبـيـبى فـقـم ننـ — ـفض زمـانـاً دون الوصـالِ طويلا

ونكتّم عن الحـــواســـد سـرًا — جلّ عن أن ندعوه شـيـئـاً جليلا

ونبـــادر قـبل الحـوادثِ آمـــا — لاً ونشـــفـى صـبــابةً وغليـــلا

احـتـوانا الدجى فـقم يا حـبـيـبى — نتـخـذه إلى الوصـالِ سـبـيـلا !

استعطاف

تعرف عقيد الفضلِ ما أنت صانعُ — فـإنّى إذا لم تحـتــفـظ بى نازعُ

ضمنت لكم فى القلبِ منى مودةً — وإنَّ مــــودات القـلوبِ ودائـع

ولو لم تكن ذاك الذى قـد عـرفـتـه — لأبعـــدنى عن منهـلِ الذلِ وازع

ولى عزمـةٌ غـرّاء يصـدق سـعـيـهـا — وليس بوغـدٍ مـا تـكنّ الأضـالـع

إلى صديق[1]

مـا كلُ ناءٍ عن الأحـبـابِ بالنائى — فـفى التـذكـر خطُّ الناعم الرائى

---

(١) هو الأستاذ المفكر عبد الحميد بدوى .

إنْ كـانَ يعـوزكم مـا ترحـمـون به هلا استعرتم من الأضلاعِ أحشائى ؟
يا حبـذا العيش والأحوال مسعدة كـأنما جـرعت من كـأسِ صـهـبـاءِ
وكنت كـالأمل الممـدودِ جـانبـه فى ليلـةٍ للعـــوادى ذات أنواءِ
ضــمنت كلَّ جليلٍ يستـعـز به من الفـضـائلِ إلا النطق بالراء !
وكم بغـيضٍ تردى من مـعـايبـه ضـمنت فى العين منه بعض أقـذاء
فلست أغـمضُ عينى بعد نـايكُم ولستُ أفـتُـحـهـا إلا على داءِ

فى معلم جاهل

لا تلومـوا الشـيخَ الجليلَ على مـا كـان منه فى مـجلسِ التـدريس
إنمـا هـمُّـــــــه التـكـسـبُ بـالآ ى وخطفُ الرغـفـان يوم الخميس
عـمـةٌ فـوق رأسـه تـشـبـه الور دةَ فـوق التـربِ الذليل الخـسيس !

ذكرى زورة

ألـم ترَ انَّ الحبَّ غـيَّـر حـاليـا وأوردنى الإدلال مـا كنت خـاشيـا
لئن بقيـت نفـسى ولـم يانِ يومُـهـا فـمـا هو إلّا أن تملَّ الأمـانيـا
وكـيـف أرجّى فى الأمـانى عـلالةً وقد منع الهجران ما كنتُ راجيا
ولـم أنسَ يومـاً زارنى بعـد هـجـعـةٍ فـجـاء بإبلالى وطول بلائيـا
لمستُ بكفّى خـدَّه فـحـسـبـتـه يفـتح فـيـه الزهر غـضًا وزاهيـا
يعـاتب ذا شـجـو فـيـبـسم سـالم فهل كان يستمرى لذيذَ عتابيا ؟
أذلُّ وينـاى بـالدلالِ وبـالجـفـا فـقـلتُ له يا ليـت مـا بك مـا بيـا !

رثاء عزيز

مـا لعـينى ترى الضـيـاءَ ظلامـا   ولجنبى يرى الرقـادَ حـرامـا ؟

ولقلبى كـأنه مـسـتـزار   لا يحلّ الضلوعَ إلا لمـامـا

يا جديراً بأن أكـونَ شجىَّ الـ   ـقلبِ فيه هل اتقيت الحـمـامـا

أنزلتك الأحـداثُ قلبى وقـد كنـ   ـت لسـمـعى وناظرىَّ قـوامـا

كنتَ فى العيشِ منظرًا يبعث البشـ   ـرَ وللنفس بهـجـةً واعـتـصـامـا

المحب الهالك

سـترى الناسَ حـول قـبـ   ـرى يـبـكـون هـالـكـا

وغـداً يسـتـريحُ من   خنتـه فى خـيـالكا

كلُّ شىءٍ سـوى الهـوى   لا تـدعـهُ بـبـالكا

واذكـر العـاشقَ الذى   مـات صـبـراً بذلكا

نسـبـوا شـقـوتى إلى   حـسـنٍ مـن دلالكا

ظلمـونى لو أنصـفـوا   زعـمـوا غـيـر ذلكا !

فى شاب يدّعى سعة الاطلاع كذبًا

قل للذى حسبَ العلومَ رغيبـةً   لا يجتبيها المرءُ إن لم يكذب

مـا زلت تقـرأ كلَّ سـفـرٍ وارمٍ   حتى قرأتَ اليوم ما لم يكتب !

الحب يدعم بالحب

رعى الله محبوبًا أعان محبَّه على ما به والودُّ يدعم بالودِّ
حبيبى سل العذالَ فى غير عطفة إذا عابنى العذّالُ هل وجدوا وجدى
فيا فاتناً لولاه قامت هواجسٌ بنا لا نقيم القلب فى منزلِ الصدِّ
عهدتك نعمى للإله وتحفة لمن بات مخذول الفؤادِ على جهدِ
وما أنت إلّا السعد فى السخطِ والرضى وما أنا إلّا الشوق فى القربِ والبعد !

المجادلة

وعاوٍ عوى والحق بينى وبينه فألقمته البطل الذى هو قائله
أعوذ بحزمى أن أنازلَ مثله ويأبى رقيب الحقّ أن لا أنازله !

حنين واشتياق

أتنكر ما بى وأنت الحبيب وتجهل دائى وأنت الطبيب ؟
حننتُ إليك فلولا الضلو ع لطار إليك الفؤاد الطروب
دهتنى حوادثُ هذا الزما ن فما بال قلبك لا يستريب ؟

داء أم دواء

أبحتُ فؤادى للهوى وسبقته إليه ولم يعلم بذاك رقيبى
وليس نصيبى أن تكونَ مواصلى ولكن نصيبى أن تكونَ حبيبى
شقيتُ ولكنْ فى الشقاءِ سعادةٌ وليس شقائى فى الهوى بعجيبِ

فدمعى على حقِّ الصبابةِ مسعدى ... وقلبى إلى ما لا يريب مجيبى
فإنْ كنتُ مسحوراً فأنت تميمتى ... وإنْ كنتُ معلولاً فأنت طبيبى !
أبيتُ كأنَّ الليلَ صبَّ سوادَه ... علىَّ فأخفى والدموع تشى بى !

إسعاد الهوى

يا حبيبى إن لم أكن بك مسعو ... داً فماذا يرجو العواذلُ منَّا ؟
اغتنمنى فإننى بين قلبى ... ومَقَالِ العذولِ فيك مُعَنَّى !

إلى أديب

حمدنا فيكَ ما قالَ البشيرُ ... وقبل اليوم برَّأك الضميرُ
ولكنَّ العظيمَ إذا تلظَّى ... على مكروهةٍ شمِتَ الحقير
وبادرة إليك أقمت فيها ... كأنَّ الحقَ ليس له نصير
ولولا عزمة لكَ وانبساط ... لدى الأحداث أخطأكَ العثور
فلا تخشَ مراغمةَ الليالى ... فإنَّ البدَر يلزمه السفور
ولا تحمل يراعك عن دعىٍّ ... فإنَّ المرءَ يطغيه الغرور
وأنكى ما يكون المرءُ يوماً ... إذا كان العذولُ هو العذير
إذا أخذ البعيد عليك أمراً ... فلا يزرى بك النظرُ الحسير !

كلماتُ العَواطفِ

وهي

قصيدة من الشعر المرسل

فيها يشرح الشاعرُ ما يحزنه من أمور الحياة ، ومواقع
هذه الأمور من عواطفه ؛ ويطمح إلى حياة أكمل
من هذه الحياة ، وأسعد حالًا ،
وأكثر إنصافًا .

الإهداء

خليلى والإخاء إلى جفاءٍ ... إذا لم يغذه الشوقُ الصحيح

يقولون الصحاب ثمار صدقٍ ... وقد نبلو المرارةَ فى الثمار[1]

شكوت إلى الزمانِ بنى إخائى ... فجاء بك الزمانُ كما أريد

أرانى قد ظفرتُ بذى وفاءٍ ... له خلق يضيق عن الرياء

أظلُّ إذا رأيتك مستفزًا ... كأنِّى قد جرعت من العقار[2]

يؤم بى العلاء أخو وجيف ... وتنبت فىَّ أجنحة النسور[3]

تقبل طرفة لك من خليلٍ ... وقد يهدى الصديق إلى الصديق

فإن أكُ محسنًا فلربَّ غرّ ... أصاب الفضل فى المحضِ اللباب

وإن أكُ مخطئاً فالفضلُ يؤتى ... من الخطأ المبين عن الصواب

لعلك واجدٌ عذراً صريحًا ... إذا عجز تعرض للتهدى[4]

---

(١) العرب تقول : الأصحاب ثمار صدق . ويقولون فتيان صدق ، كما قال الشاعر وهو مسكين الدارمى :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

قال عبد يغوث :

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(٢) استفزه الشوق إذا لم يجعل له قراراً - جرعت أى شربت ، العقار : الخمر .

(٣) يؤم : أى يقصد - أخو وجيف : أى جواد ذو وجيف . والوجيف : نوع من السير فيه إسراع ، النسور : أبعد الطير صعوداً فى السماء .

(٤) التهدى تلمس الإصابة والاهتداء . قال الحمدونى فى طيلسانه :

طال تردداه إلى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

وإن تهد الزهور إلى ربيعٍ ... فقد يهدى النظيم إلى الحبيب

بلونا سهمةَ الأيام حتى ... رأينا الشكَ يثبت في اليقين

تقيم السخل فى سبلِ الضوارى ... وتقضى للقوىِّ على الضعيف !

وتغفر زلةَ المثرى المفدى ... وترحم كلَّ جبارٍ عنيف !

وتسعد ذا الدهاء بما جناه ... على صافى السريرةِ من دهاءِ

وتقصد صاحب التقوى بأمرٍ ... تحامق من عواقبِه الحليم

تليح لمصحر بالآل حتى ... يفيض النفس فى الوادى البعيد

وتودعُ فى نفوس الصحب شكاً ... يميل به الودودُ عن الودود

وتشقي أنفسًا بالحبِّ حتى ... كأنَّ الحسنَ من عدد البلاء

فيا لك من شقاءٍ فى نعيمٍ ... ويا لك من نعيمٍ فى شقاءٍ !

تمد لآمل أملاً عريضا ... يذيق العز فى خطرات بال

وما صرف الزمان وإنْ تمادى ... بمقص بعض آمالِ الطموح

ومنزلة الرجاءِ من المساعى ... كمنزلة البشائر فى الربيع

لعمرك ما النعيم ولا أخوه ... بقاتل همتى ومميت شانى

وكم فى العزِّ مفسدة لقومٍ ... وفى الأرزاءِ إعلاء لناس

وكم غرسٍ كريم ليس ينمو ... على عللٍ تعهده بماء

وكم من جرعةٍ كانت شفاءً ... فعادت غصةً تأتى بداء

وإنّ العودَ بالإحراق يذكو ... فياسرُ طيبهُ أنف المشوق

وأيام تناءى الوصلُ عنها ... تمرّ كأنها ورقُ الخريف

أضاعت عزتى الدنيا وأمسى ... جناح الذلِّ مأمون الخفيف

أيحسدني على صبري أناسٌ وليس الصبرُ محمودَ المذاق
وكم من كربة هجمت علينا فلما استحكمت جعلت تزول
وإنَّ القرَّ يتبعه حرورٌ وجنحُ اليل يفريه الهلال
وإنّ العودَ بعد العرى يكسى ومحل الأرض يسعده السحاب
وكانت ضيقة فأقمت فيها مقامَ البدرِ أضمره السرار
(فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا)
رعاك الله يا وقع الرزايا فربَّ فضيلةٍ لك لاتذال
تعهدت المنى بالشكِّ حتى أقمت الغافلين على انتباه
وعلمت العظيم وإن تأبى معاناة الطوارق بالدواهى
ولم تتطرق المسكين حتى أفيض عليك من نورِ الإله
ولو لا أنتَ لم يبلغ رشادا غوى بات يكفر وهو لاه
لحاك اللهُ يا حدثا دهانا وكنّا قبل ذلك غافلينا
أأطربك الشهيقُ إذا تعالى وأصوات الكواعبِ والبتينا ؟
لقد علمتنا ذم العوادى وأدرار الرجالِ الباخلينا
كأنك يا جليد القلب آتٍ لتوقظَ رحمةً هجعت سنينا
تطامن للنوائب إن تمادت فلولا الحزن ما عُرف السرور
ولولا المجدب المنحوس يعدو علينا ما استقام لنا النضير
لقد قال السلامى بيتَ شعر يردده الخليع من الرجال :
(تبسطنا على الآثام لما رأينا العفوَ من ثمر الذنوب)
وإنَّ العفو موقعه عزيزٌ وقوع القطر فى الروض الأنيق

فــلا تثلـم ضــمــيــرك بالدنايا ... وهـل شيءٌ أرقُّ من الضــمــيــر

نقــمت من الزمــان دنو صــرف ... له جــدب يقــعــقع بالشنان

ولم أقـر الحـيـاةَ سـوى انتـقـاص ... فــهـل يثنى الزمــانُ على بيــانى

ألـم تـرَ بائسَــــاً لاقى المنايا ... ولـم يـذق المرىء من الحــيــاة

فلو أن الحــيــاة على انتظام ... لأخــصـب مــحله ورعى الأمــانى

جــهين أأنتِ مــخـبـرتى أهدىٌ ... أريد من المعــيــشــة أم ضــلال ؟

وهل ضــمن البـقـاء من المعــانى ... ســوى لمعــات خــداعٍ خلوب ؟

نســائله فــيــخــدعنا مــرارًا ... كــمــا يتـمنعُ المعنى البـعـيـد

نرى فى اليـوم مـا هو فى أخـيـهِ ... كـذاك حـيـاة أبقـار السـواقى !

ولـولا عـصـب أعـينهـا لـكانت ... تعـانى اليـأس والسـأمَ الدخـيـلا

ولـولا خــدعــة الأمل المرجى ... لأسلمنا النفـوسَ إلى الحــمــام

ولـيس الـعـيـش إلّا مــا نعــمنا ... به أيام نمرح فى الـشــبــاب

إذا ســقط الـعـجـوز على نعـيم ... فقـد سـقط الهـشـيمُ على الزهور

بـكائى أن أرى رجــلا لئــيــمــا ... يقــدمــه الرياء علـى الـكريم

فــإن حـركـتـه للعـرف يومـاً ... تبـدّى منشـدًا قـولاً رخـيـصـا :

(أترثى للعــبــاد وأنت منهم ... من الرب الذى خلق العــبــادا)

بـكائى إننى أغــدو غــريبــاً ... وحـولى مـعـشـرى وبنو ودادى

بـكائى إنَّ لى طبــعــاً أبيًّــا ... ورأيـاً مـثل حـدٍّ السـيـف مـاضى

بـكائى إنَّ فى الدنيــا أمــوراً ... يضـيق بمثلهـا الصـدرُ الرحـيـب

وكم وغــد رفــيع الجــاهِ يغــدو ... كــأنَّ الكونَ ليس به ســواه

تعاف الرحمة الغراء نزلا ... قلوبًا قد أضرَّ بها التعالى

فإنَّ الزهرَ فى القيعانِ ينمو ... وإنَّ الثلجَ فى قمم الجبال

أرى قوماً تسوسهم الأعادى ... كسوقِ الخيلِ فى يوم الطراد

أرى زغبَ الحواصلِ فوق قبرٍ ... تضمن ما تضمن من رجاءِ

وكم موتٍ ألذ من الأمانى ... وكم موت أشد من الهزيمة

وكم من طالبٍ للموتِ يأساً ... تعمَّد أن يباعده الحمامُ

أخوك النوم ألين منك مساً ... وأوطأُ مسلكاً وأجل شأنًا

ولكن فيك آياتٌ كثار ... ومعجزةٌ وذكرى للغفول

تذلُّ الثائر العادى وتلهى ... أسير العزِ عن ظلم العباد

وخوفُ الناس من حكم المنايا ... كخوف الطفلِ من وجه الظلام

وإشفاقُ السليمِ من العوادى ... كإشفاق المريضِ من الرجام

وما مستمسك بالعيش إلا ... كموقوفٍ على خوف الحمام

وإنَّ الموتَ مرآة أبانت ... حياةَ المرءِ كالنفس الرقيق

وكم من أيمّ فجعت بإلفٍ ... وقد كان النصير على الحياة

تمد يداً لو ان الحقَ فيها ... لأذوته الخصاصةُ والسؤال

أرى الحسناءَ فى طمر ذليلٍ ... وفى الديباج ، داجيةَ الجبين

أرى الدنيا تضيق بكل حرٍ ... فتلفظه كما لفظ البصاق

أرى خدعاً تقاد بها الغوانى ... وفى أعقابها الذلُّ الكمين

أرى الثكلى تكاد تسيل دمعاً ... وفى أحشائها النارُ الأكول

هواجس تعترينى لست أدرى ... أأقتلها وأقنع بالجهالة ؟

أم التســآلُ خـيـرٌ من سكوت   وإنَّ الرأى ينضـجـه الزمـان ؟

* * *

ألـم يـبـلـغـك أنَّ المـوت أودى   بمن علقـتـهـم الحـربُ الزبـون ؟
صـفـوف الجيش نزقـهـا الحـفـاظ   وعـدو الخـيل أعـجله المغـار
ويمم « مـقـدن » جيش الأعـادى   فـحلَّ بـأرضـهـا الفلك المدار
لقـد جلبـوا السـوابق مـقـربات   يضنُّ بقـصـدِها النقعُ المثـار
تثـيـر على جـوانبـهـا غـبـارًا   كـأنَّ الأرضَ ليس لهـا قـرار
وقـد سكبت جلودُ الخيلِ دمعـاً   فـبـان على جـوانبـهـا شـعـار
وأصـواتُ المدافعِ إذ تعـالت   كصوت الحمقِ أغضبـهـا اعتذار
لقـد ضـاق المجـالُ فـلا قـرار   وقـد عـزَّ النجـاءُ فـلا فـرار
فـوجه الجـوِ يعـبـس من شحـوب   وعين الشـمس يكحلهـا الغـبـار
كـأنَّ المـدبرين غـداة ولَّوا   رؤوس الشـرب غـازلهـا الخـمـار
وضـاجـعـت المقـانبُ قـائديهـا   بأرضٍ لا ينـم بهـا النهـار
وإنَّ الحـربَ مـرزئةٌ وبلوى   وبعض السلم مـرزئة وعـار !
وإنَّ لـكـل هـائـجـة سـكـونـا   (وإنَّ لكل سـائلة قـرارا)
كـأن الحـربَ فى الميـدان رسم   أجـاد صنيـعـه الحـذق اللبـيق
فـأين الحـقـد تنفـثـه اللحـاظ   وأين البـغض يضـرب فى الصـدور
وإنَّ الحـرب آخـرهـا خـراب   كـذاك النار آخـرهـا خـمـود
وكـان اليـتمُ مـا غنم الصـغـار   وكـان الثكلُ مـا غنم الكبـار !

* * *

ألم يكف الحوادثُ أنَّ عيني تريق القلبَ فى ماءِ البكاء

فحسبى أن أعدائى كثيرٌ وأنَّ السعدَ يزلق عن مكانى

يعيبونى وما عابوا بغيضاً ولكن ذلك الخلق الحميدا

إذا ما سبنى سفهاءُ قومٍ فما يغنى اهتمامى بالعواء

وإن يكُ قد تقدمنى أناسٌ فإنَّ السبقَ من بعد الجراء

حياتى بين أعدائى مماتٌ وموتى بين أحبابى حياة

سألزم كسرَ بيتى فى احتجاز وأهجرُ كلَّ ممنوعِ الوداد

وكم من وحدةٍ منعت عذابًا وكم من وحدة جلبت عذابا

ألأخت اليأسِ هل حلف قديم ؟ فإن اليأسَ فيك لذو طروق

وربَّ مصاحبٍ حلو اللقاء سقيم الصدرِ مسموم اللحاظ

كبعضِ الزرعِ تحسبه مريئاً وتحت بهائه السمُّ المميت

وجلدُ الحية الرقطاءِ يزهو ولكن لا يغرُّ به اللديغ

صبرت له ويحسبنى عمياً ولا والله ما أنا بالعمىِّ

ولكنىَّ رأيت العفوَ أبقى وهل فى القلبِ للشكوى مجال ؟

* * *

هوينا الذكرَ من حبِّ الغوانى كأنَّ الذكرَ من حيلِ الرسول

كفانى من نبيه الذكرِ أنّى تمرُّ بىَ الحسانُ فترتضينى

أرى دمعى يرنقه احمرار كأنَّ الشوقَ قد ذبح المناما

حنين يترك الأشجانَ جمراً وشوقٌ يترك الزفرات نارا

تغنّى الحبُّ فى فجرِ الحياةِ غناء الطير فى فلقِ الصباح

نبجّله فيخفضنا سفاهًا كأنّ الحبَّ ميزانٌ ظلوم
تطالبنا الحسانُ به دلالاً كأنّ الحبَّ دَينٌ فى الرقاب
فإن دنّا له لم نلق منه سوى المقبوح من غدرِ الملول
وبطش الغدرِ مردودٌ عليه كأنّ الغدرَ مغوارٌ سليب
أيا هذا الغرام لطفتَ حتى كأنك قد خلقتَ من النفوس
أرى عينًا يصافحها الفتورُ وقلباً لا يصافحه الحنان
أرى عينًا يجول السحرُ فيها مجالَ الماءِ فى العودِ الرطيب
وحولك من دماءِ الناسِ بحرٌ مهيب اللجِ مهجورُ النواحى
وفوقك من نفوس الناسِ طيرٌ يظل الجو مملوء الفناء
أتخذلنا ونحن مناصرونا وتخدعنا ونحن مناصحونا ؟
وتقصينا ونحن مقربونا من التبيان والأدب الغزير
أبوك الوهم متسعُ الفناءِ وأنتَ تضيق بالرجلِ الأديب
رجوتُ بك الخلاص من العوادى فكنتَ عليَّ عوناً للعوادى
وكم من لحظةٍ نزلت علينا نزولَ القطر من خلل السحاب

* * *

أيغلبنى على أمرى التصابى ولم تخنع لريب الدهرِ نفسى
لعمرُكَ ما الخمولُ بمستذلى فإنّ البرقَ فى طيٍّ الغمام
وإن يكُ فى مآقى العين ماءٌ فكم من عبرةٍ فيها اعتبار
أما للشاعر الفياضِ دهرٌ فينفث بعضَ ما ضمن الضلوع
ولو أنى أردتُ لرعت قوماً (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

ولو أنى لفحتُ بغلٍّ صدرى ... لغاضَ الماءُ واحترقَ الهواءُ
سأحدثُ فى غدٍ حدثًا عظيمًا ... تظل له البوارقُ تستطار
فإن أعمر فويل للأعادى ... وإن أهلك فويل للصديق
حنانا أيها الوطن المفدّى ... ولا تسمع مقالَ السوءِ فينا
سنهديكَ النصيحةَ ما استطعنا ... ونشدو فيك بالقولِ العجيب
له فى نفسِ قارئه فعالٌ ... كفعلِ الغيثِ فى المرعى الجديب
وكم من ناعقٍ يدعو لأمرٍ ... نعيقَ البومِ فى الطللِ الخراب
وآخر لا يقيمُ على قرارٍ ... يحاكى وثبُه وثبَ الجراد
ويَحكى فى تنقله سفاهًا ... خيامَ العُرب بالأرض الخلاء
يعيثُ الجهلُ فى أبناءِ قومى ... كعيثِ الذئبِ فى الغنم النيام
أبىُّ القلبِ بينهُم ذليلٌ ... ووغدُ القلبِ مرفوعُ العماد
يفرِّقنا التباغضُ والتعادى ... كنثرِ الريحِ أوراقَ الغصون
متى تدعو الحميةُ للمعالى ... فتُصغى فى العروقِ لها الدماء
وكم من عبرةٍ هبطت علينا ... هبوط الوحيِ من عندِ الإله
إذا عاثَ القوىُ فلا تُراعوا ... فإن الظلمَ نعشٌ للظلوم
ضئيلُ الأمرِ يتبعه عظيمٌ ... كذاك النار تقدح من شرار

الجزء الثانى

لآلئُ الأفـــكار

وإنَّمـا الشـعـرُ مـرآةٌ لغـانيـةٍ	هىَ الحـيـاةُ فـمن سـوءٍ وإحـسـانِ
وإنَّمـا الشـعـرُ تصـويرٌ وتذكـرةٌ	ومـتـعـةٌ وخـيـالٌ غـيـر خـوانِ
وإنَّمـا الشعرُ إحساس بما خـفقت	له القلوبُ كـأقـدار وحِـدْثانِ
من كل مـعنى يروعُ الفـهمَ طائلهُ	معنى من الجان فى لفظ من الجانِ

صاحب الديوان

عن الطبعة الأولى للجزء الثانى

عام ١٩١٣

مقدمة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر ومزاياه[1]

ليس الشعر لغواً تهذى به القرائح ، فتتلقاه العقول فى ساع كلالها وفتورها . فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن فى حياة الناس .

لا بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولبُّ اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول . وهو ترجمان النفس ، والناقل الأمين عن لسانها . فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها ، فالشعر كاذب ، وكل شيء فى هذا الوجود كاذب ، والدنيا كلها رياء ، ولا موضع للحقيقة فى شيء من الأشياء .

وقد يخالف الشعر الحقيقة فى صورته . ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ، ولا يمكن أن يشذ عنها ؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت فى النفس واحتواه الحس . والشعر إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى .

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف فى ظاهرها ، ولكنها فى كنهها واحدة لا خلاف بينها . فليس الجميل قمراً ، ولا الزئير رعداً ، ولا الكريم غماماً ، والشمس لا تتكدر لغياب الحبيب ، ولا الليل ينجاب لحضوره . ولكن الغبطة بالصورة الحسناء ، كالغبطة بالليلة القمراء . والرهبة من زمجرة الأسود فى غابها ، كالرهبة من جلجلة الرعود فى سحابها . وتجدد الروض بعد انهمال المطر كتجدد الأمل بعد نوال المطر . وإن الشمس إن كانت تشرق بعد نأى الحبيب ، فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها ، وإن تكشَّف لها فكأنما

---

(١) نشرت هذه المقدمة فى أول الجزء الثانى من هذا الديوان - عام ١٩١٣

هو بادٍ لغيرها - والليل إذا عسعس فما هو بساتر عن عين المحب ، منظراً يشتاق رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه . فإنما هو من الدنيا حسبه ، وهو الضياء الذى يبصر به قلبه .

فهذه معانٍ مترادفة فى لغة النفس، وإن اختلف نطقها فى الشفاه ؛ إذ أنه لا محل فى معجم النفوس إلا للمعانى ، فأما الألفاظ فهى رموز بين الألسنة والآذان .

وهل تبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس ؟ أو تبلغ الحواس خبراً إذا كانت النفس ساهية والمدارك غير واعية ؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة . بل إن السعادة ما لم تعقها حوائل الحياة لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه ، فإنه ما من شىء فى هذه الدنيا يسر لذاته أو يحزن لذاته ؛ وإنما تسر الأشياء أو تحزن بما تكسوها الخواطر من الهيئات ؛ وتكيفها الأذهان من الصور . وآية ذلك أن الشىء الواحد بينما يكون مدعاة البهجة والرضى ؛ إذ يكون فى غير ذلك الوقت مجلبة للأسف والأسى وطريقا إلى الشجن والجوى ؛ والشعر وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء فى الزمن الذى ترضاه خواطرنا ، وتأنس به أرواحنا ؛ لأنه سلطان متربع فى عرش النفس ، يخلع الحلل على كل سانحة تمثل بين يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه . والشعر أيضاً مسلاة لمن شاء السلوى ، وصدى تسمعه النفس فى وحشة الوحدة ، فتطمئن إليه كما يطمئن الصبى التائه إلى النداء فى الوادى ، ليأنس برجع صوته ، أو يسمع من عساه يقبل لنجدته .

فقد سبقت مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأمماً مجتمعة ، وأن يكونوا نوعاً له غرائز كامنة فى طبائع أفراده يقتضيها بقاؤه ودوامه . فوجب أن يُجبل أبناؤه على الألفة ويذرأوا على التعاطف ودواعى الاجتماع . وقد درج نوع الإنسان على هذه الفطرة . فصرنا وليس يهنأ امرؤ منا بأن ينعم منفرداً ، ولن يطيق أحد أن يبتئس وحده . وما كان المعرى يمدح نفسه ، ولكنه قال قولا فى شرار الناس ، كما يصدق فى خيارهم ، إذ يقول :

ولـو أنِّي حـبيت الخـلد فـرداً لمـا أحـببت بالخـلـد انفـرادا

فـذلك ما لا فـخر فـيه لإنسـان على إنسـان . وأحسب لو أن الناس كلهم كـانوا فجـرة خسـرة ، وكان لا يجـوز منهم إلى فـردوس الأبرار إلا رجل واحـد ، لكان هذا الرجل التقى أشد عذاباً بتقواه وأسوأ جزاء من كل جناة الجحيم وعصاته . وكأني بذلك الرجل ، وقـد طاف في الجنة حـتى بليت نعـلاه ، ثم نظر إلى مـا حـوله نظرة الكاره الزاهد ، فطرح بنفسـه في الكوثر هرباً من هذا النعيم الأعجم . أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم فيصلى النار فيـها وهو واجد من يقول له إن عذاب النار أليم ، خير من أن يبقى في جنة لا يرى فيها من يقول له ما أرغد هذا النعيم !!

ويقيني أنه لو نزع الحسـد من الناس يوماً ما ، لاشتراه أولو النعمة ، وفرقوه على الناس مـجاناً ليـحسدوهـم على مـا بهم من نعمة . فـإن السـعادة أنثى لا يكمل سرورها حتى تسـتجلى مـثـالها في المرآة ، وسـواء لديها أكـان رافع تلك المرآة لـها شـانئـاً حسـوداً أو صديقاً مـخلصـاً ؛ ومن أجل ذلك يرتاح العـاشق إلى من يناجيـه بأسرار حبيبه ونكايات عذوله . ويحيط الغنى مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنَّه ربُّ عيشة راضية ، وهناءة محسودة .

ولا تصـدق أنَّ أحـداً يصل به احـتـقـار الناس أن لا يبالي بهم قـاطبة . ولكنَّه ربما احـتقر جيلاً منهم وهـو ينتظـر النصفـة من جيـل سـواه . أو يهزأ بـالفئـة التي يعاشرهـا ، ولكنه يعتقد أنَّ هناك فئة لو لقيتـه ولقيهـا لأرضته وأرضـاهـا . وإلّا فلو احتقر المرء مـا مضى من الناس ومـا سـيجيء منهم ، لما كلَّف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه .

كذلك خلق الإنسان عضـواً من جسم تدب حياته في عروقه ، فلا سبيل له إلى الانفصـال عنه ، والتـخلي عن عاطفتـه النوعيـة مـا دام داخـلا في اسـم الجنس الذي يشمل الإنسان بأجمعه .

فـإذا كان هذا شـأن التعاطف فاعـلـم أنَّ الشـعر شيءٌ لا غـنى عنـه ، وأنه باقٍ ما بقيت الحياة ، وإن تغيرت أساليبه ، وتناسخت أوزانه وأعاريضه .

وإذا كان الناس فى عهد من عهودهم الماضية فى حاجة إلى الشعر ، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه . فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها ، وخلا جانب من القلوب كانت تعمره فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه ، كسر اليأس القلوب ، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة . وها هو القرطاس القديم بين أيدى الشعراء . فليخطوا فيه رسم الفردوس الجديد . وليجعلوه فى الأرض أو فى السماء ، وليكن معاده المثل الأعلى ، أو خلود الذكر ، أو وحدة الإخاء . فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء .

هذا ولو أنَّ ما ألمحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب ، كان أول ما يستفاد من الشعر وآخره ، لما كان الشعر جديراً بالعناية من عصر المادة الذى نحن فيه ، ولكنَّ ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة ، وما لها من ذكاء المشم وحلاوة الطعم تشبع المعدة وتملأ الفم . ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس ، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار ، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار .

فمما لا مشاحة فيه أنَّ كل نهضة من النهضات التى تشحذ عزائم الأمم وتحدوها فى نهج النماء والثراء ، لا تكون إلا بعد فترة يتيقظ فيها الشعور ، وتتحرك العواطف ، وتعتلج نوايا النفوس ومنازعها . وفى هذه الفترة ينبغ أعاظم الشعراء وتظهر أنفس مبتكرات الأدب . وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذى تتعلق به . بل هو ناقوسها المنبه لها ، وحاديها الذى يأخذ بزمام ركبها .

وهذه إنكلترا نهضت فى تاريخها نهضتين بلغت فى كلتيهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد . كانت أولاهما فى القرن السابع عشر ؛ أى عقب ازدهار الأدب الإنكليزى فى عهد شكسبير ، فتحركت فى ذلك القرن عوامل الحياة فى الأمة الإنكليزية . ووضع عهدئذ أساس إنكلترا الجديدة . وها هى الآن فى إبان نهضتها

الثانية تقبض على صولجان الدنيا وتطالب كلٌّ فئة منها بقسطها من الحياة والعمل . وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقة بنهضة أدبية كبرى ظهرت فى أثنائها أكبر الأسماء المعروفة فى الأدب الإنكليزى ، وأعنى بهم أمثال : شلى وبيرون وسكوت وكيتس ووردزورث وكولوردج وسوذى وماكولى ، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ، ولكنهم كتبوا فى النقد والأدب .

وهذا شبيه بما حدث فى فرنسا فإنَّ جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك النهضة الأدبية التى كان يشرف عليها لويس الرابع عشر . وما كان يدرى ذلك الملك المتجبر وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة أنه يزلزل بيديه قوائم العرش الذى يجلس عليه ، ومن حقق تاريخ القرن الثامن عشر فى فرنسا ولم ير فى ثورته يداً لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينيه وأمثالهم فهو قاصر النظر . ومثله فى ذلك كمثل من تقول له إنَّ المد والجزر من فعل القمر فيقول لك أين السماء من الماء ؟! ثم تتابعت بعد ذلك ثورات كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال الذين يظن بعض كتاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير فى عالم الجد . وقد جهلوا أن الأمم تدأب فى حياتها بين عاملى الحاجة والأمل . فإن كانت المادة تحكم حيز الحاجة من نفوسها ، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل ، وهو أشد العاملين حثاً وأعذبهما نداء .

وجاء بسمارك فى ألمانيا فأتم تأليف وحدتها بعد أن شاعت فى ولاياتها مصنفات ليسنغ وهردر وجيتى وشيلر وهينى ورفقائهم ؛ فكان الألمانيون أمة ذات أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد .

وأقرب من ذلك شاهد إلينا ، الدولتان الأموية والعباسية . بل أقرب منهما هذا الذى نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر وحفظه . فإنه – ولا شك – عنوان النهضة المرجوة لمصر ، ودليل على تفتق الأذهان وسريان النبض فى مركز الشعور . وفى الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعى

يزعمون أن البلد في غنى عن الأدب ، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها . قالوا ذلك ؛ لأن الثروة قوت الأمة ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم في شرايينها . وهو قول كما يرى القارئ في حديث الطب يقضي بأن لايجوز الكلام مع المعود في غير الأطعمة الدسمة والكينا وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب !!

على أن كثرة الكلام في المال ليست هي التي توجد المال متى كانت الهمم راكدة والنفوس باردة .

فالشعر لا تنحصر مزيته في الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر ، لا بل ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات ، ولكنه يعين الأمة أيضاً في حياتها المادية والسياسية وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع . فإنَّما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفساني ، ولن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم الخارجي .

خدع بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات ، فقالوا إن الناس اليوم في دور العلم والتحقيق . وإن آباءنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى . وكان يحيرهم في تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها ، فيذهبون في تأويلها مذاهب الحدس والتخيل . وإنما غشيت أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأي ولست أدرى كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجيء يوم على الإنسان يقف فيه جامداً بين يدى هذا الوجود مهما حصل من العلم وأحاط بأسراره . وهل يؤثر علم النباتي العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها ؟ وهل علمي بنواميس الطبيعة يعصمني من الانفعال بمؤثراتها ويذود عني الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدها ؟

اللهم إنه علم يفقد الإنسان حواسه . ويا لله ما أضعف الإنسانية فإن الفرد منها لتملكه العاطفة فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها . وإنَّ الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالةٌ من الأحوال الطارئة فى بعض الأجيال ، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها .. ظهرت أميركا بمناجمها واخترعت الآلات التى تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال ، وأعلنت الحرية فألقى حمل كل طبقة على عاتقها ، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعى فى طلب رزقها . فحدث من جراء ذلك جميعه تهافت غير مألوف على الذهب . فما هى إلا سنوات مضت فى مقدمات هذه الزوبعة قد ملأت الدنيا غباراً ، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال ، نسى الناس كل شىء إلا أنهم فى عصر المال . ونسوا أيضاً أن الإنسان لم ينفض عنه فى عصر المال عنصره القديم . وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة فإنه لا يزال فى مكانه من الطبيعة ، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجرى مع طياراتها . ولسوف يمضى عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية . وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه .

أقول ذلك ولا أعنى بما قلت كل الشعر ، ولكنى عنيت منه المطبوع الأصيل . إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط ، وقلَّ أن يتجاوز أثره القرطاس الذى يكتب فيه ، أو المنبر الذى يلقى عليه . وشتان بين كلام هو قطعة من نفس ، وكلام هو رقعة من طرس .

فالشاعر العبقرى معانيه بناته ، فهن من لحمه ودمه . وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيباته ، فهن غريبات عنه وإن دعاهن باسمه . ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد ، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع فى تنميقها ، ويصبغها أحسن صبغة ، ثم يرشها بعطر الورد فيُشم منها عبق الوردة ويُرى لها لونها ورواؤها ولكنها عقيمة لا تنبت شجراً ولا تخرج شهداً . وتبقى بعد هذا الإتقان فى المحاجر زخرفاً باطلا .

ألا وإنّ خير الشعر المطبوع ما ناجي العواطف على اختلافها ، وبث الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان .

* * *

فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ؛ قد سمح بها قلم سخي وقريحة خصبة .

فى هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضى ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس ، وحرارة الرجاء . وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء ، ويكفكف من غلوائها . فلا تنطلق إلا بما ينبغي من التجمل والثبات .

إن شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل فى شدة وصخب وانصباب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون .

قد يعسر على بعض القراء فهم شيء من شعر شكرى ، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التى بها يفهمونه . وليس ذلك مما يطلب منه . ولو حاوله لأفسد شعره بالتعمل والزيادة . ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا فى كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل ، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاء ويقربها من إحساس قرائهم . وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول ، وإدخال المعانى إلى الأفكار .

ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه ، كما لا توقع أدوار (الأوركستر) على القيثار أو المزهر . فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة . فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذى ليس فى معزفها وتر يهتز به .

* * *

قال لى بعض المتأدبين إن شعر شكرى مشرب بالأسلوب الإفرنجى ! وأنا لا أعلم ماذا يعنى هؤلاء بقولهم الأسلوب الإفرنجى والأسلوب العربى ؟ فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين فى الأساليب والتراكيب ، ولكنها مسألة تفاوت فى جوهر الطبائع ، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب فى المزاج كاختلاف الأمتين فى الملامح والسحناء .

وأشبه بالحقيقة عندى أن يقال الأسلوب الآرى والأسلوب السامى ، فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب .

الآريون أقوام خيال نشأوا فى أقطارٍ طبيعتُها هائلة ، وحيواناتها مخوفة ، ومناظرها فخمة رهيبة . فاتسع لهم مجال الوهم وكبر فى أذهانهم جلال القوى الطبيعية . ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات فى الذهن ويجسم له الوهم . فيصبح شديد التصوّر ، قوى التشخيص لما هو مجرد عن الشخوص والأشباح .

والساميون أقوام نشأوا فى بلاد صاحية ضاحية ، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم . فقويت حواسهم وضعف خيالهم .

ومن ثم كان الآريون أقدر فى شعرهم على وصف سرائر النفوس . وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء ، وذلك لأنّ مرجع الأول إلى الإحساس الباطن ، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر .

السامى يشبه الإنسان بالبدر . ولكن الآرى يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان ، ويروى عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء . وهذا ولا مراء أجمع لمعانى الشعر لأنه يمد فى وشائج التعاطف ، ويولد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة وداً وائتناساً يجعلهما الشعر السامى وقفاً على الأحياء ، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء .

وهذا الفرق بين الآرى والسامى فى تصور الأشياء ، وهو السبب فى اتساع الميثولوجى عند الآريين ، وضيقها عند الساميين . فليست الميثولوجى إلا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة ، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء . وتلك طبيعة الآريين فإنهم – كما قلنا – قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين .

وهذا أيضا هو السبب فى افتقار الأدب السامى إلى الشعر القصصى ، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر فى الأدب الآرى . فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس ، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها ، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجى ، وتستمد منها أصولها . وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربى فكانت له ينبوعا تفرعت منه أساليبه وتشعبت أغراضه ومقاصده . وحرم الشعر العربى منها فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها .

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصرى ، فليس المراد به تقسيمه إلى عربى وإفرنجى ، ولا يراد بالعصرى مقابلته بالقديم . فإنى أعتقد أن الشعر العصرى يشبه الشعر القديم فى أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم . ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذى تدلى إليه الشعر العربى فى القرون الأخيرة .

فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد ، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجيا فى مسلكه .

وأيما شاعر كان واسع الخيال قوى التشخيص ، فهو أقرب إلى الإفرنج فى بيانه وأشبه بالآريين فى مزاجه وإن كان عربياً أو مصرياً . ولا سيما إذا كان مثل شكرى ، جامعاً بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب الغربيين .

حياة الأمم

أو

التجدد والتغير

حياةُ الناس إمّا ماءُ نهرٍ … فيصلحهُ التدفُّقُ والمسيرُ

وإمّا ماءُ آجنةٍ كثيرٍ … قذاه ، ويأجن الماءُ الطهورُ (1)

وليست هذه العادات إلاّ … رداءُ العيش تبليه الدهور

رداءُ العيشِ تبليه الليالى … ويبكى عهد جِدّته الغرور (2)

وأبكارُ المعانى حائكات … رداءً عهدُ جِدّته نضيرُ

* * *

نظامات وعادات تقضى … وبعضُ الأمرِ يصلح إذ يحولُ (3)

وأسبابُ البقاء لها صيالٌ … صيال السيل يهلك إذ يصول

وأحكامُ الوجودِ لها مسيلٌ … مسيلُ السيلِ يهلك إذ يسيل

فإن تسدد طريقَ السيلِ تهلك … ولا يُغنى البكاءُ ولا العويل

ويحيا بالتغيّر كلُّ حيٍّ … ويردى الفاسد القدرُ العجولُ

فلا تكُ جازعاً فى إثرِ أمرٍ … جليلُ الأمرِ يعقبهُ الجليل

وآمالٌ وآراءٌ وعادٍ … سواء فى تغيّرها شكولُ (4)

* * *

---

(1) أجن الماء : وقف وركد وعطن . (2) الجدة (بكسر الجيم وتشديد الدال) : كون الشىء جديداً .

(3) يحول : أى يتغير . (4) عاد : أى عادات . وشكول : متشابهة .

وكم من أمــةٍ تخـــشى زَوالاً — على الأيامِ أدركـــهـــا الزوالُ
تحـــاذرُ أن تغـــيـــرها الليـــالى — فـيودى حـالهـا ويجئُ حـال[1]
وبين الدهرِ والدولِ اســتـبـــاقٌ — وبعضُ النَّاس يُعْـوزهُ المجـــال[2]
فــقل للغــافلين إذا أصـــاخـــوا — حـيـاتُكم هى الداءُ العـضـالُ
ستنفـذ فـيكم الأقـدارُ حكمًـا — ويـرجــــمكم بأنكـده المـآل
وهل يخشى الجديدَ سوى جبانٍ — له من حبٍّ أقــدمــه عــقـــال

الإيمـان والقضـاء

ليس يدرى مضاضـةَ القدرِ الغا — لبِ إلا مـعــالج البـأســاءِ[3]
تفـتق الذهن مثلمـا يفـتق الأز — هار وهنا مـــرقـــرق الأنداءِ
غيـر أن الشقـاءَ قد يخـز النفـ — سَ ويصمى مجامعَ الأهواءِ[4]
فـهـو طـوراً يكون بـرءًا لـداءٍ — وهو طوراً يُعـــدُّ فى الأدواء
هو سيف القـضـاءِ فى يد عـدل — رُبَّ عــدل فى وقع ذاك البـــلاء
خـفـيت حكمـةُ الحـوادث عنا — فـشـقـينا شـقـاوةَ الجـهـلاءِ
لو رأينا منابتَ العـدل فـيـهـا — لنعـمنا بالعـيـشـةِ الخـشناء
لو رأينا مطالع العــدل منهــا — مـا شكونا مـضـاضـةَ الأرزاء
وخـــداعُ الحـيــاةِ أروعُ جلبــاً — لأسى المرءِ من خـــداع النســـاء
سكناتُ الإيمان برءٌ من الحــز — ن ومــأوى لهــاربٍ من قــضـــاء

---

(١) أودى : ذهب .
(٢) يعوزه المجال : أى لايمكنه .
(٣) المضاضة : الألم ، والبأساء : البؤس .
(٤) يصمى : أى يصيب ، ومجامع الأهواء أى القلب .

هو حصنٌ من الشقاءِ حصينٌ ووقاءٌ أنْعِمْ به من وقاءِ

كنفٌ مانعٌ وظلٌّ ظليلٌ وشرابٌ يشفى أوامَ الظماءِ[1]

يلج النفسَ بالثبات وبالحز م ويطوى جوانب الضراء

هو روض جمُّ الفروع أنيقٌ ونعيمٌ موطأ الأفناءِ[2]

يدخل الأمنَ والسلامَ على قلـ ـبٍ خفوق الضلوع والأحشاءِ

الحياة والعبادة

أكذبُ الدينِ ما ينيمُ قوى المر ء كما يُخرس الرياحَ الركودُ[3]

إنَّما الدينُ أن تفكَّ عن النفـ ـس من اليأس والخمولِ قيودُ

إنَّما الدينُ أن يجدَّ مجدٌّ أعمل السعىَ أو يجيدَ مُجيد[4]

إنَّما الدينُ قوةٌ وجمالٌ وحياةٌ وعدةٌ وعديد

كيف يدرى جلالةَ النفسِ غِرٌّ أزعجته بوارقٌ ورعود

كيف يدرى جلالةَ الله غِرٌّ حَرَّكته ضغائنٌ وحقود

أعبد اللهَ بالجهادِ وبالتفـ ـكيرِ ، والعقل عابدٌ معبود

إنّما هذه الحياةُ جهادٌ والجبانُ الموهونُ فيها جحود[5]

خلق المرءُ كى يناهضَ أمراً فهو فى الموتِ والحياةِ شهيد

كُتبَ الصبرُ فى الحياةِ علينا فالبس الصبرَ فالعظيمُ جليد

---

(١) الأوام : العطش والظمأ .

(٢) جم أى كثير ، وموطأ أى ممهد .

(٣) الركود للرياح : سكونها .

(٤) أعمل السعى أى جد فيه .

(٥) الموهون : الضعيف .

عش شهيداً تناجز الهمَّ والدا ... ءَ إذا أمَّ حتفه الرعديد[1]

فحنينُ الثكلى ووخزُ ضميرٍ ... ودموعٌ يريقها المكدود :[2]

هى ما يعبدُ الأنامُ به اللهَ ... كما يعبدُ القضاءَ الوجود[3]

القلق والغفلة

يا أسيراً قيودُه آمالٌ ... مشكلات لاتستبين لرائى[4]

تبتغى الخيرَ فى مجاهل مايأ ... تى من الدهر والقضاء النائى[5]

لك صدرٌ جم الحنو على النا ... سِ ولكن يضيق بالأرزاء

أنت عبدُ البقاءِ لو كره العبـ ... ـدُ إباقاً من رقِّ ذاك البقاء[6]

أنت تقرى الأنام من دمعك الغمـ ... ـر شآبيبِ عاجزات السخاء[7]

أنت تبكى مما يعالجه النَّا ... سُ وتاسى لبادرات البلاء[8]

إنَّ عتباً على القضاءِ سفاهٌ ... غاب عنه مطالع النعماء

ينعم الغافل الغبىُّ ويشقى ... عاتبٌ ساءهُ وقوعَ القضاء

أيُّها اللائمون فى الحزنِ مهلاً ... غافل القلبِ ميتُ الأحياء

---

(١) أمَّ : أى سار نحو حتفه والرعديد : الجبان . (٢) الثكلى : هى التى أصيبت بفقد بنيها .

(٣) أى أن الناس تعبد الله بتحمل الشقاء وآلامه .

(٤) مشكلات : من أشكل الأمر إذا التبس واختلط .

(٥) يقال للأرض المجهولة مجهل ، والجمع مجاهل . وهنا أطلقت على العصور المجهولة القادمة . والنائى أى : البعيد .

(٦) إباق العبد : هروبه من سيده .

(٧) شآبيب جمع شؤبوب . وشؤبوب الدمع : ماؤه ، وعاجزات السخاء ؛ لأن هذه الدموع لا تفيد .

(٨) تاسى أى : تحزن . وبادرات البلاء : ما يبادر المرء منه .

مــا بكينا من الشــقــاءِ ولكـــنّا بكينا من ذلنـا للقـــضــاء

ضُــربَ الأمن والســلامُ عليكم وعلينا عــرفــانُ وقع البــلاءِ[1]

لو منينا بعــيــشِكم مـا رضــينا ضـاحك القلبِ جـاهل بالبـقـاءِ[2]

لا يصــيب الســلامَ إلا غــبىّ كـيف نرضى بعيشِ أهلِ الغباءِ ؟

كم عظيمٍ قـضى ولم يبلغ النجـــحَ وغـــرّ أصــابه برياء[3] !

كم جليلٍ مــرجم بســبـابٍ وضــئـيلٍ مــزين بالثناء !

اليتيم

يتـيمٌ تقـاضـاه الهـمـوم حـيـاته وتظميه من طيبِ الحياة خطوب[4]

ومــا اليـتمُ إلا غــربة ومــهــانة وأى قــريبٍ لليـتــيمِ قــريبُ

يمرُّ به الغلمــانُ مـثنى ومـوحـداً وكلُّ امرئٍ يلقى اليـتـيم غـريبُ

يرى كلَّ أمٍّ بابنهــا مـســتـعـزةً وهيـهـات أن يحنو عليـه حـبـيب

يســائلهُ الغلمــانُ عن شـأنِ أهلِه فـيـحـزنه أن لا يجـيب مـجـيب

إذا جــاءه عـيــدٌ من الحـول عــاده من الوجـد دمــعٌ هاطلٌ ووجيب[5]

كـأنَّ سـرورَ الناسِ بالعـيـد قـسـوةٌ عليـه تريق الدمعَ وهو صـبـيب[6]

يظل حـســوداً للذين أظلهـم من العيشِ ، فينانُ النعيمِ رطيب[7]

---

(١) ضرب أى جعل عليكم كالخيمة المنصوبة . (٢) منى بالشىء أى أصيب به .

(٣) قضى أى مات . (٤) تقاضاه أى تتقاضاه . (٥) الحول : العام .

(٦) صبيب : غزير . (٧) الفينان : المورق من الأغصان .

وما علم الغلُّ الفتى كمصيبةٍ   دهته فلم يعطف عليه ضريب[1]

فيا ويله قد مزّق الغلُّ قلبَه   وأُنشبَ فيه للشقاءِ نيوب

عزاءك لا يلمم بك الضيمُ إنّنا   يتامى ولكن الشقاءَ ضروب[2]

فهذا يتيمٌ ثاكل صفو عيشهِ   وذاك من الصحبِ الكرام سليب

وكلُّ امرئٍ في الناس باكٍ وضاحكٍ   وكلٌّ يتيمٍ لليتيم نسيب

فإن شئتَ فاعدد من رزئت أمانيا   وإنك منها ما حييتَ سليب[3]

وما الرزءُ إلا فقد من لو حرمته   حييت ولم يعنف عليك وجيب

الا إنَّ بين الناسِ قربى ولو طغى   جفاءٌ وأودت بالحنانِ شَعوب[4]

فإن جهلوا انَّ القلوب أواصرٌ   فما جهلوا انَّ القلوبَ قلوب[5]

الجمال والعبادة

عند قدماء اليونان

كم أمةٍ احكمت بالحسنِ دولتَها   فخلفته وأودى مجدها الفاني

حبُّ الجمالِ حياةٌ لا نفادَ لها   لانهبَ دهرٍ ولا أسلاب حدثان[6]

تلك التماثيلُ أم هذى المعابدُ أم   تلك الفنون عليه خيرُ عنوان

يارُبَّ مرأى لنا منها ورُبَّ مُنى   فيها وحسن قديم العهدِ يوناني !

---

(١) الغل : الحقد . والضريب : هو الند والمثيل .   (٢) لا يلمم أى لا يحل .

(٣) من رزئت أى من أصبت بفقدهم .   (٤) شَعوب أى الموت وهى بفتح الشين .

(٥) أواصر أى صلات نسب . والقلوب قلوب أى من مميزاتها ولوازمها الرأفة .

(٦) لا نهب دهر أى لا تفنى على الأيام .

لهفى على زمنٍ كان الجمالُ به ... ما يعبد الناسُ فى دينٍ وإيمانِ
لم يحبس المرء عن آماله فَرَقٌ ... منها ولم يثنه عن عزمه ثانى[1]
الحبُّ والحسنُ والأشعارُ دينُهمُ ... أنعم بذلك ديناً بين أديان
لم يزر بالحقِّ حبُّ الحسنِ بينهم ... فالحقُ والحسنُ إن فكَّرتَ سيّان
كأنما عيشهم من طيبِ مخبرهِ ... بيتٌ من الشعر فى حسنٍ وتبيان
يرون فى كل شىءٍ حولهم نفسًا ... حيًا وروحًا نماه طيب جثمان
لكلِّ شىءٍ إلهٌ ملؤه جذل ... معبَّدٌ بين أزهارٍ وأغصان[2]
وللجمالِ إلهٌ غير ذى بخلٍ ... مكللٌ بوريق العودِ فينان
لقد أضاءَت وجوه العيش عندهم ... محاسنُ الحبِّ من صدقٍ وإحسان
لا تحسب الحبَّ بين الناس منقصة ... فالحبُّ سلوةُ هذا العالمِ الفانى !

الحياة والعمل

المرءُ ليس بمالكٍ يده ... حتى تكونَ وسيلة الأملِ
والمرءُ يقمر جسمه كسل ... والعمرُ بعض غنيمةِ الكسل[3]
والعيشُ سرٌّ أنتَ باحثه ... فعسى تجوب مجاهلَ السبل[4]
والعيش سجفٌ أنت رافعه ... عما جهلت بجدّ ذى حيل[5]
والعيشُ تجربةٌ لسالكه ... واليأسُ أخطل فيه من خطل[6]

(١) فرق أى خوف .
(٢) معبَّد بتشديد الباء أى معبود .
(٣) يقمر أى يكسب فى القمار ، كأنما الكسل يقامر المرء عن جسمه وعمره .
(٤) المجاهل : الأماكن المجهولة .
(٥) سجف أى ستار .
(٦) الخطل : الخطأ .

فحذار أن تعتده غرضاً ... إن الحياةَ وسيلةَ الرجلِ[1]
لو كان هذا العيشُ غايتَنا ... لم نطرق الأقدار بالأجل
لا تزدهيك منازل وُطئت ... فالسعىُ خيرُ منازلِ النزُل[2]
والنجحُ ليس بخير مكتسب ... كم نجحةٍ شر من الفشل
كم ظافر باقلٍ مطلب ... خذلت يداه بمطلب جلل[3]
فالطيشُ ليس بعائب الأملِ ... والعجزُ ليس بعائبِ العمل
إن الذى يسعى على وجلٍ ... غير الذى يسعى على جذل !

ضحكات الأطفال

ضحكةٌ منك صوتها صوت تغريـ ... ـدِ العصافيرِ تستفزُّ القلوبا
ضحكةٌ ردَّت المشيبَ شباباً ... وأماتت من الوجوهِ الشحوبا
ضحكاتٌ كأنَّها كلمات الـ ... ـلّهِ تمحو مآثماً وذنوبا
ضحكات كأنها نغمات ... تترك الغافلَ الغبىَّ طروبا
ضحكات لا تعرف الخير والشرَّ ... ولا تضمر الجوى واللغوبا[4]
تفزع الهمَّ من ضلوع ذوى الهمِّ ... وتحنى على القلوبِ القلوبا[5]
كم أنامت دون الفؤادِ وجيبًا ... وأغاضت من الدموع غروبا[6]

---

(١) تعتده : أى تعده وتحسب .

(٢) لا تزدهيك أى لا تغرك . وطئت أى لانت وطابت . والنزل بضمتين جمع : نازل .

(٣) جلل أى عظيم .

(٤) لأن الطفل يفعل الشر والخير وهو لا يعرف أنه شر أو خير . واللغوب : هو التعب .

(٥) تحنى أى تميل (٦) غروب الدمع : شآبيب مائه .

رُبَّ ضحكٍ قد يضحك الغدرُ فيه ... ويُغطى عن خبِّه أن يريبا [1]
أبيض النفسِ صادق الضحكِ والغا ... درُ يعطيك ضحكه المكذوبا
ولقد يضحك اللئيمُ رياءً ... فتراه وهو الضحوك قَطوبا [2]
يا رعى الله للطفولة حالاً ... تركت بعدها العزاءَ سليبا
يا رعى الله للطفولةِ حالا ... ما عهدنا الزمانَ فيها مريبا
كم صحبنا فيها الزمانَ أمينا ... ولبسنا فيها النعيمَ قشيبا [3]

الجمال والموت[4]

باعد الهمّ عن فراشي المناما ... فرعيت الأشجان نهباً سواما [5]
وجعلت الفراش مأوى همومي ... فاستزادت من الظلام ظلاما
هو موري الأشواق بعد خمودٍ ... وهو داءٌ مرٌّ يهيض السقاما [6]
وهو أحنى عليَّ من وضح الصبحِ ... وأندى يداً وأهدا مقاما [7]
غير أن الفناءَ يخطر في شمـ ... ـلته غابنا جسوماً نياما [8]
طرقتني في جنحهِ خطرات ... أنا محيي الدجى وهن الندامى[9]
نضدت فوقي الرجامُ ضريحاً ... وسقتني من الحمام مداما [10]

---

(١) الخب : الخداع . (٢) قطوب أي عابس . (٣) الثوب القشيب : هو الجديد .
(٤) يتخيل الشاعر أنه رأى خيال حبيبته التي ماتت فَهمَّ أن يعانق ذلك الخيال فرأى جماله يذهب ولم يبق من الخيال غير هيكل عظمي .
(٥) نهبا أي تتناهبها المسالك ، وسواما : أي غفل عنها راعيها . (٦) موري أي مشعل .
(٧) أحنى أي أكثر حنواً ، وأندى أكثر ندى ، وأهدأ أكثر هدوءًا .
(٨) شملة الليل أي كساؤه أي الظلام . (٩) أحيا الدجى أي سهر .
(١٠) الرجام : الأحجار فوق القبور .

فـرأيتُ الشـيـابَ فـوقـى أكـفـا ... نـاً وحـولى جـمـاجـمـاً وعظامـا

ورمـــيـتُ الـظـلامَ بـالـنـظـر الآ ... مل أبغى من الظلام مـــرامـــا

إن هــذا الـظـلام بـــابٌ إلـى المو ... تِ نـراه وراءنـا وأمـــامـــا

ياسـمـيـرَ الموتى أبن لى حـبـيـبًـا ... كـان فى مـقـلتىَّ بدراً تمامـا [1]

غـبـنتنى المنونُ فـيـه ولـو شـا ... ءَت لسـامـت بـه الأنـام مـسـامـا

* * *

أىُّ زور يـفـرى الـدجى عن ضيـاءٍ ... أىُّ زورٍ يـسـعـى إلـىَّ لمـامـا

أنـتِ أنـتِ الـتى هـجـرت لحـاظى ... وتركـتِ الـفـؤاد يشكو أوامـا

أنـتِ فى الموت والحـيـاةِ تـقـودين ... فـؤاداً مـتـيـمـاً مـسـتـهـامـا

عـانقـينى فـرُبَّ صـدرٍ خـفـوقٍ ... ظلَّ يحنو عليك عـامـاً فـعـامـا

واجعلى ساعديك عقـداً لجيدى ... واجـعـلى مـعـصـمَـيك فـيه زمـامـا

عـانقـتنى فـعـانق الداء جـسـمى ... وكـأنَّ الخـيـالَ صـار رمـامـا

ورأيت العظامَ تعـرى من اللحم ... وقـد فـارق الـبـهـاءُ العظامـا

أبعـدى عن مـشـمى النفس المرَّ ... فقـدماً شـمـمـتُ منه البـشـامـا [2]

أبعدى فاك ذاك عن شفتى الظمأى ... فـقـد أبدل الرضـاب لغـامـا [3]

بينمـا أنـت كـالضـيـاءِ بهـاءً ... إذ تعـودين رمـةً تتـحـامـى [4]

(١) سمير الموتى : الخطاب الليل .

(٢) مشم مكان الشم أى الأنف . والبشام : زهر له رائحة طيبة .

(٣) اللغام : ما يخرج من فم الإبل من الماء .

(٤) تتحامى أى يتحاماها ويبتعد عنها الناس .

عـابـدة الشـمـس

(اسم زهرة معروفة)

تديرين نحـو الشـمسِ وجـهًـا كـأنما | ترين بوجه الشمسِ ما كتَب الدهرُ
فـمـا حـسـرت عـيناك من طول رقـبـة | ويارُبَّ تـرصـادٍ ينوء به الصـبـر[1]
أتبـغين مـن تلحـاظهـا شـكرَ نعـمـةٍ | هي النور لم يحسب عليك له أجر ؟
تسـقَّيك من أضـوائهـا بلواحظٍ | وللشـمس لحظٌ لا بطيءٌ ولا شـزر
إذا غـربتْ أرخـيتِ أجـفـانَ عـاشقٍ | يناجي حبيبًا دونه للدجى سـتـر
تضيئين وجهَ الروض من فرط صفرةٍ | فـأنت له شـمسٌ وأنت له بـدر
وفي اللون آيات من النورِ غـضـةٌ | ويارُبَّ لون قـد يضيءُ له جـمـر
كـأنَّك بين الزهرِ في ليل أربع | وعـشـر هلال حـوله الأنجم الزُّهر
وصـفـراء من نـسل المجـوسِ كـأنهـا | تـعـالج أمـرًا لا يعـالجه الزهر
تـهمُّ إلى وجـه الـسـمـاءِ كـأنما | لها في صميم الأرضِ من جذرها أسر
كـما يشرئب النسر هيض جناحه | مقيم على الدهماءِ الحاظه طير[2]
جـحـدنا مـغـاليق الطبـيـعـةِ ضلة | فكانت حياةُ المرءِ أكثرها سر[3]

---

(١) حسر أي تعب .

(٢) اشرأب : تطلع ومد عنقه . وهيض أي كسر وجرح . والدهماء : الأرض .

(٣) مغاليق الطبيعة : أسرارها الغامضة .

صوت الليل[1]

ملأتَ الكونَ من نفس عميق ... فاسمع كلّ ذى قلبٍ مفيق
وأجريت الجلالَ على سكونٍ ... يفيض على ظلامك كالأنين
وأخرست الحياةَ وراغبيها ... وريحُ الموتِ تخفق منك فيها
كأنكَ شدو ظئر للوليد ... إذا طردت به صحو العنيد[2]
كأن النومَ صنوك حين تجرى ... على سمع سرارك ليس يدرى[3]
وأنتَ علالةُ الروحِ الكبيرة ... إذا أصغت ولجت إلى السريرة
فصوتُ الليلِ من صوت الضميرِ ... مهيب القولِ كالهادى النذير
يئن صداه فى صمّ الضلوعِ ... ويكسو النفسَ ثوبًا من خشوع
فيا مأواى من عنت الحياةِ ... إذا أنا متُّ لا تهجر رفاتى
فكم ناجيتُ سرَّك فى الظلامِ ... وداءُ النومِ يسرى فى الأنام
خلسنا منك أسرار البيانِ ... فأنت اليمُّ تعمره المعانى[4]

وصف البحر

ألا ليتنى لجّ كلجِّك زاخر ... أعب كما تهوى النهى والبصائر[5]
فكم عَبّت النفسُ اللجوج وحاولت ... كبعض سُطاك الآبيات النوافر[6]
فاخفت من الدرِّ النفوس ومن حلى ... كما اختبأت فيك اللهى والذخائر
كأن بها أفقاً كأفقك نائياً ... ومن دونه كل المدى يتقاصر
أتطرب من لحنِ الخرير كأنه ... خواطر تتلوها عليك السرائر

---

(١) إذا هدأ الكون بالليل سمعت صوتاً مثل خرير المياه فكأنه صوت سكون الليل وهدوئه .

(٢) الظئر : المرضع . (٣) السرار : المسارة . (٤) خلسنا أى سرقنا .

(٥) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة (عدد ١٠ أغسطس ١٩٣٦) وأضاف إليها الخمسة والعشرين بيتًا الأولى ... أى لج من الحياة والنهى . (٦) أى النفوس الآبيات .

كما طرب النشوانُ من لحن صوته ... فجاشت لديك الراقصات الزواخرُ
وإلا فما للموج فى اليمِّ راقصًا ... دعاه عذارى البحر شاد وشاعر [(١)]
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتًا ... كأنك دهر بالحوادث مائر [(٢)]
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهى ... صباه ولا تقضى عليه المقادر
وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم ... ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
ويصطخب الآذىُّ فيك كأنما اصـ ... ـطخابك من حكم المنية ساخر [(٣)]
أخفقٌ وإعصار ودفع وهبة ... كأنك حىٌّ نابض القلب شاعر !
فريحك أنفاس وموجك نابض ... كنبض قلوب أعجلته البوادر
خلوت من السمّار كالبيد وامحّت ... معالم لا تبقى عليها الأعاصر
سوى شلو فلك قد حدرت إلى الردى ... يلوح كما لاحت رسوم غوائر
وكم جزرٍ مثل الجنان مضيئة ... كأنّ جَهلتها الصائلات الدوائر
لخيلت نجوم السعد والحب والمنى ... فحنَّ إليها الشخشخان المخاطر [(٤)]
كما حنَّ للآل الخلوب قوافل ... تخب بها فى البيد إبل ضوامر [(٥)]
لخلفت فى قلب المخاطر همة ... على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
يحنُّ إلى ما خلف أفقك ناظر ... كما تنشد الغيبَ النُّهى والبصائر
كأنَّ منىً للنفس من خلف أفقه ... تلوح كما لاح السراب المبادر
أو أنّ مجال السعد درٌّ منظم ... على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
بلى كل نفس للغريب مشوقة ... وإن خوفتها من سطاه المحاذر
ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه ... ويكبر رأىٌ ذاهب فيك سائر

---

(١) عذارى البحر (أو عرائس البحر) : إشارة إلى الأسطورة الإغريقية .

(٢) مائر : أى مائج .

(٣) الآذى : الموج .

(٤) الشخشخان : القوى الشجاع .

(٥) الخبب : العدو .

خواطر مثل الفلك فيك شوارد ... يضلُّ عليها عازب اللب حائرُ

تناءت بك الأمواج وهي نوافر ... وجاءت بك الأمواج وهي ثوائر[1]

كأن بها عجزَ المشيب إذا انثنت ... وعزمَ الشبابِ الغرِّ وهي بوادر[2]

فنمْ نومةَ الظل البطئ مسيره ... وثب وثبةَ الغضبان حين يساور

فيارُبَّ حلمٍ خامل البطشِ هادئ ... ضمنتَ وجهل شرُّه متطاير

كان لنا من لُجِّ مائك واعظًا ... بليغا له مما أثرت زواجر

رأيتك والأمواج في وثباتها ... عساكر حرب قد تلتها عساكر

فبينا يريق الضوءُ فوقك ماءَه ... وتجرى عليك الريحُ وهي خواطر

ويتلو عليك الصائدون غناءَهم ... يرجّعه لحن من الماء مائر[3]

ويُسمعك الملاح من شجو قلبه ... أحاديث قد تاقت لهن الحرائر[4]

إذ الجو جهمٌ والرياح كتائبٌ ... وإذ أنت مقبوح السريرة غادر[5]

ورُبَّ سفينٍ يقرع النجم مجدها ... تقاذفها مستوفز اللجّ هامر[6]

يروّعها في كل هوجاء موعد ... ويسعى لها قبر من الماء سائر

فليس الغمامُ الغمرُ إلا رياحها ... وما المرسلاتُ الهوجُ إلا الهوامر

وما ذلك اللج الذى في سمائها ... بأهدأ من لجّ نمته الزواخر[7]

إذا ذكر الملاّح زوجاً وصبيةً ... طغى شجن في مرجل الصدر فائر[8]

وتذهل عن مهد الوليدِ رءومه ... إذا ما رمتها بالوعيد الزماجر[9]

وما هي إلا صولة ثمت انجلت ... وأكبر غرقاها المساعي البوائر[10]

كما غرقت في لجة الدهر دولةٌ ... زهتْ ما زهتْ والدهر للناس غامر

---

(١) تناءت : بعدت . (٢) أى أن الأمواج إذا ابتدرت الشاطىء كان لها بطش الشباب وعزمه ، وإذا رجعت عنه كان بها عجز المشيب وضعفه . (٣) مائر أى سائل .

(٤) تاق : اشتاق . والحرائر : النساء المحجبات . (٥) كتائب : جيوش .

(٦) أى أن الغمام فى صولته مثل الريح . والرياح مثل الأمواج .

(٧) نمته : نسبته إلى نفسها . (٨) المرجل : القدر وضع على النار .

(٩) الزماجر : جمع زمجرة أى صوت الرياح والأمواج . (١٠) البوائر من بار يبور : إذا تلف .

معانٍ لايذكرها التعبير

كم معانٍ يودّ لو صاغها المر ... ءُ وحلّى بها وجوهَ البيان

هى ملءُ الضميرِ لم يبلغ اللفـ ... ـظُ مداها ولم تذلها المبانى[1]

كلما رامَ أن يعبرٌ عنها ... أنفت أن تُنالَ بالآذان

فهى عذراءُ لا تحنُّ لناءٍ ... وهى عذراءُ لا تلين لدانى

نزلت فى النفوس منزلَ صدقٍ ... كنزول النفوسِ فى الأبدان

وتأبت عن قانص الحقِ باللفـ ... ـظ ولو كان واسعَ التبيان

هى جزءٌ من النفوسِ وهل تبـ ... ـدو نفوسٌ لمدرك بالعيان

لن تراها بالرأى حتى تراها ... بفؤاد موفقٍ يقظان

طالما نالها أخو الصمتِ والصمـ ... ـتُ كريم البيان جمٌّ الأمان

إنّما تنطق النفوسُ لدى كل ... مصيخٍ إصاخة المذعان[2]

ونجىُّ النفوس ليس الذى الـ ... ـجمَ فاه من رهبةٍ أو هوان

إنَّ وأد الأبناءِ أهون خطباً ... وأثاماً من وأد تلك المعانى[3]

ذلّ من خاف لومةَ الناسِ فى قَو ... لة حق فلجَّ فى الكتمان !

---

(١) أذال : أرخص وحقر .

(٢) المذعان : الذى يذعن للحجة .

(٣) الأثام : اسم مصدر من أثم .

غلامٌ مريضٌ
يكلم أمه

خبريني أمي أئن متُّ ماتت ... نزعاتي إليكم وحنيني ؟

والحنانُ الذى أضمُّ به كـ ... ـلَّ قريب معانق أو قرينِ

والضياءُ الذى ترين بعيني ... أمضيءٌ سواد تلك المنون[1]

وهل المرءُ فى المماتِ غبينٌ ... أم هو المرءُ فيه غيرُ غبين

عاهديني أن لا تعاني لموتى ... حرقات تفيض ماءَ الجفون

وإذا شئت فاجعليه رشاشًا ... ذلك الدمع واحبسى من أنين[2]

فى قليلٍ من البكاءِ بلاغٌ ... وكثيرُ البكاءِ داء العيون

لستُ أرضى لحرٍّ وجهك أن يز ... رى به من شحوب وجه الحزين

لست أرضى لأضلعٍ حملتنى ... أن تعانى حملَ الأسى المكنون

ولصدرٍ قد كان يحنو على جسـ ... ـمى فى المهد لوعة من شجون

العصافيرُ فى الرياض تغنى ... لا كجسمى تحت الترابِ الدفين

كنتُ فى العيش مثل هذى العصافيـ ... ـر أغنى فى وكرىَ المأمون

فألاحت لى المنون بوجهٍ ... أى راءٍ يرضيه وجه المنون ؟

ليس ما بى خوف الجبانِ ولكن ... خوف جهلٍ لا خوف جبن وهون[3]

كالمكان الخراب يبعث فى النفـ ... ـسِ خشوعاً ورعدةً للظنين[4]

فهو يخشى وليس يعرف ما يخـ ... ـشى ووجه الفناءِ غير أمين

---

(١) ضياء العين : لمعانها .

(٢) الرشاش : القليل من الماء أو الدمع .

(٣) الهون : الهوان والذل .

(٤) الظنين : المتهم ويبعث له رعدة ؛ لأنه يذكره بجناية .

التنويم المغنطيسي

أو عزيمة المجرم

« قصة »

بلحـــاظٍ رامـــيـــات مـصـمـيـات سـاكنات[1]

كلحـــاظ الحـيـــةِ الرقـ ـطاءِ عند الـوثـبـــات

واعــــتـــزام ليس يثنى بدعـــــــــاءٍ أو شـكـاة

قـــادها كــرهاً وكـــانت قـبلُ خـيــر الآبيـات[2]

جـعـلت تغـضى لتـمـحى فــعل تلك الـنظرات[3]

فــهى كـــالطيــر قنيصٌ فى الشـبـاك القـانصـات

ولهـــا قـلبٌ خــفــوقٌ كــــجناحِ الطـائرات

خـيـفـة الرجس ولا خـو ف كـخـوفِ الغـانيـات

صـــار يدعـــوها إليـــه بحـــديث اللحظات

لحـظات آمــــــرات فــهى طوع الآمــرات[4]

تأخـذ المرءَ اقــتــســاراً باقـتـدارِ العـزمـات

رحـمـــات الله ترعـــا ها بخـيــر الرحـمـات

كم يضـحى الشر بالطهـرِ لحكم الشـــهـــوات

رُبَّ جـــانٍ علّم العـــا جــز وجـه العـزمـات

ربَّ جـــانٍ علم الغـــرّ جـذاب الفـرصـات[5]

---

(١) مصميات : مصيبات . هذه قصة جناية استخدم مجرم شهوان التنويم المغنطيسى لكى ينال شهوته من فتاة كان يحبها .

(٢) الآبيات : المتمنعات .

(٣) يصح فى محا أن يقال : محا يمحو ومحى يمحى ومحا يمحا .

(٤) آمرات ؛ لأنها لحظات المنوم بالمغنطيس .

(٥) الفرصات : الفرص .

كـــلُّ خـــبٍ ودهـــاءٍ	واعـــتـــزامٍ للجناة
هو مـحـســوب علينا	فى أسـاليب الحـيـاة !

ليتنى كنت إلهًا [1]

ليتنى كنتُ فى السماءِ إلهـا	نافـذَ الأمـرِ فى شـؤونِ الوجـودِ
فـأضُمُّ الوجـودَ بين جناحـ	ـىَّ وأسطو على الشقاءِ بجودى
ثم أحنو على الأنامِ كـمـا يحـ	ـنو شفيقٌ على الرضيع الوليد
ليس شـرّى عليـهم بهـتـون	إنَّما العـدلُ آيةُ المعبـود [2]
إنّ وعدى لديهم خـيـر وعـدٍ	ووعيدى بالشرِّ غير وعيد
ليس حكمى عليـهم بشـديدٍ	وقـيـودى لديهم بقـيـود
ونداماى فى الملائكة الغـرّ	حـسان من الظباءِ الغيد
مجدونى حتى عطفت عليهم	فاستراحوا من ضجة التمجيد
هم أجادوا المديحَ والنغمَ العـذ	بَ فأعفوا من ركعةٍ أو سجود
هم أضاءوا كواكبى بضيائى	وأثاروا بوارقى ورعودى
وهم فى الظلامِ حولى قيامٌ	لم يهيجوا لواعجى بالصدود
كم عناقٍ لى بينهم والتـزام	وارتشاف من الرضابِ البرود
لو ترانى وعـزتى وجـلالى	وجنودى وعـدتى وعـديدى

(١) المقصود من هذه القصيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الإنسانية إلى ذات الله أو أن يقيسوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضاً السخر بالذين ينتقدون نظام الكون ، ويزعمون أنهم لو وكل إليهم أمره لأصلحوه .

(٢) هتون : متدفق هاطل .

لو تراني وعـزتي غـيـر عـزها ... ة وقولي : أحبكم يا عبيدي !

وهم يبسمون عن جذل جم ... وعيشٍ هناك غيرُ عميدِ

فتنوني بمبسم وقوامٍ ... وبجيدٍ وأعينٍ وخدودِ

ليس فيهم من خائنٍ أو خبيثٍ ... أو لئيمٍ أوحاقدٍ أو حسودِ

ولهم في أوائل الفجرِ لحنٌ ... يوقظون الطيورَ بالتغريد[1]

وسقاني من الملائكة الغرُّ ... وصيف شراب أهلِ الخلود

رُبَّ ساقٍ متوَّج الرأسِ بالزهرِ ... صَقيلِ اللحاظِ غير عنيد

ولنا من سمائنا فوق هذا الـ ... ـنَّاس إشرافُ سيدٍ معبود[2]

كم بعثنا اللحاظَ في غَسَقِ الليل ... ولحظ الإلهِ غير شريد

فإذا النَّاسُ بين باكٍ وضحا ... ك ومضنى من لوعةٍ أو حقود

ورأينا في مرقد الغادةِ الرو ... د نساءً حُلّين بالتجريد[3]

فضحكنا حتى أفقنا من الضحـ ... ـكِ وحتى حسبنه من رعودي

كم رفعنا قناني الخمرِ للسا ... ري إذا ضلَّ في الليالي السود[4]

فأضاءت له الطريق سويًا ... وهدته هدى اللبيبِ الرشيد

فأرقنا عليه ديمة مزنٍ ... سلبت منه جدة في البرود[5]

وضحكنا ضحكاً يضجُّ له المو ... تى ويشكو منه حبيس اللحود[6]

---

(١) لحن : أي غناء ، أي أن الملائكة تغني في الفجر لتوقظ الأطيار . (٢) أشرف : أي أطل .

(٣) الغادة الرود : الناعمة . والتجريد : العري ، أي أن النساء أحسن ما تكون عند العري .

(٤) قناني الخمر : دنانها . (٥) البرود : الثياب . (٦) اللحود : القبور .

هكذا تمزح الملائكةُ الغرّ ومزحُ الكرامِ غيرُ شديدِ

رُبَّ مزحٍ سهل المساغ ومزحٍ مستطيل العداءِ غير حميد

مزحنا مزح خالص النفسِ والكـ ـف بريءٌ من سوأةٍ أو حقود[1]

بسط العرش فاستويتُ عليه مستعزاً بملكيَ الممدود

أنا بالخير قائمٌ ، وأخي إبـ ـليس بالشر قائم والوعيد

كم سخرنا من خائفٍ غير ندبٍ إنما الجبنُ آفةُ الرعديد[2]

وطربنا من عابد العملِ الجمّ عظيم الفؤادِ غير قعيد

أنا والحب خالدان ، كلانا ذو صيال ونشوة وجنود !

هو تربى والكون طفلٌ وليدٌ وسميرى ومسعدى وعقيدى

يا جمالَ الحياةِ من علّم العـ ـشاق رشفَ اللمى ولثمَ النهود ؟

يا جمالَ الحياةِ من علّم الشا عر وصفَ الهوى ونسجَ القصيد ؟

يا ضياءَ الحياةِ من علّم الرا سمَ رسمَ الضحى وورد الخدود ؟

يا حياةَ الحياةِ من علّم الصا نع صُنعَ الدمى الحسان الغيد[3] ؟

يا حياة الحياةِ من علّم المطـ ـربَ حسنَ الغناءِ والتغريد

يا حياة الحياةِ من علّم العـ ـوادَ إفصاح عوده الغريد ؟

قد ارتهم ملائكى طرفَ العيـ ـشِ فأوروا ذكاءَهم بزنودى[4]

أنا شيخٌ وهم تلاميذ صدقٍ شايعونى بالنصرِ والتأييد

---

(١) السوأة : الشئ الذى يشين .

(٢) الندب : الشجاع النشط . والرعديد : الجبان .

(٣) الدمى : التماثيل

(٤) طرف العيش : ما يستحب منه . وأوروا : أى أشعلوا .

سُــستُ هذا الأنامَ بـالحلم حـتـى صـار رأيى فى الحلمِ غـيـرَ سـديدِ

وهجــانى من البُـغـاثِ كـثـيـرٌ ليس فـيـهم من عـاقل أو رشـيـد

هـكـذا سنة الورى ، وقـــــديمًـا هلك الليثُ فى زمـــانِ القـــرود

وأتتنى قـــوارصٌ عن أخ الجـــهــ ـلِ فـويح لمثله من قـصـيـدى

ذهـنه خـــــاذل فلو كـــــان ريا لذبابٍ لمـات مـن تـصــــريد[1]

كيف أخشى هجو البغاثِ وقد نا هضتُ إبليسَ فى زبون كـؤود[2]

فـاعـتـزامُ الجـهـولِ غـيـرُ جليلٍ وأمـاتى الحـسـودِ غـيـرُ ولود[3]

مـا رعـودى لـهم وعـيـداً ،ولكن ضحك سخر بالشانىءِ المجهود[4]

طارق اليـــــأس لا تـلحْ لـى بأمنٍ واعــفنى من حـديثك المقنود[5]

أنـا أقــــوى من أنْ أذلَّ ليـــأسٍ مـــســتـعـيـذاً بأمـره المعـقـود

ودم لـلـحـــــيـــــاةِ هـاج بـقـلبى مـوقظًا بعضَ همـتى بالوئيـد[6]

نبضاتٌ فى القلبِ تحيى طموحى وتزيحُ الهـــبــــاءَ عن مـــجلودى

كلُّ عـيش سَـهْلُ المسـاغ وإنْ مـرّ سـوى عَيْشِ يائسٍ مـصـفـود[7]

لهفُ نـفــسى على مـراتـب عـزّ تطَّبـينا بـالسـؤددِ المعــقـود[8]

لهف نفسى على مـراتب قـد يبـ ـلغـهـا المرءُ فى الخـيـالِ البـعـيـد

رُبَّ عـيش لى فى الـسـموات رغـد ليس عـيشٌ من بعـده بحـمـيـد

---

(١) التصريد : قلة الماء أو المأكول .

(٢) الحرب الزبون : الشديدة البطش . الكؤود : التى تهد وتثقل . (٣) غير ولود : أى لا تلد

(٤) الشانئ : المبغض . (٥) الذى به حلاوة السكر . (٦) وئيد القلب : ضرباته .

(٧) مصفود : أى مقيد . (٨) تطبى : أى تستميل .

كان يقضى القضاء أمرى فما حكـ ـــمى لدى الحـــادثـات بالمردود

عــزلونى عن حكمــهــا فكأنّى يوم ذاك السلطان عبد الحميد !

غير أنى قد كنتُ أحسن عهداً وعهودُ البغاةِ غيرُ عهودى

ولو أنى بقيتُ فى الدست حينًا هلك الناسُ من زمانٍ بعيد[1]

فكأنى قردٌ يقلد فيها ربَّه بئسَ ذاكَ من تقليد !

أيُّها الغافلون قوموا جميعاً واسألونى عن عدتى وعديدى

لم تدع لى نوائبُ الدهرِ منها غيرَ قلبٍ على الحياةِ جليد

ولسانٍ مثل الحسام رهيفٍ وبيانٍ كاللؤلؤ المنضود !

لسان الغيبْ

يا لسان الغيبِ ناجى شاعراً كشفَ الغيبَ له طولُ الأنين

عرف الهمَّ فلم يخنع له ورمى الدهرَ بصبيرٍ لا يخون[2]

إنّما العيشُ عزيم لا ينى يتقاضاه الأسى وهو ديون[3]

ودحا الكون بلحظٍ صادق فرأى ما لا يراه الناظرون[4]

يبتغى المخبوءَ فى مكمنه ويناجى الله فى تلك الظنون

ويردُّ الناسَ عن غفلتهم ما علا يومًا على الشكِّ اليقين

---

(١) الدست : كرسي الرئاسة (فارسي معرب) .

(٢) يخنع : أى يخضع .

(٣) لاينى : لا يتباطأ .

(٤) دحا : أى بسط .

باشـر الحـالات كى يخبـرها ويرى فى بعض ذاك العـز هون[1]

يا رسـول الغيب لا تعنف به أطرق الشـاعـر فى رفق ولين[2]

إنما الشـاعـر فيمـا يبتغى باحث بر على الغيب أمين

بائع باع رخيصـا عمره بعلالات المنى وهو غبين[3]

ودهتـه فى العـوادى حكم جن منهـا لبـه أى جنون[4]

قد أحب العيش لاحب امرىء واجد يخشى على العيش المنون[5]

وقلاه لا قلى مستضعف يبتغى الآمال أو حز الوتين[6]

واستقاد العيش لا تكرثه صولة العادات بالداء الدفين[7]

فإذا شاء رأى فى الجدب خصبا ورأى فى الراكد الماء المعين

نعمى الزواج

إنما عقدة الزواج عقال وإسار أنعم به من إسار

هو ذاك النعيم لو أسلس الحظ وباب الجحيم عند العثار

وهو مأوى المطلول من حدث الدهـ ـر بشؤبوب ديمة مدرار[8]

جاعل بيننا هضابا منيعا ت وبين الأهواء والأوطار

---

(١) أى فى بعض ما يراه الناس عزاً يرى ذلا . (٢) رسول الغيب : يقصد به الخيال الصادق .

(٣) العلالات : ما يتعلل به الإنسان . (٤) العوادى : المصائب . (٥) واجد : أى له مال وغناء .
أى أن الشاعر لا يحب العيش كما يحب الأغنياء العيش .

(٦) الشاعر لا يبغض الحياة بغض الضعيف لها .

(٧) استقاد : ذلل وروض . (٨) المطلول : أى وقع عليه الطل .

غيـر أن الحلاب أعـذب وردًا وهو أنأى عن ذلةٍ وصغارِ

إنما المورد الحرام كسمٍّ الـ ـصلُ فى طرف مؤخرٍ غدّار

أحكم الله عقدةً هى كالعضـ ـب لدى عقدة الخطوب الكبار[1]

جاعلاً ذلك الزواجَ كريماً كزواج الأنداء للأزهار

إنَّما الزوج موئلٌ حيث لا مو ئل يُنجى من صولة الأقدار

وهى كالنجمة المنيرة فى جُنـ ـح دُجى الخطب للشريد السارى[2]

ولجت فى الصميم من حبّة القلـ ـبِ وحلّت بموطن الأسرار

الشاعر وصورة الكمال[3]

« قصـة »

قد حدثوا عن شاعرٍ نابغ مجود الشعر شريف المقال

لم يعشق الغيدَ ولكنه هامَ ببكرٍ من بنات الخيال

صُورةُ حسنٍ صاغها لبُّه وحدُّها فى الحسن حدّ الكمال

فصارَ كالطفل رأى بارقاً هاج له أطماعه فى المحال

يمدُّ نحو النجمِ كفًّا له ويحسبُ النجمَ قريب المنال

فأينما سارَ تراءت له كما تراءى خادعاً لمع آل[4]

خيالها دان به حائمٌ كأنه غير عزيز النوال

وربما ألبسها وهمُهُ جسماً وكم وهمٍ غريب الصيال[5]

---

(١) العضب : السيف . (٢) الشريد : الهائم على وجهه . (٣) قصة شاعر فتنته صورة الكمال في الحسن ، حتى عشق صورة من بنات الخيال كانت سبب موته .

(٤) الآل : السراب . (٥) الصيال : من صال يصول .

قد هجر الأترابَ من وحشةٍ | وصار يمشى فوق هام الجبال[1]
يحدِّثُ النفسَ بأمرِ الهوى | ويسأل الأرواحَ رجع السؤال[2]
فبينما يسعى على قمةٍ | تروِّع النفسَ بمرأى الجلال[3]
رأى التى صوَّرها لُبُّهُ | تصوير صبٍ عابدٍ للجمال
قالت له : إن كنتَ لى عاشقًا | فاتبع خطاى واستضئ بالخيال
فسارَ يقفو إثرها هائماً | والمهتدى بالوهمِ جمٌّ الضلال
وهمَّ أن يمسكهَا جَاهداً | بين ذراعيه بأيد عجال
مازال يعدو جهدَه نحوها | حتى هوى من فوق تلك القلال
فرحمة الله على شاعرٍ | مات قتيلاً للأمانى الطوال !!

ربّما
أو
المزهُوّ بحميد خلقه

يا سعيداً يتيه بالخُلقِ الفَا | ضِل فينا كتيه أهل الثراءِ
خفّض اللحظَ قد يتيح لك العيـ | ـشُ أموراً من حادثات القضاءِ
ربما شبّ بين جنبيك للشر | ضرامٌ ما إن له من فناء
كلُّ نفسٍ فيها إلى الخير والشرِ | دواعٍ طويلة الإغفاء

---

(١) الأتراب : أى الأصحاب والأنداد ، وهام الجبال : رؤوسها . (٢) الأرواح : هى الرياح .
(٣) روع بتشديد الواو : أزعج وأخاف . (٤) هناك أناس يتيهون بفضائلهم كما يتيه الغنى بغناه وماله . (٥) أتاح له : أى سبب له . (٦) شب : أشعل . (٧) الإغفاء : النوم .

أنت فى اليوم واسعُ الجاه غضُّ الـ ـخيرِ لدن الرخاءِ رطبُ الرجاءِ

خالصُ الكفِّ من دماءِ قتيلٍ أبيضُ الطبعِ لم يشب برياء[1]

ربما كنتَ فى غد أشعثَ الطبـ ـع لئيمَ الخصالِ جمَّ الشقاء[2]

خاضبَ الكفِّ من دماءِ عدوٍ طائرَ الضغنِ ثائرَ الشحناء[3]

أو طريدًا يرميه بالنظرِ الشَّز رِ عظيم الرياء جمّ الحياء[4]

كم وجوهٍ مشبوبةٍ من حياءٍ وقلوبٍ لئيمة الأهواء

كلُّ نفسٍ فيها عزائم وسنى فهى كالغيبِ لا تبينُ لرائى[5]

ليس تبدو حتى يمزّق عنها قدر واقع ستور الخفاء

أكثر النفس ساكنٌ غيرُ يقظا ن خفىٌّ خفاءَ غير عفاء[6]

ربما أضرمت حوادث فى النفـ ـسِ ولوعاً بالخيرِ جمَّ السناء[7]

النساء فى الحياة والموت

قُمنَ يرفلْنَ فى الليالى السودِ بعد أنْ صِرن طعمةً للدودِ[8]

بعد أن كنَّ للعيون جلاءً فاتناتٍ بأعينٍ وخدودِ

مالئاتٍ وجهَ الحياة ضياءً عابثاتٍ بمسعدات الجدود[9]

هزَّ منها الهوى ثمارَ صباها هزةَ الريح زهرة الأملودِ[10]

---

(١) لم يشب : لم يمزج .
(٢) أشعث أغبر أى أن الرجل من أهل الخير قد يكون فى غد من أهل الشر .
(٣) ثائر الشحناء : مهيج البغض .
(٤) كما كان هو يرمى غيره بالنظر الشزر .
(٥) وسنى : نائمة .
(٦) العفاء : الفناء .
(٧) السناء : الضياء .
(٨) يرفل : يميس فى الثوب .
(٩) هذه حالة النساء فى الحياة .
(١٠) الأملود : الغصن الناعم .

يتـواقـعن كـالنسـيمِ ويجنين ... لحـاظى بثنى تلك القـدودِ

صـرن يخطرن فى الظلام ويرمـيـ ... ـن عـيـونَ الرائين منهـا بداءِ

ويرجِّـعن فى الظلامِ صـراخ الـ ... ـبومِ حتى يسقـمن وجهَ الهواء

لابسـات أكـفـانهنَّ حـيـاءً ... إن ترى قـبـحـهن عين الرائى[1]

هنَّ فى الموت والحـيـاةِ يخـبـئـ ... ـن عـيـوبًا تزرى بذاك الحـيـاءِ

ربما أضـمـر الرياءُ حـيـاءً ... وبدا فى الحـيـاءِ بعضُ الرياء[2] !

الحلال والحرام

إذا لم يَعُـدْ بالشر مـا أنتَ ناعمٌ ... به فـانتـهـزه ليس فـيـه حـرامُ

فكم لذةٍ للمرءِ كـان اغـتـصابهـا ... حـرامـاً أحلت والصروفُ كـرام

ومـا كلُّ مـا يأتيك عـفـواً محللاً ... ولا كـلُّ مـا لا ينتـحـيـه مـلام

ولكنهـا اللذات مـا غـاب ضـرُّها ... حـلالٌ وإن هابَ الحـلالَ لئـامُ

فَـرُبَّ حـلالٍ حـرّمـوه وحـرمـة ... أحلوا وألبـاب الأنامِ نيـام !

مـتى يعـرف الأقـوامُ حـلاً محـرمًا ... فـيـروى من الحلِّ الحـرامِ أوام ؟

---

(١) حالتهن فى الموت كما يصورها الخيال .

(٢) أى من أهل الرياء من يستحي من ريائه ، ومن أهل الحياء من هو منافق فى حيائه .

العقاب بالقتل

أطيلوا حيـاةَ الجـارمين فـإنَّهـا ... حـياةٌ إذا سـدّ المطامع عـاقـرُ[1] !

أتبـغـون أن تنفـوا بجـرمٍ جـريمةً ... هي القـتلُ يأتيهـا مقـيد وعـائرُ[2]

فلو أنهم عاشوا وفى السجن معهدٌ ... لتهذيبهم عاشوا وفى العلم زاجرُ

لقـد أخلفـتـهم بلغـة العيشِ برّها ... زمـاناً وحـاجـات الحـياة غـوادر[3]

لبئس حـياة المرءِ والفـقـر عـاكف ... عليه وأسـبـاب الحـيـاة جـرائر[4]

فـقل للأُلى أذوى النعـيمُ قلوبهم ... أعينوا أُلِى الحاجاتِ فالفقرُ كافر[5]

كـأنكم بالضـامـرين تعـارفـوا ... على نيـةٍ سـوآء والجـوعُ آمـر[6]

هنـالك إنِّى للفـقـيـر لعـاذلٌ ... وإنّى له مما يعـانيـه عـاذر !

عيون الندى[7]

عيون الندى كونى على الزهر إنَّه ... يطلُّ على العشّاق منك ويشرفُ

فليس عيونُ الغيدِ أشعلها الصبا ... بأروع فى لألائهـا حين تعطفُ

ولا أطفـأت منك الغـزالةُ رونقًـا ... على الروضِ جذلان المدامع يذرف

---

(١) أى أن حياة المجرمين لا تلد الشر إذ سد بينه وبينهم .

(٢) المقيد الذى يصدر العقوبة . أى كيف تنهى الحكومات الناس عن القتل وهى تأتيه .

(٣) البلغة من العيش : الكفاف ، أى القليل من الرزق .

(٤) جرائر : أى جرائم . (٥) أذوى : جفف وأتلف .

(٦) ضمر : أى صار نحيفا . وسوآء : سيئة ، أى تثور حرب اقتصادية بين الفقراء المعدمين والأغنياء يقسو فيها الفقراء على الأغنياء انتقاما .

(٧) عيون الندى : أى قطراته .

ولا زال مكسالُ النسيم إذا سرى		على روضةٍ يحنو عليك ويرؤف
يهزك هزّ الظئر مهدَ وليدها		فلا المهدُ يشكوها ولا هي تعنف[1]
ولا زال غرّيدُ العصافيرِ واقعاً		على الزهرِ يحسو منك ريًا ويرشف[2]

الحاجة المكتومة[3]

«قصة»

زعموا أن فتاةً		جمعت طيبَ النساءِ
شهرت بالبرِّ والتقـ		ـوى وحسنٍ وحياءِ
ما رآها عارفوها		ضحكت ضحكَ الضياء
ما رآها عارفوها		رددت رجعَ الغناء
هي عاشت في جلالٍ		كجلالٍ للمساء[4]
حين ترنو الشمسُ حزنًا		وهدوءًا في السماء
لم تجد وجداً فتمحو		ه بإحياء البكاء
فلها عيش رقيق		كغديرٍ في الصفاء
وهي لم تُمْنَ بهمٍّ		وهي لم تُمْنَ بداء[5]
غير داء خفيت أسـ		ـبابه عن كل رائي
وافتقارُ النفس للحبِّ		عنيفٌ لا يرائي

(١) الظئر : المرضع .	(٢) غريد بتشديد الراء : المغرد ، ويحسو : أي يشرب .
(٣) فتاة أحبت فأخفت حبها وماتت من ظمئها إلى لذاته .	(٤) رب فتاة هي في سكونها ووقارها مثل المساء في سكونه ووقاره وجلاله .	(٥) مني بالشئ : أصيب به .

هزلت في كل يومٍ في صباحٍ ومساءِ

ولها لحظٌ ضعيف مثل ضعف للفناء

أتراها سترت حبا جنتها ستر رياء

أم تراها جهلتها جهلَ طهرٍ أو غباء[1] ؟

عمرت حينًا وماتت من عفافٍ وحياء !

الإنسان والزمن[2]

حيوانٌ مهذب أم إله معذّبُ[3] ؟

صرَّح الخير والأذى فيه والخيرُ أغلب[4]

فإلى العجم نسبة وإلى الله ينسب[5]

وهو في الشرِّ يرغب وهو في الخير يرغب !

ولهُ دُونَ شرِّه في الليالي مؤنب[6]

وله دُونَ خَيرِه في الليالي مهذب

نَهَلٌ هذه المنى والمساعي تقرّب

---

(١) أي هل هي كانت تعرف أن سبب مرضها حاجتها إلى الحب أم كانت تشعر بهذه الحاجة ولكنها لم تفهمها لأحد سببين إما لمهارتها وإما غباوتها .

(٢) هذه القصيدة تبحث في الإنسان وآماله ومنزلته في الوجود .

(٣) أي هل الإنسان حيوان مهذب أم الإنسان إله معذب .

(٤) صرح بالتشديد : أي ظهر .

(٥) أي أن الإنسان بينه وبين الحيوانات صلة كما أن بينه وبين الله صلة .

(٦) أي أن التجارب تدله على أن في الشر ضرره .

لحياة قبل الحيا ... ةِ وعيش لا يكذبُ[1]

تذكر النفسُ حالهَا ... فيه والحالُ تعجبُ

فجنابٌ موطأ ... واقتدارٌ محبّبُ

ولها عند أمسها ... فى ضحى اليومِ مطلب

ومَلالٌ فى يومها ... وطموحٌ ومعتب

ولها كلَّ ساعةٍ ... شجن أو تطرب

مثلما أذكر الغريـ ... ـب حبيباً تغرَّب

مثلما هاج للغريـ ... ـب جوى الحزنِ مغرب[2]

فالمآلُ التنقُّل ... والمآل التقلُّب[3]

والبقاءُ التغيُّر ... والحياةُ التطلب[4]

أوما تبصر الزما ... ن أتيّاً لا ينضب[5]

وهو للعمر مالئ ... وهو للعمر يسكب

وله الكونُ خلعةٌ ... يرتديها فيحجب[6]

وله القلبُ منزلٌ ... وله النفسُ ملعب !

---

(١) أى هل أمانى الإنسان وأطماعه ورغبته فى حياة أكمل من حياته هذه ، هى فى الحقيقة تذكر لحياة ماضية ، وشوق إلى تلك الحياة الماضية .

(٢) ويحن إلى تلك الحياة الماضية كما يحن الغريب إلى حبيبه عند غروب الشمس .

(٣) أى مآل الإنسان أن يتنقل من حياة إلى حياة .

(٤) أى أن التغير لازم للبقاء والتطلب من لوازم الحياة .

(٥) الأتى بتشديد التاء : السيل العظيم .

(٦) خلعة : أى رداء وثياب .

مراجعة الحب

دعني أقتاتُ من عيونك بالـ ـلحظِ وأروى من خمرةِ الجذل[1]

ودعْ جفوني تبلُّ خدَّك بالـ ـدمعِ وتحكي مصارعَ الأمَلِ

نستدفعُ العتبَ بالعناقِ وننـ ـفيه بإحياءِ ضجةِ القبل[2]

هل تذكر الموقفَ الرهيب وقد مالت بسمعيك حجة العذل

ولهان أبكي وأنت ذو خجلٍ وقد يراضُ الحبيب بالخجل[3]

تحسب حبيك شرّ منقصةٍ تفعل بالجاهِ فعلةَ الأسل[4]

وإنَّما الحبُّ سلوة جلل على شقاءٍ ذى دولةٍ جلل[5]

وإنَّما الحبّ كالضرامِ إذا أجيع يخبو كخبوةِ الشعل[6]

وإنَّما الحسنُ نهزةٌ تدع الـ ـخائبَ يبكى منها على طَلَل

لقد عرفنا الحياةَ معرفةً يهابها خائفٌ من الزلل

فاملا بعطفيك ساعديَّ ولا تترك فؤادى بالصدِّ فى شغل[7]

لم يخلق اللهُ حسنكم عبثًا يا باعثين الهيامَ بالمقل

أليس يرضيك أننى رجلٌ طال من الشِّعرِ مبلغ الأُول ؟

---

(١) أى دعنى أتغذى بالنظر إلى عينك . والجذل : السرور . (٢) ضجة القبل : صوتها .

(٣) أى قد يكون خجل الحبيب داعية إلى إسعافه . (٤) الأسل : الرماح ، أى تحسب أن حبى يجرح شرفك وجاهك كما تجرح الرماح الأجسام . (٥) سلوة جلل : أى عظيمة .

(٦) أى أن الحب إذا أجيع ولم يسعف بالعطف خمد كما تخمد شعل النار .

(٧) العطف : الجانب . والساعد : ما بين الذراع والمعصم . والمعنى عانقنى أو دعنى أعانقك .

مـــا أنت القـــارئء الأديبِ فـــأر — قـــيكَ بقـــولٍ من حكمــةِ الرسلِ

يا دولةَ الحسنِ غـيـر راقـبـة — من الليـــالى مــصــارع الدول

إن تسـعـدى الشـاعرَ القؤول فقـد — أسـعـدت طبًا بأمـرك الخـضل[1]

أو تخـــذليــه فـــأنت عـــادية — تســـدّ عنه منافـــذَ الحـــيل[2]

يا باخـــلاً بالنعـــيمِ لا عـــجب — إن أنت عـانيتَ شـقـوةَ البـخل[3]

أمـــا ترى لذةَ الحـــبـــيبِ إذا — قـــبّله عـــاشقٌ على وجل !

الحاجات الممتزجة

كم حـــاجــةٍ للنفسِ ممزوجـــةٍ — بحاجـة الجسم كـخـمـرٍ وماءْ[4]

كـــذلك الحبُّ به شـــهـــوة الـ — ـجـسمِ وريٌّ للنفـــوسِ الظمـــاءْ

ونفـــحـــةُ الزهرِ بهـــا شـــهـــوة الـ — أنف إذا ســـيـــقـت بريح رخـــاءْ

ولذةٌ للـنفـس فى طيِّـــــبهـــــا — تفـعل فـيـهـا مثلَ فعلِ الدواءْ

يا عـجـبـاً للنفسِ يهتـاجـهـا — بشـجـوهِ الصـوتُ سليل الهـواءْ

كم من صـــلاتٍ بين نفس الفـتى — وبين مـــوجـــوداتِ هـذا الفـضـــاءْ

وربَّ لونٍ هاج شـــجـــو الفـتى — وفـــتَّح الذهنَ بمرأى الضـــيـــاءْ

إنَّ غـذاءَ الذهن فـيـمـا احـتـوى — من ســـمـع أذن المرءِ أو رأى راءْ

---

(١) أمرك الخضل أى الذى مثل الجديد من الزهر . (٢) العادية : هى المصيبة .

(٣) الخطاب للحبيب : أى أنت بخيل بوصلك فحياتك مثل حياة البخلاء ليس فيها لذة .

(٤) يظن بعض الناس أن لذة الروح مستقلة عن لذة الجسم ، وهذا خطأ ؛ لأن كل لذة نفسية فيها لذة مادية ؛ وكل لذة مادية فيها لذة روحية .

والحسُّ بـابُ الـنـفـسِ كـم والـجِ   منه إليـهـا بالحـجى والغـبـاء[1]

إنَّ عناءَ الجـــسم فـى فـــعـلـهِ   يغــرى بنفس المرءِ برح العناء

وربَّ داءٍ والج جـــســـمـــه   يصــاب عــقلُ المرءِ منه بداء

لا راحــةً للنفس فى حــيث مـا   للجـسم فـيـه مطلب للرخـاء

أنفـاس السّحـر

نـســيمُ الرياضِ وريحُ السـحـرْ   أهـابا بشـجـوى حـتى ظهـرْ[2]

يمرُّ علينا الـنســيـمُ العطرْ   ببـرد الـدجـى وبطيب الزهرْ[3]

فـمـا اسـتبرد القلب ريح السحر   حـتى اسـتـثـيـر لهُ مـا اسـتـتر

وكم فى الدجى من بديع الغـرر   مناظرُ تصـبى الفـتى مـا نظر

ومـيض النجـومِ بوجـه الغُـدُر   ولونُ الدجى حـول ظلِّ الشـجـر

نظرتُ إلى النجم لما سـفـر   ثقـيل النعـاس بعـيد النظر

سـويعـة للقلب فـيـهـا عـبـر   يهـيج الخـيـالُ بهـا والفكر

فـيـا ليلة من ليـالى السـمـر   تريق علينا ضـيـاءَ القـمـر

تطيب الأمـانى بهـا والذِكَـر   وتنشـقنا من نسـيمِ السحـر[4]

جنينا من الحبِّ خـيـرَ الثـمـر   ونلنا من اللهـوِ أقـصى وطر

---

(١) الحجى : العقل ، والغباء : الغباوة .

(٢) أهاب بالشئ : دعاه .

(٣) أى النسيم يحمل إلينا برد الدجا وطيب الزهر .

(٤) الذكر : جمع ذكرى .

فـيــا نَفَس الصـبحِ لمـا ظهـر ويا حِندسَ الليلِ لمـا انحسـر[1]

لقـد صـرت ذكـرى تشبُّ الذِكَـر بطيـب الزهورِ وبرد السـحر[2]

امـرأة تكلّم بعلهـا

ليس الجمـالُ عـقـاراً أنت مـالكه إنّ الجمـالَ جمـالُ اللهِ والناسِ[3]

تعـتـدّني سلعـة فى ملكهـا أربٌ تموت داءً ولا يدنو لهـا الآسى[4]

فـى كـلِّ لحـظٍ عطـيلٌ ثـارَ ثـائـره وكلِّ خطرةِ فكرٌ رجع وسـواس[5]

وتحسب البعلَ مولى زوجه سفهاً فـهل يُشـايعُ رأيى رأيك القـاسى

وحـاجـةُ النفس فى ندٍّ أخى كـرمٍ جـمٍ ورفـقٍ وإعـزاز وإينـاس

هل كـلُّ قـولك حقٌّ لا ارتيـاب به أم كل طبعِكَ حلوُ الطعم للحاسى

أم أنت عندى كما تهواه من خطلٍ أعـزّ عندى من العـينين والراس

لا يطعم البعل منكم حبّ زوجته فليس يعرف فيـهِ غيـر أرجاس[6]

لا يصحب البعل منكم روح زوجتهِ دعـم الودادِ بأطنابٍ وآسـاس[7]

فـصـار رأيـكم فى العـيش ذا عِوَجٍ جمٍّ وأمـالُكم من الحبِّ كـاليـاس !

---

(١) نفس الصبح : أى نسيم الصبح . لما ظهر : أى الصبح . (٢) شب النار : أشعلها ، وللذكرى حرقة مثل حرقة النار . (٣) العقار : ما يملكه المرء من البيوت وأمثالها .

(٤) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى ، والآسى : الطبيب .

(٥) عطيل هو القائد المغربى بطل رواية شكسبير . أى أنها ترميه بسوء الظن .

(٦) أرجاس جمع رجس : الشئ الذى يدنس .

(٧) دعم الشئ أن تجعل له دعامة يعتمد عليها .

الحسناء الغادرة

ياسى إليك أحبُّ من تأميلى ... فدعى النفاقَ عزيزة التنويلِ

أدنيتنى حتى ملكتِ مسالكى ... ومنازعى فهجرت هجر مَلولِ

وجعلتِ حسنًا فيك نحو نفوسنا ... لك رائدًا والحسنُ خيرُ دليلِ[1]

فأضاءَ بين ضلوعنا لك ضوءهُ ... سر الهوى ولواعجِ المخذول

ولبست أهل الحب حلية ساعة ... أو خلعة أبدلتها ببديل

فإذا نأى لك عاشقٌ أنْسيته ... إنّ المقيمَ لديك خيرُ خليل !

وحسبتِ غدرَك كافلاً بشفائه ... من دائهِ والغدرُ غيرُ كفيل !

النعمان ويوم بؤسه

« قصة »

« كان للنعمان نديمان فماتا . فحزن عليهما حزناً شديداً ، ودفنهما فى قبر واحد . وجعل يوم موتهما يوم نحس سماه يوم البؤس . فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أول من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما ! فحدثت القصة الآتية فى يوم من أيام بؤسه : »

لقد خرج النعمانُ فى يوم بؤسهِ ... يرفّه عنه من جوى غال غائله[2]

وقد كان آلى أنَّ أولَ قادمٍ ... على قبر ندمانيه تدمى مقاتله[3]

---

(١) الرائد : الدليل . (٢) رفه المرء عن نفسه : أى أراحها .

(٣) آلى : أى أقسم . والمقتل هو المكان الذى إذا طعن فيه المرء قتل .

رأى شاعراً ينحوه في بعضِ سيرِه ... وكان رحيباً للعفاة فناؤُه[1]
يرجي لديه الخير والخير عازب ... فيا ليته قد غاب عنه رجاؤُه[2]
فجاءت به الحراسُ وهو مقيدٌ ... عزيزُ المحيا ثابتُ الجأشِ مطرقُ
فقال له النعمانُ قولةَ عازمٍ ... على الشرِّ لا يلويه عنه الترفقُ :
طلعتَ علينا طلعةً لك شرُّها ... وقد يدرك الإنسانُ ما فيه ضرُّه
طلعتَ علينا والردى لك راصدٌ ... عبوسٌ ويومُ البؤسِ قد طار شرُّه !
فقال له العافي وقد حنَّ قلبُه ... إلى أهله شوقًا وهاجَ وجيبه :[3]
هو الجدُّ بالإنسان غادٍ ورائح ... ورُبَّ طلوبٍ يتقيه طَليبُه[4]
تركتُ ورائي صبيةً وحليلةً ... وجئتُك أبغي حاجة من تفضلِ[5]
فإن لم يكنْ إلاَّ الممات فخلّني ... أودّعُ أهلي قبل ساعةِ مقتلي
فقال له النعمان : هل لك ضامنٌ ... حلالٌ لنا إن لم تعد أن نقيدَه[6]
أقم أنت نائي الدارِ لا غرَّ بيننا ... ضمين غريب خشية أن يكيدَه
فقام غريبُ الدار ينشد ضامناً ... له بين قوادِ الأميرِ وصحبِه[7]
إلى أن رأى شيخاً كأنَّ بوجهه ... دليلاً على ما فيه من طيبِ قلبِه
فقال له : هل فيك للخيرِ منزلٌ ... دعوتُك للجلىَّ فهل أنت سامعُ[8] ؟
فقال له : اذهب إنني لك ضامنٌ ... وأنت وفيٌّ لا محالةَ راجعُ

---

(١) ينحوه : أي يقصده . والعفاة : طالبو الجود .
(٢) عزب الشئ : بعد .
(٣) العافي : هو المستجدي ، ووجيب القلب : خفقانه .
(٤) الطليب : هو الشئ المطلوب .
(٥) الحليلة : الزوجة .
(٦) أقاده : أي جعله بدل المجرم .
(٧) ينشد : يطلب .
(٨) الجلى : الأمر الجليل العظيم .

مضى ما مضى حتى إذا آن عودهُ وقد قرب الميعادُ أو كادَ يذهب
وجاءوا بذاك الشيخِ والسيفُ مصلتٌ عليه وحبُّ العيش للنفس أغلبُ[1]
وقالَ له النعمان : هذى جناية عليك جنتها فيك شيمةٌ أخرقِ[2]
ضمنت غريبَ الدارِ لم تبل صدقَه فأوقعك المقدارُ فى شرٍّ مزلقِ !
رأوا فارسًا يعدو كأن وراءَه ممات يرجى إنه غير سابقه
فلما أتاهم قال أين ضمينكم لقد كنتُ أخشى أننى غير لاحقه[3]
فإنّ أتيَّ السيلِ عاق مطيّتى ولولا أتيُّ السيلِ ما عاق عائقُ[4]
فقال له النعمان : لا تخشَ بأسَنا فأنت أمينٌ أبيضُ الودِّ صادقُ
وما كنتُ أدرى أنَّ فى الناسِ من له على نفسه منها رقيبٌ يعينه !
ووالله ما أدرى أوافٍ بعهد أحقّ بإجلالِ الفتى أم ضمينه[5] ؟
ألا عِلّلانى يا خليليَّ أنتما على العيش بالإحسان والصدقِ والندى
فقدْ صرتُ لا أخشى من البؤسِ عودةً إلى أن يتيح الدهرُ لى عادى الردى[6] !

اليأس داءٌ والأمل داء

« يدفع العيشُ الإنسان إلى الأمل فلا ينفعه الأمل . ويدفعه إلى

---

(١) السيف مصلت عليه : أى مرفوع . (٢) هذى : أى ضمانتك الغريب ، والأخرق : الأحمق .
(٣) الضمين : الضامن . (٤) السيل الأتى : هوالعظيم المتدفق .
(٥) أى لست أدرى من أعظم منكما ، من يضمن المحكوم عليه بالقتل فيعرض نفسه للهلاك أو المحكوم عليه الذى يفى لضمينه وهو يمكنه أن ينجى نفسه .
(٦) أتاحه له : أى أصابه به ، العادى : هو من عدا يعدو إذا سطا .

اليأسِ فييأس فلا ينفعه اليأس . ويرى فى اليأس أملاً وفى الأمل يأسًا . ويرى الأَملَ يزجى إلى اليأس ؛ واليأس يزجى إلى الأمل ؛ فيعلم أن اليأس داء والأمل داء » .

كلما أضمرتُ حبًا لحبيب	كذبت أخلاقه ذاك الهوى
فى ضياء الحسنِ وعدٌ كاذبٌ	مثلما أومضَ برقٌ وخبا
قال داعى الهمِّ قولاً صادقًا	إنما نحن عبيدٌ للمنى
عجبًا للدهر فى أحكامه	يجلب النعمةَ فى داعى الأسى
عجبًا ليس يُروّى غلةً	وقلى والعيشُ لا يخشى القلى[1]
خُلِقَ الإنسان كى يشقى بما	يبتغى فى نيله برءَ الشقا
ولو ان اليأسَ بُرْءٌ للجوى	لم تكن فيه دواعٍ للجوى
ما أتيح اليأسُ إلا شقوة	إنما اليأسُ سبيلٌ للمنى
صاح إن العيشَ خلق كاذب	خلق اللخناء ممرور الجنى[2]
نحن نهواه ونقلى حكمَه	فكأن الحبَّ صنوٌ للقلى[3] !

ضوء القمر على القبور

« إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور ، خشع من جلالة ذلك المنظر . ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور ، امتلكه الفزع من قساوة

---

(١) الغلة : حرقة الظمأ ، والقلى : المقت .

(٢) اللخناء : الأمة اللئيمة ، وممرور الجنى : أى ذو ثمر مر .

(٣) الصنو : القريب .

ذلك المنظر الذى يحكى له فناءَ الجمال فى الموت ، وفناءَ الموت فى الجمال » .

إنى رأيتُ بياضَ ضوئك موهنًا ... فوق القبور كعارضٍ يتهلل[1]

ففزعتُ من ذاك البياضِ كأنه ... لون المشيبِ على الذوائبِ يثقلُ[2]

ولربما كره الفتى صورَ الردى ... وهو الجرىء على الحمامِ المقبل[3]

ولَقدْ رأيتك والقبور كأنَّها ... أشباح ساكنة النواظر مُثَّل[4]

نظر البرئ إلى القتيل مجندلاً ... والروعُ فى أنفاسه يتعجل[5]

ولقد رأيت على الهلالِ سآمةً ... سأم يعالج مثلَه المتأملُ

فكأنَّه الحسناء يطرقها الردَى ... فتبيت تذوى فى الفراشِ وتذبل

طوراً يريك الموت فى لحظاته ... حتى كأنَّ الحسنَ داء معضل

ويبيت طوراً فى الرياض يعلّها ... مما يريق على الفضاءِ وينهل[6]

النـدامـة

« الندامة إذا لم تطرق المرء على سئ فعله ، أغشاه الغى موارد الآثام ، وأرهقه مرادها[7] . وإذا طرقته ، طرقته إما بالعزم والنشاط ، وإما بالهمّ الذى يخلس العزم والنشاط » .

---

(١) العارض : هو السحاب . إنه يخيل للإنسان أن ضوء القمر على القبور به شئ من الظلام والتجهم . وسبب ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى القبور تملكته ذكرى الموت والفناء .

(٢) نوائب الشعر : المسترسل منه . (٣) المقبل : صفة للجرئ . (٤) مثل : جمع ماثل .

(٥) أى أنفاس البرئ ، لأن أنفاس المروع تأتى مستعجلة من الروع .

(٦) يعلها وينهلها : أى يسقيها أولا وثانياً . والقمر يسقى الرياض من ضوئه . (٧) المراد الغشيان .

ندمنا وقد تمحو الندامةُ ما مضى ... ولكنها قد تونس المرءَ فى الباقى
وتودى بعزمٍ صادقٍ ذى عرامةٍ ... وتنحى على بال السليم بإقلاق[1]
وتغرى هموماً جمَّةً بفؤاده ... ومن لك من رقٍّ الهموم بمعتاق
وقد يخلس الهمُّ الشجاعة والحجى ... وينبذ لب المرء ليس له واقى
إذا لم تناصرنا عدا الغىُّ عدوةً ... فترهقنا الآثام أعظم إرهاق[2]
وإن هى آتتنا خشينا صيالها ... بخطبٍ رهيف النابِ ليس له راقى[3]
فطوراً تردُّ المرءَ عن نهج عزمِه ... وتدفعه طوراً إليه بإعناق[4]

ثغر

رُبَّ ثغرٍ قد كان مرتادَ ثغرى ... ومجيرى من الزمانِ المغيرِ
كان يحنو ثغرى عليهِ كما يحـ ... ـنو شفيقٌ على الوليدِ الصغيرِ
نائماً فوقه كما نام فوق الـ ... ـزهرِ شادٍ أذوته نارُ الهجيرِ[5]
ولقد أرشف الرضابَ بشدوٍ ... مثل مصٍّ الظمآن ماء الغدير
قبل كالدلالِ من رقةٍ تفـ ... ـعل فينا فعلَ الدلال الغرير
أخرس الهجرُ صوتها لارعى اللـ ... ـهُ الذى أحدثت بنات الدهور
كم جنينا من صوتها النغمَ العذ ... بَ وخمرَ الهوى وخمرَ السرور
ورشفنا فيها الحياةَ كما يُر ... شف محضُ اللبانِ من ثدى ظيرِ[6]

---

(١) تودى : تذهب ، والعرامة : الشدة ، وتنحي : تسطو . (٢) عدا عدوة : أى سطا سطوة .
(٣) المؤاتاة : الزيارة والمواصلة . والراقى : الذى يشفى بالرقى. (٤) أعنق فى السير : أسرع .
(٥) أذوته : حرقته وأذبلته . والهجير : شدة الحر بالظهر . (٦) اللبان : اللبن . والظئر وتخفيفها الظير : المرضع .

ابتسامات

ومِيضُ ابتسامات يضئ جوانحى ... ويجلو ظلامَ الهمِّ واليأسَ من صدرى

إذا ابتسمت ضاءَ بعينى ابتسامُها ... كما ضاءَ وجهُ البدرِ فى صفحةِ البحرِ

يكادُ يضئ الغيب فى مستقرِّه ... وميض ابتسام فعله صادق السحر

وأسمعُ فى نفسى أغاريدَ جمَّةً ... يهيج صداها فى الجوانحِ والصدر[١]

كأنَّ بها من صادح الطيرِ شاديًا ... يغرِّد فى روضٍ من الحب والشعر[٢]

وإنىِّ لكالبذر الدفين ولحظها ... غذاء كلحظ الشمس للزهرِ والبذر[٣]

ويوقظ آمالى ضياءُ ابتسامِها ... كذاك شعاع الشمس يزخر بالذرِّ[٤]

شعاعُ ابتسامٍ كالغدير خواطرى ... نوازل فيه كالكواعبِ فى النهر ![٥]

عتابٌ أم دلال

لامَ إنِّى ناديتُه يا حياتى ! ... قلتُ : أنَّى يكون وجه شكاة[٦] ؟

قال : لو كنتَ صادقَ الحبِّ لم تد ... عُ على من تحبه بالممات

---

(١) أى أن ضياء ابتسامها يضئ النفس فأسمع فيها تغريد الأشجان ، كما أن ضياء الفجر يطلق على تغريد العصافير .

(٢) صادح الطير : المغرد من الطير ، أى كأن فى نفسى طائراً يغرد فى روض من الحب والشعر .

(٣) كما أن البذر والزهر يتغذى بضياء الشمس ، كذلك أنا أتغذى بضياء لحظات هذه الحبيبة .

(٤) كما أن شعاع الشمس ترى فيه ذرات الهباء ، كذلك ضياء ابتسامها يجلو آمالى ويوقظها .

(٥) أى أن خواطرى فى ضياء ابتسام الحبيبة مثل الفتيات الحسان وهى تستحم بالنهر ، فضياء ابتسامها نهر تنزل فيه خواطرى .

(٦) حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة ؛ فادعنى يا نفسى ولا تدعنى ياحياتى .

من ينادى حبيبه بحياةٍ ... والمنايا رواصدٌ للحياة ؟

نادنى لو أردتَ يا نفس ! إنَّ الـ ... ـنفسَ أبقى على نعيق النعاة[1]

قلت : إنى أخاف أدعوكَ بالنفـ ... ـسِ فنفسى كثيرةُ العثرات

لك نفس بيضاءُ خالصةُ الوجـ ... ـهِ ونفسى مُسودَّةُ الصفحات !

قال : بينى وبين نفسك فى الحـ ... ـبِّ اقتسام لزلةٍ أو هناة[2]

فاقتسام يكون فى سيئات ... واقتسام يكون فى الحسنات !

الحسن والآمال النبيلة

ياليتنى لو تكون مجديةً ... هذى الأمانى صنَّاع أصنامِ[3]

أعطى لآمالىَ التى طرقت ... فى يقظة الحبِّ بابَ أحلامى

جسم رخام يصونها أبداً ... وربَّ حسنٍ رهين أجسامِ

آمال تُنسى الفتى شقاوتَه ... وتعدم الشرَّ أىَ إعدامِ

تعلو بنفس المحبِّ عن دنسٍ ... فيها ولؤم جمٍّ وأوغامِ[4]

وصحةُ النفسِ صحة أبداً ... للحسن والحسن نهلةُ الظامى[5]

إلى جلال للعيش يظهره ... حسنُ نفوسٍ وحسن أفهام

أصور الحبَّ دميةً تذر الـ ... ـخالى شجياً ضمينَ آلامِ[6]

---

(١) المعنى : حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة فنادنى بـ «يا بنفسى» ولا تدعنى : «ياحياتى» .

(٢) هى الزلة أو الهفوة .

(٣) صناع أصنام : أى ناحت التماثيل ، لكى أودع فى تماثيل الرخام آمالى وخيالاتى وأفكارى .

(٤) الأوغام : الأدناس .

(٥) النهلة : الشربة .

(٦) الدمية : التمثال .

حسناء تغرى الوقور بالمرح الـ ـجمٌ وترضى فؤادىَ الدامى[1]

ومن سَمَت نفسُه لغايتها الـ ـقصوى بعزمٍ ثَبْتٍ وإقدامِ[2]

يُكَرِّم الحبَّ كلَّ تكرمةٍ ويُعظم الحسنَ أى إعظام

فالحسنُ أنواعه سواسيةٌ حسنُ طباعٍ ، أو حسنُ أجسامِ[3]

أو حسنُ رأىٍ ، أو حسنُ مأثرةٍ ، أو حسن فعلٍ خلا من الذام[4]

شرب الخمر والحبيب

يا ليت أنك تستحم بخمرةٍ مشمولة فى الدنّ ذات ضياءِ[5]

فتريق فوقَ محاسنٍ لك كأسَها فتزيدها من رقةٍ وصفاءِ

وتعيدها فى دنّها وتصبها لى شربةً بلباقةٍ وحياءِ

فتلذُّ لى فيها محاسنُ جمة وتبلّ حرَّ لواعجى وظمائى

فلشد ما ظمئت إليك جوانحى ظمأ الجريحِ إلى شراب الماء ![6]

أمل فريضة

هل ينفعنّى ذلك الـ أملُ المخضَّبُ بالدم ؟

---

(١) الدامى : المجروح السائلة دماؤه . (٢) الثبت : الثابت .

(٣) سواسية : أى متساوية فى الفضل . (٤) الذام : هو الذم .

(٥) الدن : وعاء الخمر .

(٦) أى أنه مشتاق إليه مثل اشتياق الجريح إلى الماء ؛ لأن الجراح تسبب ظمأ الجريح .

يدحو شقاءَ الأبريا ء وينثنى لم يكلم[1]

أمل يرى ظُلم الحيا ة بوجهها المتجهم[2]

فيعيده طلقاً كوجه الأغيد المتبسّم[3]

أملٌ يطلُّ على السنين بحسرةٍ وتندم[4]

ويرى الحياةَ فريضةً من آجل ومقدم[5]

صوت الموتى

ألا إن للأمواتِ صوتًا كأنّه خريرِ المياهِ الجارياتِ على الصلد ![6]

ويحكى خفيفَ الغصن فى لينِ وقعهِ وطوراً كأصداءِ الطبولِ على بُعدِ

ويُعولُ أحيانا كإعوال ثاكلٍ رمتها صروفُ الدهرِ فى الولد الفرد[7]

يئن أنين الريحِ عند خفوتها ويعوى عواءَ الذئبِ فى المهمه القفرِ[8]

ويصرخ أحيانا فيحكى صراخُه صراخَ العباب الغمرِ فى لجج البحرِ

يئن أنين الليل إن هدأ الورى وطوراً له صوت كحشرجة الصدرِ[9]

---

(١) يدحو : أى يبسط . ويكلم : أى يجرح ؛ لأن الكلم هو الجرح . (٢) ظُلم : جمع ظلمة : أى الظلام ، والمتجهم : العابس . (٣) المعنى : ماذا يفيدنى أملى فى صلاح الحياة إذا كنت أرى شقاء الأبرياء فلا أحزن من ذلك ولا يقلل ذلك من أملى ، ثم أرى وجه الحياة مظلماً فأحسبه مضيئاً ؛ فمثل هذا الأمل يعمى صاحبه عن شقاء الناس والشر الذى فى الوجود . (٤) يطل : أى يشرف .

(٥) أى لا يرغب فى الحياة لما يجده فيها من اللذة ، بل لأن الحياة واجب يؤديه .

(٦) الصلد : الصخر الجامد إذا وقف المرء بين القبور وكان له خيال حسب أن للأموات صوتاً يقع على سمعه مثل وقع الخرير أو خفيف الغصن أو أصداء الطبول . (٧) الإعوال : هو العويل والصراخ .

(٨) خفوت الصوت : عدم ظهوره .

(٩) حشرجة الصدر : صوته عند موت الإنسان .

الحجـــاب

أطلقـوا عن عِـرسِــه حــتى يراها ... ويــرى أيــن هـــواهُ مـــن هـــواهـــا

واحـــســـبــوها لو أردتم سـلعــةً ... يتـرجى عـرضـهـا قـبل شـراها ![1]

كــيف يهـــوى غـــادةً لم يرهـا ... يافع أبدت له الدنيـا صـبـاها ؟[2]

إنَّمَـــا الأرواح شـــتى فـــاسلكوا ... كل روحٍ حـيث لا تذوى مناها[3]

رُبَّ حـــسناء إذا كـــشَّـفْــتــهـــا ... عن أمورٍ كان ينميها خفاها[4]

لنَبتْ عـــينُك عـــمَّـــا أبصـــرت ... ودهى نفْسك ما أصمى عماها[5]

رُبَّ ريان الصـــبـــا غضٍّ الهـــوى ... مـضـمـر في نفسِه ملءَ دهاها[6]

فـــدعـــوا الحـــسناءَ تبـــدى لكُم ... منه طبـعـاً غـابَ عن عينٍ سـواها !

* * *

---

(١) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى . (٢) اليافع : الشاب .

(٣) الأرواح مختلفة الآمال والرغائب ، فضعوا كل نفس حيث تستوفى نصيبها من الحياة وآمالها .

(٤) أى كان خفاء الحجاب يجعلها تنمو . (٥) نبا ينبو : أى لم يقع على ، أو لم يصب . وأصمى : أى أصاب . وعماها : أى جهلها .

(٦) ملء دهاها : أى ملء دهائها شراً .

الموت والتخيل

أو

أحلام الأحياء بالموت

تساءلني عن الموتى ، وإنى ... ربيبُ الموتِ فى هذا الأنامِ ![1]

ولو بطلَ التساؤلُ ما رضينا ... بعيشٍ مثل أحلامِ النيام

وأحوال كآراءِ السكارى ... إذا دبّت بهم خُدع المدام

ولو بطلَ التخيُّلُ ما رضينا ... بما يلقى المغيَّب فى الرجام[2]

خيال يطّبى الأهواءَ منا ... كبرقٍ لاح فى وجه الظلام[3]

وكم فى الشعر من حلمٍ لذيذٍ ... يعين على حياةٍ أو حمام[4]

فزهرُ الروضِ أو زهر النجومِ ... ووجهُ البدر فى سجفِ الغمام[5]

نزين به الممات وقد خلونا ... به فى العيش أيامَ الغرام

وكان العدلُ أن نرضى بموتٍ ... فلا طيفٌ يساعدُ باللمام[6]

أليس الكونُ أكبرَ منك شأناً ... وأولى بالمقادرِ والنظام ؟ !

---

(١) الخطاب موجه إلى الشاعر الفحل الجليل عباس أفندى محمود العقاد ، الذى أرسل إلى صاحب الديوان قصيدة عنوانها : « أحلام الموتى » يقول فيها :

فهل يسرى إلى قبرى خيال ... من الدنيا وأنباء الأنام ؟

ألا ليت النيام هناك تحظى ... بأحلام كأحلام النيام !

(٢) الرجام : أحجار القبر . (٣) يطبى : أى يستميل .

(٤) أى أن الشعر يعين على احتمال الحياة كما يعين على انتظار الموت ، وإنما تأثير الشعر بما يعرضه على المرء من جمال الخيال .

(٥) سجف : أستار . (٦) اللمام : الزيارة ، أى بعد الموت .

خــــذ الموتَ المحلى بالأمــــانى وبـالأحـــــلام تـطرق فى الـظلام

ودع لى مـيـتــةً لا حلم فـيـهـا فـمـا أخـشى وقـد هدأت عظامى

ولكنَّ التـــخــيـلَ مـــاءُ رىٍّ حـــــلالٌ أن أبـلَّ بـه أوامـى ! [1]

شاعرٌ فى الغربة

كنتُ مـثل الغـريد جئ به من روضِـه والزمــانُ غـيـرُ ذمـيمِ

حـيث وجـهُ النهـارِ جـذلان بسّـا مُ ، ووجـهُ الظلامِ غـيـرُ بهـيمِ [2]

ودواعٍ إلـى الغـنـاءِ كِـــثـــارٍ من حـبـيـبٍ ومـوطنٍ وحـمـيمِ

أنـزلوه فى منزلٍ مـــثل بطن الـ أرضِ جـهمِ السـمـاءِ جـهم الأديم [3]

عـاش يبكى أيامـه حيث صفـو الـ ـعيشِ سـهل الجنابِ سـهلُ النسيم

فـقـضى عـيـشَـه غـريباً عن الأهـ ـلِ قليلَ العـزاءِ جمَّ الهـمـوم

إن أكن عـائشًـا فـعـيش عليل الـ نفسِ يذوى مثل الرجاء العقـيم [4]

الهـوى والحـيـاة واليـأسُ والحـز نُ وريـبٌ من الزمـانِ خـصـومى

---

(١) الأوام : حرارة وغلة العطش . (٢) بهيم : أى أسود .

(٣) أى أن هذه البلدة التى نزلها من بلاد الإنجليز كلها دخان ، والأمطار تحجب ضياء الشمس فى سمائها فهى مثل القبر مظلمة .

« قضى الشاعر - صاحب الديوان - ثلاث سنوات بإنجلترا فى بعثة دراسية بجامعة شفيلد ، فيما بين خريف ١٩٠٩ وشتاء ١٩١٢ ، ونظم هناك عدداً من القصائد ، منها هذه القصيدة ، والقصيدة التى بعدها ، كما أوحت إليه بقصيدة « الشتاء فى إنجلترا » المنشورة فى الجزء الثامن » .

(٤) العقيم : الذى لا يجدى نفعًا .

حنين غريب

أبغ فى مــصـــرَ آمــراً بالتــأسى ... وتمهل وانظر أمـــاكنَ أُنسى[1]

خــذلتنى فــقــمتُ أنشــدُ حظِّى ... فى سـواها فكانَ موردَ نحسى[2]

أنشـــقــونى نســائمَ النيلِ إنى ... لعليلٌ والنيلُ حــاجــةُ نفسى !

من مــعــينى على خــواطر إمــا ... طرقتنى أغـرت هواى بأمسى[3]

حيث وجهُ النهارِ يضحك بالبشـ ... ـرِ فــيـروى ظمــاءَ زهرٍ وغــرس

أنا فى بلدةٍ يمرُّ بهـــا الـدهــ ... ـرُ حزينًا لا يستضىءُ بشمس[4]

فهى مثلُ السجنِ العبوسِ نهاراً ... قـد رمتنى فيهـا الخطوبُ بيأس !

لبست فـوقنا السـمـاءُ حـداداً ... فكأنَّ السـمــاءَ قـبـةُ رمس ![5]

كـأس خمـر

أسـقنيهــا فـإنَّنى غيـرُ صـاحى ... ليس شـأنُ السليمِ كالملتـاح ![6]

ما على من دهاه من حادثِ الدهــ ... ـرِ عظيم إذا انتــشى من جناح[7]

---

(١) التأسى : التسلى . (٢) خذلتنى : أى أماكن أنسى .

(٣) أغرت هواى بأمسى : أى بالزمن الذى قضيته فى مصر .

(٤) سبب ذلك كثرة دخانها وأمطارها . (٥) حداداً من سواد الدخان والأمطار .

(٦) الملتاح : العليل . (٧) انتشى : سكر . والجناح : اللوم . راش السهم إذا وضع فيه ريشه ليرمى به .

عــذل راشَــه العــذول ســفــاهًا ... هل يلوم العليل غيـر الصحـاح ؟

أنا ظمــآنُ ليس يُعــوِزُني المـا ... ءُ ولكن رقــيــقــة الأقــداح

فــاسـقنيـهـا على وجـوه مـلاح ... لهف نفسى على الوجوهِ الملاح !

الزوجة المهجورة تعالج السّحر

هرمَ اليــومُ فــقــومى أشــعلى ... فى دجـا الليلِ ضرامَ الساحـرِ[1]

قــد نبـشـت اليـومَ قـبـراً غـائراً ... جــادنى منه بعظمٍ ناخــر[2]

فـضـعـيـه فى اللظى واسـعـى إلى ... بيت هامـان بقـول مـا كـر ![3]

أخـــبـــريه أننى هيـــمــانة ... لم يدع لى الحبُّ حـزمَ الصـابر[4]

وخــذى منه الرقى فى خـفـيـةٍ ... خـفـيـة تطفىءُ لحظَ الناظر

وأعــــينيـــه بما يطلبــــه ... وسليـه عن حـبـيـبى الهـاجـر !

* * *

أيُهــا الليلُ أفض من ظلمــةٍ ... تـشــعل النارَ بجــفنٍ ســاهرِ

لا يرى فــيك رقــيـبٌ أدمــعى ... وزفـــيـــرى غـــيـــرُ نجمٍ زاهر

أيُهـا النجمُ استـمع شكوى التى ... علقت وجــهَ خليعٍ ســادر[5]

---

(١) هرم اليوم : أى دنا الليل . الزوجة تأمر فتاة من خوادمها أن تشعل النار للسحر .

(٢) ناخر : بالي . (٣) هامان : هو الساحر .

(٤) هيمانة : أى ولهانة . (٥) السادر : المتهتك فى الخلاعة .

بليت منه بوجهٍ عابسٍ — بعد أن قيدت بجفنٍ ماطر[1]
بليت منه بقلبٍ فاركٍ — بعد أن قيدت بلحظٍ فاتر[2]
لو يكون الجوُّ نارًا والكرى — حُرَقًا تلفحُ وجهَ الجائر
أشعلت من شوقهِ ما قد خبا — وجرت منه بقلبٍ نافر[3]
يا ولاة الشرِّ هبُّوا هَبَّةً — وأعينونى بحلف ناصر[4]
أنا والسحر وأنتم والأذى — نبتليه بالمذل الفاقر[5]
أنشبوا فيها نيابًا خضبت — بدمٍ ينبع منه مائر[6]
فعسى أن ينثنى مستشفعًا — بجوى بادٍ وجسمٍ ضامر[7]
أنا أهواه وأقلاه معًا — شدّ ما هاج بقلبى الحائر
إنَّمَا البغضُ أخو الحبِّ إذا — ظفر الحبُّ بجدّ عاثر[8]
حسب نفسى منه وصلاً مانحًا — ظمئى ريًا كرىّ الطائر !

الشاعر والزمن الخرب

أرمى بشعرى فى حلق الزمان ولا — أبيتُ منه على همّ وبلبال[9]
لا أبتغى الجاه أسعى نحوه ضرعًا — جزاءَ شعرىَ إنّ الجاهَ يسعى لى[10]

(١) أى بعد أن كان يبكى من حبها صار يعبس من كرهها . (٢) فارك : أى كاره . ولحظ فاتر : أى نظر المحب إلى حبيبته . (٣) خبا : أى خمد وانطفأ .
(٤) ولاة الشر : أى الشياطين والأبالسة المحالفة .
(٥) الفاقر : الخطب الفادح . (٦) مائر : سائل .
(٧) أى عسى أن يرجع إلىّ . (٨) الجد : الحظ .
(٩) أى أرمى بشعرى فى فم الدهر إن شاء ساغه ، وإن شاء لفظه ولا أبالى .
(١٠) الجاه : الشهرة . والضرع : الذل .

قد ناهضتنى خطوبٌ كلما عصفت ... عفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخالى[1]

حتى كأن فؤادى منزلٌ خربٌ ... مهدمٌ بين آثارٍ وأطلال

ماذا أفادت بناتُ الشعر قائلها ... إلاَّ عداوة حسادٍ وعُذَّال ؟[2]

إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكة ... فاربأ بنفسك واعقلها بأعمال ![3]

لولا لذاذة قولِ الشعرِ ما خدعت ... خديعة المصحرِ الظمآنِ بالآل[4]

فارفق بنفسك أن تدعى الأديب وأن ... يجرى بك النحسُ من ذلٍّ وإقلال !

إنَّا لفى زمنٍ عيشُ الأديب به ... عيش الجناةِ سقيم الوجه والحال !!

الحب والحجاب

بينى وبينك ستر لا انكشافَ له ... ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ[5]

لا فرَّقَ اللهُ قلبين اتصالهما ... مثل اتصال فتاءِ السنِ والوطرِ[6]

لا فرّق اللهُ جسمين انتعاشهما ... بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهر بالمطر

لا فرَّق الله روحين ائتلافهما ... مثل ائتلاف صروفِ الدهرِ والقدر

---

(١) ناهضتنى : أى كافحتنى : وعفت أى هدمت ، وأمل كالمنزل الخالى : أى مهجور .

(٢) بنات الشعر : خيالاته ومعانيه . (٣) اربأ بنفسك : أى ترفع عنه واعقلها : أى قيدها بالجد والعمل كى يشغلها ذلك عن الشعر والأدب . (٤) المصحر : الذى نزل الصحراء ، والآل : أى السراب واللذاذة : اللذة . (٥) كلة : سترة الفتاة .

(٦) الفتاء : الصبا والشباب .

فى مقلتيك معانى الخلد بادية | فخلدينا بلحظ ربة الخمر[1]
وأيقظينا ففى العادات مُخملة | وكيف يسعد من يحيى على غرر ؟[2]
وهذبينا بلحظ كلُّه جذلٌ | واسعدينا بحسن ساطع الغُرَرِ[3]
فالحسنُ أعظمُ من يلحى على دنس | والحبُّ أشرفُ من يلحى على نُكُر
الله يعلمُ أنَّ الحبَّ مكرمةٌ | وإنَّما الوزر غدر غير مغتفر
وسنة الله لا تجرى بذى ضررٍ | وحاجب الحبِّ عنا واسع الضرر !

قبلة الزوجة الخائنة

قد قبلتنى قبلةً مُرَّةً | كأنها من حمةِ العقربِ[4]
تحسب أنى راتع غافل | ألذ ما تدينه من مأرب
ماءٌ من الحسنِ روينا به | عاد كوعدِ البارقِ الخُلَّبِ[5]
تنهش جاهاً لم يكن نهزةً | لشاحذ الأنيابِ والمخلب
ولو درت أن على رأسها | سيفاً من الغدرة لم تلعب
لولا وميضُ الرأيِ يقتادنى | يعيذنى من سفهِ المغضبِ

---

(١) الخمر : جمع خمار وهو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها .
(٢) الغرر : الغفلة .
(٣) نكر : بضمتين المنكر .
(٤) حمة العقرب : سمها .
(٥) البارق الخلب : أى الذى يعقبه مطر .

جللتـهـا بالسـيفِ أمـحـو به الـ ـذنبَ بذنب رائعٍ مـعـجـب[1]

بِينى فـقـد بانت بما قـد جنَت غـوادر مـا كنَّ من مطلبى ! [2]

خطأ الحُرِّ وإصابة العبد

إذا ما أصابَ العبدُ فى بعضِ فعله فـمـا الفـضـل إلاَّ للذى هو آمـره

وإنْ أخطأ الحـرُّ الأبىّ فـإنه لأفضل من عبدٍ تهون مصادره

فلا تحسد العبدان مجداً مؤثلاً بناه لهم ربّ طغـاة أوامـره

وهل يرفع الإنسانَ فضلٌ أصابه إذا كان يزجيه إلى الفضلِ زاجره

فيا رُبَّ مجدٍ فى الإباء مشيدٍ وإن لم تبنْ للصاغرين مآثره ! [3]

الحبُ والكبرُ

هى والكبرُ والوقارُ رقيبا ها تدانى محبها وهى تنأى

نسبٌ باذخٌ ومجدٌ قديمٌ وثـراءٌ جم وجُبن وتقـوى

أبعدتها عمن تحبّ فأخفت فى صميم الفؤادِ ما ليس يخفى

فلهـا نظرةٌ من الحبّ سكرى ولهـا نظرةٌ من الكبرِ سكرى

---

(١) جللتها : أى رفعت عليها السيف .

(٢) بينى : أى اذهبى مطلقة .

(٣) الصاغرين : المستذلين .

يا ابنة الفـاخـرين بالجـاه والمـا ل وقـبـر فـانٍ ومـجـدٍ تقـضّى

إنَّ مجدى فى الحبِّ والصدقِ لا يفـ ـنى ومجدُ النفوسِ بالفخر أحرى

أنت تخـشين أن يقـالَ أحـبَّتْ غير سامى الأحساب منشا ومعزى[1]

هل يفـيـد الإباءُ والشـمم الجمُّ نفـوسًا صرعى من الحبِّ نضـوى

أبعـد الكبـر دانيـات الأمـانى لهف نفـسى على أمـانىَ شـتى

ضـرب الدهرُ بيننا من طبـاع الـ ـسوءِ سترًا فنحن بالحبِّ نشـقى

بين كـبـر وبين جبن ضـيـاع لنفوس بالحبِّ تُمنى فـتـحيـا[2]

مَلَلٌ من الحيـاة

بينا ألذ نعـيمَ العـيشِ فى دعـةٍ رمى بىَ الشكُّ بين السهدِ والمللِ

كـفى بنفـسى داء أننى رجلٌ أخشى الحيـاةَ وأقلى سطوةَ الأجل

أُجَنُّ بالعـيشِ طوراً ثم أبغـضـه مـا أضـيعَ المرءَ بين اليـأسِ والأمل

إنِّى ولعتُ بعـيشٍ كله خـدع كـما برمتُ بعيشٍ غيرِ مـقـتبل

ما من مجير على هذا الملالِ سوى مـوت يبـعِّـد بين النفسِ والعلل

لو كـان لى حيلة أفنى بهـا مللى من الحيـاةِ لما قـصَّرت فى الحيل

---

(١) المنشا : أى المنشأ أى الأصل ، والمعزى : النسب .

(٢) تمنى : أى تصاب .

ذكـــرْ

ذِكـــر كـــأنفـــاسِ المحبِّ إذا تحـــــــرق أو تـلـدد
وكـــأنَّهـــا نشـرُ النسـيمِ إذا تصــوب أو تصــعــد
وكـــأنَّهـــا ورقُ الخـــريفِ إذا تنـاثـرَ أو تـبـــــدد
وكـــأنَّهـــا قـبـرُ الهـوى وخـــمـيلةُ الأملِ المجـدد[1]
ولـربَّ آمـــــال مــــضـت عـاودتـهـا والعـودُ يـحـمـد
فكأننى قـبلت مـيـتـــاً أو نظرتُ إليـــه يـلحـــد
بعض الأمـــانى كـالحـيـاةِ إذا انقـضت ليست تجـدد

رثـــاء عصفــور

لـيت أن الـربيـعَ إذ متُّ مـــاتـا حُلت مـيـتـــاً بين الربيعِ وبينى
كنت حليـاً للروضِ والروضُ غضٌّ بالتـــدلى فى أيكه والتـغنى
فـــرزئناكَ شـــاديًا علم الشـــا عـــر أن يخلب القلوبَ بلحنِ[2]
نغـمـــاتٌ مـثلُ الربيع حســـانٌ وغناءٌ يحـيى الهـوى والتـمنى
كـــفنوه بالغضِّ من ورقِ الور دِ ولا تضـرحـوا الضـريح لدفن[3]
وحـفـيفُ الغـصـونِ أروعُ ناعٍ للذى كـان حليةً فـوق غـصن[4]

---

(١) الخميلة هى الحديقة .
(٢) اللحن : النغمة .
(٣) ضرح الضريح أى حفر القبر وهيأه .
(٤) الحلية : الزينة .

فالأزاهيرُ كالطيورِ على الغصـ ـنِ سكوت والطيـر زهـرٌ يغنى

فى دفة قديمة

ملقاة على شاطئ البحر

لقد جار الزمانُ عليك حتى حكيت عزيمةَ الرجلِ الضعيفِ

تصرّفك الأكفُّ وكلُّ عزمٍ يؤثر فيه تصريفُ الصروف

وللأهواءِ فى الآراءِ فعلٌ كفعلٍ فيك لليمٍّ المخوف

وما هجروك من عبثٍ ولكـ ـنَّ غايات الوسائلِ فى الحتوف

كذاك الناسُ مثلك والليالى وسائلُ للقضاءِ وللصروف

كذاك العيشُ عيش الناس طرًّا وسيلتهم إلى الأملِ الصدوف[1]

ذكرى على جفاء

نسانى طيبُ العيشِ إن كنت أنساكا وما عشتُ حتى الآن إلا بذكراكا

رأيتك معبودَ الجمالِ مُنعَّماً فما حيلتى إن كان قلبىَ يهواكا

تدلُّ علينا بالجمالِ وليتنا ندلُّ بشوقٍ فى القلوب لرؤياكا

وإنّا لنستعدى الوصالَ على الجفا ونخلس حسنَ العيش من حسن مرآكا[2]

متى يجمعُ النأىُ المشتتُ شملنَا فتلثمنى خداً وتُلثمنى فاكا

لعلك يوماً أن ترى فى وصالنا مآرب تدنينا إذا التيه أقصاكا

---

(١) الصدوف : أى المعرض المتجافى .

(٢) نستعدى الوصال على الجفا : أى نستعين به ونطلب منه أن ينصفنا من الجفاء ، ونخلس : أى نسرق .

إلى صديق

إبراهيم قد طالَ اغترابي — فهلا كان عندك بعضُ ما بي ؟

عليلُ النفسِ في بلدٍ غريبٍ — يؤرقه التذكُّر والتصابي

عهدتكَ مرةً تبغي إخائي — وأنت اليومَ توغلُ في اجتنابي ! [1]

أراك على اغترابي ذا ابتعادٍ — وكنتَ على اقترابي ذا اقترابِ

فلولا منزلٌ لك في فؤادي — لأنسانيك هجرك وارتيابي

سلام الله لا أبغي جذابًا — وهل يدنو المنابذ بالجذاب ؟

سلام ليس يغتي عن ودادٍ — ولا يعدى على غدرِ الصحاب

إذا كان الحبيبُ على سلو — فلا يغني التوددُ بالعتاب !

شكوى شاعر

قد طال نظميَ للأشعارِ مقتدراً — والقومُ في غفلة عنّي وعن شاني !

قد أولعوا بكبير السنِّ أو رجلٍ — بنى له الجاهُ ما يغلو به الباني [2]

ولو سفلت إلى حيث القريض لقًى — بين الأثافي وربع المنزلِ الفاني [3]

---

(١) أوغل : أي زاد وجد . والخطاب موجه إلى الأديب الأجل : إبراهيم أفندى عبد القادر المازنى .

(٢) يغلو به : أي يغالي به .

(٣) لَقًى : بفتحتين أي ملقى ، والأثافي : أحجار النار التي توضع القدر عليها .

ولو سفلتُ فقلتُ الشعرَ فى خبرٍ ... من السياسةِ فى زورٍ وبهتانِ

ولو سفلت فقلتُ الشعرَ مبتذلاً ... فى وصف مخترعٍ أو ذمِّ أزمانِ

لقيل : نِعْمَ لعمرى أنت من رجلٍ ... جمّ المحاسنِ من صدقٍ وتبيانِ !

وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكرة ... ومتعةٌ وخيالٌ غير خوانِ

وإنَّما الشعرُ مرآة لغانيةٍ ... هى الحياةُ فمن سوءٍ وإحسانِ[1]

وإنَّما الشعر إحساسٌ بما خفقت ... له القلوبُ كأقدارٍ وحدثانِ

قالوا : أتيت بشعرٍ كلّه بدعٌ ... فقلت : نِعْمَ لعمرى قولة الشانى ![2]

من كل معنى يروع الفهمَ طائله ... معنى من الجانِ فى لفظٍ من الجانِ[3]

من كل معنى كموج اليمِّ مطّرد ... جمّ الجلالِ فلولا الله أعيانى

هذى المعانى تناجيهم فما لهم ... لا ينصتون بأفهامٍ وأذهانِ[4]

متى يتاح لهم شادٍ بما رقصت ... له القلوب وتحنان كتحنانى ؟[5]

هل فى أكابرهم برءٌ لذى أدب ... من كفِّ كلِّ جديبِ الكفِّ منانِ؟[6]

عاطفة شوق

أنا فوق الفراش لا أطعم الغمـ ... ـضَ وقلبى إليك بالأشواقِ

أشتكى ما جنى الفراقُ ويا ليـ ... ـت حنين الغريبِ برءُ الفراق

---

(١) أى أن الحياة حسناء والشعر مرآتها . (٢) الشانئ : المبغض . (٣) يروع الفهم طائله : أى أن معناه يخيف الذهن والفهم بجلاله . مطرد : أى سائر . (٤) أنصت : أصغى .
(٥) شاد : مغنى ، أى متى يجدون شاعراً مثلى . (٦) المنان : الذى يفخر فيؤذى بجوده المكذوب .

يا حليفَ النوى عليك سلامٌ … وحنينٌ يريق ماءَ المآقى

أين أيامىَ التى حسنت حيـ … ـنًا وكأس الشقاءِ غير دهاق ؟

لم تكن كلّها نعيماً ولكنْ … كان ينفى الأسى وجوهُ رفاقى

كنتُ فى مصرَ أندبُ العيشَ والعيـ … ـشُ وريق الغصونِ حلوُ المذاق

فرمتنى النوى بأوجع ما ير … مى به واعظ بغيض الخلاق[1]

ونأت بى عن الأنيس صروفٌ … وكلت بى لواعج المشتاق

لا صديق لدىَّ أشكو إليه … غير غرٍّ بسّام وجه النفاق

عالج الغدرَ والفسولةَ حتى … أنكرته مكارمُ الأخلاق[2]

فاذكر البائس الغريبَ بخير … رُبَّ ذكرى تُعيد عهدَ التلاقى

وأعنى بالدمعِ إنَّ بلاغَ الـ … ودِّ أنْ لا تضنّ بالإشفاق

وهنيئًا لك الليالى المواضى … وهنيئاً لك الليالى البواقى

أنت منى بمنزل الحبِّ فى القلـ … ـب ومجرى الضياءِ فى الأحداق

الحـريّة

حسبوكِ صافيةَ الجبينِ خريدة … تسبى القلوبَ بأكحل وسنانِ

بيضاء ناعمة كأنَّ قوامها … فى لينه غصن من الأغصانِ

هلا رأوكِ وأنت بين معاشرٍ … وضعوا السيوفَ مواضعَ التيجان

ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامَه … كالذئب يعوى بادىَ الأسنان

---

(١) أى وعظتنى النوى بقوارع وجيعة .

(٢) الفسولة : لؤم الخلق .

أو كلما أدمى الذليلَ قيودُه زأرت لديك زئيرةُ الأضغانِ[1]

لا يبلغ المقهورُ منك نصيبَه حتى يضرّجَ بالنجيعِ القاني

عجبًا لقاسيةِ الفعالِ حبيبةً وقليلة الغفران والنسيانِ

سكرى من الدمِ قد أنام ضميرها ومعالج الأضغان كالنشوان

نظرت بعين الصلِّ حين وثوبها نظرًا يسمّ مجامعَ الأشجان[2]

تقسو كما يقسو القضاءُ وإنَّما موتُ الذليلِ وعيشُه سيّان

ولربَّ جرمٍ محوه بجريمةٍ ظلم الظلومِ وقتله جرمان

نبوءة شاعر

لئن خانني الذكرُ الجليلُ وملّني مسامعُ قومى أو غلبتُ على أمرى

سيروى عظامى شاعرٌ بدموعه وينثر أزهارَ الربيعِ على قبرى

إذا جنني الليل البهيمُ أطاف بى خيالاً له يزرى على صفحة البدرِ

يجئ مجيءَ النومِ من حيث لا أرى ويسمعنى ما قد قرضت له شعرى

فيا ساكنًا فى الغيب هذى نبوتى فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى !

أتيح لهم صادٍ إلى النهلةِ التى شربتُ بها ريًّا يبلُّ جوى صدرى[3]

فساموه أن يسعى على منهجٍ عفا قديمًا كما يسعى المقيّد فى الأسر !

---

(١) زئيرة الأضغان : صوتها ، وهنا تشبيه للأضغان بالحيوان المفترس .

(٢) الصل : الحية ، ومجامع الأشجان : أى القلب .   (٣) الصادى : الظمآن .

أنا والغيب

ليت لى نظرة إلى الزمن الآ   تى البعيد الخطا الغريب الحال(١)

فتريح الفؤادَ مما يعانى الـ   ـطرفُ من لؤمِ هذه الأحوال(٢)

أو تميت النفوسَ بالنبأ الأعـ   ـظم إن الوجودَ نحسُ المآل(٣)

فهى بشرى محمودة أو نعىٌّ   لمساعٍ مآلها للفوات

كيف تعنو الأقدارُ للمرءِ والمر   ءُ ستبلى أعماله كالرفات ؟(٤)

ويح شمل الصحابِ لو كان صدق الـ   ـقولِ أن لا حياةَ بعد الحياة !(٥)

أيُّها الغيبُ كم رميتكَ بالظـ   ـنِّ فأبديتَ لى كَوجه السحاب

أنا والغيب كالغلامِ إذا حا   ولَ فتحاً لمغلقِ الأبواب(٦)

ليس يغنى وجيبه وبكاه   ليس تجدى ذريعةُ المرتاب !

---

(١) أى أنى أريد أن أنظر إلى أحوال الدنيا فى الأزمان الآتية لأعرف هل فنى الشر والشقاء الذى بها .

(٢) لأن تلك النظرة تجعل المرء مطمئن البال يتسلى بسعادة الناس الآتية عن الشقاء الموجود الآن .

(٣) أو أن هذه النظرة تدفع الإنسان إلى الانتحار إذا أيقن أن الوجود مآله النحس والشقاء .

(٤) الرفات : عظام المرء النخرة فى قبره .

(٥) أى أنه صعب أن يفارق الصديق صديقه إذا كان لا يوجد بعد هذه الحياة حياة أخرى يجتمعان فيها .

(٦) أى أحاول معرفة الغيب المجهول ، كما يحاول الغلام فتح الباب المغلق فيبكى ؛ لأنه لا يقدر أن يفتحه ، كما أبكى لأنى لا أفهم سر المجهول !

ثــورة النفــس

وللنفس فى بعضِ الأحــايينِ ثورةٌ يكاد لها جسمُ الفتى يتمزق

فيا نفسُ كم تبغين ما ليس حادثاً وحتَّام آمالى لديكِ تحرق

هياج كما هاجت قطاةٌ تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب[1]

أما فى سكون الليل يا نفس واعظ أما فى هدوءِ الروضِ ملهى ومطلب ؟

فهل تحسبين نائماً كلَّ ساكنٍ وهل تحسبين ميتاً كل هاجع

نعم إنَّ للشلال روعاً وهيبةً وربّ جلالٍ للعواصف رائع

نعم للرياح الهوجِ هولٌ وقوةٌ وللبحر أمواجٌ تهيج فتحرب

أغرّك من هذه الطبيعةِ أنها تثورُ فلا يقوى عليها المغلب

وما أحسب اليمَّ الخضمَّ بثائرٍ إذا كان هذا اليمُّ يشقى ويألم

وما القلبُ إلاّ لوعة تأكل الحشا وما الجسم إلا ذلك اللحمُ والدم

نعم أنت فيما تبغضين مصيبةٌ ويا حسن ما تبغين من خيرِ مطلب

ويا حسن ما تملى الخيالات إنها حُلىٌّ على جيدٍ من الدهر أجرب

تريدين أن الجسمَ يغدو كأنَّما يضىءُ به منك الضياءُ المحجّب

إذاً لأراقت كلُّ نفسٍ ضياءها على ظلمةٍ للعيش والعيشُ غيهب

سأبذل جهدى فى تعلم رقصة لأرقصها إن الحوادثَ تطرب !

---

(١) القطا : نوع من الحمام ، والأحبولة : الحبائل التى يصيد بها الصائد الطير . فهياج النفس مثل هياج الطائر القنيص .

فيا نفس قومى فارقصى فى جوانحى كما رقص المجنونُ يهذى ويلعبُ

فلا تعذلونى إنَّ لليأس رقصةً تعلمها المحزونُ من نشوة الأسى

وللنفس آهات من اليأسِ والجوى تحقر آهات الأناشيدِ والهوى

فيا ليت أنى فى فم البرقِ كامنٌ فيودعه الأشجان قلب معذبُ

ويا ليت أنى مثل زوس مسيطرٌ على الرعد إن أغضب كذا الرعدُ يغضب[1]

ولكننى إما صرخت كصارخٍ غريقٍ له صوتٌ من الماءِ خافتُ[2]

وربَّ بليغٍ راجح الرأى والحجى ولكنّه بين الحوادثِ صامتُ[3]

نعم ، نحن أبناء الزمانِ وصرفه وحالاته حتى يتاحَ لنا الردى

فإنْ تكن الحالات تأتى بترحةٍ فنحن بنوها للتجلدِ والأسى[4]

رضعنا من اليأس الصريحِ لبانَه وكان وكنّا فى بطون الحواملِ[5]

فما آمل فينا سوى صنوِ يائسٍ وما يائس فينا سوى صنو آملِ[6]

وفى اليأس يأسٌ يبعث المرءَ بعثةً إلى الغاية القصوى من السعيِ والجد ![7]

فلا تعذلونا دهركم غير دهرِنا فإنّا علقنا بالبعيدِ من المجـ

أفى كل يومٍ يائسٌ بعد يائس ؟ لقد جال ذاك الداءُ كلَّ مجال

وليس الملام وحده بدوائه فلا تطلبوا فى العذلِ غيرَ محال

---

(١) زوس : هو رئيس الآلهة وإله الرعد فى خرافات الإغريق ؛ يقولون إنه إذا غضب سمعوا صوت الرعد . والمعنى : إنى أتمنى أن أكون مثله إذا غضبت سمع الناس صوت الرعد . (٢) خفوت الصوت : عدم ظهوره . الحجا : العقل . (٤) الترحة : ما يسبب الألم ، والأسى : الحزن ؛ أى نحزن ولكننا على حزننا نتجلد .

(٥) اللبان : اللبن . والحوامل : أى النساء الحوامل . (٦) الصنو : ذو قرابة ونسب .

(٧) من الغريب أن اليأس قد يورث النشاط والعزم والشجاعة فى النفوس العظيمة .

فجـر الشـباب

إنى لأَذكُــــر أيامــــاً لنا سلفت كمـا تذكر صوتَ اللجةِ الصدفُ

فكان للفـجـر قلبٌ خـافقٌ أبدًا من الحـيـــاة ووجـــهٌ كله لطفُ

والضوءُ يرقص فى الأنهار موقعه فـقـدُّه مـائسٌ فـيـهـا ومنقـصفُ

وناظر ونجــوم الفـجـرِ مـائلة نحو الغروبِ كما يرنو لها الدنف

وكلمتنى الرياح الهوجُ فى فمِها سرُّ الطبيعةِ مخبوءٌ ومنكشف !

الإيمــان بالحيــاة

لى فى الحياةِ اعـتـقـادٌ لا فناءَ له الكونُ يعلنُه والفكرُ يوضح لى

وإنّمـــا الكون قلبٌ لا سكونَ له حـيـاتُه نبـضـاتُ الحادثِ الجللِ

فـالعينُ ظامئـةٌ ، والنفس ظامـئـةٌ إلى مـحـاسن من قـولٍ ومن عـمل

لا ترجـمـونا بيـأسٍ فى مـقـالِكُم فاليأسُ أقبح ما ينعى على الرجل[1]

أعاظمُ الناسِ فى اللأْواءِ كم صبروا إنَّ العظيم عظيمُ السعى والأملِ[2]

---

(١) ينعى : أى يعاب . (٢) اللأواء : الخطب العظيم .

محبٌ يرد لحاظه

أرد لحـاظى عنك وهى مـشـوقـة ... إليك ولى دون الضلوعِ وجـيـبُ

ولو كـان لى عـيشٌ رغـيـدٌ وحـالة ... تعيدُ كساءَ العمرِ وهو قشيبُ

لأقـدمت إقـدامَ الشجاعِ وكـان لى ... إليك طمـــوحٌ طائرٌ وهبـــوب

ولكن لى حـالاً أخـافُ صـيـالهـا ... عليك إذا صـالـت وأنت قـريـب

أحـبـك حـبًّـا لا يـحـبـك مـثـله ... أبٌ لك ، ذو رفقٍ عليك نجـيـب

فيا بؤس نفسى تضرم الحبّ بالمنى ... وقد علمت مالى لديك نصيب !

العظيم فى قومه

رأيتُ حـيـاةَ الحرِّ فى نفع قـومِـهِ ... ولا خيرَ فى كنزٍ إذا كـان خـافيـا

يغالبُ ما يبليه فى جمعِ أمرِهم ... وإن كان فيهم شاحب اللونِ طاويا (1)

ومـا نصب المصـبـاحُ إلاَّ لضـوئه ... وإنْ كـان فى أحشـائه الدهنُ فانيـا

وليس الذى يحـيـا حـيـاةً ذليلةً ... خليقاً بأن يدعى على العيش باقيا

يفـيض بيـانـاً يقطر الحـزمَ مـاؤه ... فتصغى إليه فى العروق دمائيا

ويبرى سهـامـاً من مـقـالٍ قـويمة ... مـهـذبة يرمى بهنَّ المرامـيـا

يهـدده الجـبـارُ بالضـيم ضلةً ... وهل يستقـاد الحر ما دام آبيا ؟

فـلا تحـسبنْ إن الرجـاءَ مـضلةٌ ... وهل خابَ ذو عزمٍ إذا كـان راجيا ؟

---

(1) الطاوى : الجائع .

نحـــن إخـــوة

إنَّمـــا نحن إخـــوة جـعلتنا ... نزعـاتُ القلوبِ كـالأضـدادِ
إنَّمـــا نحن إخـــوة تركـتنا ... وقَعات الأحقـادِ كالأحقـاد
إنَّمـــا نحن إخـــوة جـعلتنا ... حمة البغضِ طعمةً للأعادى(١)
نتمادى على القطيعةِ والهجـ ... ـرِ فماذا جنى علينا التمادى ؟
قد أقمنا على التخاذلِ دهرًا ... فـدهانا بسـيلهِ كلُّ وادى
وإذا كـانت النفوسُ لئامـاً ... فلماذا تقر فى الأجساد ؟ !

لـذة المحبـوبُ والمحـبْ

أتمنعـون القلبَ من وجـيـبـه ... وتزجـرون الصبَّ عن نحـيـبـه ؟
وتأمـرون الرشـأ الأغـيـدَ أن ... يقسو على ولهـان مسـتطيـبـه
وزاجـر الأغيـدِ عن عـاشـقـه ... كـزاجـر المسعـود عن نصيـبـه
ولذة المحبـوبِ فى محـبِّـه ... ولذةُ المحبِّ فى محـبوبه
وغـفلةُ الفاتنِ عن لذاته ... تزيد قلبَ الصبِّ من لهـيـبـه
ما أنصف الأغيـد من يهـواه إن ... لم يعطه من حسنهِ وطيبـه
مـاذا يرجى المرءُ من حيـاته ... لو منع العاشقُ من حبيـبـه ؟
قـد خلقَ اللهُ الحسـانَ سلوةً ... تشغل قلبَ المرءِ عن كـروبه !

---

(١) الحمة : السم .

الشاعر وجمال الحياة

أيُّهذا العذول فى شهواتِ الـ ... ـعيشِ يدعو إلى حياةٍ عليلَة

نحن كالنحل لا نحب من الزهرِ ... سوى كلِّ غضةٍ مطلولة[1]

لا تلم شاعرًا رأى العيشَ حلوًا ... فأتيحت له الحياة جميلة

هو مهما آتاه فيها نعيمٌ ... لا يرى فى الحياةِ كلَّ فضيلة

فى قبيح اسمه حسَنٌ

إذا وصفوا بالحسنِ مثلك ضلةً ... فمن ذا يسمى قاتل الوجهِ أخرقا

فما الحسن فى خلقٍ ولا فى خليقة ... لديك وليس الحسنُ فيك تخلقا

لقد كانت الداياتُ يسخرن حينما ... وصفن بحسنٍ أظلم الوجه أحمقا ![2]

فكنَّ كمن نادى من الزنجِ أسودا ... فقال له يا أبيضَ الوجهِ مشرقا

وما صاغك الرحمنُ إلا فكاهةً ... وماذا عليه أن يشاءَ وتُخلقا !!

الكاذب

لا تلمه فى كذبةٍ بعد أخرى ... هو أهلٌ لأن يكونَ كذوبا

لو سمعنا له مقالةَ صدقٍ ... لم يكن صدقُه إلينا حبيبا !

---

(١) مطلولة : أى نزل عليها الطل وهو القليل من المطر .

(٢) أى لما رأت الداية المولدة قبح وجهك سمتك حسناً سخراً بك !

قم فبين للناس فلسفةَ الكذ ... بِ وناجز عدوه والرقيبا

وأحق اللئامِ بالسخرِ غرٌّ ... لا يرى حوله بصيراً لبيبا !

خدعته خوادعٌ تصدق النَّا ... سَ وقِدْماً كان اللئيمُ مريبا !

كلمة مدح

شيمٌ كأخلاق المسيحِ كريمةٌ ... ومحاسنٌ لك غيرُ ذات نضوبِ

لطفت كما لطف النسيمُ وأحكمت ... أسباب ذاك الفضلِ والتهذيبِ

وكأنَّها من رقةٍ وعذوبةٍ ... جرعات ماءِ المنهلِ المشروب

تجلو عن النفس القطوبِ قطوبها ... وتزيح يأسَ اليائسِ المكروب[1]

وكأنَّها قِطعُ الرياضِ يعلها ... مطرٌ رقيقُ السجم غيرُ صبيب[2]

العهد والخدر

كم تحت مئزر ذات الخدرِ من دنسٍ ... وفى ابتذالِ ذوات العهرِ من خفرِ !

إنَّ الفضيلةَ لا يودى بها خلق ... قضى به العيشُ فى حالٍ من الغير

حسب الكريم إذا ما غاب عن دنسٍ ... أن لا يسبَّ ذوات العهر بالنظر

فقد تخون ذوات البعل آمنها ... وقد تخون الأُولى ظلوا على حذر

(١) القطوب : العبوس ، وتزيح : أى تزيل .

(٢) يعلها : يرويها أو يسقيها ، السجم : الهطل ، والصبيب : المتدفق .

العـــادات

الا إنَّما العاداتُ كالبحرِ ، والفتى كراكبِ ذاك البحرِ يخشى زماجره

إذا لم يكن ذا دربةٍ بأمـــــورهِ ليوشك أن تطوى عليه زواخره

كذاك ذوو العاداتِ غرٌ وباحث جرئ له رأى على الشرِّ ناصره

فمن لم يميز غثَّها من ثمينها سعى كرحاءِ الشرِّ دارت دوائره

يعيشُ كما عاش الكثيرُ من الورى يجوبُ ظلامَ الجهلِ والجهلُ آسره

أم إسبرطية
قتلت ابنها[١]

فرَّ يبغى من الحمامِ مجيراً فأعانَ الردى عليه المجير

بادرته بحتفه أمُّهُ وهـ ـو على عارهِ إليها حبيب[٢]

ولو أن النذيرَ أوحى إليها وهو فى المهدِ أنه سيخور[٣]

لرمته بجانب الجبل الشا مخ لم تُنْتَزح عليه الغروب[٤]

---

(١) لأنه هرب فى الحرب . (٢) حتفه : أجله . (٣) يخور : يضعف ويجبن .

(٤) كان أهل إسبرطة يرمون الأطفال الضعاف على جانب جبل ، ويتركونهم يموتون . والغروب : هى الدموع .

إن إســـبـــرطة التى قـــمع الطا ... معَ فـيـهـا خـمـيسُـهـا المنصـور[1]

جــعـلـت ذلك الـفــرارَ حــرامــاً ... والـذى يـركـبُ الحـــرامَ مـــريـبُ

أيُّهـا الخـائن الجـبــان خـشـيت الـ ... ـمـوتَ والموتُ حـادثٌ مـقـدورُ

إن أُمـــاً تُعــزَى لـهـــا قـــتـلت فى ... قـتلك العـار لـم يـصـبـهـا مـعـيبُ

شـــرفت ثـم أجــرمـت فلك العـــا ... ر ولكـن لهـــا الجـــوى الزفـيــرُ[2]

مناجاة الحبيب

اللّهَ فى نـزعـــاتِ الـوالـهِ العـــانى ... وفى شـــفـيـعٍ من العـيـنين هـتــانِ

وفى الوجيب الذى تشقى الضلوعُ به ... وفى الفـؤادِ الذى يحنو على الجانى

وفى اللحاظِ التى ناجَت ضميرَك من ... وراءِ مـــســـتـرسلِ الـهـــدبين وسنان

يا نظرةً خلسـت منى على غـــرر ... عـزم الحـسـامِ صـقـيـلاً غـيـر خـوّانِ

لو كنتُ أملكُ أن ترتدَّ خـاسـئـة ... قـبل اجـتـلاء أغنّ الطرفِ جـذلان

لما احتسبتُ فؤادى وهو منصدعٌ ... ولا الشـبـاب الذى أذوتـه أشجـانى

كانت شفاءً فعادت ملؤُها شجنٌ ... فكيف أبرئُ أشـجـانًا بأشـجـان

ورُبَّ ذكرى تهيج الشجوَ عن عرضٍ ... وتتـــرك الدمعَ فى آثارِها قـانى[3]

---

(١) قمع : أذل وأخضع . والخميس هو : الجيش .

(٢) لها الجوى والزفير : لأنه على عاره حبيب إليها .

(٣) قانى : أحمر .

إنَّ الجمالَ لماءٌ طاب موردُه ... فما لحسنك لما طاب أظمانى ؟

فمن لذى شجنٍ بالكبرِ يكتمه ... يحنو على ضاحكِ اللألاءِ ريانِ

صُنْ بالفضيلةِ حسنًا أنت زائنه ... ما كلّ حسنٍ بعف الذيلِ فتان

إنْ كان حبُّك أقصى عنك لى أملاً ... رحب المرامى فإنَّ الذكرَ أدنانى

أنت النعيمُ وأنت السعدُ منعطفًا ... وظل عيش من الإحسان فينان

وأنت كالدهرِ لا يرثى لذى ضرعٍ ... وأنت كالحظُّ فى منحٍ وحرمان

يا مرخى اللحظِ من دلٍّ ومن خَفَرٍ ... ماذا تركت للحظ الآثمِ الجانى ؟

أسائل النفسَ فى أمرٍ يراد بها ... ماذا تعالج من شوقى وتحنانى

ينأى ويدنو كما شاءَ الدلالُ له ... لعب النسيمِ بأزهارٍ وأغصان

فيأسر القلبَ فى جدٍّ وفى لعبٍ ... ويشعل الوجدَ فى وصلٍ وهجران

أهواه والحبّ يدلى لى بمعذرةٍ ... من حسنه وجفاء الهجرِ يَلحانى

فإنْ تناءى فما فى هجرِه سرفٌ ... وإن تدانى فسمح غير منَّان

يتلو على القلبِ فى دلٍّ وفى خفرٍ ... آى الجديدين من حسنٍ وإحسان

فلا يشاركنى فى لوعتى دنفٌ ... ولا يشاركه فى حسنهِ ثانى

جاء الخيالُ مضيئًا فى الدجى مرحًا ... فكيف يصدق ما غالى به مانى[1]

إنَّ الظلامَ على العشّاقِ مؤتمنٌ ... طب بأدواءِ آمال وأحزان

أريق فى الدمعِ ما يعيى الفؤاد به ... إنَّ الدموعَ على الأحزان أعوانى

والدمعُ أخون من ترجى معونتَه ... فى أغيد بحياءِ الوجهِ غصان !

---

(١) مانى : هو رجل يزعم أن لليل إلها هو إله الشر .

الكبر والمجد

أهاب بباغي المجدِ كبر مضلل ... وما الكبرُ إلاّ داءُ من يتوقلُ[1]

وما الكبرُ إلاّ ثغرة يلج الأذى ... إلى المرءِ منها فهو نصلٌ ومقتلُ

إذا ما رمى الرامى به جنةَ العدا ... تغلغل فى أحشائه منه منصلُ

وما الكبرُ إلاّ صنوُ كلِّ جريمةٍ ... وداءٌ نبا عنه المداوون معضل

فلما دعاه الكبرُ طاح به الهوى ... إلى حيث هابَ العاقلُ المتأملُ

يرود مراد الغىّ حتى إذا عنَا ... له آخر الأهواءِ جدّد أول

وما والغ هاب الرجالُ نيوبَه ... يعلّ من الأهواءِ دهراً وينهل

بأرغدَ عيشًا من كريمٍ موادع ... له من رجيح الرأيِ درع ومعقل !

إلى صديق[2]

ليس الذى الهجران من هفواته ... بمعاتبى يومًا على الهجران

ألفيت عتبك يا مراد كأنّه ... سيفٌ له حدّان مسنونان

فإذا ضربت به أصابك نصله ... فمصيبتى كمصيبةِ المطعان

أصرفت عنا أم عرتك ملالة ... أم أسكتتك طوارق الحدثان ؟

---

(١) التوقل : العلو والارتفاع .

(٢) هو الصديق الجليل محمود مراد « كان أستاذا بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ، كما كان أديباً فنانا ، ومؤلفا للمسرح ، وتوفى فى الشباب » .

اعـذر أخــاك إذا تقــاربَ خطوه ... فى الشـعـر أو أعـيى علىَّ بيـانى
ولأنـت تـعـلـم أنـنـى ذو مـنـطقٍ ... يأتى السـمـيعَ بأحـسنِ التـبـيـان
بينى وبينك يا مـراد مـسـافـةٌ ... تنسى الملول أواصـرَ الإخـوان
إنىَّ يذكـرنيك خـفـق أضـالعى ... إنَّ الفـؤادَ لدائمُ التـحـنـان
فـأخوك مثل أبى عـبادة لم يجـد ... (قلبًا يشايعـه على الهجران) !

الزوجـة الغـادرة

« قصـة »

أىُّ شىءٍ يهـفـو بلبِّك عن وصـ ... ـلِ الغوانى وعيش أهل الجدودِ ؟
قـائمـاً فى النعـيم مـثل مـقـام ... طالب الرى فى جوارِ الغـديرِ ؟[1]
لا تُعـدِ لى ذكـرَ الغـوانى فـإنى ... لم أكن عند ذكـرِها بجليـدِ[2]
كلُّ حـسنـاء فى لحـاظى عظامٌ ... عـاريات من البـهـاءِ المنيـرِ
أىُّ شئ أصـمـى صـبـاك بسـهمٍ ... فـأراك الجديدَ غـيـرَ جـديد ؟
اسـتـبق نـهـزةَ المجدُ إلى صـفـ ... ـو زمـانٍ فـينان رغـد نضـيـر
كل خلوٍ من الخطوبِ مُـبـرًّا ... ليس يدرى مـضـاضـةَ المكدود
عش بخـيـرٍ ولا يضـرك يَاسى ... إنَّ ياسى على الحيـاة نصـيـرى
إنَّ قلبى من ذلك اليـأسِ دامى ... ودمـوعى أودى بهـا مـجـهـودى

(١) هذا كلام رجل يعاتب صديقه على عبوسه ويأسه ؛ أى أنت قائم فى النعيم ولكن لا تروى ظمأك منه .
(٢) هذا كلام الصديق يرد على من لامه .

أنـت مـنـى بمـنـزلِ الحـبِّ والـو ... دِّ ومـأوى سـرى ونجـوى ضـمـيـرى

* * *

كنتُ في صحـة من العيش دهرًا ... أتمـنـى زيـادةَ المسـتـزيـد
لا عـبًـا بالنعـيمِ لعبَ نسـيمِ الـ ... ـروضِ يشدو فى الروضِ شدوَ الخرير
فـألاحت لِيَ الخطوبُ لحـيـنى ... بفـتـاةٍ كـبـغـيـةِ المسـتـجـيـد[1]
ولجت فى الصـمـيمِ منى ونالت ... مـا يـشـاءُ الهـوى بدلٌ غـريرِ
فـرأيتُ الحـيـاةَ بغـيـة من يهـ ... ـوى ، وإنَّ الهـوى قـرينُ الخلودِ
وتمادى بيَ ا لغـرور فـيـالهـ ... ـفى على نشـوةِ الهـوى والغـرورِ
عـيَّنـت مـوعـدًا فـبـتُّ أُناجـيـ ... ـه إلى أن دعـا نـذيرُ الوفـودِ
فـأزحتُ الرتاجَ أنظر ضـيـفى ... وسـرورى من اللقـاءِ سـرورى[2]
فـإذا طارقى أخى صنو نفـسى ... ونصـيرى على المنى وعـقـيـدى
جاءَ يسعى سعىَ اللهيفِ ويهتزُّ ... اهتـزازَ المحـمـومِ والمقـرور[3]
قـالَ والدمعُ ملءُ عـينيـه واللحـ ... ـظُ شـريدٌ فى إثرِ دمعٍ شـريد
إنَّ « أسـمـاءَ » لا تحبك فـاستـقـ ... ـبل بحـزم فـواقـرَ المقـدور[4]
هى روحى التى أعـيشُ بهـا وهـ ... ـى سـقـائى الذى به زهو عـودى
وهى مـأواى من مناهضـة الدهـ ... ـرِ ومنجـاى من رجـامِ القـبـور
قلت والدمعُ كـاشفٌ مـا أُداريه ... وصـوتى صـوتُ القـوى الجليـد
ووجـيـبُ الضلوعِ يدعـو إلى الظـ ... ـنِّ بما تحـتـوى ضلوعُ الصـدورِ
يا ابنَ أُمّى ومن أُرَجِّى له عـيـ ... ـشةَ مستـجمع الهوى مجدود

---

(١) ألاح بالشئ : أشار به .
(٢) الرتاج : ما يغلق به الباب .
(٣) المقرور : الذى أصابه البرد .
(٤) الفواقر : المصائب الكاسرة الظهر .

تلك « أسماء » أقبلت تتهادى ... في خمارٍ من حسنِها المستنير
إنَّ حبى لكالرياحِ إذا هاجت زماناً فطيشها لركود
فاستبيني « أسماء » رأيًا رجيحًا ... واعيني أخي بحب طهور
واعلمي أنني خلصت خلوص السحرُ من سر حسنك المعبود
نافضاً عنيَ الغرورَ كما ينفض ليثٌ عنه هباءَ الضفور
فرمتني بلحظةٍ هي كالسهم إذا ما استوى بقلبِ المصيد
ثم قالت والدَّمعُ يطرده الدمعُ على خدِّها طرادَ المغير :
تحسبان العروسَ مثل إماء السوقِ تشرى بصرةٍ من نقود !
أيُّ شيءٍ يجنى أخوك إذا زوّج من لا تقريه غير النفور[1] ؟
فدعاني أخي وقال : أقلني ... إنَّ ذنبي ذنبُ اللئيمِ الحسود
أين كانت رجولتي وإبائي ... وامتناعي على بنات الدهور ؟
سفهًا أن أرومَ غيرَ رغيبٍ ... وشجى أن أحبَّ غير ودود[2]
قدك إني راجعت حلمي ونادانيَ عزم طب بداءِ الأمور
ثم أهوى إلى الرتاج فأجراه قليلًا بهزةِ الإقليد[3]
ومضى يمتطي الطريقَ بعزمٍ مستراب الإقدام والتشمير
فبقينا نجرى العتابَ ونستدفعُ صولاته برأيٍ سديد
وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقًا ... ونعمنا بيومه المشكورِ
ثُمَّ جاءت من بعد ذلك أيامٌ كرامٌ كحلفنا المعقود

---

(١) تقريه : تعطيه وهى من قرى الضيف : أطعمه . (٢) الرغيب : المحب الودود .

(٣) الإقليد : ما يفتح به الباب .

فخلسنا نعيمَها كاغتفال الـ ـطفلِ عينَ المولى لقطفِ الزهورِ
بينما نحن فى رواءٍ من العيش نغطى بظله الممدود
جاءنا زائراً أخى مستنيرَ الـ وجهِ طلقَ الجمالِ جمٌّ النورِ
ضاحكاً كالصباحِ ممتلئاً بشـ ـراً كريم المرأى نضيرَ العود
فلقيناه بالبشاشة ، والتر حيبُ فى طيبه كنفحِ العبير
وأفضنا عليه من كرم العيشِ نعيماً ما إن له من مزيد
ورعيناه آمناً مأمونا مستقرَّ الضحكات جمّ السرور
كنتُ يوماً أرقى من السلم الأعـ ـلى بقايا إلى مكانىَ تودى
فإذا خادمٌ صغيرٌ أتى يهـ ـتزُّ من خوفه اهتزازَ الوكورِ[1]
ثم قال : استمع حديثىَ وانظر سيدى ما ترى بخطبٍ جديد
قد تسمعتُ خلفَ بابٍ من الأبـ ـوابِ يا هول ما جرى فى الخدور !
ربة البيت فى يديها سقاء الـ ـسمِّ والضيفُ خلفها كالعقيد[2]
قالت : اهدأ دعنى أدوف له السـ ـمَّ وأبغى غفرانَ ربٍّ غفور[3]
قد أتانى هواك فى غفلة عنـ ـك فلم ينعقد له مجلودى
أنت روحى التى أعيش بها فاسـ ـتبق روحى معى و كن لى أميرى !
أىُّ شىء هدَّ الأضالع منى ودهانى بهزة الرعديد
كلما رمت ان أقول مقالاً ضلَّ فى منطق الغلام الصغير
فولجت الأبوابَ ممتلىءَ السمـ ـعِ طنيناً من رعدةِ المزؤود
نحن حول الخوان ننتظر الطعـ ـمة مما قد هيأت فى القدور

---

(١) أى اهتزاز عش العصفور إذا هزته الرياح . (٢) العقيد : الحليف .
(٣) أدوف : أمزج .

وهى قد أفرغت لىَ السمَّ فى كو بى وقامت تمر غيرَ بعيد

ثم غافلتُها وافرغتُ كوبى فوق ماءٍ بكوبها منزور[1]

ثم نلنا من الطعامِ بلاغاً وشربنا بسرءاً من التصريد

ثم جاءَ اليومُ الجديدُ فنامت زوجىَ الرود نومةَ المقبور

فَعلَ السمُّ فعلَه فى حشاها ودهاها من الردى بقيود

كلما جننى الظلامُ أتت تطـ ـرقُ فى شملةِ الظلامِ سريرى !![2]

كلمات النفس

وطوراً أكونُ كبعض الهبا ءِ لجَّ به العاصفُ الثائرُ

وطوراً أكونُ كذاتِ القلو عِ همَّ بها الهائجُ المائر

وطوراً أكونُ كأرجوحةٍ يرجرجها طفلُها الجامح

وطوراً أكونُ كغصنِ الجنى يميلُ به الثمرُ الصالح

وإنَّ الجسومَ غذاءُ النفو سِ وإنَّ النفوسَ حياةٌ لها

ورُبَّ نفوسٍ تُعَنِّى الجسومَ وربَّ جسومٍ تُعَنِّى بها

وللكونِ روحٌ وهذى النفو سُ أجزاء من بعض أجزائها

يحللها الموتُ تحليله وتحيا النفوسُ بأزيائها

(١) منزور : قليل . (٢) أى كلما جننى الظلام رأيت خيالها آتياً إلى فراشى .

فيا عجبًا كيف نرجو الحياةَ ولا يعرفُ المرءُ معنى الحياةِ

ولو عرف المرءُ معنى الحياةِ لما جهلَ المرءُ سرَّ الممات

وما ساءَه مثلُ وخزِ الضميرِ ولا ضرَّه مثلُ موتِ الضمير

وقد يخز الشرُّ روحَ الغبيِّ كما يخز الدودُ أهلَ القبور

وجهلُ النفوسِ بكُنهِ النفو سِ مبين لها عن وجودِ الإله

فهل يعرف الغيبَ حيٌّ سواه وهل يفقه الكونَ حيٌّ سواه ؟

عتاب

سهوتم كسهو الموتِ عنّا وفيكم حبيبٌ إلينا مثله ونصير

أأحبابنا لم ينقض الدهر مرتي فإنّي على ريب الزمان صبور[1]

ولكن آمالاً إليكم نوازعا دهتها أمور منكم وأُمور

هنيئاً لكم ذاك التقاطع والجفا فكلُّ حبيبٍ بالجفاءِ خبير

لقد كنت أرجو أن يثوب ضميركم إلينا وكلّا لا يثوب ضمير

---

(١) المرة : الشدة .

المقاطيع

النفوس الضئيلة

أدور بعينى لا أرى غير أنفسٍ ضئال المنى والسعى فى ضعة القملِ
فهم يمدحون الخيرَ من خوفِ سامعٍ وهم يهجرون الشرَّ خوفًا من العذلِ

مصر مهد العلوم

كنتِ مهدَ العلومِ والذهنُ طفلٌ كنتِ أمَّ النعيمِ وهو وليدُ
هل يعودُ الزمانُ بالعزِّ والملكِ وماضى الحياةِ أنَّى يعودُ ؟
نحن نرجو من الحظوظِ معينًا كيف تحنو على الضعيفِ الجدودُ ؟
هل فعالٌ تجلو عن الهممِ العجـ ـزَ ورأى جم السدادِ حميدُ
كم يعيدُ النصيحُ نصحًا وما يو دى بضعفٍ فى أنفسٍ ما يعيدُ !

عظم الشر وعظم الوجود

كلُّ ما فى الوجودِ مما يريق الـ ـدمعَ أو يستميح شجوَ الرحيمِ
كلُّ غدر وقسوة واحتيالٍ واجترام ولوعةٍ وهموم
كلّ شرّ مهما تعاظم ، لو قيـ ـسَ بشأن الوجودِ غير عظيم
عظم للهمومِ غطى عليه عظمٌ للحياةِ غيرُ ذميم

الطبيعة

تعالوا بنا نعطِ الطبيعةَ حقَّها من البثِّ والإجلالِ والصلواتِ

فقد زعموا أنَّ الحياةَ رزيئةٌ إذا لم تنل ساعاتها الحسناتِ
وقد حركت تلك العصافيرُ شجونَا بوقعِ غناءٍ ليِّن النغماتِ

نصير الظالم

غلوا يدَ الجبارِ فى غلوائه فبكم يصولُ إذا أراد ويظلم
إنَّ الذى اتخذ الظلومَ وليه أطغى إذا عدَّ الطغاة وأظلم !

المتعصبون فى الدين

يتهارشون على العقيدةِ ضلّة فعلَ الكلابِ على خبيثِ المطعمِ
إنَّ العقيدةَ فى الضميرِ مكانُها ليست بتحريك اللسانِ ولا الفمِ !

أسف على الأسف

كم قد أسفت على الدنيا وباطلها فما أسفت على شيءٍ سوى الأسف !
وكم سخرت من الأقدار فى صلفٍ فما ندمت على شيءٍ سوى الصلف !

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسِّ لطيفُ الـ ـصنعِ يحكى لطفَ النسيمِ اصيلا
وكأنَّ السوارَ وُكِّل بالمعـ ـصمِ خوفًا عليه من أن يسيلا !

للكاذب

قد عالجَ الكذبَ حتى إنه رجلٌ لو عالجَ الصدقَ يرجو قولَه خابا !
لو واقع الصدقَ يومًا عده خطأً منه فكان على حاليه كذابا !

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ لو ذقتها كنت الغفور الرحيمْ
وكلما أفصح عن شجوهِ ضحكت سخرًا ودلالاً قديم

يا ضحكة الفاتنِ كوني جوى		في الكبد الحرَّى وشجواً أليمْ !

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا		ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ
إذا هو لم يحمله آلمه الطوى		وفي حملِهِ جهدُ المجدِّ المسهدِ !

أنين كأنين الريح

رحم اللهُ محبًا والهًا		لم يجد عن حبِّكم وجه المآبِ
إنَّ مما نابه من هجركم		كأنين الريحِ في الربعِ الخراب
أنا أهواك فهل ترحمني		إنَّما يرحم مذكوُّ التصابي !

الحياء الكاذب

بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما		لبسَ الحياءَ مخادعٌ ومنافقُ
ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً		عما يحث به الحياءُ الصادقُ !

سوء الظن

لا تعد الظن رأيًا صادقاً		يفتح الظن مغاليق الحمام
هو كالأخفشِ في ألحاظهِ		لا يرى الأشياءَ إلاَّ في الظلام !

القدرة والرجاء

ومن شقوةِ الإنسانِ أنَّ اقتدارَه		ضئيلٌ وما يرجو من العيشِ واسعُ
فلو كان ما يرجوه دون اقتدارِهِ		لهان عليه سؤله والمطامع

هائب الموت

متعلق بالعيشِ يرجو صفوَه		كتعلقِ الطفلِ الرضيع بأمهِ
يخشى مجالدةَ الحوادثِ عزمه		والخوفُ ينقض عقدةً من عزمهِ !

ربح وخسران

إذا بلغَ المرءُ الغنَى كـان خـاسـراً ... بنَيل الغنى قدر الذى هو كاسبُه

فـيـربح حـالاً لدنـة الوجـه غـضـة ... ويخسر شيئًا خافيًا عزَّ حاسبُه !

دافع الشر بالظن

ومـتقٍ بالظنونِ الشـر يكلؤه ... دهاهُ بالشـرِّ ذاك الظن من أمِ

ومنزل الظنِ فى صدق وفى كذبٍ ... كمطرح العينِ بين الفجرِ والظلمِ !

السعادة

إنَّ السعادةَ لم تسلس لطالبها ... كـربَّةِ الديرِ لا تحنو على رجلِ

كلتـاهمـا عـفـةُ الأذيالِ طاهرةٌ ... لكنَّ فى المنعِ مزجاة إلى الأمل !

مالك كفاقد

أيا باكيًا يخشى زوالَ محببٍ ... من التلد لا تدنى إليه مسالكهْ

كـأنك لا تبكى لخوفِ افتقاده ... ولكنَّما تبكى لأنك مالكه

الإحسان

كم يضئ الإحسانُ فى عالم الشرِّ ... ضـياءَ المصباحِ تحت الظلامِ

فـيـه برءٌ لكل داءٍ ولو كـا ... ن عقـاماً جـمَّ الأذى والعـرامِ

الود الصحيح

حبـبتك حبى للضمير إذا دعا ... فؤادى إلى حبِّ الفضيلةِ والخيرِ

وإنِّى لأرجو فى إخائك لـذةً ... كلذة أهل الرأىِ فى حسن الفكر

هائب الحياة

لا يهـابُ الحيـاةَ إلاّ جـبـانٌ ... لم تعنه على الحياةِ الجدودُ

إن من لا يخشى الحياةَ خليقٌ   أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدُ

رغبة في العيش

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً   تعودُ بخيرٍ أو تُعين على شرٍّ

لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةً   ولم أحمد الأيامَ أن زيد في عمري

غناء يصم

سمعنا غناءً ما سمعناه رغبةً   ولكن لأمرٍ في الحوادثِ مقدورِ !

تغنيتَ حتى مادت الأرضُ تحتنا   كأنَّكَ إسرافيلُ ينفخُ في الصور !

إراقة العمر

لو كان عمري كأسَ خمرٍ في يدي   ورنَت إليَّ بطرفِها الفتّانِ !

لأرقته طرباً ومن لي أن أرى   لحظاً يروح بفضلةِ النشوان

اسم ممزق

إذا ذكرَ اسمي حسودٌ لئيم   ومزقه بين أسنانه

أبيَ لي احتجازي وكبر حميد   هجو امرئٍ عبد أضغانه !

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً   فما الذمُّ مما قد كرهت بمانعي

لعلك يومًا أن تثوبَ إلى الرضا   فتعلم أني بالرضا غير قانعٍ !

سلوة في جمال الطبيعة

أليسَ يسليك عمن صدّه ملل   هذي الأزاهير أو تلك العصافير ؟

يروح كلُّ جليدٍ في تجلده   وأنت في كفنِ الأحزانِ مقبور !

* * *

شــفــة

شـــفـــةٌ تحلت باللمى ... فــتـبـيـت تحلم بالقــبل !

غــالى بهــا رغــد النعــيم ... وفــوقـــهـــا هبط الأمـل !

إلــه الـرعــد

فى خرافات الوثنية

رب البـوارق تزجيـهـا مـشـفـعـة ... بالرعدِ يضحك ضحك المرءِ من ألمِ

أنزل على الزرع مـا نرجـوه من ديمٍ ... واحبس عن الناس ما يخشى من النقمِ

إنّى لمحـــتك والأنـــواء داجـــيـــةٌ ... يُضيءُ لى فـيك سـرٌ غـيـر مكـتـتـم

فأنت كـالناس فى حلم وفى غضبٍ ... وأنت كـالنـاسِ فى بخلٍ وفى كـرم

لـذة الحــب

حــرم الناس لذة الحب جــهــلا ... وأقــامــوا العــذال للعــاشــقــينا

جـــهلوا أنه المعين على العـــيشِ ... المزيح الأسى عن الفــاقـــدينا

مـتـعـة للفــؤاد والجـسم فـيــه ... مــتـعـةُ العـاشـقين والفـاتـنينا

حـجـة المستـجـدى

شـقيتم بإقـبالِ النعيمِ وشقـوتى ... بإدبـاره إنّ الشـــقـــاءَ فنونُ

شرقتم بصفوِ العيشِ لو قد تبللت ... لهـاتى به كـان الشـقـاءُ يهـون

عتــاب

نعـمنا بكـم حينًا فلمـا صدفـتم ... ثكلناكم ثكل الفتـاةِ رضيـعـهـا

كـمـا أفلتت من قـانص الدرِّ درةٌ ... وقـد أمنت أطمـاعـه ان يضـيعـهـا

الـكسل وصـاحبـه

يحـجمُ حـتى كـأنّمـا خـشـيت ... أعـــضـــاؤه أن يموتَ فى غـــدهِ !

فيدرك الشئَ غيرُ طالبِه ولا ينال المكسوب في يده

وراعَه أن ينالَ ما ضمن الـ ـمسعى فيشقى بقول حاسده

يودُّ أن الأقدار تسعده فيغتدى شاكرًا لمسعده

يحسب أنَّ الأقدارَ ما خلقت إلا لتجرى بنسج سؤدده

المجد والفخر

يطلب المجد كى يصح به العيـ ـش وقد يبتغيه للفخر باغى

فإذا ما رآه خلواً من الفخـ ـر طواه عنه القلى والتنائى !

الوسائل والغايات

إنَّ الوسائلَ والغاياتِ ما اشتبهت على امرئٍ فدواعى الطيشِ فى العملِ

فإنّ من جعلَ الغايات واسطةً أو الوسائل غايات من الأملِ :

لم يستقم سعيه من حيث يممه وعاقه جهله عن دقةِ الحيل

العزيمة المضللة

لعزم ذوى العزم المضلل بالغ من الحزمِ ما لا يبلغ المترددُ

ففى العزم إصماءٌ وفى السعى قدوة ولو كان سعيًا شاردًا ليس يحمد

فقد يخطئ الإنسان ما هو طالب ويصمى من الأشياءِ ما ليس يقصد

سبر غور الرأى

من شاءَ أن يسبرَ آراءَه فليجعل الفعلَ لباساً لها

فالرأىُ مَيْتٌ والمعانى لقًى إذا المساعى عيف إصدارها

الخرافات

أولع الناسُ بالخرافات حتى أسكنوها العقولَ حصناً حصينا

كلما قيلَ قد مضت أوشكت فى خيرِ آراءِ خيرهم أن تبينا

الرحمة تهدى إلى صحة الرأى

وما الرحمةُ الغراءُ إلاّ وسيلةٌ بها يستقادُ الرأىُ والرأى ثاقبُ

وما غلظ الأكبادِ إلاّ نقيصةٌ تُضِلُّ ذكاءَ المرءِ والحقُّ عازبُ

يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها إذا بان منها جانبٌ غاب جانب

حجة الأشقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرٌ سود الخلائقِ لعَّانون للقدرِ

هلا شربتَ من الكاسِ التى أخذت منا مآخذ من سمع ومن بصر ؟

كأس من البؤْس لم ترؤف بشاربها دافت لنا السم فى حالٍ من الغيَرِ !

عزم فى الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ فى الشرِّ يبلغ منه كلَّ ما بعدا

أحقُّ بالمدحِ من مستضعفٍ تعسٍ مقلقل العزمِ لا يصمى الذى قصدا

يرجو الفضيلةَ لكنْ لا يعالجها ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مددا

العقل والخلد

إنَّما العقلُ خالقٌ جعل الخلدَ له فى القضاءِ أمر الحكيم

أبدًا يبرز الذى حاجة النا س إليه من حادثٍ وقديم

وظيفة الإنسان فى الحياة

خلق الإنسانُ كى يمهدَ ما عاقَ عن مسعاه من هذا الوجود

فهو حرٌّ ما سعى فى نهجه يدرأُ العائق بالفعلِ الحميد

وهو عبدٌ ما ازدهته حالة فنبا عن خطةِ الرأىِ السديد

حياة الإنسان

كأنَّ حياةَ المرءِ حسناءُ أرمل ... إذا قيل ساءت حالُها طاب حالُها
لها شافع يدعو إلى الحزنِ حكمه ... وآخر يخشى أن يزولَ جمالُها !

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعْطِ الفضيلةَ حقها ... أصابك من رجس الرذيلةِ عائبُ
وما كنتَ إلاَّ قاذف الريحِ بالثرى ... لوته عليه الريح والترب تاربُ
ألم ترَ أنَّ الشرَ مغرى بربه ... يغالبه عن نفسه وهو غالب ؟

الأديب والشقاء

ألا إنَّ آلامَ الأديبِ لنفسه ... صقالٌ وإنَّ النارَ صاقلةُ العضبِ
ألم ترَ أن القرطَ ليس بحليةٍ ... على الأذنِ حتى تألم الأذنُ بالثقب ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورَها سفهاً ... كلُّ جميل بالعيشِ مغرورُ
الحسنُ فضلٌ ، وكلُّ منفردٍ ... بالفضل جمّ الدلالِ مسرور

حب القدير للعيش

حبَّبَ العيشَ للقدير مساعٍ ... ساميات ومطمحٌ واختبارُ
فلديه الحياةُ نهزةُ نجحٍ ... وابتغاءُ الحمامِ خذلٌ وعارُ
إنَّ حبَّ القديرِ للعيش جودٌ ... واصطبارٌ وهمةٌ واقتدارُ

كاذبان

ونبئت أنى مادح غير مادحى ... رقيبًا على الزلات يوسعنى لوما
لعلَّ كلينا كاذبٌ فى مقاله ... أقرظه ظلمًا ويشتمنى ظلما !

رباعية

من رباعيّات عمر الخيام

الشاعر الفارسى

إرمٌ قـد عَـفَـت وصـوَّح قِـدْمـاً ... فـى ربـاهـا الـربـيـعُ والـزهـرُ

كأسُ جمشيد قد مضت حيث لا حيـ ... ـث لدينا من أمرها خبرُ

لـكنْ الـكرمُ لا يـزال جـوادًا ... بـرحـيقٍ حـبـابه دُرَرُ

ولنا منزلٌ من الروضِ فـينا ... نُ تـروَّى أزهاره الـغُـدُرُ

رباعية أخرى

هاج للقلبِ جدة الحول أشجا ... نًا لديه قـديمةُ العـهـدِ

تأنسُ النفسُ بالتـفـردِ والخلـ ... ـوةِ فى ظلِ حـالهِ الرغـدِ

حيث تحكى الأزهار راحة موسى ... فى بيـاض النوارِ والوردِ

ولها نفحـةٌ كأنفاس عيسى ... باعـثـات للميت من لحدِ

رباعية أخرى

هات لى الكأسَ يا حبيبى دهاقًا ... لا تطع عائبًا كؤوس العقـارِ

إنَّ ثوبَ الوقـارِ ثوبُ شـتـاءٍ ... ليس يغنى فى الصيفِ ثوبُ الوقارِ

انض عنك الوقـارَ وارمِ به فى ... جـمـراتِ للقيظ مثل النار

إنَّما العيشُ طائرٌ بين غـصـ ... ـنين فخذه مآخذَ المستطار

شكوى

أما ترى البدرَ يا حبيبى ... كأنَّه فى الهوى رقيبى ؟

والنجمَ حيران مستفزاً ... يضارع القلبَ فى الوجيبِ

والسحب ترخى عليه ستراً ... كـأنَّهـا هيئـة المريب

والليل بالأفقِ مستقراً ... كأنّه عيشةُ الأديبِ
ما أشبَهَ اليأس بالرجاءِ ... لو دام ما كان يا حبيبي
وأشبَهَ السعد بالشقاءِ ... إنْ لم أجد فى الهوى نصيبى
وأشبه الحب بالعداءِ ... إن كنت فى الحب كالرقيب
مصيبةُ العينِ بالبكاءِ ... مصيبة القلب بالوجيب !

الحب والجمال

عندى من الحبِّ يا حبيبى ... قدر الذى فيك من جمالِ
فالقلبُ أسوان فى وجيبِ ... وأنت جذلان فى دلالِ
وربّ ظمآن من لغوبِ ... يغصّ بالبارد الزلال
وربّ ولهان مستثيب ... أصلحه غائضُ النوال !

الأديب المتكلف

يبيت طوالَ الليل يقدح رأيه ... كما قدح المقرورُ صخرَ زنادِ
يعالج فى نسجِ القريضِ قصيدةً ... كأنَّ له فيها أشدَّ جلاد
فيأتى بها كالبكر قد طال حبسُها ... تحدث فينا عن ثمود وعاد
يقلب فوق الفرش جنباً كأنما ... يحكّ به فى الفرش شوك قتاد
ويزحر كالحبلى إذا آن وضعها ... ولكنّه زحر بغير ولاد !

الثأر

هل الثأرُ يحيى الميت بعد هلاكه ... أم الثأرُ يشفى غلةَ الميتِ فى القبر ؟
الا إنه يحيى العداءَ ويعمر الـ ... ـقلوبَ بأضغانٍ عقاربها تسرى
فلا تحسبنَّ الذنبَ يمحو أخاً لهُ ... ولا تحسبن الشرَّ يدفعُ بالشر

شكوى الزمان

أعيذكَ من شكوى الزمانِ فإنها ... تمر حياةَ المرءِ وهو طلوبها

فأحسنُ من شكوى الزمانِ احتقارُه ... إذا عدوات الدهرِ غالت خطوبها !

خلوة

يا خلوة لى بالحسناءِ أذكرها ... بالليل ، والليلُ والحسناءُ من أملى

وكلما لمست كفاى راحتها ... وقمت ظمآن أبغى رشفةَ القبل

تقول إيّاك إنَّ البدرَ ثالثنا ... يرنو لنا بلحاظ الشكِ والعذل !

العذر فى الهجر

لم يكن عن زهادةٍ ذلك الهجرُ ... ولكن هى الحوادث تُنسى

تتخطى إلىَّ من حيث لم أذ ... نب فأغدو ما بين طرسى ورمسى !

نظرات مسالك

إذا شئتِ أن أنساكِ مما رميتنى ... به ، كيف أنسى أننى لك عاشق ؟

وما نظرات العين إلا مسالكٌ ... إليك وإن عاقتك عنى العوائق !

كاذب أبداً

لام قومٌ أنى وصفتك بالكذْ ... بِ مراراً ومرةً فيك تكفى

ويك لو أننى وصفتك بالكذ ... ب على سبحةٍ لقصر وصفى !

الحب والهجر

يا وصولاً فى التدانى ... وملولاً فى التنائى

وحبيباً ليس يجزى ... عن إخاءٍ بإخاء

وحليف النأىِ والغد ... رِ ودلٌ وجفاءِ

ومطولاً للتراضي وعدواً للرجاءِ

لك في القلبِ مكانٌ ليس يطوى من عفاءِ

غير أن الغدرَ داءٌ لا يداوى بدواءِ !

ذم الشتاء

جاء الشتاءُ وجاءَتنا غياهبُه كأنَّها نكدٌ في قلبِ متعوس !

ترى المدينةَ لا يمشى الضياءُ بها كأنَّها قطعة من وجه إبليس !

عتاب

نعمتم بهجرٍ قد شقينا بطولِه فلا تحسبونا في الودادِ سواءَ

هنيئًا لكم هجرانكم ونزاعنا إليكم وإن كان الملامُ هباءَ

لكل دهر إمام

لكلِ دهرٍ إمامٌ قائمٌ أبدًا يبين للناس معنى الصدقِ والكذبِ

وليس ينسخ ما جاءَ الأخير به معنى تمادى على الأيام والحقب !

صبر في الأمل وصبر في اليأس

طموحٌ ويأسٌ لا يرى المرءُ فيهما سوى الصبرِ خلقًا كابحًا من جموحِهِ

فصبرٌ يُعين المرءَ في حين يأسه وصبرٌ يُعين المرءَ عند طموحه

إذا أكرمتَ اللئيم أهنتَهُ

إذا أنتَ أكرمتَ اللئيم أهنته بفعل حميدٍ ناقدٍ لفعاله !

يرى الحمدَ عبئًا لا يقومُ بحمله فكيف يردُّ الحمدَ غدرُ نباله ؟

صاحب الغيبة

وأكثرُ الناسِ عَيباً للرجالِ فتى جمّ العيوبِ إذا بيَّنْتَ باطنَه

يظن أن عيوبَ الناسِ ماحيةٌ محوَ البراءةِ ما قد بات ضامنه !

الوليـــد

لكأنَّ الوليـــدَ عـــريان عند الـ ـوضعِ تخفى الأقدارُ عنه بضيرِ

تاجر عارضت مساعيه ريحٌ ورمته الأمواجُ فوقَ الصخورِ

فهما خاسران قد ربحا العيـ ـشَ بجاهٍ جدبٍ وجدٌ عثور !

الدهـــر بحـــر

وإنَّما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له والناسُ غرقاه والبؤْسى دواهيه

وما أخالُ حياةَ المرءِ فيه سوى سفينةٍ غفلت عنها عواديه

حتى إذا الحدث المقدور ناهضها بارت بوارَ المساعى فى طواميه !

الحسناء ومرآتها

لا تحسبى أنْ قد رأيت الذى فى صفحةِ المرآةِ مطبوع

فالعجبُ قاضٍ والهوى جائرٌ وإنَّ طرفَ العين مخدوع

حلم

رأيتُ كأنَّا وسْط روضٍ وفوقنا سماءُ هجير نال منه لهيبها

خلعنا ثيابًا قد شقينا بلبسها إذا جمرات الصيفِ غالت كروبها

وفى ساعدى راوٍ من الحسن ناعم له حركات آسر لى خَلوبها

أضمُّ إلى نحرى محاسنَ جسمه وفى النفسِ حاجات بعيد قريبها

فنمنا على الأزهار جنباً لجانبٍ وقد غاب عن عين المشوقِ رقيبها

الجنة الخراب
أو
الشام في عهد الاستبداد
« من الشعر المرسل »

إن الشآم حديقةٌ فينانةٌ ... تهفو بلبِّ الشاعرِ الولهانِ
وكأنما نسجَ الإلهُ جنانها ... شرك النهى وحبالة الأهواءِ
من لي بيومٍ في جنانكِ صالح ... يفديه عمرٌ في النعيمِ غبينُ
مدَّ الظلومُ عليكِ فضلَ عرامه ... والظلمُ موتٌ للنفوس ذليلُ
كالميتةِ الحسناءِ أدركها الردى ... قبل استلابِ الدهرِ من آياتها
فتكاد تحسب في المماتِ حياتها ... لولا افتقاد تنفسِ الأحياءِ
فإذا رأيتَ رأيتَ ثَمَّ محاسنًا ... نسجَ المماتُ لها غطاءَ وقار !

اللئيم المستنبت

مهما تطاولَ بالنباتِ فروعُه ... فأصولُه في الأرض ذات طرائقِ
وكذا اللئيمُ إذا ترافع قدرُه ... غالى برأيٍ في الفسولةِ صادقِ
ولئن أصيب العالمون بجاهه ... فمصابه بالجاه أعظمُ بائقِ !

اليوم وغد

يسوءُك اليومُ فترجو غداً ... إنَّ غداً ليس بيومٍ جديد
فانظر إلى أمسٍ مضى واستعن ... منه على اليومِ برأيٍ سديد

منظـــر

منظرٌ رائعُ البـــهـــاءِ جليلٌ ... يَطَّبِى الناظرين منه بلحنِ

يحمد السمع ما جنته لحاظى ... فكأنى رأيت ذاك بأذنى !

كـاذب لئيـم

حياتُك كلُّها كذبٌ ... وعمرُك كلُّه ريبُ

لقد برَّزت فى اللؤمِ ... إذا ما برز النُّجُبُ

وودُّك ملؤهُ حنق ... وجدّك ملؤه لعبُ

وفيك عن العلا جنف ... وفيك إلى الأذى طربُ

وفى إدبارِك الأربُ ... وفى إقبالِك النوب

وكلُّ رذيلةٍ فلها ... إليك من الخنى نسب

وفيك الشرُّ معهود ... فلا خير ولا أدب !!

عتـاب الملك حجر

لابنه امرىءِ القيس

« من الشعر المرسل »

تريق دماءَ الخمرِ جبنًا وخسةً ... ولو قد أرقت الماءَ كنت ظلوما !

فإنَّ دماءَ الثائرين كثيرةٌ ... وهذى السيوف الباترات صوادى

فهل تترك المصقولَ يشكو من الصدى ... وتهنأُ بالدنِّ الرويِّ شرابا ؟

وإنَّ كـريمَ الطبعِ مـاضٍ بِظِمْـئِـهِ ... ومنجٍ أخـاه من أوارِ صـداه

وكم من كريمٍ بات يعوى من الطوى ... وفى داره الضيفُ الذليلُ عزيز

ومـا حبّك الغـادات إلا نقيصة ... أصبت بها جاهى وكان صحيحا

إذا واقع المرء المسود رذيلة ... أتاها ولم يشهد بذاك رقيب

فإمـا أتاها سيد القوم ناله ... من اللومِ لفـاح بكل حرورِ

كَذلك شهب الطيرِ إنْ مسَّ ريشها ... مدادٌ رمتها بالسهامِ لحاظ

وإنَّ سوادًا فى المداد مبغَّضًا ... لصنو سوادٍ فى الغراب معيب

ألم ترَ أن الليلَ أسترُ للهوى ... وليس على وجهِ النهارِ نقابُ ؟

وما يدرك الشنعاءَ عارٌ إذا زنت ... كما يدرك الحسناءَ وهى كعاب

وما يحفلُ الرائى إذا غاب كوكبٌ ... كما يحفلُ الرائى لفقد هلالِ

ومـا الناسُ إلا كالملوكِ فلا تعبْ ... على القومِ أمرًا أنت فيه ملومُ

أتتركنى بين الملوكِ كأننى ... جنيتُ الذى تغدو له وتروح ؟

ومجدُك من مجدى فكيف أذلته ... ألست ترانى بالعلاءِ خليقا ؟

وكم والدٍ أهدى إلى الذل وُلْده ... وكم ولد أهدى إلى الذلِّ والدا ؟

وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبه ... ويشقى بما لم يجنه ويصابُ

أليس قنيص العمر يعدى قرينه ... ومن يقرب النيران يصلى لهيبها ؟

ومن سكن الوادى شكى من أتيِّه ... ومن يصحبُ الولهانَ يشقى بدائه !

واقعة أبى قير[1]

« من الشعر المرسل »

ملكُ البحارِ أتى يحثُّ سفينَه · كالطيرِ تسبحُ فى الفضاءِ الواسعِ
لجٌّ على لجٍ يدبر أمرها · ثبْت وأجبالٌ على أجبالِ
حتى إذا بلغت أبو قيرَ اعتلى · علمٌ على أعوادها خفّاق
وسفائنُ الإفرنس تنكر أمرَها · حتى أفاق أميرُها المكدودُ
أنّى رمى بلحاظه وجدَ العدا · كالأسد حول فريسةِ المغوارِ
حيل يدبرها المُغَلَّبُ (نلسن) · وكذا العداءُ خديعةٌ ودهاءُ

* * *

ياموقظَ النيرانِ من غفلاتها · ومحرِّكَ الأقدارِ من سكناتها
إنِّى سمعتُك داعيًا فى صولةٍ · فأجابت الأحداثُ فى وثباتها
كم من غريقٍ فى المياهِ ضريحه · ومقطعِ الأوصالِ والأحشاءِ
قذفت به الأمواجُ من أمعائها · قذفَ المريضِ طعامَه المردودا
كم من جريحٍ زاد فى آلامه · ذكرى الزمانِ الناعمِ الفينان
حيث الحياةُ حديقةٌ ، أحداثها · نفحاتها ، ورياضها الساعات
فيجود بالنفس العزيزةِ جوده · بالأهلِ والآمالِ والأهواءِ
يالهف للرجل المفارقِ أهلَه · فى غمرةٍ من دونها الغمرات
ما حلَّ بالأحياءِ بعد مماته · قد حلَّ بالمقتولِ قبل مماته

---

(١) « هى الموقعة التى حطم فيها أسطول نلسن مراكب نابليون الراسية فى خليج أبى قير عام ١٧٩٨ » .

وكذا الحياةُ إذا بلوتَ أمورَها	خدع السراب الراقصِ الخدّاعِ
يارُبَّ عيشٍ في المماتِ منعمٍ	ولرب موتٍ في الحياةِ ذليل !

* * *

ماذا أعدّوا للشقاءِ وحزبِه	لما أعدوا للعداءِ عديدَهم ؟
الفقرُ بين ربوعهم ذو عدوةٍ	والجهلُ في أرواحهم فعال
تبني السفين بما يزيل خصاصة	ويبيد فعلَ الجهلِ بالأرواح
والمالُ روح الكونِ حين تصونه	إلاَّ عن الوجهِ السديدِ الأقوم
انظر إلى الأسطولِ بعد بهائه	قد صارَ أشلاء على أشلاءِ
قابيل في أرواحنا مستنكر	متحكم متاسد متمادى
ماذا دهى الإنسان حتى إنه	يتطلبُ الإصلاحَ بالإفساد ؟
هل بعد ذاك على فسادِ نفوسنا	نبغي الدليل لمنكر وممارى ؟
لو يعلم المغرورُ يومَ فخارِه	إنَّ الفخارَ خديعةٌ لإسار
لطغى وثارَ ونالَ من قوادهِ	نيلَ الحديدِ من الأسيرِ المصفدِ
ويل القوى من الضعيف إذا طغى	ويل الضعيف من القوى العادى !
او لم يخبّرك الزمانُ وصرفه	أنَّ الذليلَ قنيصةُ الجبار ؟ !

نابليون والسَّاحرِ المصرى

« قصـــة »

« من الشعر المرسل »

سـدكت بنابليـون سـالبـة الـكرى — والـنـومُ لا يـعـنـو لـكـلٍّ عـظـيـمِ

فى ليلةٍ قلبُ اللئـيمِ كـقلبِـهـا — زنجـيـةٍ قـد عُـرِّيَتْ من حليـهـا

فـإذا أراد الـطيفُ أن يسـرى بهـا — منعـت مـهـابتُـه الظلامَ من السرى

عبست فـخـال الأُفق طلعـةَ قـاتلٍ — جـهـمِ المحـيـا رائعِ اللحظات

وتنفـست نفس المحبِّ إذا قـضى — وحـبـيـبـه بحنينِه لم يعلم

هل أطفـأتكِ يا كـواكب ريحـهـا — أم لم تضـئك مـلائك الرحـمن !

خـرج العظيمُ يخطُّ فى ترب العـرا — خـطَّ المـدلسِ فـى تـراب الـطـالـعِ

ولـو أن وجـــهَ الأرض دهرٌ واسعٌ — كـانت خطوطُ حـذائِه أحـوالا

يمشى وحـيـداً فى الخـلاءِ وحـوله — جـيشٌ من الآراءِ والعـزمـات

يرمى بعين النسـرِ أرجـاءَ العـرا — كـالقـانصِ الرامى بسـهمٍ صـائبِ

فـرأى على بعض التـلالِ بقـربه — شبحـاً كـمـا نظر المريضُ الهـالكُ

متـعـمـمـاً بعـمـامـةٍ مـهـدولةٍ — متلفـعـاً بعـبـاءةٍ سـوداءِ

فكأنَّمـا اتخـذ الهـلالَ عـمـامـةً — ثـم ارتدى قطعـاً من الظلمـاءِ

تجـرى الريـاحُ خـلال لحيتـه التى — صـبـغت بلون غـدائر الشـمطاءِ

وتـهـزها حـتى لتلطم وجـهـه — لطم الرضـيـعِ عـوارضَ الآبـاءِ

النارُ من ألحاظه مقدوحةٌ — حتى تكاد تشبّ فيما ينظر
فى كفِّه عودٌ ضئيلٌ ، صوته — شكوى المريضِ إلى الصديقِ العائدِ
يستخرج الألحانَ من أضلاعه — والعودُ فى تحنانهِ يتألمُ
يبكى فيهتاج الرياحَ بكاؤه — فكأنما ضمنت قلوبًا ترحم
لمَّا رأى الجبارَ يمشى قربه — والليلُ يسجدُ فى غلالةِ راهب :
رفعَ الغناءَ ومرَّ فى إنشاده — مرَّ النسيمِ على الربوعِ الخالية
يا أيُّها البطلُ العظيمُ الغالبُ — أرح الخطى واسمع نبوءةَ ساحرِ !
درسَ النجومَ فلم يغادر غامضًا — حتى أُتيح له الجليل الغامض !
وله من الجنِّ الكرامِ معاشرٌ — يأتونه بنفائسِ الأخبار !
كم قد سقيت من الدماءِ طماعة — لك خيرها وعلى سواك خراجها
فى كل جرحٍ مقْوَل ذو سطوةٍ — يدلى عليك بحجةٍ بيضاء
ولسوفَ تبلغُ بالسيوفِ مبالغًا — تدعُ الممالكَ فى يديك بيادقا
لكنْ سيعقبكَ الزمانُ وصرفهُ — زمنًا يكونُ به الطليقُ أسيرا
فى صخرةٍ صماء فوق جزيرةٍ — فى البحرِ يضربها العبابُ الأعظمُ
يسعى بكَ الجبار سعىَ موكلٍ — فيظلُّ يأكلُ من حياتك كيدهُ
فاستلَّ نابليونُ سيفًا ماضيًا — لما رأى العَوَّادَ ساءَ مقاله
لكنهُ ضربَ الهواءَ بسيفه — حيث اختفى المتنبىءُ السحارُ !
فأعاد فى الغمدِ الحسامَ تخوُّفاً — ومضى إلى أصحابه يتعجبُ !

« تم »

الجزء الثالث

أناشيد الصبا

وما الشعرُ إلا القلب هاجَ وجيبُه	وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مثيرُ
وللريحِ هباتٌ وللنفس مثلُها	تغنى رُخاءٌ فيهما ودَبورُ

(من قصيدة « الشعر والطبيعة » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى عام ١٩١٥

إهـداء الـديـوان

صديقى الأعز:

الأستاذ الأديب والشاعر الجليل:

إبراهيم عبد القادر المازنى

أهديك هذا الديوان هدية ود ، أنشدك فيه قولَ أبى تمام :

وقلتُ أخ قـــالوا أخ من قـــرابةٍ   فـــقلتُ لهم إن الشكولَ أقـــاربُ
نسيبىَ فى عزمى ورأيى ومـذهبى   وإن باعـدتنا فى الأصولِ المناسبُ

كلمة لصاحب الديوان

فى :

العاطفة فى الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء ، لابد أن تتهيأ تهيؤا خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ، ويطال بعضها ، ويشد وتر ، ويرخى آخر ، والشاعر لايمكنه أن يهيئ روحه كذلك متى شاء . بل لابد من أسباب يتوخاها زمناً ، حتى يساعده الطبع فتتهيأ نفسه ، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألحان . والشاعر الكبير لا يكتفى بإفهام الناس ، بل هو الذى يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم . فيخلط شعوره بشعورهم ، وعواطفه بعواطفهم . ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها فى غيره من أصناف الشعر . وسيأتى يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره . فالشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة . وإنما تختلف العواطف التى يعرضها الشاعر . ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع . فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب ، وذكاء ، وخيال واسع ، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، ودرس اختلافها وتشابهها ، وائتلافها وتناكرها ، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها ، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس . فينبغى للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعانى الشعرية . وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته . وينبغى له أن يعود نفسه على البحث فى كل عاطفة من عواطف قلبه ، وكل دافع من دوافع نفسه . لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة ، شريفة ، فاضلة ، أو قبيحة مرذولة وضيعة .

والحياة فى نظر الشاعر الذى يعيش لفنه الجليل ، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها . ففيها نغمة البؤس والشقاء ، وفيها نغمة النعيم والجذل ، وفيها أنغام الحقد واللؤم ، والشر والندم ، واليأس والكره ، والغيرة والحسد ، والمكر والقسوة ؛ وأنغام الرحمة والجود ، والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير هو الذى يتعرف كيف يقتبس من

هذه الحالات أنغامها ، ويصوغها شعراً . وهو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود ؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء . وهو الذى يحكى قلبه الأركستر الكثير الآلات ، الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضاً أركستر آلاته الناس ، وعواطفهم وأعمالهم ، والرياح والأمواج ، والطيور والحيوانات ؟ كذلك قلب الشاعر أركستر آلاته العواطف . ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر الكبير إلا فى نوبات انفعال عصبى ، فى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه ، وتتضارب العواطف فى قلبه . ولكن تضارباً لا يزعج نبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه . ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل ، من غير تعمد منه لبعضها دون بعضها . أما فى غير هذه النوبات ، فالشعر الذى يصنعه يأتى فاتر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير . وإدمان الاطلاع أساس فى الشعر ؛ لأنه هو الذى يهئ الطبع . أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فدليل على أن الشاعر غير مُهيء الطبع ناضبه ؛ ليس فى أعصابه نغمة ، ولا فى قلبه عاطفة .

وإذا نظرت فى الشعر العربى ، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم . والسبب فى ذلك أن النفوس كانت كبيرة ، والعواطف قوية ، لم يتلفها بعد الترف والضعف ، وغير ذلك من الصفات التى تطرقت إلى الأمة فى عهد الدولة العباسية ، وما بعدها من العصور ، التى أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة ، والمغالاة الكاذبة ، والتلاعب بالألفاظ ، والخيالات الفاسدة . وشعر الأمة مرآة حياتها . فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة ، كان شعرها شديد التأثير ، صادق العاطفة . وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة ، كان شعرها ألفاظاً مرصوفة ميتة ، ليس فيها عاطفة . والعواطف هى القوة المحركة فى الحياة ، وهى للشعر بمكانة النور والنار .

الحب والموت

حنيني إلى وجه الحبيبِ جنونُ ... جنون يهيج القلبَ وهو شجونُ
أحبك لا حبي عليك بسُبَّةٍ ... ولا أنَّ وجدي في هواك يشينُ
وحسنك يجلو النفسَ من كلِّ ريبةٍ ... ويطهر قلبًا في هواك طعين
فجد لي بذخرٍ من ودادك خالدٍ ... فكلُّ قليلٍ من هواك ثمين
وإنّ ظنوني في الحياة كثيرةٌ ... ولكنّ ظني في هواك يقين
فواحسرتا لا لي إليك وسيلة ... ولا أنّ قربًا في الحياةِ يحين
وقربك إشفاقٌ وبرٌّ ورحمةٌ ... على مهجةٍ إن لم تبن ستبين
وكيف أُرجّي منك عطفًا ورحمةً ... ولم يفش سر في الضلوع كمين
ولم تدر أني منك ضامرُ لوعة ... ولا أن قلبي في هواك رهين[1]
عسى مخبرٌ عما أعانيه في الهوى ... فيؤمل خفض من رضاك ولين[2]
نهاري حنينٌ واشتياق ولوعةٌ ... وليلي حنين في الهوى وأنين
وما الدهرُ إلا البحر والموت عاصفٌ ... عليه وأعمار الأنام سفين
فلا تعصفوا بالهجر والبعدِ والقلى ... فما لي على هذا الشقاءِ معين
تبشرني الآمالُ بالقرب منكمُ ... فياليت آمالَ النفوس يقين
ويا ليت لي نهجًا إليك وحيلةً ... وياليت عطفاً من رضاك يكون
وياليت أني مُقعد في دياركم ... مقيم على صرف الزمانِ ركين
وياليتني شيء إليك محبب ... وأنت به طول الحياة ضنين

---

(١) ضامر أي مضمر .

(٢) الخفض : رخاء العيش ضد الشدة .

وياليت أن القربَ ينصف والنوى ... فيحمد عز فى هواك وهونُ
وياليت بى نوعًا من النحس واحداً ... فإن شقائى فى هواك فنونُ
يغير صرف الدهر ما شاء فى الورى ... وحبك فى القلب اللجوج مكين
فلا تنخدع بالناس عنى فإنهم ... كلاب ترى أن العواءَ يزين
أعزُّ صديق فى الخفاءِ يكيدنى ... وأصدقُ صحبى فى الودادِ يمين[1]
وكلُّ فؤادٍ فى المحبة كاذب ... ولكن قلبى فى هواك أمين
ومن يصحب الأيامَ من بعد خبرةٍ ... يقلّ لديه تافه وثمين
وكيف أضل الحقَّ فى العيشِ طرفةً ... ولحظك فيه الحقُّ وهو مبين ؟
غدا يكثر السالون منا ومنكمُ ... ويرقأ دمعٌ بيننا وشؤون[2]
ونصبح لا قلب يحن إليكمُ ... وتغمض عنكم أعين وجفون
وكم قبلنا خلّى حبيبٌ حبيبَه ... وكم من قرينٍ بان عنه قرين
ويفجع ريب الدهرِ بالكف أختها ... تبين شمال أو تبين يمين
ونبكى على حسن طوته يد البلى ... ومن بُزّ عنه الحسن فهو غبين[3]
وما كنتُ أدرى أن حسنك زائل ... وأن عزاءً عن هواك يكون
فلا يخدعنك الحسن فالحسنُ طرفةٌ ... تمر كحلم العينِ وهو ظنون
غداً يكثر الباكون حولى وحولكم ... وما الناسُ إلا هالك وحزين
غداً يستذل الموت منا ومنكم ... وكلُّ نفيسٍ فى الممات يهون
فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم ... وأى دفينٍ يستبيه دفين[4]

---

(١) مان يمين أى كذب يكذب . (٢) الدمع يرقأ أى يغيض ويجف . والشؤون : مياه الدموع .
(٣) بز عنه أى خلع . (٤) يستبيه أى يسبيه .

ويسعى على قبرى وقبرك بعدنا	من الناسِ خب ما كرٌّ وخؤون
وتمضى الليالى والشهورُ وتنقضى	قرونٌ على أعقابهن قرون
كأن الفتى لم يَحْيَ يومًا لحاجةٍ	إذا ما دهته بالعفاءِ منون !

بين الحياة والموت

وقفتُ على البحر الخضمّ عشيةً	وللريحِ فيه والعبابِ بوادرُ
وقد بسط الليلُ البهيمُ جلالَه	وللسحب نوءٌ هاطل اللجِّ هامرُ
وللرعد ضحكٌ رائعُ الصوتِ هائل	كأنَّ ضجيجَ الرعد بالناسِ ساخر
أقطّع قلبى بالبكاءِ وبالأسى	وحبُّ الردى داءٌ دخيل مخامر
بكيتُ بكاءَ اليأسِ لا يأس مثله	وقلت وبى من سانح الموتِ خاطر :
أجرنىَ من ظلم الحياةِ ولؤمها	فإن شقائى مثلُ لجِّك زاخر
أرى كفنًا من نسجِ موجكَ أبيضا	تمزقه الأرواح وهى ثوائر(١)
وأنت مهاد لين الطىِّ ناعمٌ	ونعشٌ لمن يرجو الردى ومقابر
فأغرقَ ضحك الرعدِ شكواى ساخرًا	وأبتُ بهذا العيش والقلبُ صاغر(٢)
أعالجُ صرف الدهر فى غيرِ مطمعٍ	وأفعل ما تُملى علىَّ المقادر
ولكننى أرجو من الموتِ راحةً	ويفزعنى وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه	وللعيش نابٌ قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشاربٍ	وإن سلبت منه النهى والسرائر
فها أنا بين العيش والموتِ واقف	فهل مخبر يدرى متى أنا سائر ؟

---

(١) الأرواح : هى الرياح .	(٢) صاغر : أى ذليل .

لعل الذى أرجـــو من الدهرِ واقع فقـد كان ما قـد كنت دهراً أحاذر

عسى أن يعودَ العيشُ جما جماله ففى الروض فينان وفى الأفق زاهر(١)

ويكشف صرف الدهر عنى غشاوةً من اليأس لا تجدى لديها البصائر

فلا تعذلانى بارك الله فيكما فإنى بهذا العيش راضٍ وصابر !

حكمة التجارب

انضِ عنك الحذار من حدثِ الدهـ ـرِ فليس الحذارُ يغنى فتيلا (٢)

ليس تجدى تجاربُ المرءِ لو شـ ـبَّت لها فى الفؤادِ داء دخيلا (٣)

فارق فوق نار قلبك ما اسطعـ ـت عزاء جمًّا وصبراً جميلا

ودع الناسَ يهـذرون بما شا ءوا فلسنا نخافُ قالاً وقيلا

إنما العيشُ أنْ تكون جريئاً ليس تُرضى الحياة غمراً ذليلا

وتلين الحياة للثابت الوا دعِ لا من يخافها أن تهولا

كن كثيرَ العزاء عن كل ما فا ت ولو كان فى الحياةِ جزيلا

خذ بنصحى فقد حييتُ كثيراً ولو أنى لم أمض عمراً طويلا

عشتُ فى كل ساعةٍ أبد الدهـ ـرِ وعالجتُ نضرةً وذبولا

ورمتنى الحياةُ بالحلو والمـ ـرِّ فطوراً رغداً وطوراً وبيلا

ورفعت الستارَ عن خدعة العيـ ـشِ وقهقتُ وانتحبت عويلا

وصحبتُ الحياةَ فى حالتيها وخبرت القنوطَ والتأميلا

---

(١) فينان : أى كثير الورق والأزهار . (٢) لا يغنى فتيلا : أى ليس له فائدة ، ليس له حتى النفع القليل .
(٣) يجدى : أى ينفع ، والماضى أجدى .

وأعـــاد الأنامُ قـــصـــة من مـــا ... ت فكـانوا قـــابيلَ أو هابيـــلا

فـــتـــرى الخلقَ فى المطامع إمّـــا ... قـــاتلاً ظالمًا وإمـــا قـــتـــيـــلا

ما ترى الناسَ فى الحياةِ حيارى ... ضلَّ من كان عالمًا أو جهولا

لا تُعنّى بأمـــرها النفس يومـــاً ... فـتـصـيـر الحياةُ فيك كبولا

ثم لِنْ للزمانِ ما اشتد واجعلـ ... ـه إذا لان نجـعـــة ومـقـيـــلا

إن يكن ينفع البكاءُ فـــإنا ... قد بكينا على الحياة طويلا

ورأينا الحـيـــاةَ من كل وجـــهٍ ... وعـشـقنا كمالهَا المستحيلا

ورجـعنا إلى الحقـائق حتى ... لم نعد نحسب الخيالَ جميلا

ما لهذا الليل البهيم حزينٌ ... مطرقٌ يبحث الحياةَ طويلا

سل عيونَ الظلام أنجمه الغـ ... ـر أمَـــا آن حـــزنُه أن يزولا

أحـــداداً على الورى يلبس الحـا ... لك من جنحـه يئل أليلا ؟[1]

أم لأمـرٍ مـخـبـأ فى حشـاه ... لم يُدانِ ألبابنا والعقولا ؟

أم سديل يخفى المقادير عنا ... وستار فقد مللنا السديلا ؟ ![2]

الدفـــين الحـى

أخـلاى لا والله مـا بىَ جـفـوةٌ ... ولا أنا أخشى أنها ستكونُ

وأذكـركم ذكـر النعيمِ ومـالـه ... من القلب إلا زفـــرةٌ وحنين

ولـكـن همًّا فى الفـؤاد مقـرّه ... وفى الدم والأحشاءِ ليس يهون

---

(١) أليل الليل : ما يتخيله المرء من الأنين فى سكونه التام . وهذا خلاف صفة الليل بأنه أليل بسكون اللام فلا يلتبس على القارئ .

(٢) السديل : الستار المسدول .

تضيق عليَّ الأرضُ من جنباتها ... كأني على قيد الحياةِ دفينُ
دفينٌ طواه الأقربون بلحده ... وظنوه ميتاً إنها لظنون
رأوا غفوةً منه تغر كأنما ... دهته من الدهرِ الخؤون منون
فدلَّوْهُ فى قبر سحيقٍ وأطبقوا ... عليه رجام القبر وهو ركين[1]
أفاقَ وما يدرى أفى الحلم ما يرى ... وهيهات منه إنه لدفين
فهاج هياج النسرِ فى الأسر طرفُهُ ... وأدركهُ حتى الممات جنون !

الحسن مرآة الطبيعة

قم بنا نعشقُ النجومَ حبيبى ... أوشك الليل جنحه أن يزولا
قم بنا نخلس الزهورَ من الحـ ... ـبِّ ونسقى الرحيقَ والسلسبيلا[2]
وأرى البدرَ فوق وجهك يا بد ... ر نعيماً جمًّا وحسنًا صقيلا
قم بنا نعشق الحياةَ حبيبى ... لا تدعنى متيمًا مخذولا
أنت مرآة ما يجيء به الكو ... نُ من الحسنِ بكرةً وأصيلا
فأرى فى الصباحِ منك ضياءً ... وأرى فى المساءِ منك ذبولا
وأرى فيك للظهيرة حرا ... وفتوراً لذًّا وظلاً ظليلا[3]
وأرى فيك نسمة كليالى الـ ... ـصيفِ حيث النسيمُ يسعى عليلا
وأرى منك فى الخريف شبيهًا ... ثمرًا يانعًا وزهرًا جميلا
كم جميلٍ يزهى بحسن عميمٍ ... حجب الموتُ لحظه أن يصولا

---

(١) رجام القبر : أحجاره . والركين : الثابت .
(٢) خلس : أى سرق .
(٣) لذا : أى لذيذًا .

ذو بهـاءٍ ونضـرةٍ وضـيـاء   منع الموت أمـره أن يطولا
أكلته الديدان ميتًا وقد كا   ن يعـافُ العناقَ والتـقبـيـلا
هـكـذا سنةُ الردى وقـديمًا   أهلك الناس نشأهم والكهولا !

سحر الربيع

أتعـرف أنفـاسَ النسـيم المعطرِ   وبهـجـةَ أزهار الربيعِ المبكرِ ؟
وهل قـمتَ فى أظلاله بين نسـمةٍ   تفـوح وغـصنٍ ناعم مـتـاطر[1] ؟
وهل ذقت من غـدرانه الماءَ صـافيًا   فذقت به من نشوةٍ كأسَ مسكر ؟
وهل غـرَّد الغـرِّيدُ فى فلق الضـحى   ومن تتطاير شجوه الطيرُ يعـذر[2]
كـأنك منهـا بين عـودٍ وقـينة   ودفٌ ومـزمـار وصنجٍ ومـزهر
وهل ألقـت الأغـصـانُ أوراقَ زهرِها   عليك سـقـوط اللؤلؤ المتـحـدر ؟
وهل واجهتك الشـمسُ من كل وجهةٍ   بضـوءٍ كـألهوب اللظى المسـتـعر ؟
ونلـتَ من الأزهار مـا بين لؤلؤ   ودرٌ وياقـوت يروق وجـوهر ؟
وهل حركت فيك الأزاهير صـبوةً   يُشبُّ لظاها بالمنى والتـذكّـر ؟
وظل فـؤادٌ بين جنبـيك خـافـقًا   خـفـوقَ الرياحِ بالرداءِ المنشَّـر
وإن يك حـالُ القلبِ عـمـا عهـدته   فهل دام ذو عـهـدٍ فلم يتـغـير[3] ؟
وهل مدّت الأشجارُ نحوك شرَّعًا   غصون جنى من مثمرٍ أو منور[4] ؟
وهل ذقتَ طعمَ الحبِّ تحت ظلالها   وفزتَ بيومٍ طيب الذكـرِ أزهـر ؟

---

(١) متاطر : أى متثنى .   (٢) الغريد : الطير المغرد .
(٣) حـال : أى تغير .   (٤) الغصن المنور : أى الذى به نور وهو الزهر الأبيض .

وشاب بياضَ النور للشمس صفرةٌ — فظل كليلٍ ساطعِ البدرِ مقمر

هناك يلذّ النفس أن تُحدث المنى — وتبصر حلمَ المطلبَ المتوعر[1]

إذا أنتَ لم تدر الربيعَ وسحره — ومن يلق ما لاقيت يا قلب يُسحر

ولم تعترف بالحبِّ والوجد والصبا — ولم تر أثناءَ القضاءِ المقدر

ولم تسرِ ليل الصيفِ فى أخرياته — ولم تر صبحًا كالغدير المفجَّر[2]

وإن أنت لم تَهوَ النجوم وومضها — ولم تدر منها مَخبرًا أىَّ مخبر[3]

ولم تلتمس فى كلِّ شئٍ جمالَه — ولم تهوَ وجهَ الحسن فى كل منظر

فكن حجرًا لا حس فيه للامسٍ — عديم الحجى ملقى بأكنافِ محجر !

جنة الحب وجحيمه

ما أحسنَ الحبّ يا حبيبى — وأحسن الحسن لو يدومْ !

لست أريد الخلودَ دارًا — إلا إذا كنتَ لى نديمْ

ما أهون البؤس حين تبدو — وأهون الوجد والهمومْ

متى أراكم فأى عيشٍ — أخشاه أو حادثٍ أليم

ونظرة منك يا حبيبى — أشهى من الخلد والنعيم

من جنة الخلد فيك حسن — وفيك من زهرها نسيم

فأنت زهرى وأنت خمرى — وأنت برقى الذى أشيم

وأنت لى بالنهار شمسٌ — وأنت بالليل لى نجوم

---

(١) أى أن جمال الرياض يبعث على التمنى . (٢) أى انبعاث الضوء فى الصباح مثل انبعاث الماء المتدفق . (٣) مخبراً : أى الشئ المختبر المعهود لكثرة ترديد البصر فيه .

إنْ غــبتَ عنى فــأى نورٍ ... أراه أم مــطــلــب أرومْ ؟
إن غبت عن مسمعى وطرفى ... فالعيش من بعدكم جحيم
وإن تعــد لى يعــد نعــيــمى ... وينجلى الشكُّ والغــيــوم
وإن تعــد لى يعــد ســرورى ... وينقض الحــزن والوجــوم
أحب عـــيــشى إذا دنوتم ... والعيش من بعدكم عقيم
فــلا رجــاء ولا فــعــال ... ولا مـــســـاعٍ ولا مَــرُوم
والعيشُ من حسنكم صحيحٌ ... وهو إذا غــبــتم ســقــيم
والعــيش من لحظكم مـضيءٌ ... وهو إذا غــبــتم بهــيم[1]
أنـــتـــم دواءٌ لـــكـــل داءٍ ... فـــأبرئوا قلبى الكليم
فالقلبُ فى حبكم كتوم ... لكنَّ دمـــــعى به نموم
غــــداً ينال الممـــات منا ... فــمن دفين ومن رمــيم[2]
فخففوا هجركم قليلاً ... فالموتُ من خلفنا غريم[3]
وكلنا بالحــيــاةِ صبٌّ ... لكننا للردى خـــصـــوم !

حسرة العيد

أعــيــدٌ وقلبى من رضــاك بعــيــدُ ... فيا عجبًا للدهر كيف يكيدُ ؟
وهل لك فى ذا العيد يا قلب فرحة ... أم العيدُ نحسٌ ليس فيه سعود ؟
وكيف يسر العيدُ قلبى ، وودكم ... وإن قــربت منا الديار بعــيـــد ؟
وكيــف أرى للعيد طعمًا ولــذةً ... ودون فــؤادى من هواك وَقــود ؟

---

(١) بهيم : أى مظلم . (٢) الرميم : الذى صار رمة بالية . (٣) الغريم : المطالب بالدين .

أرى العيدَ يدنى من حبيبٍ حبيبه وقلبى شقى من هواك وحيدُ
يهنئُ بعضُ الناسِ بالعيد بعضهم وتترى وفود بينهم ووفود
وينسون ماضى البؤس أو حاضر الردى وتخفى ترات بينهم وحُقود[1]
وكلُّ امرئ فى العيد بالعيدِ ناعمٌ وكلُّ محبٍّ ضاحكٌ وسعيد
ولكنَّ لى فى العيدِ شجواً وحسرةً وإنى لمن يلتذه لحسود
حنانيك يا شبه الربيع ويا أخا الـ ـصباحِ فأيامى لبعدك سود
وما مرَّ بى يومٌ أودُّ ولم أقل الا ليت أيامَ النعيمِ تعود
أظلُّ ولم ينعم بمرآك ناظرى كأنى يتيمٌ فى الديارِ وحيد
فيا ليتنى طفلٌ يعيش بغفلةٍ يلذ صباحَ العمرِ وهو جديد
ويا ربَّ طفلٍ فى الشقاءِ معذبٍ أناخَ عليه الهمُّ وهو جدود
فياليتنى صخرٌ على الأرض هادئٌ صبورٌ على مرِّ الزمانِ جليد
أتؤنسُ فى العيدِ الرياضَ وزهرَها وتوحش قلبى وهو منك عميد[2] ؟
وما القلبُ إلا روضة الوجدِ والهوى يرفُّ بها زهرُ الهوى ويميد
فللحبِّ أزهار ولكنّ تحتها من الحبِّ حياتٍ هناك تَرُود
فمن غرّه زهرُ الغرامِ وحسنُه أحسَّ دبيبَ السمِّ وهو شديد
إذا كنتُ لا أخشى ملامةَ لائمٍ فكيف أسرُّ الحبَّ وهو جديد ؟
أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم كلابٌ إذا كشّفتهم وقرود[3] !

---

(١) الترات : الأحقاد التى سببها الاعتداء بالقتل والتى يلزم من أجلها الثأر .
(٢) العميد : السقيم . (٣) كشفتهم بتشديد الشين : بحثت عن أمرهم .

الخوف والفزع

حذرت الذى يمنى لى الدهرُ من أذى ... فيا ويح نفسى من عناءِ التفزعِ[1]

ويا ويح نفسى كلّما لاح بارقٌ ... تطاير آمالى ويهتاج مطمعى

ويا ويح نفسى كلّما جاءَ كارثٌ ... ظللت وقلبى كالبناءِ المضعضع[2]

وحتّامَ هذا الخوف فى كلِّ لحظةٍ ... يدبُّ إلى قلبى وطرفى ومسمعى ؟

أفى كلِّ يومٍ حادث يستذلنى ... وفى كلِّ يومٍ لى طماح مودعى ؟

وفى كلِّ يومٍ خيبةٌ إثر خيبةٍ ... ولوعةُ قلبٍ ذى كلومٍ مُفزع ؟

وفى كلِّ يومٍ لى خليلٌ يخوننى ... وفى كلِّ يومٍ لى حبيبٌ مُفجعى ؟

وحتّامَ أرجو الموتَ لا أستطيعه ... وأفرق منه أن يلمَّ بمضجعى ؟

أعالجُ فى الأحشاء يأسًا ومطمعًا ... فيا بؤس أضدادٍ وبؤس المجمع

عسى أن يتيحَ اللهُ صبرًا يحوطنى ... فتهدأ أضلاعى وترقأ أدمعى

وينقذنى من مهلك أى مهلك ... ويخرجنى من مجزع أى مجزع

أما فى ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ ... أناخ عليه الهمُّ من كلِّ موضع ؟

فمن لى بعيش لا أبالى صروفَه ... أقول لدهرى : طر بصرفك أو قعِ !

نعيشُ بغشٌ منك يحلو لغافلٍ ... فأسدل علينا غفلةً ثم فاخدع !

نشوة الحب

نجواك فى العيش إسرارى وإعلانى ... وأنت بثى وتهيامى وأشجانى

---

(١) ما يمنى الدهر : أى ما يصيبك به ويقدره لك .

(٢) الكارث : الحادث المحزن .

بغَّضْتَ لي العيشَ حتى ما أُسر به ... إلا بقـايا رجـاءٍ ليس بالداني

الموتُ أروحُ لي والقـبـرُ أرفقُ بي ... من عـيـشـةٍ بين تحنانٍ وهجـران

ونـظـرة منـك أهـواهـا وآمـلـهـا ... تودي بيأسي ولوعاتي وأحزاني[1]

جَربتُ فيك شجـونَ الحبِّ قاطبـةً ... وأوجـه الحبِّ من قـاصٍ ومن داني

فلم أدعْ شـجنًا في الحبِّ أجـهله ... ولا رمـيـت بزقّ منه مـلآن[2]

من حبِّكم صرت لا ألوي إلى أحدٍ ... حتى كأني غريبٌ بين أوطاني[3]

أمشي أحدث نفسي عن محاسنِكم ... حتى يخال حديثي لغو نشوان

نشـوان لـيس له عـقلٌ فـيسكتـه ... الحب خمري وليس الخمرُ من شاني

وأسأل النجمَ عنكم أين موقـعكم ... من البـلادِ ومـا للنجم عـينان

يمر بي الناسُ لا أدري مـرورهم ... فيستوي فيهم جهلي وعرفاني

أنكرت من حبِّكم ما كنتُ أعرفه ... فطالَ في الحبِّ إنكاري ونسياني

كـأنما كلُّ مـخلوق أمـرُّ به ... يصيح باسـمكمُ في طي آذاني

فأحسب البدرَ صدّاحًا بذكركم ... والطير من ذكركم والزهر خـلاني

والريحُ تشدو بكم والشمسُ تعرفكم ... والوردُ بالحبِّ ناداني وحـيـاني

أنتم حياتي وأنتم مشتكى حزني ... وأنتم في مـرائي الحلمِ نُدمـاني

يا بؤس للحب ، إن الحب ذو خُدع ... مـثل السـرابِ تراءى ثم أظمـاني

من لي بمن قلبـه قلبي فـأخـبـرُه ... سـرّي وأودعـه شـجوي وتحناني

فما اتخذت خليلاً غير مضطغنٍ ... ولا مـررتُ بخلقٍ غيـر خـوان[4]

---

(1) تودي بيأسي : أي تذهب به وتمحوه .

(2) الزق : هو الإناء توضع فيه الخمر .

(3) لا ألوي إلى أحد : أي لا آنس بأحد .

(4) مضطغن : أي ذو ضغن وحقد .

والناس في العيش إن كشَّفت أمرهمُ ... ألفيتهم بين أضغانٍ وبهتان
إن الحمير – حمير الناس – نهقتها ... أودت برشد رجيح الرأى غضبان !
جهلٌ ولؤْم ، وأحقاد ومفسدةٌ ... والشر يجرع منه كل إنسان !

غاية الحب

أجِلْ في نجوم الليلِ لحظَك طرفةً ... فإني إليها في دجى الليلِ ناظرُ
عسى يلتقي لحظي ولحظك عندها ... فتعرف ما تُطوى عليه النواظرُ
عسى يلتقي روحي وروحُك عندها ... على لحظةٍ إن اللحاظَ بصائر
عسى يشعر الولهانُ بالقرب منكمُ ... ويجرى بكم منه على البعدِ خاطر
يحدثني عنك الهلال إذا بدا ... وتخبرني عنك النجوم الزواهر
وإني أحبُّ البدرَ من أجل حبِّكم ... وتسعدني حتى أراك الأزاهر
عسى تجمع الأحلامُ بيني وبينكم ... ومن لي بها والطرفُ باكٍ وساهر
وتذكرني في الحلمِ ، والحلمُ باطلٌ ... فماليَ في غير الكرى منك سامر
وهيهات لا في يقظة أنت ذاكري ... وما لي في حلم الكرى منك ذاكر
وأهتف طولَ الليلِ باسمك جاهداً ... وهاجسُ هذا الذكر داءٌ مخامر
فتبدو لعيني صورةٌ منك غضةٌ ... ألذُّ بها حتى كأنك حاضر
فما لي سوى الأوهامِ منك عُلالة ... وما لي سواه منك عونٌ وناصر
سيبقى لكم في القلبِ وجد ولوعةٌ ... وذخرُ هيامٍ يومَ تبلى السرائر
ويبدو لكم ما كنتُ أخفيه جاهداً ... وفي البعث يبدو ما تكن الضمائر
فيا كعبة الحسنِ التي أنا عابدُ ... مناسكُ تهيامي بها والمشاعر

ويا جنةَ الحسن التى أنا آمل ... غديرُك ملآن وزهرُك ناضرُ

أما من سبيلٍ لى إليك ومنهج ... أم امتنعت منى إليك المصادر ؟

أظل إذا ما لحت لى عن فُجاءَةٍ ... فؤادى مخمورٌ ولبى طائر[1]

فليتك تحلو والحوادثُ مُرةٌ ... وليتك وافٍ والأنامُ غوادر

إذا كنت لى خدنًا الوذ بحبِّه ... فلستُ أبالى ما تُعِد المقادر

وإن نلت منك الودَّ والعطفَ والرضا ... فلستُ أبالى أن تدورَ الدوائر

وإن ترض عنى فالحياةُ جميلةٌ ... وإن تُبدِ صدًّا فالنهارُ دياجر

وإن حياتى ليلة مدلهمة ... فهل تأتينّى عن رضاك البشائر ؟

وإن تبدِ لى عطفًا فما الكونُ باطلٌ ... ولا العيشُ خوان ولا الدهرُ جائر

لقد صدقت منى الظواهرُ فى الهوى ... إذا كذبت فيما تقول الظواهر

أناجيك بالسحرِ الحلالِ من الهوى ... وبالسحرِ من شعرى فهل أنت شاعر ؟

أتذكر ملقى بالحديقة طيبًا ... فإنى له فى الدهر ما عشتُ ذاكر

أشرت بتسليم ، فسلمت مثله ... فرحت وقلبى من جوى الحبِّ حائر

فإن تهجروا فالقلبُ أسوان بائسٌ ... وإن تعطفوا فالقلبُ راضٍ وصابر[2]

ورن تبعدوا فالأرضُ جرداءُ جدبةٌ ... وإن تقربوا فالدهرُ فينان زاهر[3]

وإن تغربوا فالعيش أسودُ داجنٌ ... وإن تشرقوا فالعيش ابلجُ ظاهر

حياتى إذا ما غبْت عنى زواخر ... تموج وإظلام الدجى والأعاصر[4]

---

(١) مخمور : أى أصابته نشوة الخمر .

(٢) الأسوان : ذو الأسى أى الحزين .

(٣) فينان : مورق .

(٤) الزواخر : الأمواج العظيمة ، والأعاصر : الرياح الشديدة . أى حياتى مثل عاصفة فى البحر بالليل ، كثيرة الرياح شديدة الأمواج .

فـأى بقـاءٍ بعـدَ بُعـدك نافعٌ ... وأى رجـاءٍ بعـد بعـدك باهرُ ؟
وإن كنتَ عندى جئت بالعقلِ والحجى ... وإن لم تجئ فـالقلبُ مـجنونٌ ثائر
وإنّ حـياتى إنْ قـربتَ خـصيبةٌ ... وإن حـياتى إن بعـدت لعـاقـر
وآمنتُ أن السـحـرَ حقٌ فـإنما ... فؤادىَ مسحورٌ وحسنُك ساحر
وآمنتُ أن الحـسنَ مُلْك ودولةٌ ... فـقلبى مـاسـور وحـسنُك آسـر
وآمنت أن الحبَّ والوجـدَ مـيسـرٌ ... فـقلبى مـقـمـورٌ وحـسنُك قـامـر
إذا متُّ فـاذكـرنى وزرنىَ زورةً ... وهل عـجبٌ فى أن تزار المقـابر ؟
وقِفْ وتأملْ مـا بدا لك طرفـةً ... ألا كلُّ حىٍّ مثل مـا سرتُ سـائر
عسى دمـعة حَرَّى علىَّ تريقـهـا ... وقد يعظ الموتُ الفتى وهو سادر[1]
فـلا تنذعـر فـالموتُ غـادٍ ورائحٌ ... وكلُّ جـمـيلٍ فـهـولابد غـابر
سينفـذ فـيك الموتُ أمرًا مقـدرًا ... وتلقى الذى قد كنتَ قدمًا تحاذر
ويأكلُ منك الدودُ ما شاءَ حقبة ... ووجهك مقبوحٌ وعظمُك ناخر
وريحك ريح النتْن لا نتن مـثله ... تُسـد إذا مـا شُم منه المناخـر
فلا تحسبنْ أنى من الموت ضاحكٌ ... ولا تحسبنْ أنى بحسنك ساخر !
ولكن وجـدى منك جنّ جنونه ... فها أنا من حبى لحسنك هاتر ![2]
أمـا رحـمـة ترجى لديكم لبـائس ... حـزين عليلٍ ، حـبـه لك طاهر ؟
وفى القـرب لو تدنو دواءٌ لهـمِّـه ... وإنك إمـا غـبـت فـالهمُّ حـاضـر
فيا بؤس نفسى منك يابؤس عيشتى ... أمـا آن أن تغـشى المنايا البـواكـر ؟
أمـا آن أن ألقى حِـمـامًـا يريحنى ... فـتهـدأ أضـلاعى وتهـدا المحاجـر ؟

---

(١) السادر : المنغمس فى لذات الحياة الخليع بها .

(٢) الهاتر : الهاذر الهاذى .

أمـا آن أن ألقى قـضـاءً يميـتـنى فيرتاح حسادى وتسلو العواذرُ ؟

ويـنسـانىَ الخلُّ الوفىُّ لميـتـتى كـأنْ لم تكن والحىُّ للحيِ ذا كـر

وينسـانىَ الوغـدُ اللئيم لميتتى ويرتد عنى نابُه والأظافـر !

أمـا آن أن أنسى الحـيـاةَ ولؤمـهـا فـلا طمعٌ يردى ولا اليـأس ذاعـر

أمـا آن أن يبكى لى الأهلُ طرفـة وأُصـبح ممن غـيـبـتْـه المقـابر

وأصـبح لا قلبى يجن بذكـركم ولا أنا مـهـجـورٌ ولا أنت هـاجـر

إذا مـا الردى بالمرءِ حلّ قـضـاؤه رويدك لا تغنى لديه المغـافـر[1]

وإنى أحس الموتَ يسـرى دبيـبـه بروحىَ حـتى فـيـه منه بوادر

نعيت لكم نفسى فـلا لومَ بيننا فـوقع المنايا بيننا مـتـواتر !

فـإمـا غـداً أو بعـد ذاك وإنما تغـادى المنايا شملنا وتبـاكـر

سـلامٌ عليكم حيث كنتم فـإننا سـيـهلك منا أولٌ ثم آخـر !

الشـعـر والطبيعـة

إذا غنّت الأطيار فى الأيك صدَّحًا تغنت لأشـجـان الفـؤادِ طيـورُ

وللريح هبـاتٌ وللنفسِ مـثلهـا تغنى رُخـاء فـيـهـمـا ودبـور[2]

وما الشعرُ إلا القلب هاج وجيبُه ومـا الشـعـرُ إلا أن يثيرَ مـثـير

نرى فى سماءِ النفس ما فى سمائنا ونبـصـر فـيـهـا البدرَ وهو منيـر

وما النفس إلا كالطبيعة وجهها رياضٌ وأضـواءٌ بهـا وبحـور

(١) المغافر : جمع مغفر وهو ما يتقى به فى الحرب . (٢) الرخاء : ريح لينة ، والدبور : ريح شديدة .

وَفيها صراخُ اليمِّ إن ماج موجهُ وفيها خريرٌ خافت وغديرُ[1]

وليلٌ وإصباحٌ لها وكواكب تسير بآفاق بها وتدور

إذا كنت في روضٍ فقلبيَ طائرٌ يغنِّي عَلى أغصانه ويطير

وإن كنت فوق البحرِ فالقلب موجةٌ تَسرَّبُ في أمواجه وتسير[2]

وإن كنت فوق الشُّم فالقلبُ نسرُها وللنسرِ في شمِّ الجبالِ وكور[3]

وَتنشر أغصانُ الخريفِ زهورَها كما جاد بالشعرِ الجليل شعور

فيا قومُ ما للجهل ملء عيونكم ألستم ترونَ الدائرات تدور ؟

لبستم على الأيام ثوبَ مذلةٍ فكيف بنضو الثوبِ وهو نضير ؟

إذا صاح ذاك العَيرُ فيكم صياحه طربتم وقلتم شاعرٌ وكبير[4]

ويزعجكم أن الطيورَ صوادح ويطربكم أن الغناءَ نعير

أصاب ذكائي منكم بردُ طبعكم وأطفأ مني القلبَ وهو قدير

ويصدأ طبعي في خبيثِ هوائكم وجوكم بالداهيات يمور[5]

فلا تحسبوا أني أقولُ لتسمعوا ولا أن مثلي بالقنوط جدير[6]

وماذا يفيد الشعرُ والقلب ميتٌ وهل للنفوس الهامدات نشور ؟

إذا كان يحيي الشعرُ نفساً مريضةً فهيهات تحيا النفسُ وهي قبور !

الأزاهير السود[7]

قد جنينا من أزاهير الردى زهرة اليأس وأزهار الأسى

---

(١) خافت : أي صوته ضئيل . (٢) تسرب : أي تتسرب . (٣) الشم : أي الجبال الشم وهي المرتفعة .

(٤) العير بفتح العين : أي الحمار . (٥) يمور : يزخر ويموج كالبحر . (٦) القنوط : شدة اليأس .

(٧) المقصود بالأزاهير السود : لذات الحياة التي تعود بالألم ، وتكون عاقبتها الندم واليأس والشقاء .

زهرةٌ سوداءُ لا تَعدلهُا — زهرةٌ حمراءُ من زهر الهوى
كيف نهوى زهرةً ، أوراقها — من دموع الصبِّ تندى والدِما ؟
تشعل الوجدَ ولوعات الغليلِ — وهى مثل الجرح فى صدر القتيلِ
ودماءُ القلبِ تجرى بمسيل — دمه رى جذور وأصول
كلما زادَ احمراراً لونها — راح جسمى بشحوبٍ ونحول
قد جَنينا من أزاهير الشقاء — زهرةً سوداء من زهرِ القضاءْ
تُبدلُ النفسَ سواداً من ضياءْ — ليس تنمو فى رجاءٍ أو رخاء
تنفح السم أريجاً والبلاءْ — وهى تغذى من زفير وبكاء
كم جنينا من أفانين الألم — زهرةً سوداء من زهر الندم
لونها المأخوذُ من لونِ الظلم — عابسٌ فوق شفاه المبتسم
زهرةٌ سوداءُ من زهر النقم — فهى طيف من ممات قد ألم
كم جنينا من أزاهير القدر — وأفانين صروف وغير[1]
زهرةٌ سوداء من زهر الضجر — وهى من نبت هموم وكدر
فهى بالليل سهادٌ وسهر — وهى فى الصبحِ الشقاءُ المنتظر
هذه الأزهارُ سودٌ كالقضاءْ — فى رياضٍ من شقاءٍ وعناء
ليس لى منها مفرٌّ أو نجاء — فهى حولى فى صباحٍ ومساء
إن هذا العيش داءٌ أى دواء — ليس يُمحى بشكاة أو بكاء !

طبع الإنسان

إنما المرءُ خيالٌ زائل — سعةُ الآمال فيه كالقِدمْ

(١) الغير تقلبات الدهر .

مـــثل قـــدر الخلدِ أطمـــاع لـه وبـه عـــجـــزٌ وضـــيق فى الـهـــمْ

ويـودُّ المرءُ لـو نـال الســـــهى وهو فـــوق الأرضِ لمّا يحـــتكم

فـــهـــو مـــثلُ الطفلِ فى آمـــالـه يبـــتـــغى النجمَ منالاً من أَمـــم[1]

سـفـهـاً أنظم فى وصف الهـوى ولقــــد أنظر مـــا تأتى الأمـــم

من ذنوبٍ مـــا لـهـــا من رادعٍ تتـــــرك الناسَ على بؤس وهـم

غـاب رشـدُ الناسِ عن أنفـــسهم ضـــاع منهم تحت أشـــلاء الرمـــم

يُقـــــتلُ المرءُ على الجـــرم ولا يُســـأل الجبـــارُ عـــمـــا يجـــترم[2]

اســـــعـــد الناسِ قـــتـــيلٌ هالكٌ ربَّ عـــيشٍ هو شـــرٌّ من عـــدم

إن بـالمرءِ جنونًـا جـــــاعــــلاً نـوبةً للشـــر فـــيـــه تحـــتـــدم

لا ينـــال الـــبُـــرْءَ مـــن نوبتـــه أو يـذيـع الـشـــــرَّ منـه والألـم[3]

هل لنا من كـــوكبٍ ذى مـــرَّة يصـــدع الأرضَ إذا مـــا يصطدم[4]

فـــيـــريح النـــاسَ من آلامـــهـم ويـزيـل الـشـــــــرَّ منـا والـتـهـم

حـــدَّث الدهرُ حـــديثـــاً صـادقـــاً إنمـــا الـنـــاس قـطـيـعٌ مـــن غـنـم

وصـــفـــاتُ الذئبِ طبعٌ فـــيـــهـم وصـــفـــاتُ القـــردِ والكلبِ النهم

أين فـــخـــرُ الناسِ بالعلم ومـــا يـردع الأهواء من خـــيـــرِ الحكم ؟

يبـــسط العلمُ عليـــهـم جلدةً بضـــةَ الملمس تخـــفى من نقم[5]

جلدة السخل بهـا الذئبُ ارتدى فـــإذا مـــا غـــفـل الراعى هجم

---

(١) أمم : أى قريب . (٢) أى أن الرجل يُقتل إذا قَتل ، وأما الجبابرة من الملوك والحكومات فلا يحاسبون على ذنوبهم . (٣) أى أن الشر نوبة عصبية تأتى للإنسان فلا تزول عنه حتى يفعل الشر . (٤) المرة : الشدة . (٥) بضة : أى ناعمة .

وإذا مـــا اقـــتـــدر المرءُ سطا		وإذا مـــا ضـــعف المـــرءُ حـــلـــم
لا تُرجى منهمُ مـــرحـــمـــة		رحمةُ الخب بكى حتى احتكم[1]
لـو يكـون المرءُ فـــينا آمنـاً		سطوات الشـــرّ منا مـــا رحـم
نحن نبكى رحـمـةً من خـشـيـةٍ		أن نعانى الضيمَ من خطبٍ يُلم ![2]

الحب واليأس

حـــجـــبت عـــيناك عنى نورَها		وابتـسـامـاً فـيـهـمـا كـان يجـول
فـــحـــيـــاتى كظلامٍ حـــالكٍ		ونجـومى قـد تـقـاضـاها الأفـول
كنت أسـتـهـدى بمصباحِ الهوى		فى طريق العـيشِ والعـيشُ وعـر
كنت أســـتـــهـــدى بنورٍ منكمُ		فـحـجـبـتم نورَ قلبى والبـصـر
صـرت أسـتـهـدى بنارٍ للشـقـاءْ		فى ظلامِ اليـأسِ تخـبـو وتنيـر
تقـصـر الأشـجـان فـيـهـا وتطول		كلمـا هبَّت بهـا ريحُ الزفـيـر
فـهى كـالأشبـاحِ فى جنحِ الظلام		راقـــصـــاتٍ بين نارٍ ورياح[3]
راقـصـات كـشـيـاطين الدجـى		مُحييات للدجى حتى الصباح[4]
فاهجـرونى إن سـمـعتم من نصيحٍ		مـا عليكـم من مـلامٍ فى جـفـاء
إنَّ حـــبّى مـــثلُ داءٍ قـــاتل		فـاسـتـجـيـروا بمفـرٍ أو نجـاء

---

(١) الخب : المخادع . (٢) أى أننا نرحم التعيس خوفاً من أن يحل بنا ما حل به فالرحمة منشؤها الخوف . (٣) أى أن أشجان المرء التى تخرج بها من صدره أنفاسه وتظهر فى نار شقائه تحت جنح رأسه مثل خيالات الأشياء الواقعة قرب نار تهب بها الرياح العاصفة فتطول وتقصر فيحسب الرائى أن هذه الخيالات شياطين . (٤) أحيا الليل أى سهره .

أنتم كـــالزهرِ تمحـــو زهـــوه ... ريحُ ســوءٍ حـملت جـرثومَ داءْ

إن حـــبى ريح ســـوءٍ قـــتلت ... زهو قلبى من حـيـاةٍ ورجـاء[1]

فـاحــذروه واتقـونى جـهـدكم ... إن فى قربى لكم عدوى الشـقاء !

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

يحكى فـؤادى فى هواك الجـحيم ... وأنت إبليس لذاك الجـــحــيمْ

بـالشـــرِّ ألحـــاظك مـــبـثـــوثة ... وبالـرزايا والبـــلاءِ المقـــيم

وخــدُّك المشـبـوبُ فى حـمـرةٍ ... كـالجمرِ يذكـو للعذابِ الأليم[2]

والريقُ كـــالمهل شـــرابُ الردى ... يُظمى ولا يشـفى أوام الكليم[3]

وحـــرّ أنفـــاسكَ فى مـــرِّها ... يلفح لفحًـا مثل لفح السمُوم[4]

ياتائهـــاً يخـتـــال فى مـشـيـه ... كـالصلِّ إذ يعوج أو يسـتقيم[5]

عـيناك يغـرى لحظهـا بالبـغـاءْ ... أحب عـشـاقك فـينا الأثيم[6]

أنت إله الـشـــرِّ فى حـــسنه ... وقـبحـه ، ويح لحسنٍ ذميم !

مناجاة الحبيب الثانى

يا جنةَ الحبِّ وروضَ النعـــيم ... لأنتَ برءٌ للأسى والهـــمـومْ

---

(١) كما أن الرياح الحاملة للجراثيم تهب على الأزهار فتمحو نضارتها ، كذلك أخشى أن يصيبكم من حبى ما يمحو جمالكم وسعادتكم من قربى لكم ، لأن قربى لكم يعدى بالشقاء .

(٢) يذكو : أى يشتعل .

(٣) المهل : شراب الجحيم . والأوام : العطش . والكليم : المجروح .

(٤) السموم : ريح حارة خانقة قاتلة .

(٥) الصل : الثعبان .

(٦) البغاء : الفسق والمنكر .

يا جنةً تتحــــرك قلبى لهــــا ... كــالروضــةِ الغناءِ ذات الكروم[1]

يا جنة مــــا إنْ بهــــا حــيــــةً ... ينفث سُمًّــا فمـهـا أو سـمـوم

يســعى إليك الكونُ من بدئه ... كما سعى نحو الطبيبِ السقيم[2]

فلفظك العــذبُ رحيقُ الهــوى ... ووجــهُك الزاهر زهر عــمــيم

تُبــرئ أنفــاسك فى مُــرِّها ... من الجوى والوجـد مثل النسيم

وطىّ ألحــاظك نورُ الهــدى ... ودون أضــلاعك قلبٌ رحــيم

وأنت كــالدميــةِ فى شكلهــا ... وحسنِها الخالد خلد النجوم[3]

للخيــر فى الحسنِ خلودٌ فلا ... يصيبه الدهرُ مصاب الجسوم[4]

صداقة الأموات والأحياء

لأى أمــرٍ خــذلتمــونى ... يــا أهلَ ودّى وإخــــوتى ؟

كــأنكم مــا صحبــتمــونى ... إلا لنحــسى وشــقــوتى !

أمــا كــفى وقع نائبــات ... يقــرعن عــودى ومــروتى ؟[5]

حــسبى سقــامى وطول همى ... وذلُّ عــدمى ولــوعــتى

كلكم كــاذبٌ حــقــود ... يشــعلُ يأسى وحــســرتى

أين الأُولى قــربهم شــفــاءٌ ... يكشف غــمى وكــربتى ؟

مــرآهم نشــوةٌ وسكــرٌ ... ونطقــهــم برءُ غلتى[6]

---

(١) الكروم : أشجار العنب . (٢) أى : أنت مثال الكمال الذى ينشده العالم ويسعى إليه الكون .

(٣) الدمية : التمثال الجميل . (٤) أى : أن الجسم يفنى ولكن الحسن والخير يبقى .

(٥) يكنى بقرع العود والمروة عن وقوع المصائب بالإنسان . (٦) الغلة : الظمأ الشديد .

أواه من وقعة المنايا ... يقعن في خيرِ نخبتي

ما العيشُ عيش إذا تناءوا ... وصرت أبكي لوحشتي

كيف أرجي بكم شفائي ... وأنتم أصل علتي ؟

كأنني بينكم غريبٌ ... أندب حظيّ وغربتي

أنتم سهام تهيض عظمي ... وهم وقائي وجُنتي[1]

لا يرتجى منكم معينٌ ... يغني إذا النعل زلت[2]

غداً ينال الحِمام منا ... بكل شملٍ مشتت

حتى كأن لم نكن نرائي ... على دهاءٍ وخدعة[3]

نعيشُ بالغشِ ما حيينا ... غش عدى أو أحبة

حتى إذا لاحت المنايا ... وربّ حي كميت

طهرنا الموت من خطايا ... بَيّنة في الأسرة

ننسى عداء الذين ماتوا ... والحيُّ يقلى بزلة

فنحسب الميت ذا وفاءٍ ... نبكي عليه بحرقة

ولو يعود الدفينُ حيًّا ... من بعد نشرٍ ورجعة

لصار في ودِّه كذوبًا ... وعاد يُمنى بظنة[4]

---

(١) الجنة : بضم الجيم ما يحن الإنسان به ، أي ما يلبسه وقاية لنفسه .

(٢) إذا النعل زلت : إذا حل بالإنسان ما يوجب المعاونة وشد الأزر .

(٣) أي نموت وننسى فكأننا لم يخادع بعضنا بعضاً .

(٤) أي إذا مات صديق نسينا هفواته ، أما الحي فإن زلاته حاضرة ، ولذلك نظن الصديق الميت كان خيراً من الصديق الحي ، ولكن لو رجع الميت إلى الحياة لعددناه كذوباً في وده وصرنا نصيبه بالظنون والتهم .

شاعر يحتضر

أألقى الموتَ لم أنبه بشعرى ... ولم يعلم سوادُ الناس أمرى ؟[1]

وفى نفسى من الأبد اتساقٌ ... تدور الكائنات بها وتجرى

فمن للقلب يطربه بلحنٍ ... يحن إليه من نظمٍ ونثر ؟[2]

ومن للكون يرمقه بفكرٍ ... شبيه الكونِ فى سعةٍ وقدر ؟

ومعنى الخلد يصغر عند نفسى ... يضلّ الخلدَ فى أنحاء فكرى

إذا ظمئ الفؤادُ إلى كمالٍ ... رأى طولَ الخلودِ كقيد شبر

رأيتُ الناسَ مثل البحر لجّا ... وكم فى البحر من صدفٍ ودر

هى الأقوام كالأمواج تعلو ... كذاك الموج يسفل حين يجرى

صحوتُ من المعيشة بعد سكرٍ ... فيا لهفى على نشوات سكرى

شربت الحلوَ من كاسات دهرى ... كذاك المرّ من كاسات دهرى

وحالات البقاءِ لها خمارٌ ... على طعميه من حلوٍ ومر

فحالاتُ السرورِ لها عقارٌ ... وللأرزاءِ فينا كأس خمر

وكان الجهلُ لى عيداً فولّى ... فيا شوقى إلى جهلات عمرى ![3]

وأعقبت التساؤلَ والتقصى ... وما فى ذاك من غبنٍ وخسر

فمن لى بالسكينة فى حياةٍ ... أعالجها كأنى رهن أسر ؟

ظمئت إلى الكمالِ فلم أنله ... وذقتُ اليأسَ فى صلةٍ وهجر

---

(١) لم أنبه : أى لم أشتهر . وسواد الناس : جمهورهم .

(٢) أى إذا مت فأى شاعر يطرب القلوب بألحان شعره .

(٣) كان الجهل عيداً لأنى لم أفكر فى الحياة والغرض منها ، وشقاء الناس فيها .

وعـالجتُ العـواطفَ هائجـات ... هيـاج النارِ من لهبٍ وجـمـر
وحملتُ الحيـاةَ بنظم شعـرٍ ... شبيـه الضـوءِ في الأفقِ الأغـر
قـصـائد نيـرات خـالدات ... خلود النجم من شـهبٍ وزهر

أمل قديم

ذكراك كالغيثِ تحيي جدبَ آمالي ... وتنقل العيشَ من حالٍ إلى حال
من بعدما طُويت نفسي على مضض ... وراح بي اليأسُ بين الصحب والآل
وطالعتني خطوبٌ كلما عصفت ... عـفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخالي
حتى كأن فؤادي منزلٌ خربٌ ... مـهـدَّمٌ بين آثـار وأطلال
من بعدما يئست نفسي وما بلغت ... من الحيـاةِ لباناتي وآمالي[1]
وظَنتُ نفسيَ أن أحيا إلى أمدٍ ... من الحياةِ سقيمَ الوجهِ والحال
حتى رأيتُ بروقاً منك صادقةً ... تستنزل البرَّ في دفقٍ وتهطال
فصرت أثني على عيشي ولذّته ... وكنتُ أثني على موتٍ وآجال
متى أراني ولي من رعيكم سببٌ ... جمُّ الأماني رخيُّ العيشِ والبال ؟
أضحى رجائيَ مثل الشمسِ منتشراً ... يجلو همومي في حلٍّ وترحال
علَّ الزمان يرى ما لستُ أكتمه ... من الرجاءِ فيدني بعضَ آمالي !

مرآة الضمائر

ضمـائرُ هذا الخلق مثلُ طباعه ... وكم من ضميرٍ لا ينهنه بالزجر[2]
وكم من ضمير فاسدٍ تستشيره ... فتلقاه عند الخير والشرِ لا يبري[3]

(١) اللبانات : الأوطار . (٢) لا ينهنه بالزجر : أي لا يردع عن الشر .
(٣) لا يبري : المقصود بها أنه لا يميز الشر من الخير أو لا يفيد . والبري : هو القطع .

وبعضُ المرائى خادعٌ غيرُ ناصحٍ … يواجه وجهاً منك بالحسن والبشر[1]
ولكن منها صادقًا غيرَ كاذبٍ … يريكَ الذى قد بتَّ تخفيه فى الصدر
فإن ترَ يومًا مثلَها من وذيلةٍ … فليس لها خيرٌ لديك من الكسر[2]
إذا لاحَ يومًا شكلُ وجهك فوقَها … تبيت على ذعرٍ وتصحو على ذعر
ترى فوقها ما بتَّ تخفيه جاهداً … من السوءِ والأحقادِ واللؤمِ والشر
يرى الناس فيها أوجهًا كلها خنا … يلوحُ كما تبدو الجماجمُ فى القبر
وفى كلِّ وجهٍ لو فطنت إشارةٌ … تدلُّ على ما فى الضميرِ من السر
وفى كل وجهٍ من جنونٍ ومن أذى … ملامحُ لا تخفى تناديك بالجهر
وكلُّ ضميرٍ لو فطنت مخادعٌ … وكلُّ ضميرٍ لو بدا لك فى خسر
بنى آدمَ لا تذكروا العدلَ ذكرةً … فما العدلُ إلا ما ترون من الأمر
إذا ما بدت من مطمح المرءِ حاجةٌ … فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسرى
وكلُّ ضميرٍ بالمعاذير مولعٌ … إذا ما أتى ذنباً أحال على العذر
وقد يحسبُ الشر الوجيعَ فضيلةً … إذا خال فيه ما يلذ من الخير
وقد يحسبُ الشئَ الحرامَ محللاً … إذا ظن فيه ما يصاب من التجر
وقد يحسبُ العدل المبينَ ظلامةً … إذا خاف منه ما يعاف من الضرّ
إذا ما بدا لى البشرُ فى وجهِ صاحبى … أظلُ مَرُوعًا خوفَ عاقبةِ البشر
يحييك من ألحاظه بطلاقةٍ … ويأكلُ عِرضًا منك بالنابِ والظُّفر
وكلُّ صديقٍ إن رأى بك حسرةً … وكان بخير قال حظُّك فى الصبر

---

(١) المرائى : جمع مرآة ومرأى .

(٢) الوذيلة : المرآة .

هو الصبرُ حلوٌ للذى لا يذوقُه فإن ذاقه فالصبرُ شرٌّ من المرّ !

ولو كان للآثامِ ريحٌ خبيثةٌ تطيَّب كلُّ الناسِ بالندِ والعطر

ولو كان سوءُ النفسِ داءً بجلدهم لأصبح كلُّ الناسِ يوسم بالعر[1]

فعالهمُ حتى الطلاقةُ متجرٌ وربح فإنَّ البرَّ يبذل للبر

همُ ساوموا الخلاقَ فى كلِّ فعلةٍ يبيعون خيرًا بالجزاءِ وبالأجر

هم يحسبون الدينَ رزقًا ومتجرًا فيا عجبًا للدين يخلط بالنكر

فعدلهم ظلْم وخيرُهم أذى وودُّهمُ ود ينغص بالغدر

وصدقهمُ كذب وكلُّ فعالهم رياءٌ كأن الغشَّ فى دمهم يجرى !!

عناء الطيف

أرحنى يا طيفَ الحبيبِ بهجرة فإنك تورى حسرتى وتزيدها [2]

ويا طيفَه أنت السرابُ تكيدنى وحولىَ صحراءُ الغرامِ وبيدُها

تروّعنى بالشوق فى كلِّ طرفةٍ إذا ما انقضت لوعاتُ شوقٍ تعيدها

ويا طيفُ قد قطّعت قلبى صبابةً وعذب عينى دمعُها وسهودها

ويا طيف لا فى يقظةٍ أنت تاركى ولا فى هجود العينِ يحلو هجودها

وتشعل من شوقى الذى أنا مطفئ وتحدث منه لوعة لا أريدها

وتبتعث النفس اللجوج إلى الهوى وقد شفّها أن لا حبيبَ يعودها

كفاها من الوجدِ الأليمِ قديمها فيا بؤسها إن لم يمتها جديدها

حنانيك لا حبى قليلٌ ولا الهوى لذيذٌ ولا الآمال يدنو بعيدها

---

(١) العر : الجرب . (٢) تورى : أى تشعل .

وإن لنفسى كل يومٍ شقاوةً ... حبيبٌ يناثيها وخبٌّ يكيدها

أما آن أن تلقى مماتاً يريحها ... فيُصدع عنها كبلها وقيودها

حياتى على الهجران شر من الردى ... فواحسرتا أن لا حمام يبيدها !

ويا طيف أنت البوُّ فيك مضاضة ... وسخر وأم البوِّ أودى وليدها[1]

أبيتُ طوال الليلِ أبكى بحرقةٍ ... كأنىَ ثكلى قد أصيب وحيدها

فيا ليت أن العمرَ أنغامُ منشدٍ ... إذا ما مضت لى لذة أستعيدها

ولذات نفسى فى الحياةِ قليلةٌ ... فيا ويحها إن لم أجد من يعيدها

لقد قسمت فى الحبِّ بينى وبينكم ... جدود الهوى والنفس شتى جدودها[2]

فإن جدودَ الحبِّ عندى نحوسها ... وإن جدودَ الحبِّ فيكم سعودها

وللريحِ هباتٌ وللشوقِ مثلُها ... وهباتُ شوقى لا يصاب ركودها

يسومون نفسى الصبرَ والصبرُ قاتلٌ ... لقد صبرتْ لو أن ذاك يفيدها !

سلوان الجنون

عسى ينعم الولهانُ منك بنظرةٍ ... وهل بعدكم فى العيشِ حسن فينظرُ

عسى بالضلوع الخافقاتِ من الجوى ... تقرُّ وبالقلبِ الجريحِ فيجبر

عسى تُسعد الأقدارُ يومًا بودكم ... فيا طيبها لو أن قرباً يقدر

عسى أن يعودَ النومُ عينًا كليلةً ... فلا الدمعُ يقذيها ولا النومُ ينفر

عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا ضياؤه ... وأحمد من مرآه ما كنتُ أبصر

---

(١) البو : جلدة ابن البقرة التى تحشى تبناً وتوضع أمام البقرة كى تحن إليها وتدر لبنها .

(٢) الجدود : الحظوظ والأقسام .

عسى هجرة تدعو المحبَّ فيرعوى ... إلى سلوةٍ تنهى الفؤاد فيزجرُ

فلا تحْزننْ إن أدركتنىَ سلوةٌ ... فأنت الذى علمتنى كيف أصبر

عسى أن تجنَّ النفسُ فيكم جنونها ... فلا ذكرة تصبى ولا فكر يخطر

فإن جنونَ النفسِ سعدٌ وراحةٌ ... وإن عناءَ الحبِّ ذاك التذكر

فأنساك حتى لستُ أدرى : أعائش ... على الأرضِ تسعى أم دفين معُفَّر !

وأنساك حتى لو عرضت مسلمًا ... لما سرنى منكم سلامٌ ومحضر

وأنساك حتى لا أريد وصالَكم ... ولا الهجر يُجرى دمعتى حين تهجر

كأنك ما كنتَ الضياءَ لمقلتى ... ولا مسمعٌ فيكم لذيذ ومنظر

كأنك لم تضحكْ فتضحك عيشتى ... ولم تكُ غضبانًا فتدجو وتكدر

ولم تك لى الماءَ الزلالَ على الصدى ... إذا ذاقه الظمآنُ يروى ويسكر[1]

كأنىَ لم أقضِ النهارَ بحسرةٍ ... ولم أك حتى مطلع الفجرِ أسهر

ولم يجر دمعى حرقةً وصبابة ... ولم يك قلبى والهاً يتسعر

ولم يك لى فى كلِّ قولٍ تقوله ... غناءٌ وألحانٌ تروق وتسحر

كأنىَ لم أعشقك فى كل نبضةٍ ... لقلبى ولم أعشقك من حيث أشعر

كأنى لم أعشقك فى كلِّ طرفةٍ ... لعينى ولا فى خطرةٍ حين تخطر

ولم أكُ من خوفى عليكم مروَّعاً ... أبيت حذار السوءِ أبكى وأذعر

ولم أكُ من شوقى أمرُّ ببيتكم ... وأنتم نيامٌ ، خائفاً أتستر

فإن يبلغ الحبُّ الجنونَ فلا تلم ... أما كل مجنونٍ على الهجر يُعذر ؟

---

(١) الصدى : الظمأ .

ليس لى شغل سواك

ليس لى شغلٌ سواكْ فأجِز عنى جفاكْ [١]

شُقيتْ بالناس عينٌ لا ترى حتى تراكْ

أنت خيرُ الناسِ روحاً كلُّ مخلوقٍ فداك

لا يطيبُ العيشُ إلا بالذى فيه رضاك

أنت لا تعرف ما قد بتُّ أخفى من هواك

أنت معنى كلِّ حسنٍ فلـه الله اصطفاك

أنت معنى وهو لفظٌ من عناءٍ قد عناك

يا نبىَّ الحسنِ إنى مؤْمن يرجو هداك

إن طرفى فى عناءٍ ليت طرفى ما رآك

إن قلبى فى عذابٍ ليت قلبى قد قلاك

فَخَرَ الكونُ وأبدى بهجةً حيث احتواك

أظلمَ العيشُ فجُدْ لى بضياءٍ من سناك

بسلامٍ أو كلامٍ أجتنيه فى لقاك

إن نفسى لك غرسٌ كيف لا ترجو جداك [٢]

إن نفسى لك أرضٌ وقعت تحت علاك

أنت معنى كلِّ مخلو قٍ فلا حىّ سواك !

فتعطفْ يا حبيبى لا تخيّب من دعاك !

---

(١) أجز عنى : أى أرح عنى .

(٢) الجدى : الكرم والنوال .

وابتــسمْ يبــتــسم الدهــ ــرُ ويدجــو من جــفــاكْ

وقــعت نفــسى من حــ ــبِّك فى شــرِّ الشِّــبــاك

ليس لى فــيــه مــعينٌ لا ولا مــنــه فــكــاك

لمَ لا تدنى مــحــبــا كــلمــــا حنَّ بـكــاك ؟

مــا درى للعــيشِ مــعنى قلبُـــه حــتى هواك

مــا رأى للعــيش حــسنًا لحظُـه حــتــى رآك

كــيف تسلو عن مــحبّ بك صبٍّ مــا ســلاك ؟

لا هنــاك النومُ يا ســـا ــب نــومى لا هنــاك ![1]

مــا هنانى النومُ مــذ لا حت لعــينىَّ حُــلاك[2]

أيُّهــا القلبُ اسل عنه فــهـــو لا يدرى لظاك

نـاعمُ البــالِ قــريرٌ ليـتــه عــانى جــواك

أيُّهــا النشــوان من خــمــ ــرِ الهوى من ذا سقــاك ؟

أيُّهـــا الواله من وجــ ــدِ الهــوى مــاذا دهاك ؟

مــا نهــاك الصــدُّ والإعــ ــراضُ عمن قد جفــاك ؟

مــا أظن الحبَّ يحــدو بك إلا لـلـهــــلاك ![3]

حلم بالبعث

رأيتُ فى النوم أنى رهنُ مظلمــةٍ من المقــابر مــيــتــاً حــوله رِمَمُ

ناءٍ عن الناسِ لا صوتٌ فيزعجنى ولا طمــوحٌ ولا حلم ولا كــلم

---

(١) لا هناك النوم : دعاء عليه بأن لا يتهنى بالنوم أى لا يجده هنيئاً . (٢) حلاك : أى محاسنك .

(٣) يحدو : أى يسوق . والحداء : هو الغناء للإبل كى تتحمل السير .

مطهر من عيوبِ العيشِ قاطبة ... فليس يطرقنى هم ولا ألم

ولست أشقى لأمرٍ لست أعرفهُ ... ولست أسعى لعيشٍ شأنه العدم

فلا بكاءٌ ولا ضحك ولا أملٌ ... ولا ضميرٌ ولا يأس ولا ندم

والموتُ أطهر من خبثِ الحياة وإن ... راعت مظاهرُه الأحداث والظلم

مازلتُ فى اللحدِ ميتًا ليس يلحقنى ... نبحُ العدوّ وبى عن نبحِه صمم

مرَّت علىَّ قرونٌ لست أحفظها ... عدًّا كأنْ مرّ بى الآبادُ والقدم

حتى بعثت على نفخِ الملائكِ فى ... أبواقهم وتنادت تلكمُ الرمم

وقام حولى من الأموات زعنفةٌ ... هوجاءُ كالسَّيلِ جمّ لجه عرم

فذاك يبحثُ عن عينٍ له فُقدتْ ... وتلك تعوزها الأصداغ واللمم

وذاك يمشى على رجلٍ بلا قدمٍ ... وذاك غضبان لا ساقٌ ولا قدم

وربَّ غاصبِ رأسٍ ليس صاحبَه ... وصاحبُ الرأسِ يبكيه ويختصم

ويبحثون عن المرآةِ تخبرهم ... عن قبحِ ما تترك الأجداثُ والعدم

جاءت ملائكةٌ باللحم تعرضه ... ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضم

رقدتُ مستشعرًا نومًا لأوهمهم ... أنى عن البعثِ بى نومٌ وبى صمم

فأعجلونى وقالوا : قم فلا كسل ... ينجى من البعث ، إن الله محتكم

قد مُتَّ ما مُت فى خيرٍ وفى دعةٍ ... وقد بعثتَ فماذا ينفع الندم ؟

أستغفر الله من لغوٍ ومن عبثٍ ... ومن جنايةِ ما يأتى به الكلم !!

---

(١) المقصود بهذه القصيدة السخر بالناس ورذائلهم التى لا تكاد تفارقهم حتى عند البعث .

صنم الملاحة

صنمَ الملاحـــةِ والرشـــا ... قـــــةِ واللـذاذةِ والألـمْ !
ناجـــيتُ قلبَك كى يرِ ... قَّ فـــمـــا أحسَّ ولا رحـمْ
يقـســو فـؤادُك يا صنم ... أو ليس من حـجـرٍ اصم ؟
وخـدعـتنى بغـدير حسـ ... ـنك كـالسـراب إذا ألـم
وتركـتنى كـالمصحـرِ الـ ... ـظمـآن يهلكه السـقم
صنمَ المـلاحـةِ زفـرتى ... تحـيـيك من سنة ونوم
وتبـثُّ فـيك الحبَّ يا ... صنم الملاحـةِ يا صنم !
فـتـحس فـيك شجـونه ... وتصـيـر من لحم ودم
فـدع الجـمـودَ لأهله ... إنَّ الجـمـودَ هو العـدم
صنم الملاحـة إن حسـ ... ـتَك مـثلُ ألحـانِ النغم
فـإذا لقـيـتكَ أو سـمـعـ ... ـتكَ أو رأيتـكَ فى الحـلم
تـدع الـفـــؤادَ كـطائرٍ ... إنْ هـمَّ بـالـطيــرانِ لـم
وتنام ليلك ناعـــمـــاً ... وأبـيـت لـيـلى لـم أنم
صنـم المـلاحـــة إننى ... وهـواك فـى نـحـسٍ وهـم
بلـغ الـغـــرامُ إلى الجنو ... ن فـلا عـتـاب ولا نـدم
وملـكتنى فظلـمـــتنى ... والحـسنُ أظلمُ من حكم
وحـيـيـت بين الناسِ مـعـ ... ـروفًـا بحـبِّك مـتـهـم
والحـبُّ حـلـوٌ ذائـبٌ ... والحبُّ من صـابٍ وسم

ومن العـــجـــائبِ أننى بسرابِ حسنك معتصم
فكأن حـــسنَك مــا جنى شـــرًا علىَّ ولا اجــتــرم
يا ليت حـــبَّك يا صنم حُـلْـمٌ تجئ بـه الـظـلـم
فـــأفـيقُ منه مــسلّمـــا مـــثل الظلام إذا انصـــرم
فكأنّ حـــسنَك لم يكن وكـــأنَّ حُـــبَّك لم يُلم !

بين الحقيقة والخيال

أمـا علمت عـيناك أنى قـتـيلهـا وكلُّ حـبـيـبٍ بالمحبً خـبـيـرُ ؟
فليس عيونُ النرجس الغضً مثلَها ولا القطرُ فـوق الوردِ وهونضـيـرُ
وليس عـيـونُ النَّجمِ أبهى إذا بدت ولـلنَّـجـم لحظٌ فى الظلام منيـــر
لعينيك سحرٌ ليس للسحر فعله فليس لهـــا فى الفـاتنات نظيـر
أمـــا علمت عـيـناك أنىَ عـــاشق وأنى غـريبٌ فى الحيـاة أسـيـر ؟
أمـا علمت عـيناك أن لحـاظَهــا تثـيـر غـرامًـا واللحـاظُ تثـيـر ؟
إذا مـا كـررتُ اللحظ نحوك طرفةً رجـعتُ ولحظى من سناك حسـيـر
لقـــد كـثـرَ الناعــون للودِّ بيننا فـهل يأتينّى عن رضـاك بشـيـر ؟
حـبـيـبى دع الدنيـا تجئ بما تـشـا فـكلُّ فـــضـــاءٍ طائر سـيطيـر
وجـــدْ لى بذخـرٍ من ودادك وافــرٍ وكلُّ قليل من رضـــاك كـــثـــيـر
وإن تلق وداً مـــثل ودى فـلا تـكن له عــــائفًـــا ، أمُّ الودادِ نَزور[1]
ولا تحـــسبنَّ الناسَ ناســاً فـــإنهم قـرودٌ إذا كـشّـفـتـهم وحـمـيـر !

---

(١) نزور : أى مقلة من النسل .

وأكثر ما خالوه صدقًا وحكمةً ... نعيقٌ إذا بينته ونعيرُ !

وآذانهم مثلُ الحميرِ طويلةٌ ... وذيلهم لا كالقرودِ قصير !

بنى آدم من قبل آدم قد مضت ... عصورٌ على أعقابهن عصور

فإن يكُ فيكم فطنةٌ وضمائر ... فللقرد عقلٌ وافرٌ وضمير !

ضمائركم لو تعلمون حبائل ... لها من أباطيل النفاقِ سيور

حبيبى لا يحدثْ لك الحسن غرّةً ... فكلُّ حياةٍ لو علمتَ غرور

أما أنتَ نسلُ القردِ كالناسِ كلهم ... وذلك رأى لو غضبت خطير !

مشابه لا تخفى لديك كثيرةٌ ... تحدثنا أن النظيرَ نظير !

فإن قلتُ أنت البدرُ فالقولُ كاذب ... وإن قلتُ أنت الشمسُ فهو فجور !

وما ذاك إلا خدعةٌ وتعللٌ ... وبعض الخداعِ للحياة نصير

وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ ... وأىُّ سرورٍ فى اليقينِ سرور ؟

بلى أنت نسل البدرِ والشمس زوّجا ... وأنت جمالٌ للحياة منير !

الحسود

أخ لى ، وإخوان الصفاء قليل ... خليلٌ وهل فى الحاسدين خليلُ ؟

إذا ما بدت لى خصلةٌ يستجيدها ... طواها عنيف عند ذاك عجول

وأدركه مسُّ الجنونِ وأظلمت ... عليه السماءُ ، والنهارُ جميل

تنفس أنفاساً سراعاً ، وأبرقت ... له لحظات كلهن غليل

فرائصه مرجوفةٌ ، ودموعه ... تحيّر فى آماقِهِ وتجول

وإن تبدُ منى ريبة قال باسمًا ... ألا إنها طبع لديه دخيل

ويشدو بمدحي حاضراً ، ومديحُه ... إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيل
ويبسم للزارى علىَّ كأنَّما ... يقول له أحسنت حين يقول
ويوهم صحبى أننى ذو عداوةٍ ... أجولُ بعيبٍ فيهم وأصول
وأنى مغتابٌ وأنى حاسدٌ ... أعيب عليهم فضلهم وأُذيل
إذا استخبروا عن شيمتى ومحاسنى ... يجمجم قولاً مشكلاً ويميل
وإن مدحونى جاهدين وأكثروا ... تململ حقداً والحقودُ عليل
يعين على شتمى وإن هو لم يقل ... مقالاً وبعضُ الصامتين يقول
ويبغضنى سراً كأنى وترته ... بفضلى وما تبغى لدىّ ذحول
ويعتد غنماً أن تنيخَ مصيبةٌ ... علىَّ وأنى فى الشقاءِ أقيل
كأن جحيماً موقداً فى ضلوعه ... تؤججه ريحٌ عليه تجول
وفيه شياطين من الحقدِ وجهها ... يروعُ إذا أبصرته ويهول
فلا زال مسموماً من الحقدِ عانياً ... ولا زال عنى من هواهِ نكول

بالله ما تفعل لو بلغوك

باللهِ ما تفعل لو بلغوكْ ... أنى عرتنى جِنة من هواكْ (١) ؟
أأنتَ باكٍ للمحبٍّ الذى ... لم يعرف الذلةَ حتى رآك ؟
أم ضاحكٌ لاهٍ به ساخر ... والسخر أن تضحك ممن بكاك ؟
بكاكَ للصدِّ ولوعاته ... إذ أظلمت عيشته من جفاك
وكيف لا يُذهب لبى الهوى ... إذ مضت لى أشهر لا أراك ؟

---

(١) الجنة بالكسر : الجنون .

أظلُّ كالأعمى إذا غبتمُ ... فالعينُ لا تبصر حتى تراكْ

يا نور عيني ، غال عيني العمى ... أغدقْ عليها رحمةً من سناك

والعقلُ لا يعقل إن غبتمُ ... والنفسُ لا تأملُ إلا رضاك

أبيتُ لا أذكر إلا اسمكم ... فليس لي في العيشِ شغلٌ سواك

حتى متى لا ودّ لي منكمُ ... حتى متى لاحظّ لي من لقاك

مرآك مرآك الذي أبتغي ... طوبى لعبدٍ قاطنٍ في ذراك[1]

بالله ماتفعل لو بلغوك ... أن الهوى أورد نفسي الهلاك

وأنني قد صرتُ في حفرةٍ ... قنيصةَ الدودِ ويا بؤس ذاك

والدودُ لا يُفلت منه الرميم ... والموتُ ما للمرءِ منه فكاك

أأنت تبكي للرميمِ الدفينِ ... أم ضاحك مما جنته يداك ؟

بالله ما تفعل لو بلغوك ... أنيَ أسعى عامداً للهلاك !

لما مللتُ العيشَ من بعدكم ... سقانيَ السمَّ الذي لا سقاك

جرعتُ منه جرعةً كأسها ... يروي صدى القلب الذي قد هواك[2]

يا عجباً لو كنتَ لي راحماً ... أحرقة الرحمة تكوي حشاك ؟

اضحك ولا تحزن لما نابني ، ... الجسمُ والروحُ جميعًا فداك !

الحب والحياة

إني أحبُّك يا صديق ... والحبُّ أهونه شديدْ

حبًّا يزيد على الملا ... مِ كأنه الطفل العنيد

إني أحبّك ما حييت ... فإن قضيت فلا يبيد[3]

---

(١) الذرى : الكنف والجناب . (٢) الصدى : الظمأ . (٣) قضى : أي مات .

وإذا بعثت فأنت شغـ ـلى لا الجزاءُ ولا الوعيدْ

والحبُّ فيه لذى الصبا إمّا الهلاك أو الخلود

والحبُّ مثل الخمر تشـ ـربها فيغريك المزيد

والحبّ مثل الحرب إن شَبّتْ يشيبُ لها الوليد

لا يسلمنّ من اللوا حظِ لا الجبان ولا الجليد

إن السعادةَ والشقا وةَ والحمام لها جنود

فتكاتُ طرفِك كالمقا درِ في المصادر والورود

لحظٌ يطل به الضيا ءُ على المباسمِ والخدود

لحظٌ هو الصدقُ المبينُ وغيرُه الكذبُ الرديد[1]

لحظ به سرُّ الحيا ةِ وسرُّها أبداً جديد

لا تخجلن إذا وصفـ ـتَ بحسنِ طرف أو بجيد

فالحسنُ أعظم ميزةٍ والحسنُ كالذخرِ التليد

حدثتُ نفسى أن حـ ـبَّك لا الرشيد ولا الحميد

فإذا عفوتَ فإننى وحياة حبِّك لا أعود

لو كان حسنُ العيشِ في الـ ـصبوات كالنغمِ السديد

فإذا انقضى عاودته فأعيده للمستجيد

لقضيتُ منه مأربى ونعمتُ بالأملِ المديد

ليس السعادةُ للمحـ ـبِّ بل الجميلُ هو السعيد

والحبُّ قد يجنى على الـ ـمعشوقِ من شرٍ وكيد

---

(١) الرديد : المردود الذى لا يصدق .

أوَ مـا ترى حسنَ الطيـو ... ر يصاد للريشِ النضيد ؟

تجنى المناقبُ والصفا ... تُ على الذكيِّ أو البليد

فالعيرُ ذللّه الغبا ... وجنى الذكاءُ على القرود

تتكسب الرزقَ القليـ ... ـلَ لتضحك القومَ الجمود

حسبوا الأديبَ وقولَه ... كالقردِ يضحك لا يفيد

أواه من عنتِ الجهو ... لِ وما يقولُ وما يكيد

لو كان قلبى كالرما ... د لما ألمت من الخمود

ولئن ضحكت فإنه ... ضحك البوارقِ والرعود

والحبُّ فيه تعلّةٌ ... تلهى الشقيَّ عن الجدود

تلهى المحبَّ عن الحيا ... ةِ أو النحوسِ أو السعود

وتليح بالحلم اللذيـ ... ـذِ وتحته الأمل الصّدود

فاضرب بسهمك فى الحيا ... ةِ فما البكاءُ على فقيد ؟

واندس فى وسط الزحا ... مِ فما الخمول وما القعود ؟

وارقص على نغم الحيا ... ةِ فما لها أبدًا معيد

واضحكْ وكُلْ واعملْ ونَمْ ... وادأب على السعى المجيد

واحمل حياتك فى يديـ ... ـك فإن أصبتَ فما تميد

واستقبل الأيامَ فى ... دعةٍ فمن بيضٍ وسود

فإذا دعتك منيةٌ ... والمرءُ كالزرع الحصيد

فادلف لها دلفَ المجـ ... ـرب لا يخور ولا يحيد !

ســراب الــود

ألوى إلى الناس وجهًا غيرَ منبسطٍ ... وأتقـيـهم بقلبٍ غـيـرِ مـسـرورِ
أنّى تلفتُّ لم أبصـر سـوى رجلٍ ... بادى العداوةِ مخضوبِ الأظافيرِ
هم يحسدونى على عيشى فوا أسفى ... عيشى عليلٌ وصنعى غيرُ مشكور
تكشّف الناسُ عن عـادٍ له إحن ... وعن ذليلٍ شـديدِ الغلّ مـقـهـور
للناسِ فى العيشِ من بدوٍ وحاضرةٍ ... طبعُ العقـورِ وإمـا طبع مـعـقـور
ما كنتُ أختـار هذى الناسَ منزلةً ... لو أننى كنتُ حـرًا غـيـر مجـبـور
الشرُّ والكذبُ والأحـقـادُ طبـعـهمُ ... والحقدُ فى الطبع بادٍ غيرُ مستور
أسقى التصافى خليلاً لا يعاشرنى ... إلا عـلـى رَنَـقٍ منـه وتـكـديـر
إذا اتخـذتُ خليـلاً لى أصادقُه ... دار الزمـانُ علينا بالمقـاديـر
فـينجلى صـرفـه عن واترٍ حنِقٍ ... وعن مـروعٍ كـثـيـرِ الهمّ مـوتور
عللت بـالودِّ قلبى وهو ذو أملٍ ... لا الود يصـفـو ولا قلبى بمغـرور
فـمـا طلابى سـرابًا عـزّ مطلبُـه ... وقـد ظفـرتُ بحظٍّ منه مـقـمـور
أما حـبـيبٌ رغـيبٌ ذو مـصـادقةٍ ... أقضى به العيش محمود المصادير ؟
إنـى لأرحـم نـفـسـى أننـى أبداً ... بين البـغـال وأحلام العـصـافـيـر !
يا ويح نفسى ، أما ألقى أخا ثقةٍ ... كـأنما روحـه صـيـغت من النور ؟

عبث الحيـاة

« أرسل إلى صديقى الشاعر العبقرى الجليل عباس أفندى محمود العقاد هذه الأبيات الآتية وهو مقيم بأسوان » :

« يا جار بحر الروم مالك صامتاً هلّا اقتديت بموجه المتجدد ؟[1]
غضبان من لؤم الحياة وإنها أَمةٌ ولكن ما لها من سيد
إما غضبت ففي جوارك خضرم غضبان يقذف باللغام المزبد
إني ألب بموطن لو أنه قفر لأطربني صغير الفدفد
تمضي الشهور وفي الجوانح لوعة تمشي على كبدي كحز المبرد
أشكو الزمان إلى القريض وتارة أشكو القريض إلى الزمان المعتدي
فاكتب على هذا الزمان ذنوبه إنا نؤجله الحساب إلى الغد
واضحك فإن قالوا تضاحك قانط فاضرب لهم مثل الغمام المرعد
تالله لو علموا لكان مكاننا فيهم أعز ، وكيف علم المقتدي »

فأجبته بهذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق :

ماذا يفيدُ تصوبي وتصعدي في مسلكٍ للعيشِ غير ممهدِ ؟
كالبحر في أحواله متغيراً عبثًا يضجّ بموجه المتجددِ
عبثاً تعيثُ الريحُ في هباتها كالحادثاتِ إذا تروح وتغتدي
عبثًا يسير النجمُ في أبراجه متنقلاً في سيره عن موعد
عبثًا تضيء الشمسُ وجهَ مسالكٍ للعيش تزخرُ بالشقاءِ المزبد
لو كان يدري المرءُ قدر شقائه في العيشِ ودَّ لو أنه لم يولد
والناسُ غرقى في الشقاءِ ولؤمِه من ناقمٍ يشكو ومن متبلد
ومن البليةِ أنني بشقائهم وشقاوتي أمحو لذيذ تجلدي
إن التبلدَ والبلادةَ والغبا مثلُ الخمورِ لذيذة والمرقد !
ولربَّ صحو للخمار مبغّضٍ يأتي بهمٍّ للحياة مجدِّد !

---

(١) كان الشاعر يومذاك مقيماً بالإسكندرية حيث قضى سنوات عدة .

من لى بعـيشٍ لا أحس صـروفَـه — كـالماءِ أو كـالنار أو كـالجلمـد !

مـاذا يفـيـد تضـاحك من قـانط — نار الجـحـيم بقلبـه المتـوقـد ؟

ضـحك يهـدّ القلبَ وقعُ رعـوده — ولربَّ ضـحكٍ فى النعيم مـغـرد !

مـاذا على الإنسـان لولا نسله — إن باع دنيـاه بموتٍ سـرمـد !

الحيـاة والفنـون

جـمَّلكِ اللهُ يا حـيـاةُ كـمـا — جـمَّل وجـهَ السـمـاءِ بالشُّـهبِ

حـديقـة للنفـوسِ زاهيـةٌ — ببـدائع فى الفنون والأدبِ

تجلو لك العـيش من غـيـاهبـه — مستخـلصًا من شـوائبِ الريبِ

تـنـوّر النفـس نَـورهـا أبـدًا — فى مشرق من ضيائها الذهبى[1]

والحسنُ ضوءُ النفوسِ يظهـرها — غـــراءَ فى حلةٍ من اللهب

والحسنُ ثوبُ النفوسِ تلبسـه — والنفسُ تُزهى بثوبها القشب

وكلُّ فنٍ إلى الجمـال له — من محكم الصنع أقرب النسب

من علّم المرءَ فى بدايتـه — صنعَ مفيدِ الآلات والقضب ؟

من علّم المرءَ أن يقيم على الـ — أرض بيوتًا مرفوعةَ الطُّنُب ؟[2]

من علم المرءَ أن ينال من الـ — ـمزمار والصنجِ لذةَ الطرب ؟

يحكى بها ضربه مغازلةَ الـ — ـعاشقِ لينًا وسورةَ الغضب

واللحنُ خمرُ النفوس تشربه — واللحنُ سكر مثل ابنة العنب

---

(١) أى : كما أن ضياء الشمس غذاء للأزهار كذلك الفنون غذاء للنفس .

(٢) الطنب بالضم : العمد .

يحكي به موقعَ الحوادث والـ ... أقدارِ من مغنمٍ ومن سلبِ

يحكي به الجِدّ إذ يجد به الـ ... ـدهرُ وطوراً كرقصة اللعب

يحكي به السعدَ والشقاءَ وما ... نصيب من نعمةٍ ومن كرب

يحكي به خفقةَ الفؤاد على ... حاليه من راحةٍ ومن تعب

من علّم المرءَ أن يخط على الـ ... ـقرطاسِ لوناً من أعجب العجب ؟

يحكي به الضوءَ والدياجير والـ ... أجسام من ناضرٍ ومن شحب

يحكي به الجلدَ في نعومته ... وما يليه من الدم السرب[1]

يحكي به أوجهَ الحياة وما ... نراه في بدئها وفي العقب

كأنما يقبس الضياءَ من الـ ... ـشمسِ ويأتي بظلمة السحب

من علّم المرءَ أن يقدَّ من الـ ... ـصخرِ دمى في وضاءةِ الشهب ؟[2]

تلك مثال الكمالِ صوره ... يظل عريان غير محتجب

أو في ثيابٍ كأنما يبرز الـ ... ـريحُ بها الجسمَ ليس في حجب

تحسبها في الحياة ماثلةً ... تفكر فيما تريد من أرب[3]

تحسب فيها القلوبَ نابضةً ... خافقةً بالشعور والنصب

من علّم المرءَ أن يقولَ من الـ ... ـشعرِ مقالاً كاللحنِ في الطرب ؟

يعلم الناسَ في سرورهم ... حكمةَ هذى الصروف والنوب

وأن هذى الفنون قاطبةً ... جماعها في القريض والأدب

والفنُّ جمّ والعيشُ آخره ... دانٍ دلوف بالحادث الأشب[4]

(١) السرب : السائل المتسرب .

(٢) أي : تماثيل جميلة مثل النجوم .

(٣) أي : تحسب هذه التماثيل ذات حياة تفكر .

(٤) الحادث الأشب أي : الموت .

وفى صــروفِ القــضــاءِ عــرقلةٌ تقـــتل روحَ الذكـــاءِ بالريب
وتبــعـثُ اليـــأسَ والملالةَ والـ ـشكَّ وتودى بهـــمـــةِ الطلب !

مناجاة الأرواح

بحقِّ من خلقَ الأرواحَ ذاكـيـة وأودع الروحَ طولَ العمرِ فى الجسدِ
وخـــالق الحبِّ والأرواح تألفـــه فيمنع المرءَ من صبرٍ ومن جلدِ
وجاعل رسلاً فى القلبِ يرسلها للقلب عن كثبٍ تسعى وعن بعدِ[1]
وباعث من ضمير الصبِّ خاطرةً مثل الفراشةِ حامت حولَ ذى غيد
تلك المناجاة تدنى الروحَ عن شحط وتستقيدك فى دلٍّ وفى ميد
بحق من أنت من آيات صنعته صنعًا يلوح بحسنِ الواحد الصمد
لو شاء بزك ثوب الحسنِ أجمعه فصرت عريان من أثوابه الجدد
ألا بعثتَ خيالاً منك فى صلةٍ يزورُ بالليل فى نومٍ وفى سهد ؟
وما انتفاعى بطيفٍ كله خدعٌ يا ليته كان ذا روحٍ وذا جسد !
أو زرتنى زورةً فى الدهر واحدة تجيء عفوًا فلم تخلف ولم تعد
كم قد دعوتك فى الظلماءِ منفرداً وكم صدحتُ كصدحِ الطائرِ الغرد
أبيتُ سهرانَ مشغوفًا بذكركمُ وليس يدنيك لا شوقى ولا سهدى
هيهات هيهات ما للقلب من رسلٍ إن الدعاءَ شفيعٌ غير ذى سدد
لو أن للقلبِ ما خالوه من رسلٍ لكنت تعرف ما وجدى؟ وما كمدى؟
بل أنت لاهٍ قريرُ العينِ ذو سنةٍ فى حين وجدى شديدٌ غير متئد !

---

(١) عن كثب أى عن قرب .

أنا مجنون بحبك

أنـا مـجنـونٌ بحبُـك ... فـأزل غُـلةَ صبكْ
ليتنى بالسحرِ معرو ... فٌ فـأبغى خلس لبك
ليتكم كـأس عـقـارٍ ... وأنا مـغـرى بشربك
أيهـا الظالمُ رفـقـاً ... ليس قلبى مـثلَ قلبك
إن يكن فى البعـدِ موتٌ ... فـادننى أحىَ بقـربك
أنت كـالدهر مـريبٌ ... نجّنى من سـوءِ ريبك
ليتنى طولَ حـيـاتى ... أحـمـد العيشَ بجنبك
ليتنى فى الموتِ طولَ الـ ... ـدهرِ مـدفـونٌ بتـربك
سلمك المأمـول فـردو ... س فـأخـمـد نار حربك
ودكم كـالسحب وعـد ... ووعـيـد طى سـحـبك
عـتـبكم عتب الليالى ... لم أجـد عـتـبًا كـعـتـبك
أنـا أهـواك ومـالـى ... منك إلا سـوء غـيـبك
ألـهـدى ضـوء عـينك ... أم لرجمٍ لحظ شُـهْـبك
أنت بسـتـانٌ أنيـقٌ ... نضـجت أثمـار رطبك
أتـعـدّ الـذنبَ ذنبى ... ليت لى قلبـاً كـقلبك
ذنبىَ الحبُّ لـديـكـم ... ليت ذنبى مـثلُ ذنبك
يا طبيـبَ الحبِّ ليس الـ ... ـهـجـرُ من ناجعِ طبك
إن قـلـبى طـولَ دهـرى ... ناظرٌ يـرنو لصـوبك[١]

---

(١) الصوب : الناحية والجهة .

كلُّ خيرٍ دون شرِّك كلُّ صدقٍ دون كذبك
كلُّ عذبٍ دون مرِّك كلُّ جدٍ دون لعبك
كلُّ صعبٍ دون سهلك كل فضلٍ دون عيبك !

ظالمي ما أعدلك

ظالمي ما أعدلك فاقض إنَّ الحكم لكْ
ليت روحي طرفةٌ وجده عنك ملك
متُّ من داءِ الهوى ليت حبًا قتلك
لا يغرَّنّك أن الـ ـقلبَ عبدٌ ذلّ لك
كم جميلٍ ما بدا فاتناً حتى هلك
أيُّ ذنبٍ جئته عن ودادي نقلك ؟
أي أمرٍ طارقٍ عن دعائي شغلك ؟
قد بدا لي يا حبيبي منك أن لا قلب لك
إن يكن فيك جمالٌ إن شعري جملك
كل حسنٍ شمته فيك روحي حاك لك(١)
ليت لي يا قلب قلباً طائعًا لي بدلك
قد دعا داعي الهوى فاتئد ما أعجلك
لتموتنَّ ولا تبـ ـلغ منه أملك

---

(١) شمته أي رأيته . أي أن خيال الشاعر يكسو حبيبه جمالا ثم يعبد الشاعر هذا الجمال الذي حاكه خياله .

مــــــــــا أظـن الحـبَّ إلا بـالـغـــــــاً بى أجـلـك !

ليتنى وليتك

ألا يا ليــتنى نســمــه ويـا لـيـــــتك لـى زهـرهْ
فـــأهـواك وتـهــــوانـى فـــلا عـــتب ولا هـجـــره
وكـنـتُ الـروضَ ممـطـوراً وكنتَ الغـــيث لى مطره
ألا يا لـيـــــتنى مـــاءٌ ويا لـيـتك لى خـــمــــره
فـــأحـــويك وتحـــوينى ولا وجـــــد ولا غـــــدره
ألا يا لـيــــــــتنى لـيـلٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى بـدره
ألـست الليـل أحــــويك وأنـت البـــدر لى غـــره ؟
ألا يا لـيــــــتنى طرفٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى نـظـره
فـــألقـــاك وتلقـــانى فـــلا بعـــــد ولا ذكـــــره
ألا يـالـيــــــتنى بحـــــرٌ ويـا لـيـــــتك لى قـطره
ألا يـا لـيــــــــتنى أفقٌ وكنتَ النجـــمـــةَ الزهره
ألا يا لـيـــتنى مـــعنى وكنـت الدهرَ لـى ســـرّه
ألا يا لـيـــتنى مـــيت ويا لـيـتك لى حـــفـــره
فـــلا شـــوق ولا يـــأس ولا نـهـى ولا زجـــــــره !

لــــولاك

لولاك ما ذقتُ طعمَ العيشِ لولاكـا فـالحلوُ والمرُّ مـعـقـودٌ بجـدواكـا
لولاك مـا بتُّ طولَ الليلِ مكتئبًـا ولا حـنـنت لبــرقٍ من ثـنايـاكـــا

تصيحُ بى الطيرُ إنى عاشقٌ لكمُ ... من علَّم الطيرَ أنَّ القلبَ يهواكا ؟
والزهرُ يعذرنى فيكم ويبسم لى ... هل يعلمُ الزهرُ ما تجنيه عيناكا
يهبُّ شوقى لريح الوردِ أنشقه ... كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراكا
أهوى النسيمَ الذى من نحو بيتكمُ ... يا طيبه حينَ يأتينا برياكا
أحببتُ من حبِّكم من كان يعرفكم ... كأنما قربه من طيبِ رؤياكا
فإن فى عينه عن حسنكم خبراً ... ونظرة سُرقت من حسنِ مرآكا
حبيبُ يا زهرةَ الدنيا وبهجتها ... هل من ودادٍ فتلقانى وألقاكا ؟
أمشى أحدثُ نفسى عنكمُ أبداً ... لعل قلبىَ يسعى بى لمثواكا
اختارنى الحبُّ دون الناس كلهمُ ... فهبَّ قلبى ولباه ولباكا
كم يخلقُ القلبُ من نجواكُم رسلاً ... هل جاءكم هاتفٌ منه فحياكا ؟
يطيفُ بى هاتف من طيفكم أبداً ... يا ما أميلحه لو كان إياكا !
من حبِّكم صرتُ أبغى عنكُم بدلاً ... أقول ياليت أن القلبَ يقلاكا
أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبكُم ... ياقلبُ صبراً فما تجديك شكواكا [١] ؟ !

الربيع والصبا

يا قلبُ مالك كالشتاءِ وبؤسه ... أيعودُ شجوك فى الربيعِ الآتى ؟
قد كانت الآمال فيك صوادحًا ... تهفو بسمع أحبتى ولداتى [٢]
وتليح لى بمطامعٍ مرجوةٍ ... إذ أنت تدعو والحبيبُ يؤاتى
يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته ... أفهل نسيتَ محاسنَ اللذات ؟

---

(١) ما تجديك أى ما تنفعك .   (٢) اللدات : القرناء .

ذهب الهوى بزهوره وطيوره ... أفلا يصيخُ لدعوتى وشكاتى ؟
من لى بأيامٍ له محمودةٍ ... ذهبيةِ الأشواقِ والصبواتِ ؟
نستقبل الأقدارَ وهى كوالحٌ ... فنعيدها مبيضةَ الصفحات
ذهب الربيع أخو الصبا بذهابه ... فالطيرُ خرسٌ ميتةُ النغمات
أين السبيل إلى معاودةِ الصبا ؟ ... أيعودُ شجوُ القلبِ بعد فوات ؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى ... يوماً ويدركه الأسى بممات
والمرءُ يحيا بعد فقدِ شجونهِ ... ليست حياةً بعدها بحياة
فالصدرُ قبرٌ والشجونُ رفاتُه ... ذكرى تليحُ بحفرتى ورفاتى !

ليلة القدر

أماناً ليلة الدهرِ ... أمانًا ليلةَ العمرِ
فقد أبصرتُ من أهوى ... شبيهَ الوجه بالبدر
فبتُّ الليلَ سهرانا ... أنادى الله بالجهر
عسى يدنى مُنى قلب ... شقى فيك بالهجر
وأستدنيك بالنجوى ... وأستدنيك بالسحر
فلم أظفر بمأمولٍ ... وولَّتْ ليلةُ القدر
عناءٌ كلها كانت ... من الإمساء للفجر

الرحمة

« منقولة عن شكسبير »

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تُجتدى ... ولا يستقيد القسرُ أفضالَ راحمٍ

تجود كما جادت سماءٌ بغيثها فتجدى كما يجدى سخيُّ الغمائمِ
أليستْ كقطرِ الغيثِ ريًا ونعمة تعيد وجوهَ الروضِ غرَّ المباسم ؟
وتبدرُ من قلبِ العظيمِ عظيمةً وأعظم نفعًا فى فعالِ الأعاظم ؟
فطوبى لذى هم ينالُ شفاءها وطوبى لذى فضلٍ كثيرِ المكارم
تطهرُ قلبَ المرءِ لو يستطيعها وتكسرُ من شرِّ الخطوبِ الهواجم
هو الرفق تاجٌ للملوك يزينهم بأحسن من تيجانهم والصوارم[1]
وفى صولجان الملك روعٌ لناظر يدل على بطشِ الملوكِ القماقم[2]
ويملأ قلبَ المرءِ خوفاً وهيبةً فيفرق من سطوِ الطغاة الغواشم
ولكن مُلكَ الرفقِ أعلى مكانةً وأعظم من ملك الظُّبى واللهاذم[3]
تبوَّأ فى قلبِ الملوكِ مكانةً تبوُّأهم ملكاً رفيعَ الدعائم
فإنى رأيتُ الرفقَ كالخلد ملكه ولكن ملك السيف ليس بدائم
وما نعت الرحمنُ إلا بنعته فطوبى لجمِّ الرفق جَمِّ المراحم
إذا ما مزجت العدلَ بالرفق جاهداً وإنى رأيت الرفقَ خيرَ المطاعم
بلغتَ رضاءَ الله فى خيرِ نعتهِ وسرتَ على نهج النفوسِ الكرائم

غروب الشباب

يموتُ شبابُ المرءِ والمرءُ غافلٌ ويعقبه بعد الشبابِ مشيب
ويمضى شبابُ العاشقين وما انقضى لهم أربٌ من عيشهم ونصيب
شباب أضىء لى العيشَ كالشمس كلما حداها إلى باب السماءِ غروب
طلعتَ طلوعَ الشمسِ والعمرُ واضحٌ شهىّ ، وأثمار الحياة تطيب

(١) الصوارم : جمع صارم وهو السيف . (٢) القماقم : السادة ذوو البذل والعطاء .
(٣) الظبا جمع ظبة ، واللهاذم جمع لهذم : وهى السيوف القواطع .

وتغرب عنا مغربَ الشمسِ رائعًا وأنتَ على ما كان فيك حبيب

تضيء بحارَ العمرِ كالشمسِ حقبة وتطفئك الأحداثُ وهى خطوب

لك الشفق المشبوبُ كالنار كلما تأجج فى صمِّ الضلوع لهيب[1]

وتندبك الأشجانُ وهى سحائب لها منظرٌ عند الغروب مهيب

فقمْ يا مشيبى واملأ العيشَ وحشةً لها من دياجير الظلامِ ضروب[2]

وما الشَّعَرُ المشبوبُ فى الرأس حليةٌ ولكن رمادٌ للحياة يريب[3]

وما الشعَراتُ البيض فيك مضيئةٌ وليس لها فى الزاهرات ضريب[4]

الحب القديم والجديد

ذهب الحبُّ فلا تحزن له ومضى الوصلُ فلا يغنى الندم

كنت تسقينىَ من كأسِ الهوى جرعات هى من خير النعم

فإذا الحبُّ نعيمٌ ينقضى وإذا حُسْنك طيفٌ فى الحلم

لا يحلُّ البغضُ فينا منزلاً حلّه فينا الغرامُ المنصرم

كلُّ شىءٍ لبلاغ ومدى ومدى الحبِّ ملالٌ وسام

فابتدره وهو فى إبانه واسلُ عنه وهو نضو منثلم

أولُ الحبِّ عبابٌ زاخرٌ وبقاياه كموجٍ منهزم

لا أريدُ الحبَّ إلا رائعاً مالئاً للنفس كالسيل العَرِم

---

(١) المشبوب : المشتعل . (٢) الضروب : النظائر . (٣) المشبوب : المشتعل ، يقصد به الشعر الأبيض كأن بياض المشيب رماد الحياة . (٤) الزاهرات : النجوم ، أى أن شعرات المشيب فى سواد الرأس ليست مثل النجوم المضيئة فى سواد الليل .

ليس للعتبى مجالٌ بيننا ... فبنا عن رجعة العتبى صمم
إن نحاولْ رجعَ وصل دارسٍ ... لا يعود الذكرُ إلا بالألم
لذة الذكرى إذا ما لم يكن ... كلف يجلبُ للقلبِ السقم
لك في الناس أليف عاشقٌ ... ولنا في الناس عشقٌ مكتتم
قد بلوناك حميداً في الهوى ... وبلوناه حميداً لا يذم
لك من ودى نصيب وافرٌ ... حافظٌ عهدَ الزمانِ المنصرم
ليس للحبِّ قيودٌ أو إسارٌ ... إنما الودُّ كفيلٌ بالذمم
أنت عندى مثلُ حلمٍ رائقٍ ... أو خيالٍ يطرق النومَ ملم
أو كنور البدر فضيًّا له ... وترٌ في القلب فضىُّ النغم(١)
غير أن الشمسَ يورى نورها ... في نواحي القلبِ حبًّا كالضرم
يبعث الرغبةَ فينا حرّها ... إنما الرغبةُ نار تضطرم
ولنا في الناس إلفٌ حسنُه ... مثلُ حسن الشمسِ جالٍ للظلم
أنا منه كلَّ يومٍ في جوى ... يستبيح القلبَ من لحمٍ ودم
ومن العشق جنونٌ خابل ... يزدرى المرء له وقع التُّهم
ما على العاشقِ من لوعاته ... ما يرى في الحبِّ من عذلٍ وذم
وحبيبٌ باسمٌ مثلُ الضحى ... وإذا فاتحته الحبَّ وجم
جاهلٌ بالعيشِ لا يعرف ما ... تخبأ الأيامُ من صرفِ القسم
يحسب الحبَّ كَحلْىٍ زائنٍ ... لابساً من درِّه ما ينتظم

(١) ما رأيت ضوء القمر إلا أحسست كأن نواقيس فضية تطن في أذنى ، وإن ألذ الأنغام رنة الفضة المجوفة .

إنما الحبُّ جنونٌ وجوى ... ورجاء واجترامٌ وندم
وبه للنفس مَحْيا أو ممات ... وبه للقلب غنمٌ أو نقم
يرفع الحبُّ ذليلاً خاملا ... ويذل الحبُّ شهماً لم يضم
كم محب هالكٍ من لوعةٍ ... وحبيب بات كالصخر الأصم
ولقد يجنى على الحسن الهوى ... مثلما يجنى على العيش العدم !

مواطن الحب

الحبُّ طلاَّعُ الثنايا له ... في كل وادٍ جيئةٌ أو ذهوبْ
وفي الجبال الشمّ وكرٌ له ... كأنه النسرُ إليها يؤوب
وفي الكوخ نزَّال وفي الروضة الـ ... ـغناءِ نزال بها لا يريب
تراه في الصحراءِ في ظعنه ... وفي القصور البيضِ إلف ربيب
لا في المكان الجدبِ مستوحشًا ... وليس يزهوه المكانُ الخصيب
له على الأمواج مسعى وفي الـ ... ـرياحِ مسعى رائعٌ لا يخيب
فراشه الأرضُ على رحبها ... وسقفه وجهُ السماءِ الرحيب
بين القبور ضاحكٌ تارة ... ونائحٌ طوراً وطوراً قطوب
أما ترى العشاقَ في خلوةٍ ... وطاؤهم قبر وروضٌ قشيب ؟
فلمْ يبالى الميتُ في قبره ... ما دام يخلو بالحبيبِ الحبيب ؟
إن لهم في عيشهم فسحةً ... للفكر يحدوه الأسى والمشيب[1]

---

(١) فسحة من الزمن : أى متسع منه والضمير يعود على العشاق . أى : دعهم فى شبابهم وغرورهم فإن هذا أحسن العيش ، وسيأتيهم المشيب بالحزن والفكر .

فـــدعـــهـم الآن على غِــرَّةٍ فــإنما الغِــرةُ عــيشٌ خَلوب[1]

يلعبُ بـالأرواح هذا الـهـــوى كـالطفلِ يلهيه الذبابُ الصخوب

ليس فــقــيــرٌ جــاهلاً أمــره ولا غنـى خـــاليـــاً لا يريب

كـلاهمــا طبٌّ بأمــر الهــوى فــإنما دارُ الغــرامِ القلوب[2]

فـى كــلِّ أرضٍ مــنـه إثْــرٌ لــه وكـلُّ ريحٍ من شـــذاه تـطـيب

فى كلِّ دارٍ من جــواه مــريض وكلُّ قلبٍ فــيــه جــرحٌ رغـيـب

جنــون الحيــاة

لا تُرعْ فــالدهرُ مــجنون كلُّ حيٍ فــيــه مــغــبــونُ

جنٌّ من حــولٍ ومــقــدرةٍ وكــذا ذو الحــولِ مــجنون

كلُّ ثبت الجــاشِ فى دعــةٍ وقليلُ الصــبــرِ مــحــزون

إنما الـدنـيــا لـذى خلـدٍ رأيُه بـالعــزم مــقـــرون

هـذه الأقــدار مــحــدقــة غــرّ منهــا الضــيقُ واللين

نحن فى أقــدامــهــا كــرةٌ مــا لنا فى العــيشِ تأمين

لا تـفـكـر فى مــصـــادرها كـلُّ هـذا الـفـكـرِ مظنـون

لا تفكر فى مــصــائبــهــا أيُّ مــا أملت مــيــقــون

فـعــلامَ الخـوف من غِــيــرٍ للعـــوادى شـــرها الحين

احسُ كـأسَ العيشِ فى دعةٍ لا يـرعْك العـــزّ والهـــون

كـســرابِ البـيـدِ عـيـشـتنا مـــا لنا فى الدهرِ تمكين

---

(١) خلب : أى سرق . وعيش خلوب : أى سارق للقلوب مستهو لها . (٢) طب : خبير .

صورٌ للدهرِ يعرضها ... ثم تخفى وهو مدجونٌ[1]

كم تُرى في العيش ذا وجلٍ ... أى شئٍ فيه مأمون

لو يفيد الخوفُ صاحبَه ... صحّ أن السعدَ مضمون

وتناجى ما مضى أبداً ... أيجيب الحيَ مدفون ؟

إن أتاكَ الهمُّ مشتملاً ... سيفه والسيفُ مسنون

ورأيت القلبَ منك جرى ... دمه والقلبُ مطعون

دار عنه الناسَ كلُّهمُ ... إن برَّ الناسِ مظنون

ثم قَهقه في وجوهم ... وإذا ما لام محزون

فتضاحك ، ثم قل أبداً ... إن هذا الدهر مجنون !

دهرنا دار المجانين ... كل حي فيه مسجون !!

فراشة الحب

شربت بلحظك كاساً تلذ ... فأسكرتنى يا مليحَ الهشاشِ ![2]

فأنت نعيمى وأنت شقائى ... وأنت هلاكى وأنت معاشى !

وبعدُك عنىَ موتٌ كريهٌ ... وقربُك بعثٌ يجسد انتعاشى

فحتّامَ ادعوك لا تستجيب ... وطرفى إلى نور وجهك عاشى[3]

أحوم عليه وفيه الهلاك ... كما حامَ بالضوءِ طيرُ الفَراشِ

أظلُ إذا لحتَ ذا لوعة ... كذى القرَّ فى هزةٍ وارتعاشِ

أموتُ من الحبِّ يوماً فيوماً ... وحبُّك فى القلبِ نامٍ وناشى

وهيهات أسلو وحسنك ريٌّ ... أيسلو عن الرى سربُ العطاش[4]

---

(١) أى معتم كأن به غيوما .

(٢) الهشاش : الخفة والنشاط والمرح .

(٣) العشا : سوء البصر .

(٤) السرب من الحيوانات : الجماعة .

وفى الحسنِ حاجةُ نفسِ الأديب هى الطيرُ وهو لها كعشاشِ[1]
فلا تأخذنَّ بقولِ العدوِ فالكذبُ فى الناس بادٍ وفاشى
فخيرهم فيه طبع الجحاشِ وشرهم فيه طبعُ الخشاش[2] !!

عصفور الجنة

ألا يا طائرِ الفردو سِ قلبى لك بستانُ
ففيه الزهر والماءُ وفيه الغصن فينانُ
فغرّدْ فيه ما شئتَ فإن الحبَّ مرنان[3]
وفيه منكَ أنغامٌ وفيه منك ألحان
وللأشجان أوتارٌ ونايات وعيدان
ألا يا طائرَ الفردو س إن الشعر وجدان
وفى شدوكَ شعر النفـ ـس لا زورٌ وبهتان
فلا تعتدَّ بالناسِ فما فى الخلق إنسان
وجدْ لى منك بالشعرِ فإنا فيه إخوان
ألا يا طائرَ الفردو س قلبى منك ولهان
فهل تأنفُ من روضى وما فى الروضِ ثعبان ؟
وهل تفرق من جوٍّ وما فى الجو عقبان[4] ؟
وهل تنفر من قلبى كأن القلبَ خوّان ؟

---

(١) أى أن نفس الشاعر تأنس بالجمال كما يأنس الطير بوكره .

(٢) الجحاش : صغار الحمير . والخشاش : بكسر الخاء الحشرات : أى أن خيار الناس مثل الحمير : وشرارهم مثل الحشرات . (٣) مرنان : أى به لين فى صلابة كالأوتار . (٤) تفرق : أى تخاف . والعقبان : طيور كاسرة .

فـمـــا لى منكَ إسـعـــاد ولا لى منك لقـــيــــانُ
ألا يـا طـائـرَ الـفــــــردو س إن الـــدهـــر ألـــوانُ
ولـلأقـــــــدارِ أحـكـامٌ ولـلمـــخلوق إذعـــان
أرى الأحـــداثَ إســـرارًا ســتـمــسى وهى إعــلان
ويهــــفـــو بكَ ريبُ الدهــ ــرِ إن الدهرَ طعَّــــان
فــلا حــسـنٌ ولا شــدوٌ ولا زهـرٌ وأغـــصـــان
ســيـبـقى لك فى قلبى مـــــودات وتحـنـان
فــإن ملَّك أحــبـــابٌ وإن عـــقَّك إخـــوان
وإن رابك من عـــيــشــ ــك لوعـــات وأحـــزان
وإن بـاعـــدك الحـــسن وثوبُ الحسنِ خلقـان[1]
فـــجـــرِّب عندها قلبى فـــقلبى منك مــلآن
إذًا تـعــــرف أن القلــ ــبَ من حــبِّك نشــوان
فـعـشش فـيــه فى أمنٍ فـــقلبى بك جـــذلان
وأســمــعنى من الشـعــر فــإنا فـيـــه خــلان
وهل تفـــهمُ مــا أعنى وهل للطيــــرِ أذهان ؟ !

إلى الروح التى أهوى

إلـــى الـروح الـتـــى أهــوى أعــــزَّ اللهُ مـــأواهـا
حــيــاءٌ صـــدها عنا وســوءُ الظنِّ أقــصـــاها

---

(١) الخلقان : الثياب البالية .

فهل من عطفةٍ تُرجى ... فإنّا نتمناها
وروحى نحوها تهفو ... فليت الحبَّ أدناها
لعل الموتَ يدنينا ... ويؤينا وإياها
أجوبُ العالمَ المجهـ ... ـولَ جذلانًا بلقياها
إلى الروح التى أهوى ... أطابَ اللهُ مثواها
لقد أفسدت العيشَ ... فليت القلبَ يقلاها
ونعم العيش لو تدنو ... وبئس العيش لولاها
وكان العيشُ محمودًا ... بملقاها ورؤياها
فليت الحبَّ أصماها ... وليت الحبَّ أعداها [1]
فتدرى لوعةَ الأشوا ... قِ واليأسِ وحاشاها
لعلَّ الله يرعاها ... فإن القلبَ يهواها
فهل من مبلغٍ قولى ... إلى الروح التى أهوى ؟

بعد الحسن

عتبتُ فلم ينفع لديك عتابُ ... وقلتُ ومالى فى هواك جوابُ
وكنت أعد الحسنَ فيك فطانةً ... وإن جنونى فى هواك صوابُ
سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنَكم ... وكلُّ بناء لو علمتَ خراب
وكيف يتيه المرءُ من حسن وجهه ... وعقبى جمال الفاتنين ذهاب ؟
سأصبر حتى تنقضى منه دولةٌ ... وتصبح تُقلى تارةً وتعاب

(١) أصمى السهم الرمية : أصابها .

فجرب ودادی تلقنی لك حافظاً وإنیَ أرضی والأنام غضابُ
تجدنی أخاك الصادق الودّ لم أخن إذا خان من فوتِ الجمال صحاب
وتعلم ما ودّی وما كان حسنُكم وتعرف أی الباقيين سراب
وأبصر فيك الحسن من بعدِ عهده وأی ودادٍ بعد ذاك يصاب
وليست حياةُ المرءِ إلا سحابةً تمر وما غرّ اللبيبَ سحاب
وتبكی على العهد القديمِ الذی مضى وليس لحسنٍ فات عنك إياب
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكاؤه إذا صال ظفرٌ للزمان وناب
ستصبح يوماً فی التراب مجندلا بفيك وفی العينين منك تراب
وتمسی رفاتاً فی الترابِ ذليلةً يقئ الفتى من مسِّها ويصاب
فخفف قليلاً من جفائك واتعظ فما ينفع الوجه الأغر شباب
أخیَّ أما من عطفةٍ أستفيدها لديك فإن البعدَ عنك عقاب ؟
ولا تحسبنْ أنّی سكتُّ ملالةً فإن سكوتی فی هواك خطابُ !

الحب والخلود
أو
وحی الشعر

قد سقانی هواك كأسَ الخلود وحدا بی للعزة القعساءِ
وسما بی فوق السموات حتى صرتُ مثل السماءِ فوق السماءِ
وجرى بی شوطاً بعيداً فخلفـ ـتُ ورائی نوابغَ الشعراء
صرت كالبدر فی السماء منيراً فی دجى من جهالةِ الجهلاء

حــدثتنى عنكَ النجــومُ حــديثــاً ... وحــديثُ النجــومِ ومضُ الضـيــاءِ

أنت وحـــيى ومنطقى وخــيـــالى ... وبيـــانى وهــمـــتى وذكـــائى

شـاعـرَ الحـسنِ إن حـسنَك والخلـ ... ـد وشـعـرى رىٌّ النفـوس الظمـاء

ظـمـــــأ دائمٌ ورىٌ ســــــرابٍ ... أم زلال ذو نـشــوة وصــفـــاء ؟

ربَّ شـعــرٍ كـالداءِ مـرٍّ وشـعــرٍ ... صــادق الفــعلِ ناجعٍ كــالدواء

منه مــا يجلب الزمــانةَ والسـقـ ... ـمَ ومنه مـسـتـجلبٌ للشـفـاء

إن تكن وحىَ شاعرٍ يبلغ الشـمـ ... ـسَ ويربو على مــدى الجــوزاء

أنت كـالشمسِ فى نهارى مضيء ... ومنيـــرٌ فى الليلةِ القـــمـــراء

ومـــــلأتَ الفـــؤادَ نـوراً ونـاراً ... فــــانمحت منه آيةُ الظـلمـــاء

وجـعـلتَ الفـؤاد بحـراً خـضـمًّـا ... وشـعـوراً يجـيش كـالهـيـجـاء

كنـتَ لى نـاظراً يرى بلحـــاظ الـ ... ـظنِ مـــا لا يـلوح للبــصـــراء

وجلوت الحــيـــاةَ غــرّاء تزهـو ... فــألاحت بالحـجــة البـيـضــاء

وجـعلت الفـؤادَ كـالطيـر يشـدو ... أو فـــصــيح مــجــوّد الغنـــاء

وجــعلـت الفــؤادَ زهـراً زكــيًّـــا ... وجنانـاً فــســيــحـــةَ الأرجـــاء

أنت أفــهــمـــتنى الملالةَ واليـأ ... سَ وعلمــتنى صنوف الرجـــاء

أنـت أنبـتَّ لى جناحـــاً وأرهفــ ... ـت سهـامـاً كـثيـرة الإصمـاء[1]

لك فى النفـس منزلٌ ومــســـيــرٌ ... كـمـســـيـر الدمـاءِ فى الأعـضـاء

وخلقت الحــيــاةَ خلقــاً جـديداً ... ثـم أبديتَ لى كنوزَ البــقــــاء

وجــعـلت الفــؤاد ينبض نـبـضــاً ... ذا وئيـد كـالضـربةِ الهـوجـاء[2]

---

(١) الإصماء : الإصابة . (٢) الوئيد : الصوت .

آه مـــا أتعس المعـــايش والأ يام لولا عـــواطف الشـــعـــراء

كـجنون النعـيم والبـؤس فـيـهم وهي تبـدو لغـيـرهم كـذُكـاء[1]

كنتَ لي نجـمـة تلوح لهـديي ورشـادي في العـيـشـة الكدراء

كنتَ نحسي وشـقـوتي ورخـائي وعـنـائـي ولـذتـي وثـرائـي

كنتُ آتي بالشـعـر مما أراه من ضـيـاءٍ وروضـة وهواء

صرتَ لي في اللحاظ ضوءاً وفي السمـ ـع غناءً يـطـيـر بالأهـواء

ونسـيـمـاً في الأنف رطباً ذكـيـاً وعُـقـاري ومـوردي وغـذائي

وجـعلتُ الكمـالَ فـيك مـثـالاً ووصـفـت الكمـالَ للأحـيـاء

وقبست الأشعارَ من حسنك الغـ ـضِّ وحكـت القـريضَ للفطناء

فلئن كنتُ قـد أصـبتُ وأبدعـ ـتُ فـأنت الخليقُ بالإطراء

ولئن كنتُ قـد عـجزت وقـصـر ت فـحكمٌ مـقـدرٌ في القـضـاء

عـبث نـسـبـة الغـناءِ إلى الرو ضِ فليس الغرابُ كالورقاء[2] !

الحب والود

ألا إن أشـقى الناس من لا تـقـاربه وإن سعيد الناس من أنت صاحبه !

وكـيف أرجي للملمات صـاحـبـاً أفـاتحـه ودي فـيـزورّ جـانبـه ؟

وليس لقلبي جـراة فـأؤمـه وليس لقلبي سلوة فـأجـانبـه

---

(١) ذكاء بضم الذال الشمس : أي عواطف الشعراء تهدي غيرهم ولكن من أجلها يحس الشعراء جنون اللذة وجنون الألم .

(٢) أي لا يصح نسبة الفضل في شعر الشاعر إلى الجمال الذي يراه ، كما لا يصح نسبة غناء الطائر إلى الروض لأن ليس كل طائر يغني ، وليس كل من يرى الجمال شاعراً .

وأقســم لو أنى علـيــه مملكٌ ... لما كنتُ أفشى ذنبَه أو أعـاقبُـه

فكيف ومـالى قـدرة فـأقـيـده ... ولا لىَ منه عطفـة فـأعـاتبـه

فيا آفةَ القلب الطموحِ إلى الهوى ... غلبت فرفقاً بالذى أنت غالبه

أتهـجـر خـلاً وافـيـاً أنت همـه ... وتترك قلباً والهاً أنت شاعبه ؟

أرانى إذا مـا غبـت عنى كـأنتى ... خميص قد استعصت عليه مكاسبه[1]

طرقت بيـوتَ الناسِ أبغى مـودةً ... وكلُّ خليلٍ مـاذق الودِّ كـاذبه

فلمـا بدا لى منكمـا مـا أعـزه ... هويتكمـا والحبُّ شتى معاطبه

وهل عجبٌ أن يعشقَ الفضلَ والحجى ... أديبٌ يرى فى الفضل قرناً يقاربه ؟[2]

وهل من جناح أن أكون أخاكما ... فتزهر من ليل الحياة كواكبه ؟[3]

ومالىَ فى حسن الحسانِ مآربٌ ... إذا أردَت المرءَ اللئيم مـآربه

وما الحسنُ إلا زينة الفضلِ والنهى ... وكلُّ لئيمٍ أسود الروحِ شاحبه

ومـا كلُّ حبٌّ لاعجٍ بمحـرّمٍ ... ولا كل من يهوى هوى هو شائبه

أمـا أنتمـا حبٌّ قديمٌ كتمته ... سنين وحُبٌّ لا ازال أحـاربه

فيـا أخوىّ استيقنا وتبصرا ... رويدكمـا فالدهرُ شتى عجائبه

وإن خليلَ الفضلِ رى ونعمةٌ ... وإن خليلَ السوءِ تسرى عقاربه

فمن لى بمن ألقى إليه سريرتى ... وأفضى إليه بالأسى وأصاحبه ؟

فمـا أنا ممن يعشق الغيدَ قلبُه ... وتسكب من هجر الحسان سواكبه[4]

ولكنَّ قلبى يعشق الحسنَ والحجى ... إذا اقترنا والخلق شتى مطالبه

منحتكما قلبى فهل ذاك نافعى ؟ ... أيرتجع الموهوب من هو واهبه ؟

---

(١) الخميص : الطاوى الجائع .

(٢) القرن : المشابه .

(٣) الجناح : الإثم .

(٤) السواكب : العيون .

أحبكما للحسن والحسنُ باهرٌ ... وأهواكما للفضلِ شتى غرائبه

وأحسن فضل فى الورى فضلُ باسمٍ ... جميل المحيا لا تصاب معايبه

بربكما لا تتركانى كغارقٍ ... يغالب لجَّ اليأسِ واليأسُ غالبه

ولاتتركانى فارغَ العيشِ خائباً ... وكلُّ حزينٍ فارغ العيش خائبه

ولا تتركانى فى الحياةِ كذى ضنى ... تعدته عُوّاد وملّت أقاربه

ولا تحسبا أن السكوتَ جلادة ... فما كل صمتٍ يحمد العيشَ صاحبه

وإن غبتما فالعيشُ كالليل مظلمٌ ... تعبُّ طواميه وتدجو غياهبه[1]

وإن تهجرانى فالسلامُ عليكما ... سيصدع قلبى منكما ما أغالبه

ولن تجدا وداً كودى فجربا ... هل العيشُ إلا طعمه وتجاربه

خليليَّ إن الدهرَ ما تعلمانه ... وإن مريرَ الموتِ ما الخلق شاربه !

وعظ القدر

على الدهرِ والدنيا ، على العيش والردى ... فرائض لا تبلى ولا تتحولُ

وتهلك هاتيك الشعوبُ وتنطوى ... كما يهلك المرءُ الضعيفُ المقتَّلُ

* * *

فقم واستمع خطوَ الحوادثِ بيننا ... فكلُّ ضعيفٍ عاجزٍ ليس يسمعُ

ترى سيرها سيرَ الجيوشِ مهيبةً ... منظمةَ الأقدامِ تعدو وتسرع

* * *

لعل لها صوتاً ينبه غافلاً ... فينشط مكسالٌ ويفهم أخرقُ

---

(١) تشبيه غياهب الليل بطوامى البحر : أى أمواجه .

فإن تكن الأقدارُ كالسحبِ إنها   يضجُّ ضجيجُ الرعدِ فيها وتبرق

* * *

أما في رعودِ الحادثات مواعظٌ   أما في بروق للمقادير زاجرُ ؟

نصحتكم لو تسمعون نصيحةً   نعم تسمع المرء الضعيف الأوامر

* * *

سلاسلُ للأحداث فيكم قيودها   فليس بكم قيدُ الحوادث منبتًّا

وفيكم بقايا للحياةِ قليلة   فلا تحسبوا يا قومُ أنكم موتى

* * *

إذا رضيتْ نفسى بحالٍ رغيدةٍ   فقد خنتُ آمالى وخنت عقيدتى

وما هذه الحالات إلا كسلّم   فلا تقنعوا منها بحال حميدة

* * *

فما أفسدَ الحالات كالدهرمفسدٌ   ولا جددً الحالات كالفكرِ مصلحُ

وكلُّ قديمٍ للبلى غير أنه   سيعقبه أمرٌ به النفس تفلح

* * *

فقم عاون الأحداثَ فى وصف سيرها   وألهب بسوط الجدً خليلَ المقادرِ

وعش مع هذا الكون كونًا معظماً   وكن فى قواه بين ناهٍ وآمرِ

* * *

فإنى رأيتُ النفسَ كالأفق بهوُها   تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكب

هى النفسُ دنيا لا يقام نظامها   إذا اختل فى الآفاق سير الرغائبِ

مشـــترى الأحـلام

يا مشترى الأحلامِ يرغبُ فى الكرى … كيـما ينالُ من الكرى ما يطلبُ

عندى من الأحـلام كلُّ بضـاعـةٍ … ومـتـاجـر غـبـانة لا تُكسب

حلمٌ يروع ولا يسـرُّ وغـيـره … حلم يسـر إذا يجئ ويعـجب

حلم يزيل عن الفقير خصاصةً … حتى يبيتَ على الدسوت يعصَّب(1)

حلم ترى فيه العزيزَ مرجَّماً … مستجدياً خلفاً يذلّ ويضرب(2)

خذ منىَ الآمالَ حلماً رائعاً … شرِق النواحى بالضياءِ يذهَّب

صداًع قيد المستحيل سرابهُ … ووميضُه البرقُ الكذوبُ الخلّب

وفضـائل ممدوحـة ورذائل … مقبوحة أحلامها لا تنضب

والنورُ حلمٌ والظلام وكلما … يبدو لعينك ظاهرًا أو يحجب

إن الحياةَ إذا اختبرت أمورها … وبلوت من لذاتها ما يطرب

حلمٌ على حلمٍ يغرّ وقد ترى … حلماً على حلم يغرّ ويعجب

وأزاهرُ الأحلام مثل نعيمها … وشقاؤها حلمٌ يروعُ ويرهب

لا تحسب الأعمالَ تنفى أنها … حلمٌ يجئ به الخيالُ فيكذب

فالمرءُ يطمع فى المنام مطامعاً … ويبيت يعمل جاهدًا أو يلعب

يا مشترى الأحلام لا تُزهى بها … فتعود تبكى للصروف وتندب

يا غبنتا للمرءِ فى أحلامه … إن أيقظته الحادثات الغلَّب

لو يستحيل المستحيلُ على الورى … وأنال من أحلامِه ما أطلب

---

(1) يعصب : يتوج . والدسوت : كراسى الإمارة . والخصاصة : الفقر .

(2) يذال : أى يسترخص ويحتقر .

لجننت جنّةَ قــادرٍ مــتــحكمٍ يرضى على هذا الأنام ويغـضبُ
وأخـذتُ من هذى الحيـاة لبابَهـا وشـربتُ من أكـوابهـا مـا يشـرب
والكـونُ فكـرُ الله ينظر فى الذى يرضيه من خلق الوجودِ ويعجب
إن راقــه خلق الوجــودِ مـثـاله كيمـا يجئ على الكمالِ فيغرب
أو لم يرقــه فــهــو ليس بصــانعٍ دنيـا تهـون على هواه وتجـدب
فــالكون لم يخلق ونحن نظنه خلقــاً يجئُ به الزمــانُ ويذهب

جنة الحسن

أيا جنةَ العـشـاقِ هل لىَ وقـفـة أرقّـه قلبى سـاعـةً فى ظلالكِ
وأبصــر منك الزهرَ والزهرُ باسمٌ وأسـمعُ منك الطيرَ تشدو هنالكِ
وأعبد فيك الحسنَ شتى صفاته وكلُّ جـمــالٍ خـالد فى خـلالكِ
ففيك معانى الخلدِ والخلدُ فاتنٌ هل الخلد إلا حليـة من جـلالك ؟
أما أنت دنيـا الحسن والحسنُ باهرٌ ومـالىَ منهـا غيـر مكذوب آلك[١]
ويا جنةَ الفـردوسِ مـاؤُك خـمـرةٌ فهل أنا أسقى جرعة من زلالك ؟
ويا جنة الفــردوس هل أنا آثمٌ فـيـحـرم قلبى حظه من نوالك ؟
ويا فـتنةَ العـشـاقِ هل من وذيلةٍ فتشقيك فيها فتنةٌ من جمالك ؟[٢]
ويا بهجةَ الطاووس حسنُك زائلٌ رويدك فـينا واسـألى من مـآلك
ويا زينةَ الدنيــا التى أنا عــاشقٌ حنانـاً لعيش من جفائكِ حالك[٣]

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الوذيلة : المرآة . أى انظرى فى المرآة ، واعشقى جمالك كى تعرفى لوعات الحب .

(٣) الحالك : الأسود .

فهل زورة تشفى الفؤادَ من الجوى ... فليس دوائى زورةً من خيالكِ
وإن تبتغى بالذلِّ موتى فأبشرى ... هنيئًا مريئًا قد ظفرت بذلكِ
فيا ليتنى فكرٌ يكون ببالكِ ... وهل نافعى أنى أكونُ ببالكِ ؟

صوت النذير[1]

هذه قصيدة فى وصف أخلاق المصريين ، وإظهار أماكن النقص فيها ، وحضهم على مزاولة الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم . والعلم والمال أصل القوة ، والقوة أساس الحياة .

خلّ الهوينى فهذا أمرنا جللُ ... لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ[2]
ولاح لى بيننا فى عيشنا ظُلَم ... فانظر بعينيك أى الأمر مقتبَلُ
بوادر يعرفُ التاريخ فعلتها ... تدعو إلى الموت لا شك ولا جدل[3]
كم أمّةٍ هلكت من قبل ما عرفت ... أن الهلاك إليها عامد عجِل
تعلل النفس بالأحلام تنظرها ... والهلك حتم ويخفى سيره المهل[4]
تظن أن طريقَ العزِّ مسلكُها ... والموتُ من حولها كالنقعِ ينسدل
لا الدهرُ غرّ ولا الأيام ظالمة ... وإنما العيش فينا والردى علل
كل له أجلٌ يسعى ليبلغه ... وليس يُفلت إمّا جاءه الأجل
لولا التنافس فى الدنيا لما صلحت ... ولا الحضارة والأيام والدول[5]

---

(١) أرسل الشاعر هذه الصيحة عام ١٩١٥ فى وقت ساد البلاد الجمود والاحتلال .

(٢) لأن يأسنا ضعف وأملنا طيش أما الأقوياء فإن أملهم قوة ويأسهم قوة .

(٣) أى أن صفاتنا صفات الأمم البائدة وهى فى دور الفناء . (٤) لأن هذه الأحلام مخدر يخدر أعصاب الأمم . (٥) لأن التنافس يدعو إلى إظهار القوى الكامنة فى النفوس ، فيرتقى الوجود بانتصار الأصلح للحياة من الأفراد والأمم .

واحسرتاه لقومٍ ليس ينفعهم ... نصحُ النصيحِ ولا الوعاظُ والرسلُ !

مستنبتين بأرض العجزِ ليس لهم ... عنه ولا عن فناءِ الجهلِ مرتحلُ

تسعى بهم غيرُ الأيامِ واعظةً ... والقومُ صمٌّ كما لا تشتهى همل

زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم ... وفوقهم من بوادى خزيهم حلل

يا بارك الله مقدوراً يعاجلهم ... فتطهر الأرض لا رجسٌ ولا خطل

بأى حقٍ يعيش الغافلون ولا ... نفعٌ يجئ به قوم إذا غفلوا ؟

ما باشروا الصدق فى قول ولا عملٍ ... فكُذّب الأصدقان : القول والعمل

إذا أصيبوا بشرٍ هينٍ خنعوا ... وإن أصابوا منالاً هيناً جذلوا [1]

ويغضبون على من رامَ نفعَهمُ ... فما يشجعه فى السعيِ محتفل

ويحسنون إلى من رامَ ضرهم ... فما يثبطه ردعٌ ولا عذل

فلا حكيمٌ ولا ندب ولا فطنٌ ... ولا عظيم ولا ثبْت ولا بطل

إذا هممتم بأمرٍ نفعه عمم ... ألهاكم العجزُ والزلاتُ والملل [2]

وإن بُدهتم بخطبٍ ضرّه أمم ... ضاقت لديكم به الغايات والسبُل

وصاحبُ الجهلِ فيكم آمن فرِحٌ ... وصاحبُ العقلِ فيكم حاذرٌ وجل

إذا نطقتم بحقٍ فيكمُ حصر ... والبطلُ مبتدرٌ منكم ومرتجل [3]

فإن رقدتم فإن النومَ عادتكم ... وليس تصحو لكم روحٌ ولا مقل

والعجزُ مهلكةٌ والضعفُ مضيعةٌ ... وما لكم إن غفلتم عنهما نُقل

هل خدعة أوهمتكم ان جمعَكُم ... جمعٌ كثيرٌ فخير منكمُ رجل

---

(١) شأن النفوس الحقيرة .

(٢) ومن أجل ذلك أكثر المشاريع الحيوية التى يقومون بها نصيبها الفشل .

(٣) أى يجرءون على الباطل ويجبنون عن الحق .

تهافتون على الأدناس ما نتنت مثل الذبابِ على الأدناس ينتقلُ
أفهامكم مثلُ أفهام الفراش إذا حام الفراشُ على المصباحِ يشتعلُ
فإن دعيتم إلى خيرٍ ومكرمةٍ حكيتم البُهم لا عقلٌ ولا حيل[1]
فما طبيبٌ يداوى داءكم أبداً إلا الهلاك وهذا ريثُه عجل[2]
ومن دلائلِ هذا الهلكِ أن لنا فخراً فنحسب أنَّ الفضلَ متصل
إذا خُشيتم فأنتم معشر جبن وإن رُجيتم فأنتم معشرٌ خُذُل
كم من نصيحٍ لكم بالرشد ينصحكم كأنما حظه من نصحه الصحَل[3]
كلوا وناموا ونالوا حظكم أبداً من التثاؤبِ لا لومٌ ولا عذل
وعاقروا الخمرَ والأفيون فى دعةٍ فعيشكم مثل ظل سوف يرتحل
واستخبروا عن هوى اللذات قاطبةً أمّا عن العزِّ والعليا فلا تسلوا
وملءُ أشداقكم ضحكٌ أأسكركم من حسن حالِكم خمرٌ هى الجذل ؟
أم ضحكةُ الرجلِ المجنونِ من حزَنٍ لَشدَّ ما نالَ منك البؤسُ يا رجل ؟
أم ضحكةُ الخنثِ الموهون أضحكه أمرٌ معيب فلا تقوى ولا خجل ؟
أنا النذيرُ إليكم والنصيحُ لكم وليس يؤثرُ نصحاً عاجزٌ مَذِل[4]
يمضى الزمانَ فلا عزمٌ فيسعدكم وليس يزدادُ إلا العجزُ والخبل
وفيكم من صفات السوءِ أخبثُها حتى لقد صار فيكم يضربُ المثل
أشعلتُم نارَ يأسى وهى خابية وقد قتلتم ذكائى وهو مشتعل
هيهاتَ هيهاتَ إنى مِقْول أبداً حلق الزمانِ به فى الناس يرتجل[5]

---

(١) البهم : البهائم . (٢) أى أحسن دواء لدائكم الموت والفناء . (٣) الصحل : بحة الحلق .
(٤) عاجز مذل : ضعيف حقير . (٥) المقول على وزن المبرد : اللسان ؛ أى أنا لسان الدهر .

أنتم بفيَّ كطعم المرِّ أمضغُهُ ... حتى تساوى لدىَّ الصابُ والعسلُ[1]
فإن فهمتم فما لى فيكمُ أربٌ ... وإن جهلتم فشرُّ العادةِ الجَهلُ
إذا هجوت فما أهجوكُم أبداً ... إلا ودمع على الخدين ينهملُ
أنتم أحقُّ بتأبينٍ ومرثيةٍ ... والرزءُ بالحىِّ جرحٌ ليس يندملُ[2]
أنتم علىَّ وإن طالت مهانتكم ... أعزُّ ذى قدمٍ يسعى وينتعل
فنحن فى أمرنا طرًا سواسيةٌ ... وإن تفاوتت الأخلاقُ والنحل[3]
وليس لى فيكمُ حظٌّ ولا أملٌ ... وليس لى فى الورى من دونكم بدل
إنى رأيتُ حياةَ الناس أولها ... يدعو لآخرِ ما يأتى ويقتبل[4]
لقد ورثنا قروناً كلها كمدٌ ... مورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعل[5]
فنحصد الشوكَ مما ذرَّ أولُنا ... إنَّا ورثنا عن الأسلاف ما فعلوا
فمن خمولٍ ومن جهلٍ ومن كسلٍ ... وأعظم الخطبِ ما يأتى به الكسل
ثقلٌ على النفسِ نمضيه ونصرفه ... حتى يصحَّ وحتى يصدقَ العمل
ونجتنى العمر غضاً كلُّه ثمرٌ ... ونشربُ العيش ريّا كله جذل
إن الأمانىَّ دون القلبِ ما برحت ... فى القلبِ منزلُها مستمراً خضل
نستخبر القوم أنَّى وجهة سلكوا ... فبلغتهم إلى عليائها القلل[6]
هم زاولوا الجدَّ قد دانت تجاربُه ... لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبل[7]

---

(١) أى مرارة مذاقهم جعل كل شئ فى فمى مراً فلا أميز طيب الحياة من بؤسها.
(٢) يندمل : يضمد ويلتئم . (٣) سواسية : أشباه وأمثال . (٤) أى أن حياة الأمم سلسلة أسباب ونتائج متصلة فنجد عوامل ماضية تأثيرها واقع الآن . (٥) مور : أى مشعل والفعل أورى .
(٦) أى ندرس حياة الأوربيين حتى نعرف أسباب عظمتهم ونحتذيهم فيها . .
(٧) أى نشر العلوم العملية هو من أهم أسباب قوتهم .

قوموا اجعلوا السعيَ فى الأطماع رائدكم ... مـا أضـيع المرء لـولا الـسـعىُ والأملُ

بعضُ العلومِ إلى الأعمالِ منتسبٌ ... وأحسن العلمِ ما يجدى به العمل

هذا السلاحُ الذى يدحو لهم سبلاً ... فى مجدهم لا القنا الخطية الذبُل[(١)]

يا قـومُ هذا سـبـيلٌ لا خـفـاءَ به ... فـيـه الحـيـاةُ لأقـوامٍ إذا عـقلوا

إنا بمنزلةِ الفـصل يتـبـعـهـا ... إمـا الحـيـاةُ وإمـا الموتُ والأجل[(٢)]

حتَّامَ ننكر حـقـاً غـيـر مشتـبهٍ ... لا يـكـره الحـقَّ إلا مـن بـه دخـل

لا يصلح العلمُ مـضنوناً به أبداً ... فـأين شـؤبوبه لا ينفع البلل

هذا الذى يدع الأقـوامَ قـادرةً ... فكلُّ فـردٍ كـعـضـوٍ مـا به شلل[(٣)]

أذلك المـال مـضـنون بـه أبداً ... إن العـزيز لدى الأوطان مـبـتـذل

والعلمُ مثل عصا السحّار يبسطها ... فـيـصـبح المالُ قد ضاقت به السبل

والعلمُ والمال مـقـرونان فى قـرَنٍ ... لا نجتنى المالَ حتى يصدق العمل

وإنما لغـةُ الأقـوام مـيـزتهم ... فإن تولت فـمجـدُ القوم مرتحل[(٤)]

قـد أصـبح العلمُ والآداب ضـائعـةً ... وأصـبحَ الـشـعـرُ فـوضى كلُّه زلل

يرقى الوجـودُ بـعـيش الصـالحين له ... من ليس يدركـهـم عـجـزٌ ولا كلل

ومـا الحياةُ بمستـشفى لمن سـدكـت ... به الزمـانـاتُ والأمـراضُ والعلل[(٥)]

---

(١) أى أن جميع مظاهر قوتهم مهما اختلفت سببها العلوم العملية .

(٢) إما الحياة إذا أخذنا بأسباب الحياة والتقدم ، وإما الفناء والانعدام فى العناصر الأخرى إذا بقينا على تكاسلنا وغفلتنا عما يفيدنا .

(٣) إذا نظرت إلى جسم الحضارة الأوربية تجد أن العملي هو دمها وأعصابها .

(٤) إذا ضاعت لغة عنصر انعدم فى العناصر الأخرى فيضيع مجده وشخصيته .

(٥) سدكت به : أى لزمته ، والزمانة : مرض .

بل الحـيـاةُ جـهـادٌ لا خـفـاءَ به ... فليس يُفلح إلا الأغلبُ البطلُ[1]

إن الحـيـاةَ كـتنور ومـعـركـةٍ ... يصلى الشجاعُ ويصلى العاجزُ الوكِل[2]

وكلكلُ الدهرِ لا يُبقى على ضرِعٍ ... وليس يخدعـه جودٌ ولا بخَل[3]

نلهو عن العيشِ ، والأقدارُ نافذةٌ ... كـأنهن مطايا تحـتـنا ذُلُل

إن المقـاديرَ أجناد مـجندةٌ ... تصـولُ بالحقِّ لا ظلمٌ ولا خطل

لا رحـمـة عندها ترجى ولا مـقـة ... ولا الشفاعة تقصيها ولا الخَوَل[4]

كم أعـصـر قـبلَنا بادت وكم دولٍ ... حتى كأنْ لم يكن عصرٌ ولا دول

كم معشرٍ مثلكم ليموا فما انتفعوا ... وأُشعروا النقص فيهم ثم ما حفلوا

فـبـادرتهم يدُ الأقـدارِ حـاصـدةً ... فما وقى جمعَهم سهلٌ ولا جبل

إذا ابتلى اللهُ قـومـاً بالهـلاك فـلا ... سمع لديهم ولا عزم ولا حيل !

ليس التـوكُّلُ فى نومٍ وفى كـسلٍ ... فهو المعينُ لمن يسعى ويختتل ![5]

بين الحب والبغض

رمى اللهُ فى عينيكَ بالسهدِ والعمى ... ولقَّاك من دنياك صاباً وعلقما !

وعلمكَ السهدَ الطويلَ على الأسى ... إذا حلَّ هم فى الفؤادِ وخيما !

وعلمكَ الأحـزانَ والبثَّ والجـوى ... ومـا نُكب المغرورُ إلا ليعلما !

وأودعك الليلُ البهيمُ همومَه ... وأصبحت حرَّانَ الفؤادِ متيما

---

(١) الحياة جهاد لأنها تنافس شديد فى كل مظاهر الحياة والقوة .

(٢) التنور : الفرن ، والوكل : المتواكل المتخاذل .

(٣) ضرع بكسر الراء : أى ذليل .   (٤) الخول : الأعوان والأتباع .   (٥) أن يتحيل للحياة .

وأتلفَ طول الهمِّ عينيك بالبكا | إذا ما مضى دمعٌ بكيت له دما
وخلَّف فيك اليأسُ كالسمِّ في الحشا | تعالج داءً من جواه مكتَّما
أأنسى بكائى والعيونُ هواجعٌ | أراقب ليلاً غائرَ النجم مظلما ؟
أأنسى انفرادى والتياحى ولوعةً | كأن لها بين الأضالع أرقما ؟
أأنسى عذابَ القلبِ هاجَ وجيبُهُ | كأنَّ جحيماً دونه وجهنما ؟
لقد كنتَ فى عينى ألذَّ من الكرى | وأطيبَ من طيبِ الحياة وأكرما
وجوَّدتُ فيك الشعَر والشعرُ ساحرٌ | وهل تسحر الأشعارُ غرًا وأعجما ؟
فما ازددتَ إلا قسوةً وتباعدًا | وما ازددت إلا غلظةً وتجهما
فعلَّمتَ قلبى كيف يقسو وإنه | ليحزن أن تلقى هوانًا وتألما
جنيتُ على نفسى فليس بنافعى | إذا صالَ خطبٌ أن تصابَ وأندما
ولو كان فى نفسى وقاءٌ يصونكم | لأُنزلتَ من نفسى المكانَ المكرَّما
وخطّت عليك النفسُ خوفًا من الردى | فكانت مجناً صادقَ الصنعِ محكما
وليت لسانى سُلَّ منى ولم أقل | رمى الله فى عينيك بالسهد والعمى !
سلمتَ ، وما حىٌّ على الدهرِ سالماً | وعشت سعيداً بالحياة منعما !
لقد سمتُ نفسى عنك صبراً وسلوةً | وجشَّمتُ قلبى صبره فتجشما
ووالله مالى عنك صبرٌ أطيقُهُ | فقد ودع الصبر القديم وسلما
وإنى لتسعرونى إذا لحت هزةٌ | كما ارتعش المصروع حيناً وجمجما
وإن بقلبى من جفائك جنةً | فإن رامَ يوماً قتلكم ما تأثما !
فأسقى جنونى من دمائك جرعةً | وهيهات يجدى القتلُ قلباً مكلما !
وأنقعُ منها غلّتى وصبابتى | لعمرك إن الجرم لا ينقع الظما !

أأنت زهاك الحسن والحسنُ فتنةٌ لصاحبِه حتى يرى الظلمَ مغنما

فأصبحتَ مغروراً تتيه وتنثنى رويدك هل تبغى إلى الشمس سُلَّما ! ؟

كأنى بصرفِ الدهرِ حلَّ وعيدُه فلم يُبقِ لى فى حسنكم متوسَّما

ولم يُبق إلا منظراً لك شائنًا ووجهاً صفيقاً فى الترابِ مهدَّما

وهل تترك الأقدار يوماً إذا سطت على حسنٍ إلا رفاتاً وأعظما ؟ !

« تمَّ »

الجزء الرابع

زهر الربيع

إنما الشعرُ نغمةٌ	كحنينِ المزامرِ
يرفع النفسَ سحرُهُ	عن وهادِ الحقائرِ
يُبلغ النفس أفقها	كجناحٍ لطائرِ
يفتح النفسَ ضوءُه	مثل ضوءِ التباشرِ
مثلما يفتحُ الصبا	حُ زهيَّ الأزاهرِ

(من قصيدة « أغاريد شاعر » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى

عام ١٩١٦

مقدمة
فى الشعر
لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر فى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره . والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق . ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظرة، غير آخذ رواء المظاهر ، مأخذه نور الحق . فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة ، وبين معانى الحياة التى يوحي إليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى ، خليق بأن يدعى متنبئاً . أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس ، فتغرى به أهل القسوة والجهل ؟

كل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله . والشاعر أبلغ قصائده .

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس ، مقبوراً في الأحوال التى تحوطه . هو الذى إذا عاش ، كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر . فإذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره . فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره ، تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء . تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان .

وليس الشاعر الكبير من يعني بصغيرات الأمور . ولكنه الذى يحلق ، فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل . فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته . وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . وهو الذى إذا قذف بأشعاره في حلق الأبد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية في بيوت الأمراء . ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ، ويزيدها نوراً وناراً . فعظم الشاعر فى عظم إحساسه بالحياة ، وفى صدق السريرة الذى هو سبب إحساسه

بالحياة . وإذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير مأخذ الجليل من الأمور ، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فاعلم أنه ضئيل الشعر . فإن ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث .

سُئل وردزورث الشاعر الإنكليزى عن شعر شاعر ، فقال : إنه ليس من الحتم فى شىء . فكأنه يقول : إن أجل الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء ، لابد من حدوثها . فإذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته ، فخذ ديواناً واقرأه . فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة ، مثل النجم أو السماء أو البحر ، فاعلم أنه خير الشعر . وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة . فاعلم أنه شر الشعر ، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر إيضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها .

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم . فأصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال ، أتى شعره ضئيل الشأن . ومن كان ضعيف العواطف ، أتى شعره ميتاً لا حياة له . فإن حياة الشعر فى الإبانة عن حركات تلك العواطف . وقوته مستخرجة من قوتها ، وجلاله من جلالها . ومن كان سقيم الذوق ، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة . غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق فى رصف الكلمات كأنما الشعر عنده جلبة وقعقعة بلا طائل معنى . أو كأنما هو طنين الذباب . ولايكون الشعر سائراً إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى . ولست أعجب من أحد ، عجبى من الأدباء الذين ينظمون الشعر فى مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها . فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك . كأنما الشاعر آلة وزن . ولكن الشاعر هو الذى لا ينظم حتى تنويه تلك النوبة التى تدفعه إلى قول الشعر ، بالرغم منه ، فى الأمر الذى تتهيأ له نفسه .

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ، ليس تحتها طائل معنى . يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشعر غاية ؛ فقد أجاده . وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة . وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد تخرسه شدتها . ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها ، شعراً . وإنما

نعنى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والتفكير الذى يحييها . وليس شعر العاطفة باباً جديداً من أبواب الشعر ، كما ظن بعض الناس ، فإنه يشمل كل أبواب الشعر . وبعض الناس يقسم الشعر إلى أبواب منفردة . فيقول : باب الحكم ، وباب الغزل ، وباب الوصف ، الخ . ولكن النفس إذا فاضت بالشعر ، أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة فى القصيدة الواحدة . فإن منزلة أقسام الشعر فى النفس كمنزلة المعانى من العقل . فليس لكل معنى منها حجرة من العقل منفردة ، بل تتزاوج وتتوالد فيه . فلا رأى لمن يريد أن يجعل كل عاطفة من عواطف النفس فى قفص وحدها .

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم . وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم . كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار . وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والأقة ! وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعى ، ويعنى شعر الحوادث اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى نادى الألعاب ، أو مجئ طيار ؛ فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية ، قالوا : ما له ؟ هل نضب ذهنه ، أم خبت عاطفته ، أم دجا خياله ؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده فى تلك الحوادث ! فإذا نظم أحدهم قصيدتين فى الجراد ، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة ، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء . كأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها ، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألحانه ، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة .

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفاً للحكمة . فيأتى بأمثال من بطون الكتب ، وأفواه العامة ، نصفها حق ونصفها باطل . ثم يصوغها شعراً من غير أن

يكون قد أحس لذعها فى ذهنه ، ولا شعر بقيمتها . وشر الحكمة التى يتكلفها الوزانون . وإنما حكمة الشاعر تبدو فى كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والرثاء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير . وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره فى الحياة . تلك الخواطر التى ينضجها الشعور والتفكير . والشاعر لا يسير على رأى واحد لايتعداه . فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتى وتروح مثل أزياء باريس . والنفس أعظم من أزيائها . ولكل حالة زى والشاعر لايعبر عن عاطفة واحدة ، أو نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ، ونفوس متباينة . فلا رأى لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة يذود عنه ويتعصب له . فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب ، ويعبر عن كل نفس .

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل فى الشعر . إن مزية الغزل ، سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء . ولا أعنى بالغزل غزل الشهوان ، بل الغزل الروحانى الذى ترفع عن أوصاف الجسم . إلا ما بدا للروح أثر فيه . والحب أعلق العواطف بالنفس . ومنه تنشأ عواطف كثيرة ، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس ، أو الحسد أو الندم ، أو الشجاعة أو حب العلاء ، أو الجود أو البخل . ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة فى الشعر ، من حيث هو جماع العواطف ، ومظهر دروسها . فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية . ومن حيث إن حب الجمال حب للحياة ، ترى فيه آراء الشاعر ، وكل ما يعتوره فى الحياة من الخواطر ، ويصيبه من التجارب . وكل ما يسمو إليه فكره أو يحن إليه قلبه ، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة ، وهذا الغزل الذى هو واسطة القلادة ، وسلك العقد ، وروح الشعر ، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس ، وقصرها عليه . وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها . فإن الغزل الذى نعنيه سببه العاطفة التى تجعل المرء يحس الجمال إحساساً شديداً فى جميع مظاهره ، سواء جمال الوجوه والأجسام ، أو جمال

الأزهار والأنهار ، أو جمال البرق في السحاب ، أو جمال الليل ونجومه ، أو الصباح ونسيمه ، أو جمال النفوس والأخلاق ، أو جمال الصفات ، أو الحوادث والوقائع ، أو جمال الخيالات التي يخلقها الذهن . وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهراً من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يستجلي في الحياة . وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كل شيء ، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة . فتحبوها جمالا فنياً ؛ مثل جمال الصورة البديعة التي يعجب المرء جمالها الفني ، حتى ولو كانت صورة مذبحة ، أو جمال الأنغام الحزينة التي تذيب القلب . والشاعر الناسب مثل المصور . إنما يستملى من صور الملاحة التي في ذهنه ، ولقد سئل جيدو ريني المصور الإيطالي : من أين لك هذه الخلق المليحة التي تودعها صورك ؟ فقال لسائله : انظر ! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجاً ، ورسم صورة فتاة مليحة ، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : «أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟ نحن أصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا» . وما يدرينا لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التي في الدنيا التي في نفسه ، لا بليلى العامرية .

كان جيتي الشاعر يقدر الأشياء والناس ، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه ، وعواطفه وقصصه وبواعثه . فإذا رأى عجوزاً تسعى ، أو شيخاً هرما أو فتاة أو طفلا أو فقيراً أو غنياً الخ . عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر ، مهما اختلفت صفاتهم . وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والإلهام . فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية ؛ أو كأنما رؤيتهم ريح تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درها وأصدافها ، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه . فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله ، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم .

الباحث الأزلــــى [1]

مقدمة : قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصراً بعد عصر ، كأنها حياة إنسان واحد ، أو كأنها بحث متصل دهراً بعد دهر . وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان ، وما يعذرون به شقاءها وآلامها ، ويأملون آمالاً كباراً من وراء تقلب الإنسانية في بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب ، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدتها ، من البغضاء والشرور والحروب ، والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة ، بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الإنسانى المستفيض دهراً بعد دهر للحياة ، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات ، كي يعم مبدأ وحدة الإنسانية ، هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرا بعد دهر في كل حال وفي كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة . وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم ، فإن بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه .

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الإنسانية ، ففى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التى ينبغى أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الإنسانية عامة .

* * *

---

(١) «أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة فى ١٨ أبريل ١٩٣٨ بعنوان (الباحث) . وأضاف إليها المقدمة – انظر (ملاحظات) فى آخر الديوان» .

بينما كنتُ سائراً لاح شيخٌ ذو سكون ونظرةٍ هوجاءِ [(١)]

ويكاد الضياءُ ينفذ منْهُ فهو بين الأنام صِنوُ الهواء [(٢)]

باحثٌ فى السماء يطلب شيئاً غاب عن عين غيره فى السماء

وهو فينا جزء من الزمن الأو ل ذكرى لسالف الآباء

وجهه رائعٌ كوجه أبى الهو ل رأى ما مضى على الغبراء

قلتُ : يا شيخ ما دهاك وما شأ نُك بين الأموات والأحياء ؟

قال : مَنْ يدرس الحياةَ طويلاً لخليقٌ بضحْكة الجهلاء

كنت والكونُ فى الطفولة أغدو وشَبابُ الأيامِ فى الغُلواء

وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا نِىَ طول الحياة حُكم الفناء

دُوَلٌ قد أتتْ وأخرى تقَضّتْ وبقائى بين الأنام بقائى

وشهدتُ الصروفَ مِن قبل عادٍ والمنايا تَجُرُّ ذيل العَفَاء

أنْشُدُ الحقَّ لست ألْوِى إلى البا طل فالحق يُطَّبى بالرجاء [(٣)]

عشتُ دهرى بالبحث والأمل الحُلْو ولولاه لم أفز بالنجاء

من سهامِ المنون إن سهام الـ ـموت فينا كثيرة الإصماء [(٤)]

همْتُ يوماً من قريتى أنشد الـ ـحَقّ لعلى أراه فى الدهماء

عِفْتُ بيتى وبلدتى وهجرت الـ أهل أبغى رىَّ النفوس الظماءِ

ظمأُ النفس مثلُه ظمأ الجسم وداءُ النفوس كالأدواء

---

(١) هوجاء : لأنها لاتستقر لتطلعه إلى ما ينشده من الحق فى كل ناحية . (٢) صنو : قريب .

(٣) يطبى : يستمال . (٤) الإصماء : إصابة المقتل ضد الأشواء .

زعمَ الناس بي الجنونَ وخالوا طالبَ الحق أخرقَ الأحياء

كلما لاح شامخ قلت إن الـ ـحقَّ يغدو مِنْ خَلْفِه بإزائي

وَرَعَيْت الظماء عَليّ أراه خارجًا من سرائر الظلماء[1]

وجزعتُ الصحراءَ أرجو لقاءً منه يُرجى في وحدة الصحراء[2]

ولكم غُصْتُ في العُبَابِ عليه إنما الدّر منه في الأحشاء

وأثرتُ الأصداء أبغي جوابا لسؤالي في منطق الأصداء

وسألتُ الرياح فصُمّت عن دعائي فلا تُجيبُ دعائي

وسألتُ السماء تبرز وجهًا منه يَبْهَى في الأفق جَمَّ الضياء[3]

وأعارتْنيَ الطيورُ جناحاً ارتجي منه لُقيةً في الفضاء

طالما خاب ناشد الحق لكـ ـنّ رجائي كما عهدتُ رجائي

قد يجئُ الصباح منه بوجه طالما كان مُضْمراً في الخفاء

أو تُبينُ الأحلام منه ضياءً في سماءِ الأحلام مثل ذُكاء[4]

قد صحبت الأنام طرًّا كأنّي بينهم في تلوُّن الحرباء

كان لي نوح في السفينة خِدْناً فنجونا من مُهلِكِ الأنْواء

وحباني أشورُ في نَيْنَوى العُظْمَى بِسَيْبٍ من جوده وثناء[5]

ورآني فرعون أُقدم في الجيش مُشيحاً ورافعاً للواء[6]

---

(١) علي : أي لعلي . (٢) جزعت : قطعت . (٣) يبهى : يحسن .

(٤) ذكاء : هي الشمس . (٥) نينوى : مقر ملك الآشوريين ، والسيب : العطاء .

(٦) مشيحاً : المشيح : المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله .

وتجلى آمون فى معبد الأقصر يقضى فى شعبه بالقضاء

ولكم جُلْتُ فى أثينا وأفلا طون يتلو فصاحة الحكماء

ورأيتُ الرومان فى رومة العُظْمَى عظام الأعمالِ والأهواء

وصحبتُ المسيح فى القُدْس دهراً وحبانى من روُحهِ بالصفاء

وعبدت النيران قِدْماً ولكن قد سما بى الإيمان للسمحاء[1]

وَحمدت النعيم والترف الوا فر قدماً فى صحبة الخلفاء

وَحسوتُ النعيم والبؤس حتى لم أَدَعْ كأسَ لذةٍ أو شقاء

وصحبتُ العبيد فى ظُلُمات الـ ـعيش حتى جُنِنْتُ بالضَّرَّاء

والِمْتُ الآلام طرًّا ولُقِّـ ـتُ عذاباً أُتيح للتعساء

وصحبتُ الوحوشَ فى البيدِ حتى أنِسَتْ بى الوحوش فى البيداء

وأرقت الدماء فى الحرب حتى جُنَّ قلبى من نشوة الهيجاء

لم أدع خطرةً أتيحتْ ولا مـ ـعنى ولا فكرة من الآراء

أو شعوراً أو هاجساً أو طموحا لا ولا مشهداً تركت لرائى

أنشد الحق بالتقلّب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء

أنت أيضا شهدت هذا جميعا غير أن لا تعدّ فى الفطناء

قال ما قال ثم غاب عن العين كما يخفت الصدى فى الهواء !

---

(١) يراد بالسمحاء : الديانة الإسلامية .

سمو النفس

أهبتُ بحزمي فلم تسمعي ... وعفتُ الطماحَ فلم ترعوي[1]

فيا نفس حتّامَ هذا الطموح ... وخيرُ المكاسب أن تقنعي

فإن عزاءً يريح النفو ... سَ خيرٌ من الأملِ المطمع

يعفُّ الأبيُّ وليست تعفّ ... ذواتُ المخالبِ والأربع

ولو قد زهدت طلاب الحطام ... لأشقاك حبُّ العلا الأرفع[2]

هممتِ بكسبٍ فلم تبلغي ... ورمتِ الكمالَ فلم ينفع[3]

وخفتِ المقادير في ظلمها ... وأشقاكِ يا نفسُ أن تخضعي

وأشقاك أن قيودَ المقا ... بح غُلّت عليك فلم تُصدع[4]

فأصبحتِ فيها كطير الحبا ... ئل رمت الخلاصَ فلم تُرفعي

وحرّ أوام لورد الفضا ... ئلِ باقٍ على الدهرِ لم ينقع[5]

ردى العيشَ يا نفسُ لا تأنفي ... وجوبي المقاديرَ لا تخشعي

فكلُّ حياةٍ إلى منتهى ... وكلُّ شقاءٍ إلى منزع

حديقة الصيف

هي برءٌ من العشَى ... وشفاء من الكبرْ[6]

---

(١) أهبت بحزمي : أي ناديته . وعفت : كرهت . (٢) الحطام : التافه الفاني .

(٣) لم ينفع ؛ لأن النفس لاتبلغه .

(٤) أي تريدين أن تكوني مطهرة من العيوب فلا يستقيم ذلك ولا يتفق فتحزنين .

(٥) الأوام : العطش ، وحره : شدته . والورد : مكان الماء الذي يرده المستقي .

(٦) العشي : مرض في العين ، أي أن الرياض تجلو البصر وترجع الشيخ شاباً .

وهي للشيخ مبعثٌ للأماني والذكرْ

وهي للطفل ملعبٌ فيه ملهى على غَرَرْ[1]

وهي للبائس الحزيـ ـنِ ملاذٌ من الفكر

وهي للعاشقين ظـ ـلٌ ظليلٌ ومُستتر

في رياضٍ من المنى وأمانٍ من الزَهر[2]

حيثُ تلهو العيونُ في نزهة النفس والبصر

قم بنا ننثر الزهو ر على صفحة الغُدُر

هذه الغيد في الغديـ ـر جلت صفحة القمر

غرَّد الطيرُ قائلاً : فازَ بالحسنِ من نظر

وثمارٌ قطوفُها تتدلى من الشجر

والغواني حديقةٌ ملؤُها الزهر والثمر

وهجيرٌ كأنه لهبُ النارِ يستعر

يدعُ المرءَ ناعساً فاترَ النطق والنظر

يدعُ المرءَ ناعماً نائم الهمِّ والفكر

إنما الصيف زينةٌ غضّةُ الحسنِ والأثر

تلبس الأرض حسنها بعد ما غاب واستتر

وتراءى لعاشقٍ عبد الحسن ما ظهر

ينتشي المرءُ كلما نال من نشرها العطر[3]

---

(١) أي على غفلة . (٢) أي رياض في الحسن كالأماني ، وأماني في الحسن كالرياض .

(٣) ينتشي : أي يسكر .

مصارع النجباء

لو كنتَ ذا روح عظيمٍ همُّهُ ... لعذرتني في لوعتي وبكائي[1]

تغدو وهمك في الحياةِ حطامها ... إن النفوسَ قرارةُ الأدواءِ[2]

ليس السعادةُ كنزَ كل فضيلة ... فاذهب لشأنك لا يصبك شقائي

للمالِ والجاه العريضِ عصابةٌ ... وعصابة لمصارع النجباءِ

ففتى وحيد لا أنيس لنفسه ... فرد من الخلصان والقرناءِ

وفتى له عيشُ الغريبِ وحاله ... وأخو الذكاءِ يعدُّ في الغرباء

وفتى يجود بماله وبنفسه ... وفتى تذوب حشاه في الظلماء[3]

شوقًا إلى المجد العزيز منالُه ... مجد النفوسِ أحق بالبرحاء[4]

يقضي الغبي حياته في غفلةٍ ... عن نفسه ويعدّ في الأحياء

إن الحياةَ جمالُها وبهاؤها ... هبةٌ من النجباء والشهداء

لولا طماحُ الحالمين وهمهم ... بقي الورى كالتربةِ الغبراء[5]

الحالمون بكل مجد خالدٍ ... سامي المنالِ كمنزل الجوزاء

الغاضبون الناقمون على الورى ... هبُّوا هبوبَ الصَرصر الهوجاء[6]

الشائدون الهادمون ذوو النُّهى ... والعقلُ أعظمُ هادم بنّاء

الخالقون المهلكون الشارعو ... ن المرسلون بآية غرّاء

---

(١) همه : أي ما يعنيه ويهم به .

(٢) الأدواء : الأمراض .

(٣) أي ساهراً في تدبير ما يحاول من العظيمات .

(٤) أي مجد النفوس أخلق بأن يعشق .

(٥) الحالمون : المفكرون الذين يحلمون بتحقيق الآراء السامية .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة ، والهوجاء : المجنونة .

آى الجلالةِ والذكاءِ جميعها فيهم على السرّاء والضراءِ

فلئن أصابهم الزمان بمهلكٍ قبل ابتناء منازل العلياء

فحياتهم وفعالهم ودماؤُهم مثل الهدى وكواكب الإسراء[1]

المجاهد الجريح

هو العيش حربٌ والحياةُ جهاد وإنَّ حياةَ العالمين سهادُ

ولا أشتكى أنِّى جرعتُ مريرها فيا ليتَ عُمراً فى الحياة يعادُ

فأجرع منه الحلو والمرَّ إنما مشارب من يهوى الحياة بِراد[2]

وليست نفوسُ الناسِ إلا أسنّة لها كل يومٍ مطعن وجلاد

وليست نفوسُ الناسِ إلا سيوفهم سيوف ولكن ما لهن غماد[3]

ويصدأ وجهُ السيفِ والسيفُ قاطع إذا كان سيفاً ليس فيه مذاد[4]

وليست حياةُ المرءِ إلا كشعلةٍ وآخر ذياك الضرام رماد

وفى العيشِ مسعى للبيب ومطلبٌ هل العيشُ إلا مطمح ومراد

وهب أن ما يأتى الفتى غير مقنعٍ أليست لذاذات الطرادِ تراد ؟[5]

ويحصدُ سعى المرءِ ما شاء عزمه وللمرءِ يومٌ ليس فيه حَصَادُ

وما ينفع المرءُ الحزين بكاؤه إذا ظلَّ ورد المرءِ وهو ثماد[6]

---

(١) أى أن سيرهم قدوة لمن بعدهم .

(٢) براد بكسر الباء : عذبه .

(٣) الغماد والإغماد بمعنى واحد .

(٤) أى لا يستخدم فى ذود المكروه .

(٥) أى أن الحياة مثل القنص الذى ليست لذته فيما يصطاده المرء بل فى تتبع القنيص ومطاردته .

(٦) الثماد : الماء القليل .

ولولا خضوعُ النفسِ للجسم ما بكى ... جـريحٌ ولم يعـزز عليـه تلاد

فـلا تعـذلونى إن ألمت فـإننى ... جريحٌ من الأحداث وهى صعاد[1]

ولا تعـذلونى إن حـزنت فطالما ... أُصبْتُ ولى بين الكماةِ فـؤاد

ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتى ... رجـاء ألا إن الرجـاءَ جـواد

فإن متُّ فاسعوا فوق قبرى وباشروا ... جـلادَ كم إن الحـيـاةَ جـلاد

ولا تحسـبوا أنى جبنت لميتتى ... ولى عـزمـات كلهن صِـلاد[2]

وقلتُ لنفـسى إنما الموتُ سنةٌ ... هـم النـاس ركبٌ والمطامع زاد

وقدماً مضت تلك العصور وأهلُها ... وبادت بلادٌ بعـدهـا وبلاد

جهلنا فما ندرى على العيشِ ما الذى ... يراد بعيشٍ نحن فيـه نقـاد

سوى أنَّ عيش المرءِ بالشك فاسدٌ ... وأنَّ يقـينًا فى الحـيـاة رشـاد

يقـينًا بأن العـيش نشـوة صـائل ... له عـزمـات فى الحياةِ حِـداد![3]

عبث الشكوى

يا صاحبَ العقلِ يقضى العيشَ فى حزَن ... يشقى بك الناس أم تشقى من الناس؟[4]

وتحسب الناسَ بُهْماً لا عقولَ لها ... وأنت فيـهم كـمـصبـاحٍ ونبراس

وأنت فى الناس قطر ضـاع قـاطره ... فى لُجّـةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حـاسى

---

(١) الصعاد : الرماح . (٢) صلاد : شديدة .

(٣) أى نحن لا نعلم لأى أمر خلقنا وإلى أين نذهب ، وكل ما نعرفه أن الشك فى فروض الحياة يؤدى إلى اليأس والفشل والندم ، والحداد : الحادة .

(٤) أى هل الناس تشقى بما يحاوله صاحب العقل أم هو يشقى بجمود الناس ؟

ومـا أحَـسُّوا بهم من حـاجـةٍ لـهمُ إليك ، كـلا ، ولا جـاءوا بمقيـاسِ

مــلائكٌ اللهِ إن أرضـوك بينـهـم وإن غضبت فهم من نسل نسناسِ!

للنفس أفقٌ مـضيءٌ نوره عَـمَمٌ وأرضـهـا النتن من رجسٍ وأدناس

وراعك اليأسُ حتى خلت من جزعٍ أنَّ الفـضـائلَ من أحـلام وسـواس

وكدت تنسى حياةً أنت صاحبها بين الأنام فـأنت الذاكـر الناسى

حـتى إذا بلغت شكواك غـايتـهـا علمت كيف تداوى اليأسَ باليأس

ومـا ضرارك نفسـاً بعـد مـا علمت أن الرخـاءَ قنوعُ الطاعمِ الكاسى

وكم تريد حـيـاةً كلهـا جـذلٌ غيـرَ الحيـاةِ وناسـاً غيـر ذا الناس

الناسُ والبُـهْم تدرى أن ذا عنتٍ يُعَطِّل العـيشَ من بشـرٍ وإيناس!

الطائر الحبيس

« وهى قصة جرت للشاعر ، وهو غلام صغير ، مع عصفور فى قفص اتخذه لعبة له »

أذكـر فـيـمـا مـضى من العـمُـرِ وكنتُ ألهـو فى غـفلةِ الصـغـرِ

وكـنـتُ ألـهــو بطـائرٍ غَـردٍ مـرتجل للغنـاءِ مـبـتـدر

فى حـيـثُ لا روضـة له أُنُف والشـدوُ شـعـرٌ لعـاشق الزهر[1]

بل كـان يشدو الحبيسُ فى قفصٍ شـدوَ حـزينِ الفـؤادِ منفطر

وكنت غـفـلان عن لواعـجـه وكـيـف يرثى الجـذلانُ للكدر؟

قـد كنت كـالطائر الطليق فـلا شـجـو يروع الفـؤادَ بالفكر

---

(١) الروضة الأنف : الرائقة الجميلة

قَـدْ كـانَ قلبى لقلبـه حـجـراً — وكـيـف يجـدى الغناءُ للحـجـرِ؟
قَـدْ كـانَ لى لعـبـة أعـابثـهـا — مـا كـان سـرُّ الغناءِ من وطرى
قَـدْ قـمتُ ألهـو بجـانـب القـفـصِ — فى صـخـبٍ رائع بلا حـذر[1]
وأقـرع الأرض صـارخـاً جـذلا — وضجـة الصوتِ شيمةُ الصغر
والطيـرُ من رعب قلبـه حَـذِر — يهـتـز مـثل المقـرورِ من خصـر[2]
حـتى إذا مـا سكت من كللٍ — قـعـدت ألهـو عنه على غـرر[3]
إذا بـه صـادحـاً ينوح من الـ — ـرعبِ بلحنٍ يقـد فى المرر[4]
قـد جـمعَ اللحنَ من لواعـجـه — لم يُبق من نغـمـةٍ ولم يذر
لا مـا لشـدو من بعـده أثر — فى القـلب باقٍ كـذلك الأثـر
ناح على نفـسـه ومـا فـقـدت — بين ثمـارِ الرياضِ من وطر
لم أك أدرى مـا هاجَ لوعـتَـه — والقلبُ من شـدوه على كـدر
حتى رأيتُ العـصـفـورَ منجـدلاً — قـد مـات من لوعـةٍ ومن حـذر
نسـيـتـه والسنونُ مُنسـيـة — وكل مـا فـات مـيتُ الخـبـر
حتى عرتنى الخطوبُ فى عـمرى — وروَّعـتـنى الحـيـاةُ بالغـيـر[5]
ذكـرتـه والخطوبُ مـذكـرةٌ — وصـاحـبُ الهمِّ حـاضـرُ الذكَـر
نفـسىَ كـالطائر الحـبـيسِ فـلا — مـفـر من جـور سطوةِ القـدر
قـد شقَّ صـدرى نابُ الحيـاة فـأمـ — ـسيتُ بقلب خـفَّـاق منذعـر[6]

---

(١) أى بضجة أخافت الطائر .
(٢) المقرور : من أصابه البرد ، والخصر : البرد .
(٣) الكلل : التعب ، وعلى غرر : أى على غفلة .
(٤) المرر : جمع مرة وهى الشدة ، ويقد : يقطع أى يستنفد الجلد .
(٥) الغير : الصروف .
(٦) ناب الحياة : شبه الحياة بوحش مفترس له ناب .

يا طيرُ لو كنتَ حاضرى ألفت ... نفسك نفسى من رحمة الخور[1]

وأى خَلقٍ يلام فى خورٍ ... والمرءُ فينا فريسةُ الخطر

لا يعرفُ الحزنَ غيرُ ذائقه ... فليس حزنُ العيان كالخبر

اقتصَّ منى لك الزمانُ وقد ... أصبحت منى فى السمع والبصر !

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامُ ... سلامٌ وهل يدنى البعيدَ سلامُ؟

تعاودنى ذكرى الربيعِ الذى مضى ... كأنَّ حبيباً قد طواه حمام

وأحسبُ أنَّ الزهر يزهو لكى أرى ... محاسنَ منه فى الرياضِ ترام

وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً ... لأجرعَ منه والنميرِ جمام[2]

وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها ... إلىَّ وأنَّ الليل منه خيام

وأحسبُ أنَّ النجمَ حلىٌّ لناظرى ... وبرق الغوادى للضياءِ يشام[3]

وأحسبُ أنَّ الكونَ بيتى وأننى ... أميرٌ على عليائه وإمام

وأعلم أنى هالك غير خالدٍ ... وأنى رفاتٌ للثرى وعظام

وأنىَ لا طيرٌ ينوح لميتتى ... ولا الزهر شجواً إن هلكت يسام

ولا النور يدجو لا ولا الماء غائض ... وليس على وجه الهلالِ سقام[4]

كذلك لا يبكى على الحبِّ طائرٌ ... وليس على نقض العهودِ يلام

---

(١) أى أن الاشتراك فى الضعف يعلم التفاهم والتعاطف .

(٢) الجمام بكسر الجيم : الترفيه والإراحة .

(٣) أى أن الإنسان فى شبابه يحسب أن الكون خلق لأجله .

(٤) أى أن المرء إذا مات كان كأن لم يكن ، فلا يحزن عليه الكون ، كما يزعم الشعراء فى المراثى .

ولا الزهرُ يأسى للفؤاد وشَجْوِهِ ... وليس بكاء ما يريق غمام[1]

لقد جفَّ قلبى والزهور نضيرةٌ ... وقد شاب قلبى والزمانُ غلام!

وعظ الموت

تذكر شجيًّ القلب أنّا جميعنا ... نؤول إلى وِرد الردى ونصيرُ

هل العيشُ إلا ساعة ثم تنقضى ... هل الدهرُ إلا أشهر وعصور ؟

ترى حولنا الهلاَّك فى كل منزلٍ ... كأنَّ بيوتَ العالمين قبور[2]

ونعلمُ علماً ليس بالظنِّ أننا ... سنمضى على آثارهم فنحور[3]

وهوَّن عندى الموتُ ما الدهرُ صانعٌ ... فلست من الخطب العظيمِ أخور[4]

وليست مساعى المرءِ إلا جنازةٌ ... تخبّ به نحو الردى وتسير

وما عرف الأيامَ إلا مجربٌ ... لبيبٌ بأحداث الزمانِ خبير

ونبكى لموتانا لأن حياتهم ... منافع تغنى فى الخطوبِ وخير[5]

يخلفنا الأحباب كالدوح هزه ... شتاءٌ يعرِّى غصنه ودبور[6]

أنشقى بفقدِ الميتِ والميتُ ناعمٌ ... سعيدٌ بما جرّ الحمام قرير؟

وما الموتُ إلا الأمنُ والخلدُ صنوهُ ... ألا إن فقدانَ الحياةِ حبور[7]

خليقٌ بنا أن نغبطَ الميتَ حاله ... فإن حياة العالمين غرور

---

(١) يأسى : يحزن . (٢) الهلاك : الهالكون . (٣) نحور : نتحول ونتغير .

(٤) أى علمى أن الموت آت يهون مصائب الحياة .

(٥) أى أننا إذا بكينا الميت لم نبكه لأن موته مصيبة حلت به بل مصيبة حلت بالأحياء ، لأن حياته كانت نفعاً لهم .

(٦) الدوح : الشجر ، والدبور : ريح شديدة . أى يتناثر عنا الأحباب ، كما يسلب الشتاء والرياح أوراق الشجر .

(٧) الحبور : السعادة .

أبناء الشمال

(الآريون)

إنَّ أبناءَ الشمالِ ... عمّروا الأرض وصالوا

ورثوا الملكَ جميعاً ... كلُّ من يسعى ينالُ

إنَّ للملك اعتزازًا ... ليس يدنيه اتكالُ

فلهم فيه فلاحٌ ... ولهم فيه مجالُ

عمّروا الأرضَ ونمتا ... داؤنا الداءُ العضال

ولهم فى الكونِ عرش ... قيمةُ العرشِ الرجال

كلُّ شئٍ لهمُ فى الـ ... ـعيشِ مبذولٌ حلال

حرّم الأمرُ على العا ... جزِ لا يخدعْك آل[1]

إنما القدرة إيما ... نٌ وآمال ومال

إن أبناءَ الشمالِ ... عمّروا الأرض وصالوا

ورثوا العزمَ جميعاً ... ما عرا القوم ملال

هم لداعى السعى والآ ... مال عمالٌ عجال

تعرفُ البيداءُ مسعا ... هم وتنبيك الجبال

وببطن الأرض مسعى ... ولدى الجو منال

سل أقاصى الأرض تخبر ... عظمت تلك الفعال

هى تنبى عن جلال الـ ... ـنفسِ للنفس جلال

---

(١) الآل : السراب ؛ أى أن القوى لا يتقيد بالقيود التى يتقيد بها العاجز .

بيـديهم لـجُمُ الأقـدارِ يُجْريها بها الصيالُ
يـركضُ الدهرُ لديهم مثلما شاءَ الرجالُ
من ثمار القدرةِ العلم وفى العجزِ الضلال[1]
عيشهم كالنهرِ يجرى فهو حالٌ ثم حال[2]
كلُّ يومٍ فى جديدٍ كشفت عنه الفعال
وجديدُ المرءِ يُبليه ويفنيه ابتذال
ويكادُ الغيبُ يبدو لهمُ منه المآل
عرفوا العيشَ ففازوا إنما العيشُ قتال
إنما العيشُ طموحٌ واعتزام واحتيال
بين عجزٍ واقتدارٍ ضاقَ بالعجزِ المجال
إنما العجزُ هو الذلُّ إذا اشتد النضال
قيمة المرءِ مساعيه إذا عزَّ المنال
إنّ أبناءَ الشمالِ عمّروا الأرض وصالوا
لم يرعهم فشلٌ إن ثبط الغرّ المطال
بذلوا النفسَ ليحظوا إنما البذلُ نوال
قد بروا أهل الجمودِ مثلما تُبرى النعالُ
ويل أبناء الجنوب اعتز بالملكِ الشمال

---

(١) إذا راجعت التاريخ وجدت أن العناصر تصول صولتها وتظهر قدرتها ، فينشأ من ذلك الحضارات المختلفة مثل حضارة الفرس والإغريق والرومان والعرب والتيوتون .

(٢) أى عيشهم متجدد دائما وهذا سر نجاحهم فى الحياة .

تــوأم النفــس

« الفكرة الأساسية التي بنيت عليها هذه القصيدة ، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية ، فيخيل لك كأنك رأيته وصحبته في حياة قبل هذه الحياة . فتكاد تصدق قول من يقول : إن الروح لا تخلق منفردة ولكن يخلق معها توأم لها ! »

أُخيَّ وكلُّ الناسِ صحب وإخوة	وكل امرئ تلقاه فهو قريبُ
أتذكرني بل لا أخالك ذاكراً	أيُذكرُ مجهولٌ لديك غريبُ؟
جلستُ على قربٍ ولم يك بيننا	إخاء ولا عهدٌ إليه نؤوب
تحدثني نفسي بأنك خدنها	وللنفس من ودِّ النفوس نصيب[1]
وأحسبُ أني قد صحبتك حقبةً	من الدهر ذكراها لدى تطيب
حياةٌ لنا قبلَ الحياة رغيدة	إذ العيشُ صفوٌ والزمان أريب
فنفسُ الفتى في مسلك العيشِ توأم	لها في الأداني توأم وحبيب
وكل امرئ في العيش يبغي قرينَه	وكلٌّ ضريبٍ ينتحيه ضريب[2]
فويحٌ لنفس لم تجد من يحبُّها	وللقلبِ لم تعطف عليه قلوب
جلسنا ومنا مرسلٌ لحظَ عينه	وآخر محمود اللحاظِ هيوب
نظرتُ وكم من نظرةٍ لك سرُّها	جليٌّ وفي لحظِ العيون خطيب
جلوتَ ليَ النفسَ التي أنت ربها	فإني بأسرار اللحاظِ لبيب
ولحظُ الفتى من نفسه وخصاله	إذا طاب نفساً فاللحاظ تطيب

(١) الخدن : الإلف والصديق . (٢) ضريب : الشبيه والند .

وفى لحظ أهلِ اللؤم لؤمٌ وقسوةٌ ... وفى لحظ أهلِ المكرمات طبيب
وفى لحظ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقةٌ ... وعطفٌ وفى لحظ العدوِّ قطوب[1]
فقلتُ لعلّ القربَ يُدنى نفوسنا ... وكلُّ جليس للجليس طروب
وما هى إلا لفتةٌ وبشاشةٌ ... تروح رسولاً بيننا وتؤوب
فينشأ عطفٌ بيننا وتعارف ... ويورق غصنٌ للوداد رطيب
وكلُّ وداد لو فطنت تجاربٌ ... فمنها مضئٌ مغدق وخلوب[2]
وما هى إلا لُقْيةٌ بعد لقيةٍ ... يظل لها القلبُ الطروبُ يذوب
فنحيا ودوح الودِّ سامٍ وظلُّه ... ظليل وروضُ المكرمات قشيب[3]
يقرُّ بعينى أن أرى الضوءَ والدجى ... إذا نظرت عينى وأنت قريب
وهيهات حالت دون ذلك وحشةٌ ... فقمنا وكل عن أخيه غريب
فوا حسرتا من نُهْزة ما انتهزتها ... ورحتُ وعيشى من هواك جديب[4]
أسائلُ عنك الدهرَ فى كل ذكرةٍ ... يكادُ لها عهدُ اللقاء يثوب[5]
أعلل نفسى أنَّ قلبَك ذاكرى ... فيكذب ظنى والرجاءُ كذوب
وأنت بعيدٌ لست تعرف ذُكرتى ... ولا أن قلبى من نواك كئيب
وأعجب من هذا اللقاءِ وأمره ... وكلُّ لقاءٍ فى الحياةِ عجيب
فيا ويحَ هذا الخلق من كل وحشةٍ ... ومن فرصات فى الحياة تخيب
يعيشون كالأشباح فى العيشِ حقبةً ... لهم كلّ يوم إحنةٌ وحروب[6]

(١) القطوب : العبوس .

(٢) تشبيه تجارب الوداد بالسحب إما نافعة شافية ، وإما برقها خلوب خادع .

(٣) الدوح : الشجر .   (٤) النهزة : الفرصة .   (٥) يثوب : يرجع .

(٦) إحنة : حقد ، والحقبة : المدة من الزمن .

وكلٌّ لكلٍّ لو يفيقون جُنة ... وكلٌّ لكلٍّ منهلٌ وقليب[1]

فيا توأمَ النفس الذى أنا ناشد ... دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيب؟

يقنتُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ ... لعل لقاءً يا حبيب يؤوب

فيرجى لنا فى عيشة بعد هذه ... من الحبِّ والودِّ المكينِ نصيب !

حلم النفس

ألا يا طللَ القلبِ ... وقبرَ الودِّ والحبِّ

لججتُ بحب خوان ... وفى الوافين من يصبى

ذكىِّ الحسنِ فتَّانٌ ... فتون الوجهِ واللُّب

هو الحلمُ الذى تبغى ... فما بالعيشِ من عتب

فدع حلماً مضى أبداً ... أيُروى القلبُ بالكذب؟

سرابٌ كان فانقشعت ... خلابة نبته الجدب[2]

فهذا الطير صداحٌ ... شدا فى الغُصُنِ الرطب

ألا يا طائراً يهوى ... نضير الروض والعشب :

لقلبى فيك تحنان ... يُنير القلبَ أو يُخبى

فجدد دارسَ العهدِ ... وجُدْ لى منكَ بالقرب

وأطربنى بألحانٍ ... كفَيض الطاهر العذب

وداوِ غُلَّةَ النفسِ ... بما فى الحُسن من طب

---

(١) قليب : بئر .

(٢) حينما يزول السراب تختفى الأشجار الخادعة التى جلاها للنظر .

لكى يصبحُ قلبى منـ ـك روضَ الودّ والحبِّ
فما بالقلب من كلمٍ ولا فى القلبِ من ندب[1]
وأغدو بك جذلاناً خصيبَ الروض والترب
وأنسى حُلم الجدب بما فى حلم الخصبِ
فإن الحب أحلام وخيرُ الحلم ما يُصبى
وبعضُ الحلم جلاَّبٌ مريرُ الهمِّ والكرب
ألا يا حلُم النفسِ أتروى غلةَ الصبٍّ؟
فما فى الحبِّ من عيبٍ ولا بالقلب من ريب
ألا يا طائرَ الحسن أليفَ الروض والعشب
فؤادى لك فردوس فطرْ فى جوهِ الرطب
وصنْ لى حسنك الباهـ ـر من شين ومن عيب
وكن لى خير مصحوبٍ أكن من خيرة الصحب !

زهر الهوى ونبت الفيافى

بين زهر الهوى ونبتِ الفيافى وزهور من النجوم روانى[2]
جاء نجوى بمن أعز وأهوى ملكٌ من ملائك الرحمن
واقفًا بين من أحب وبينى بيدينا يداه معقودتان

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

ثم خلى بينى وبين حبيبى فاقتربنا اقتراب غير مريب

---

(١) الكلم والندب : الجرح . (٢) روانى أى ناظرة من رنا يرنو : نظر .

وعــقـــدنا من العناق نطاقـــاً ... مـــا دُهينا باللومِ والتـثـريـب
وروينـــا بـالـدمـعِ غُـلَّـةَ نـفـسٍ ... كيف يُروى الجوى بدمعٍ صبيب

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

قـــال لى الناصحُ الكريمُ مـقـــالاً ... فى خــفـــوت ورقـــةٍ وسكون[1]
كن أمـــينـاً عَلى الفـــؤاد الأمين ... إنما الحـــسنُ نهـــزةٌ للخــئـــون
هل جـــزاءُ الحـبـيـب إلا وفـــاءٌ ... خـــالص من شـــوائب أو ظـنـون

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

ثـم ألقى إلى الحـبـيـب مـقـــالاً ... إن خـيـــر المقـــال نصحُ القلوبِ
كن رؤوفـــاً ووافـــيـــاً ومنيــلاً ... وطـروبـــاً إلـى المحـب الـطـروب
إنما المرءُ ســـــاعـــــة ثـم يمضى ... فـاجـعلَنْهـا فى خلوةٍ بحـبـيـب!

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

جنـــون الأمانـــى

أيا روضـةَ الريحـانِ من لى بنفـحـةٍ ... تخفف من همّى وتشفى فؤاديا ؟
ويا نفـحـةَ الريحـان هبى مع الصبا ... فـإن بقلبى لوعـةً هى مـا هيـا
وإن بقـلبى لوعــةً أنـت هجـتــهـا ... فقد كنت دائى فى الهوى ودوائيا
ومـا ظمـئى لـلمـاءِ والقـيظ لافحٌ ... بأوجع من شـوقى وحـرُّ غـرامـيـا
فـيـا ظَمـأ القـلب الجـريـحِ وريه ... أمـا جـرعـة تطفى لهـيـبَ أواميـا
ويا منهـلَ الحـسن الذى أنا حـائمٌ ... عليـه ولم أرو الغليل الذى بيـا

(١) صوت خافت : غير مجهور به .

ويا واحةَ العيش الجديبِ أحبّه		على جدبه لو أن فيك مقاميا
لقد جبتُ هذا العيشَ والعيشُ بلقعٌ		وأُبتُ وما أعقبتُ إلا كلاليا
وأبصرتُ فيك الماءَ كالخمرِ سلسَلاً		وأبصرتُ فيك الغصنَ فينان زاهيا
وأبصرتُ أثماراً هناك وموردًا		لذيذاً فلم أملك عليه طماحيا
فقلتُ لقلبى : إنما العيشُ فى الهوى		ولا عيشَ إلاَّ أن تنالَ الأمانيا
وقلتُ لقلبى : إنما العيشُ خلسةٌ		من الموت لا تبلغْه يا قلبُ صاديا
لئن خانني العيشُ الذى كنتُ أرتجى		فيا بؤس آمالى وطول بلائيا
وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها		من العيش ما يدنو وإن كان شافيا
فمن لى بماءِ الخلدِ أروى به الصدى		فما الخلدُ إلا نجعتى وشفائيا
وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ		فكيف أُرى فى العيش جذلانَ راضيا
وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة		ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجيا
ولو كنتُ ربًّا نافذَ الأمرِ قادراً		لأعطيتُ نفسى سُؤْلَها وعِباديا
وأفسحتُ فى الآبادِ للنفس منزلاً		وأثملت بالآلاءِ منها الأمانيا
فمن لى بها أمنية ما أجلّها		تجئُ بأحلامى وترضى خياليا !
حبيبىَ ، لا واللهِ ما الكفر شائقى		ولكنَّ قولَ النفسِ يا ليت ذا ليا
ولو أننى ربٌّ لما نالك الردى		ولا قلتُ يوماً أين منى جماليا
جمالُك مكلوءٌ بعين رعايتى		فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشيا
أزيدكَ من زهرِ الصبا وثمارِه		فتزهى بحسنٍ فيك كالخلد ناميا
جنون الأمانى فيك أحلى من الحِجى		ألذُّ الأمانى ما يجن فؤاديا !

هذا الحبيب

هذا الحـبيبُ الذى قـد لمتنى فـيـه ... يردد اللحظَ بين الدلِّ والتـيـه

فـانظر مـحاسنَه واحـذر لواحظَه ... واحـبس فـؤادَك لا تجـرى أمـانيـه

وارفق بلبِّك لا تودى اللحـاظُ بـه ... واستبق دمعَك لا تـهـمى هواميـه

هذا الذى يدرك الأعـمى مـحاسنَه ... ويلمس الهـالك المودى فـيحـييـه

هـذا الذى إن رآه الشـيخُ عـاوده ... شرخُ الشباب الذى قد راق ماضيه

هذا الذى ضـحكات فى مـباسـمه ... أحلا لدى القلب من دهرى وما فيه

تكاد طلعـتُـه من نورِ بهـجـتِـه ... إذا رآها مـشـوقُ الطرف تُعشيـه

ونعمـةُ الحسنِ تهـفو فى معـاطفه ... وقـسـوةُ الحسنِ تبدو فى مـآقيـه

وطلعـةُ الحسن فـيـهـا قـسـوةٌ جللٌ ... تلوح للعـاشق العـانى فـتـرديه

هـذا الذى جـمَّل اللهُ الحـيـاةَ بـه ... وعلَّم الروحَ مـا تحـوى مـراقيـه

هذا الذى نبضـاتُ القلب تتبـعـه ... ومهجـةُ المرءِ تسـعى فى مسـاعيـه

هذا الذى خطرات القلبِ صـادحـة ... مـثل الطيـور إذا غنَّت تناجـيـه

فـانظرْ لعلَّك أن تحظى بنظرتـهِ ... فـربما نظرةٌ للمـرءِ تشـفـيـه

وربما نظرة للمـرءِ تسـعـدهُ ... وربما نظرة للمـرءِ تشـقـيـه

هل الحيـاةُ سوى مـسـعى تعـانيـه ... ومطمحُ النفسِ تبـغـيـه وتدنيـه

أحلام الصيف

إذا مـا دعـتنى النفسُ يومـاً لريبـةٍ ... تراودنى حـتى تلجَّ وتسـتـشـرى

ذكرتُك كيما تحدث النفس عفَّةً ... فذكرُك يثنى النفسَ منى عن الشرِّ

وذكـــرك يثنى ناظرىً عن الخنا ... ويسعد نفسى بالفضيلة والطهرِ

فأنت سميرى فى صحابى وخلوتى ... وأنت هدى نفسى على السرِّ والجهرِ

فلا تبتعد عنى فبعدك فتنةٌ ... وقربك قربٌ للمكارم والخير

فأنت جميلٌ كالنهار وضاءةً ... وأنت جميلٌ كالكواكب والبدر

وأنت جميل كالزهور نضارةً ... وفيك جمالُ الأفقِ فى وضح الفجر

فيا أيةَ الكونِ الذى أنت عطرهُ ... كذاك جمالُ الروضِ يحمد فى العطر

أظن نجومَ الليل تزهو لكى ترى ... محاسنَ من مرآك فى الأنجم الزهر

وعذبتَ قلبى فى يديك ضلالةً ... كما يلعبُ الطفلُ المدلَّل بالطير

فجدْ لى بيومٍ من لقائك صالح ... فقد ضاعَ عمرى فى القطيعةِ والهجر

تعال أعلمك الهوى ما فعاله ... لكيما ترى السرَّ الجليلَ من الأمر

ولكننى أخشى عليك من الهوى ... إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمر

فإن الهوى مثلُ المدامة مُسْكرٌ ... وإن الهوى كأسٌ أمرُّ من الصبر

وأخشى عليك العيشَ فالعيشُ فتنةٌ ... وأخشى عليك الشرَّ يطرق بالضرِ

فما أنت معصوماً من الشرِّ والأذى ... ولا أنت معصوماً من السوءِ والمكر

وكل امرىءٍ فى العيش لابد فاعلٌ ... من الشرِّ أمراً كان منه على قدر

لقد خلتُ أنَّ الحبَّ طيرٌ مغرِّدٌ ... فإنى سمعتُ الحبَّ يخفق فى صدرى

إذا زال عنك الحسنُ والحسنُ دولةٌ ... تزول ويبقى منه حسنُك فى شعرى

ندمت على الهجران فى غير علةٍ ... وما كنت تبديه من الصدِّ والغدر

وهيهات أن تسرى لحاظك بالهوى ... إذا صرتَ منسياً كأمسك فى العمر

كأنّ على الآفاق بعدك وحشةً | أراها على وجه الخليقة كالستر
أبيتُ أنادى الجنَّ فى مستقرها | لتجمعَ ما بينى وبينك فى السرِّ
دعاءُ الفتى سحرٌ وأبلغُ دعوةٍ | دعاءُ لهيفٍ ذى لواعج مضطر
دعاءُ الذى ما من نزوع لقلبه | فينساك إلا أن يغيَّب فى القبر
فلا تنسَ ذكرى مثلما أنا ذاكر | عسى تلتقى روحى وروحك بالذكر
أحبُّ من الأشياءِ ما كان مشبهاً | لوجهك إن الزهرَ يعرف بالزهر
فأرسل إلىَّ الزهرَ منك علامةً | فوجهك مثلُ الزهرِ يضحك من بشر
ولا تفخرنَّ إنّى جننت محبةً | فكل ضئيل النفس يفخر بالشر
ودعنى أُمنِّ النفسَ عطفًا ورحمةً | وأُخْفِ جنونى فيك بالصبر والكبر
فليتك حلم الصيف يحلو لحالم | ولكنما الذكرى أمرّ من الصبر
أعلِّلُ نفسى أن شوقىَ نافعى | لديك فإنَّ الشوقَ ضربٌ من السحر
وهيهات لاتجدى لديك شفاعة | فإنك مقدود الفؤادِ من الصخر
حسوتُ كُؤوسَ الحبِّ طراً وإننى | أرقت كؤوسَ العمر من طرب السكر
فلا تعذلا قلبى لإسراف نشوة | سواسية ما ياكل الدود فى القبر
سيذكر هذا الدهر أمرى وأمركم | فقد خطَّ شِعرى فى الصميم من الدهر
لقد كان قبلى عاطلاً فحبوته | عقود معانٍ لا تُطوَّقُ بالنشر
وقد كان قبلى أخرس الفم أبكما | فأصبح يشدو بالجليل من الشعر
فمن لى بأسماع تعى ما يقوله | فحولى أناس كالجماد من الوقر !
ألا إن هذا الدهرَ أوتارُ شاعرٍ | وشعرىَ أحلى للنفوس من الخمر
ألا إن قلبى روضة الشعر والهوى | ومنك نسيم الحبِّ يعبث فى صدرى
يحرّك أغصان الخميلة مَرّةً | فيوقظ أنغامى ويحمل من نشرى !

فتنة الطهر

يا غلةَ القلب المشوق الصادى … كم ذا البعاد فقد أطلت بعادى [1]

سل عنىَ الليل البهيمَ وطوله … وسل الوسادَ فما قربت وسادى

أتخال أنك قد كشفتَ سرائرى … وتظن أنك قد سبرتَ فؤادى

أو ما علمت بأن طهرك باعثٌ … شوقى ومورٍ من هواك زنادى [2]

يومٌ يخال الظنُ فيك نقيصةً … يوم يجيء براحتى ورقادى

لا بل يجيءُ بحسرةٍ وندامةٍ … ويزيد من غصص الزمانِ العادى

لستَ الخليق بأن تنال محبتى … إن لم تنل من عفةٍ ورشاد

النفس أعظم أن تحبَّ ذوى الخنا … أو أن تحلّ مظنة لفساد

إنى أريدك كعبةً لا حانةً … إن الدنايا جمَّةُ الورّاد

طهرُ الحبيبِ يزيلُ همَّ محبِّه … فكأنه القمر المنير الهادى

السعد أطهر أن ينال بخسةٍ … شوهاء رهن حوائج الأجساد

خيرُ الهوى حبُّ الفضائل والنهى … ومودة الأمثالِ والأنداد

ظنُّ الفتى كفعاله ومقاله … وخصاله من مضمر أو بادى

لا ترمينّى بالدنيّة باطلاً … فتكون أنت مظنةَ الحسّاد

حبُّ النقيصة إثرةٌ مذمومةٌ … يغدو لها الخلانُ كالأضداد

وهوى المحاسن ألفةٌ ومودةٌ … وتناصرٌ كتناصر الأجناد

(١) الغلة : العطش (٢) أورى أشعل .

انظر لنفسي في خصالك صادقاً ... فإذا وجدت مغامزاً لأعادي :
فاذهب كما ذهب الوباءُ مُبغّضاً ... نكب الأنامَ وفتَّ في الأعضاد
وإذا وجدت محامداً ومحاسناً ... خلصت من الأدناس والأحقاد
أقبل كإقبال الربيعِ محبباً ... تثني عليه ألسنُ الحُصّاد
الطيرُ تشدو في الرياض محبةً ... تدعوك بالتغريدِ والإنشاد
والغصنُ كالنشوان من ولهٍ بكم ... هزَّ الزهورَ بقدِّه الميّاد
والريحُ تبكي شجوها بأنينها ... حتى الرياح عليك من حسادي
والنجمُ يومض عاشقاً لجمالكم ... نظر المحبّ إلى الحبيب البادي
وكواكبُ الفلك المدار رواقصٌ ... طرباً فحبّك زادُها والحادي
والشمسُ صفراءُ الجبين مريضة ... والبدر شيب بياضه بسواد
أنت الذي فتن الوجودَ جمالُه ... يا غلّة القلب المشوق الصادي!

في الفردوس

شريد اللبِّ هامي الدمع عاني ... نبت عيناه عن زهرِ الجنانِ
ترتل حوله الأملاك آيّا ... وطيرُ الأيك تصدح بالأغاني
ونورُ الخلدِ وضّاءٌ عليه ... ينير الزهر من حدق الحسان
تظلُّ النفسُ منه في ربيعٍ ... مذاع العطر محمود الزمان
تظلّ النفسُ تمرحُ في رباه ... وتبصرُ حولها حلمَ الأماني
تجلله ثمارٌ في غصونٍ ... قطوف بين قاصيه وداني
بأية شقوةٍ قد رعت حتى ... فؤادك ليس ينعمُ بالأمان

يظلّ الناسُ حولك فى نعيمٍ ... وقلبُك كالكليمِ من الطعان[1]

نفوسُ الناس فى دعة وأمنٍ ... ونفسُك بين حلقك واللسان

فيا بؤساً ويا تعساً لصبٍّ ... شقىّ فى الفرادس والجِنان[2]

دماؤك فى العروق لها لهيبٌ ... كأنّ دماك ريقة أفعوان !

وأنفاسٌ تصعّدها طوال ... ووجهُك شاحبٌ والدمع قانى[3]

تمدُّ إلى وجوه القومِ لحظاً ... وتنشد صنوَ نفسك والجَنان[4]

وليس الحبُّ إلا حب صبٍّ ... يحنّ على القطيعةِ والليان[5]

وليس الخلدُ إلا قرب خلٍّ ... جميل النفسِ محمود العيان

ستبصر منه فى الفردوس وجهاً ... عميماً حسنه جمّ المعانى

يسلّ الضغن لا واشٍ فيخشى ... ولا صبّ يروّع بالشنان[6]

فطرفٌ منك معقود بلحظٍ ... وطرف منه معهود البيان

يدٌ بيد وقلبٌ قرب قلبٍ ... وسرُّ النفس ما توحى اليدان

تحييك الملائكُ بابتسام ... وتطربك المثالث والمثانى

فقلْ للطير تصدح فى رباها ... فطيبُ اللحن فى طيب الزمان !

حلم الفردوس

أيحرم حتى نظرتى وسلامى ... وحتى حنينى نحوكم وهيامى !

أقيموا كما شئتم على الصدّ والجفا ... فإنكمْ لاتصرفون غرامى

---

(١) الكليم : الجريح (٢) الجنان : جمع جنة الفردوس (٣) قانى : أحمر (٤) الصنو : الند والمثيل والأخ . والجنان : الفؤاد (٥) الليان : الملاينة والمحاسنة (٦) الشنان : والشنآن البغض .

أعللّ نفسي باقتراب ولُقية ... وليس اقترابي منكمو بحرامِ

فإن طرقتك الريحُ يوماً بأنّةٍ ... فقد سار في ذاك النسيم سلامي

ولو أنني في القبر ميتٌ وزرتني ... لحيَّتك من تحت الرجامِ عظامي[1]

وإني إذا ما اعتادني الهمُّ والأسى ... وأبغضتُ في هذي الحياةِ مقامي

وأشعرت ذلَّ العيشِ حتى قليته ... وقد بان حتى راحتي ومنامي

وأصبحتُ أرجو للموت من سورة الأسى ... ولم تُشف من داءِ الهمومِ مدامي

أبين لنفسي صورةً منك غضةً ... فأنقع من ذاك الخيال أوامي

ويفرحُ قلبي بعد يأسٍ وحسرة ... فقربُك فيه راحتي وجمامي[2]

وفي ذكركم روح الحياةِ وطيبها ... ومرآك فيه نهلتي وطعامي[3]

قنعت بذكراكم وبالطيف منكم ... إذا جاد طيفٌ منكم بلمام[4]

لقد كنتُ أشكو الحبَّ حي رأيتُه ... دواءَ همومي كلّها وسقامي

فيا حُلُمَ الفردوس حبّك ذكرة ... لأيام عيشٍ في الجنان وِسام[5]

ورثنا ولوعاً بالنعيم وطيبه ... وعيش قديم قد مضى بسلام

ورثنا بني حواء شوقاً وحسرة ... فأنفسنا مما تروم دوامي[6]

وكلُّ مرامٍ نرتجيه تذكرٌ ... لعهد جنانٍ قد مضى ومرام[7]

أكاد أرى الفردوسَ خضراً غصونه ... فليت مقاماً في الجنان مقامي

وأبصر فيه الضوءَ لا ضوء مثله ... له بهجةٌ في زهرها المتسامي

---

(١) الرجام : أحجار القبور (٢) الجمام : الترفيه والإراحة (٣) النهلة : الشراب (٤) اللمام والإلمام : الزيارة (٥) وسام : أي جميلة (٦) دوامي : أي دامية (٧) أي أن كل ما تحلم به في الحياة من الفضل والكمال والأطماع ، تقرب وتذكر لعيشة الفردوس .

وأسمع فيها الطيرَ تشدو فأنثني | وقلبيَ من ذكرى الفرادس دامي
فآوي إلى عهدٍ مضى ثم أنثني | إلى مستقبلٍ من دهرنا المترامي
وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبُه | فيا ليت أوراق النعيم خيامي
سراب طماح المرء في غير كنهه | وما هو إلا مثل حلم نيامِ
فيا ليتني في الريف لا شيء شاغلي | من العيش إلا غلتي وسوامي
ولو أنني في الريف ما فاتني الأسى | ولا برئت نفسي وطاب منامي
حبيبيَ إن خُبرتَ أني بحسرة | وأنيَ في أيدي الخطوبِ زمامي
فأرسلْ خيالاً منك يأسو لواعجي | كما لاح صبحٌ من وراءِ ظلام[1]
معيني على الأحزان لامسّك الأسى | ولا نالك الدهرُ الخئون بذام[2]
أريد على الأيام عوناً من الهوى | فأي مرامٍ يا حبيب مرامي
أجلُّ مرامٍ في هواك أرومهُ | وأعظمُ سكر العاشقين هيامي
وإنَّ هيامَ المرءِ فضل وفطنةٌ | إذا كانت الأخلاقُ غيرَ لئام
فيا حُلُم الأحلام هل لك عطفة | فتروى لحاظ من جفاك ظوامي ؟[3]
وأحيا حياةً من هواك سعيدةً | وأقضي وهل حبٌ يردّ حمامي؟[4]
ولو ردّ هذا الموت شيء لرده | تصرمُ عامٍ في هواك وعام[5]
فحسبّك حلمٌ بالخلود لعاشقٍ | فلولا الردى بشّرته بدوام

---

(١) يأسو : يصلح ويطب (٢) الذام : العيب الذي يذم المرء من أجله (٣) حلم الأحلام : أي خلاصة ما تحلم به النفس وأجل أحلامها (٤) قضى يقضي : مات (٥) تصرم : مضى وذهب .

الجمال المنشود

رأيتُ فى الحلم وجهاً منك أعبدهُ — وفوقه من نجوم الليلِ تيجانُ
توجت نفسك بالأفلاك مكرمةً — كما يتوّج بالأزهار جذلانُ
فإن وجهك بدرٌ يستضاء به — إذا بدوت ووجه الأفق غيمان
فقمت أملأ عينى من محاسنكم — وأنهل القلب منكم وهو صديان
إن راقب الناس فى الأفلاك طالعهم — فإن عينيك لى سحرٌ وتبيان
وإن طرفك نجم الحظ أرقبه — سعدٌ ونحس وإحسانٌ وحرمان
وقمتُ فى الحلم أسعى نحو حالية — من الخمائل فيها الغصنُ فينان[1]
لنور وجهك فيها بهجة أبداً — فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدان
يا جنةَ الحلم كم لى فيك من أربٍ — يا طيبه لو دنا والدهرُ نيسان
أصفيت قلبى فلا والله ما سكنَت — بين الأضالع أحقادٌ وأضغان
ويا هلالاً أرى فى النفسِ طلعتَه — أضيءْ حياتى فوجه العيش طخيان[2]
وكيف يقبح عيشٌ أنت بهجتُه — وكيف يدجو ولم يدركك نقصان
يا بدر إنَّ أخاك البدر يؤنسنى — فالصبُّ والبدر والظلماء خلان
البدرُ فى أفقه أدنى لناظره — منكم فما لكُمُ عطف ولُقْيان[3]
يُلقى إلىَّ بنور من أشعته — حتى أبيت وضوء البدر ندمان
وأنت فى العيش حلمٌ لست أدركه — لم يدننى منه تطلاب ونشدان

---

(١) الخمائل : الحدائق . والحالية : لابسة الحلى . والقصد هنا حلى الأزهار . والفينان : المورق .

(٢) طخيان : مظلم (٣) الندمان : النديم .

وأنتَ للحسن جنّيٌّ فَتِهْ مرحاً ... ما نال شأوك لا إنس ولا جانُ

يا غايةَ العيشِ والآمالِ قاطبةً ... ومطلباً ليس لى من بعده شأنُ

ما كنتُ أحسبُ حسناً أنت لابسه ... يناله بين هذا الخلقِ إنسان

فذاك حسنٌ عزيزٌ معجز أبداً ... صنع المخيلة لا يحويه جثمان[1]

هل أنت طيفُ خيالٍ زار فى سِنةٍ ... فإنما المرءُ فى دنياه وسنان[2] ؟

أم كنت من جنة الفردوس فى وطنٍ ... لك الملائك إخوانٌ وخلصان ؟

أى الكواكب قِدْماً كنت ساكنه ... قد نابه منك هجران وفقدان ؟

أم كنت فى الأفق نجماً لاأفول له ... إن السماءَ لزهر النجم بستان ؟

وكيف أجحد هذا الكون خالقه ... وفيك لله آياتٌ وبرهان ؟

اذكر حبيبىَ أن الموتَ غايتُنا ... وآفةُ الحسن أكفانٌ وديدان

لا لقية بعده تُرجى ولا صلةٌ ... ولا دلال ولا لطفٌ وتحنان

ألم يعلمك وقعُ الخطبِ مرحمة ... أم كلُّ عيشك أزهارٌ وأغصان؟

هيهات لا يرحم المسكينَ ذو ترف ... منعم البالِ لا يؤذيه حدْثان

يا ناعمَ البالِ مالى راحة أبداً ... وفارغ القلب قلبى منك ملآن

وراقد الليلِ ليلى لست أرقده ... فالقلبُ من حبكم والطرفُ سهران

استجدِ لى رحمةً وانظر إلىَّ بها ... أليس فى الناس حسّان وحنّان؟

لا تحسبن قلوبَ الناس قاطبةً ... أشباهَ قلبك أحجارٌ وصوان !

لا عيبَ فى الطير لم يأنس بعاشقه ... وأنت كالطير جذلان وغفلان

---

(١) المخيلة بفتح الميم وكسر الخاء : الخيال والوهم ، من خال أى توهم ، وتأتى أيضاً بمعنى الكبر من الاختيال والتكبر (٢) سنة بكسر السين : النوم .

لا عيبَ فى الزهر إن أردى بنكهته — وأنت زهرٌ وبعض الحبِّ ذيفانُ

لا عيب فى الماءِ لم يبلغه طالبه — فأنت رىٌّ وقد أخطاك ظمآنُ

لا عيب فى الضوءِ أعمى مقلة نظرت — فأنت نورٌ وطرفى منك عشوان

لا عيب فى النار أنّ النارَ محرقةٌ — الحسن نارٌ وقلبى منه حرّان

إنى أعلّمك الأعذار من سفهٍ — يا بؤس نفسىَ إن أقصاك هجران

بالله لا تتخذ حُبِّيك معذرةً — فى الهجر مالى على الهجران أعوان

النار ليس لها قلبٌ فنعذلها — لكنْ نصيبك وجدان وأشجان

لو تشعر النارُ لم تعنف بلامسها — أو تألم النارُ لم تحرقك نيران

لولا المصائب والآلام قاطبة — ما كان فى الناس إشفاق وإحسان

وليس نظمىَ للأشعار من عبثٍ — فإن شعرىَ قلبٌ منك ولهان

وإن شعرىَ نفسٌ فيك هالكة — وإن شعرىَ أشواقٌ وتحنان

فارحم شجونَ فؤادٍ طالما صدحت — فالقلبُ طيرٌ له فى الحسن أوكان[1]

يا نائى الروحِ روحى منك دانيةٌ — وصاحىَ القلب قلبى منك نشوان

أرسل حضرة الأستاذ الجليل حسن أفندى فهمى المحامى [2]

هذه الأبيات الرائقة إلى صاحب الديوان :

أتظلم أيامى ووجهك شمسها — وتجدب آمالى وأنت تليها ؟

هجرت فقلبى قلب ثكلى حزينة — أصاب الردى يوماً جميع بنيها

وأظمأت زهراً للمودة ناضراً — سأروى بدمعى زهرها وأقيها

---

(١) الأوكان : الأوكار والعشاش .

(٢) « كان من أصدقاءالشاعر ، وكان أديباً شاعراً » .

وحـــدثنى عنك الفـــؤاد بسلوة	فأضحى فؤادى للفؤاد كـريهـا [1]

فمـا سـمـعـت أذنى لشكرى بسابق	ولا أبصـرت عـيناى قط شبـيـهـا

إذا قـال شــعــراً خلتـه قـال آية	هى السحر فى الباب مستمعيها

إذا أنزل الأشـعـار فالدهر سـاجـد	لمنزلهـا جـاث لمتـبـعـيـهـا

ليـاليك أشهى للنفـوس من المنى	ألذ الليـالى مـا رأيتك فـيـهـا

فبَعَثَت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة

منى النفس

مُنى النفس أن تحـيـا وأنت هـواها	فــإنّ جنونى فى هـواك هـداهـا

وإنّ مماتى فى هـواكَ حـيـاتهـا	وإنّ سـلـوّى عـن هـواك رداهـا

فـيـا مطمحَ القلبِ الطلوب مـودة	سـلاها فلمـا أنْ رآك بغـاهـا

كـأنى إذا مـا غبـتَ أضللتُ هـاديا	رشـيـداً وعـينى مـا يزول عـمـاهـا

فـأطلبُ نهج الرشدِ فى كل وجـهـةٍ	وأنكت فى أرض العـراءِ ثراها [2]

وإن لحتَ لاح الرشـدُ حـتى كـأننى	بصـيـرٌ درى الأشـيـاء حين رآهـا

لقد علّقت نفسى بكم قبل قربكم	فـإنك من قـبـل اللقـاءِ مناها

فكنتُ كـراءٍ فى الكرى زهـرجنةٍ	فلمـا تمشى فى الصـبـاح أتاهـا

فكان علـى وعـدٍ من الحلم مـا أتى	فيا حلم نفسى هل تزيل صداها ؟

ويا جنة الأحـلامِ طالت فـروعـهـا	حـبـيـب لقلبى مـاؤها وشـذاها

فـأنت حـبـيـبى مـا حـييـت وإنما	مُنى كل نفسٍ حـيـث كـان هـواها

---

(١) كريها : أى مكروها عند نفسه

(٢) أى أضرب فى التراب بعصا متهديا .

فواهًا على العهدِ القديم الذى مضى ... وواهاً على عـهـد الأحـبـةِ واها

وخـيـرُ ليـاليَّ التى أنت حلمـهـا ... ومـا زان طيف من لدُنْكَ كـراها

وخـيـرُ ليـاليَّ التى أنا ذاكـر ... وشـر الليـالى مـا أبيت أراها

وخـيـر ليـاليَّ التى أنت بدرها ... وقد شُق عن وجه السماءِ دجاها

وخير ليـالى القـصـار بقـربكم ... أرى بدأها يهـدى اليَّ ضـحـاها

فـيـا بدر انَّ الليلَ بعـدك مظلمٌ ... فـهل ليلة لى من سناك حُـلاها

فـربَّ ليـالٍ هن ذات قـرابة ... لقلب شـجىّ إن عـدته بكاها

بكاها فلمـا لم يرَ الدمع نافـعـاً ... تأسى وفى النفس اللجوج شجاها(١)

أريد من الأيام مـا لست مـدركـاً ... هوى كل نفسٍ أن تنال مـداها

فقل لطموح النفس حتّام نحسها ... كـفـاها من العيش القليلُ كفاها

أحبّك يا دنيا على البعد مثلما ... أحبَّ هلوكـاً قـاربت فـقلاها(٢)

ألا فـاسقـنى الأيام إن كـؤوسَـهـا ... تقـرّب من نفس التـعـيسِ رداها

لعمرك ان العقلَ يُفضى إلى الأسى ... فـمن لى بنفس ما يبين حجاها ؟

وكيف ترجِّى العدلَ فى قول حالمٍ ... تطلب دنيـا حلمـه فـشكاها ؟

عسى أن يصيبَ النفسَ صبرٌ يحوطها ... وتهـدأ من نحس الحيـاةِ عـساها

أأخشى طروقَ الحادثات ولبثها ... كـأن الليـالى لا تدور رحـاها ؟

شقـيتُ بنفسى شقوةً لا أطيقـهـا ... فمن لى بنفس فى الحياة سواها ؟

سلاها علام الخوف من كل حادثٍ ... وحـتّام يضنيـهـا الرجـاءُ سـلاها

* * *

(١) تأسى : تعزى (٢) الهلوك : البغى .

ولولا نميـــــرٌ من ودادك طاهرٌ مزجت بنفسي ماءه فشفاها

لمتُّ ولم أظفر بخلٍّ مصادقٍ يعلل نفساً قد أطيل صداها

أبا الفهم ان السحرَ ما أنت قائلٌ فهيِّئ لنفسي من لدنك رقاها

إذا قيلت النكباءُ كنتَ جلاءها وان قيلت الجلَّى فأنت فتاها[1]

فيا مِدرها لا مِدره اليوم مثله أتحتَ لقلبي نهلةً فحساها[2]

خصيميَ دهر ليس يرضى خصيمه وكم حادثات لا تسوغ قضاها

ولي عند هذا الدهر حق أضاعه وكم من ديونٍ لي عليه لواها

وكم موقفٍ تفري به كل بُطلة كأنَّ خميساً من لدنك غزاها[3]

فقم هاتِ لي حقي من الدهر انما حقوقي أمانيٌّ لديه حماها

فإنك يوم الحشر لو قمت دافعاً جناية جانٍ مايخال جناها

فإن بياناً منك يقصي جهنما عن المرءِ حتى ما يخاف لظاها

تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ وأفحش ما تقلي النفوس رباها

أدنْ هذه الدنيا بما أنت ربه فأنت خليق أن تزيح خناها

أما انها لو أُلحقت بمسامع لأدركها مما تقول هداها !

قريب بعيد

لقد عاود الطيرُ المغردُ روضَه فهل هو مخضرّ النباتِ قشيبُ؟

وهل عاده زهوُ الحياة وطيبها وكلُّ حياةٍ بالحبيب تطيب ؟

اذا الطير لم يأنس ولم يبدِ عطفةً فما بين أغصان الرياضِ رطيب

---

(١) الجلى : الأمر العظيم (٢) المدره : الخطيب (٣) الخميس : الجيش .

ولا خيرَ في نيل الوداد بشافعٍ ... إذا أنت لم يطرب إليك حبيبُ

لقد كنتُ أبغي منك أنسًا وألفةً ... وكل أديبٍ للأديب طروب

وجئتَ فلم تظهر إخاءً وعطفةً ... فإن بشاشات الوجوه تصوب

ولحظُ العيون الفاتنات بشاشةٌ ... ولحظ العيونِ العاشقات نسيب

وزرتَ فلم تأنس كأنك لم تزر ... وربَّ بعيدٍ وهو منك قريب

ولم أرَ في عينيك إغراءَ عاطفٍ ... ويا ربَّ لحظٍ للمحبِّ طبيب

لقد كان في عينيك شكٌّ ووحشة ... ألا إنَّ ألحاظ العيونِ خطيب

ولم تتبسط بالمزاح تودداً ... وما كل مزحٍ في الوداد يريب

فكلُّ مزاحٍ منك أنس أحبّه ... وماءٌ طهور لا يعاف شروب[1]

فلا أنت مشتاقٌ ولا أنا شائق ... وكيف يشوق القلب وهو كئيب

فأين ابتسام كنت أهوى وميضه ... وأين ضياء في اللحاظ خلوب[2]

تحدثني عيناك أنك مبغضي ... فكلُّ ودادٍ بعد ذاك كذوب

أحبّك حباً لست أهلاً لمثله ... وما كلّ حبٍ للجمال يطيب

فإنك لا برٌّ لديك لآملٍ ... رضاك ولا ودًّا لديك أصيب

فنفسُك مثلُ القبر قبحٌ وظلمة ... وحسنُك غصنٌ في القبور جديب

فلا تتركنّي بين يأس ومطمعٍ ... إذا لم يكن لي من هواك نصيب

ودعني أمت أو أحي دهراً كميتٍ ... تعدته عُوّاد وملّ طبيب

وإني خليق أن أبوءَ بسلوةٍ ... إذا أنا لم يعطف عليَّ ضريب[3]

* * *

(١) شروب : صالح للشرب (٢) خلوب : أي خالس للقلب والبصر (٣) أبوء : أرجع . والضريب : الند والمقصود الصاحب .

وأهوى رفيقاً ذاكى الروحِ والنهى ... وما لى سواكم فى الحياةِ طليب

فيا خالقَ الألحانِ جدْ لى بمنطقٍ ... وجدْ لى بلحنٍ من لدنك يذيبُ

لأطرب قلباً لا يلين لمطربٍ ... ألا كل شادٍ للجماد يخيب

أظلّ اذا ما غبت عنى كأننى ... يتيمٌ غريب فى الحياة سليب

شفيعى إليكم فى المحبة أننا ... كلانا يتيمٌ فى الحياة غريب

ولو كنت تدرى كنهَ حسنك كله ، ... عذرت ولم يعنف عليك رقيب

وعربدت من سكر الجمالِ وإنه ... لسكر إذا فكرت فيه يطيب

ولو جُنّ إنسانٌ من الحسن كنته ... فأنت فريدٌ فى الجمال عجيب

ولو كنت تدرى سرَّ حبىَ كلَّه ... لما خلت أنى فى هواك مريب

وما فى الورى مثلى عليمٌ بحسنكم ... فإنى بأسرار الجمالِ لبيب

أبيتُ أناجيكم على بعد داركم ... وأدعو خيالاً منكمُ فيجيب

وأطعمه زادى وأسقيه خمرتى ... وأبغيه فى الظلماءِ وهو قريب

وأجلسه جنباً لجنبى وإننى ... إليه وإن طال البعادُ أؤوب

وأسأله عن حاله كيف حاله ... ولى منه إلفٌ شائقٌ وجنيب

نظمتُ معانى الحبِّ فيكم جميعها ... فلم يبقَ منها شاردٌ وغريب

ولم يبق الا أن أُجنَّ بحبكم ... وتُهلك قلبى زفرةٌ ونحيب

كأنكمُ طيفٌ لطيفٍ يزورنى ... فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تؤوب ؟!

عشيق القمر

وهى أنشودة من أناشيد الصيف والليل والقمر

نشـــرالبـــدرُ على داركــمــو ... خلعــاً والدارُ تزهو بالضـــيـــاء

فى ليالى الصيفِ حيث القلب من ... شـجــوه بين التـمنى والرجـاء

ان بيـــتــــاً أنتمُ سكـانـه ... لخليق بـبـــهــــاءٍ وسناء

لخليق أن يبـيت البـدر فيــه ... ســاطعـاً بين عـــراص وفناء

أحــسن الضــوء على داركمُ ... مــا ديار الحى عندى بســواء

يخـشع الطاووس من حـسنكمُ ... ويبـيت البـدر مـسلوب العـزاء

فكأنَّ البـــدرَ من حـــبكم ... حـائرٌ يقطع أرجـاءَ السـمـاء

فـهـو مـثلى هالكٌ من حـبِّكم ... وهو مــثلى بين يأسٍ ورجــاء

ويطلُّ البـــدرُ من طاقـــاتكم ... ويحــيـيكم بألحـــاظ بطاء

بسط البـــدرُ على فـــرشكم ... حُلَّةً فــضــيــةً شـتى الرُّواء

وعـــلا وجـــهكم منه ضـيـــاءٌ ... كضياءِ الطهر محـمود الوضاء

وهو فى أحـــلامكم آفـــاقــه ... وجهـه فى حلمكم جمّ السناء[1]

وهو فى أحـضـانكم ذو سِنةٍ ... ليس يشـقى فـيكُم بالرقـبـاء[2]

---

(١) يتخيل الشاعر غرفة بها سرير قرب نافذتها يسطع عليه ضوء القمر ، وكأنه يرى شخصاً جميلاً نائماً ، وعلى وجهه ضياء القمر. ويتخيل كأن ذلك النائم يحلم بليلة قمراء.

(٢) السنة : النوم .

ليتني يا بدر ضوءٌ ساطعٌ منك فى دارِ ضنين باللقاء
فأراه وهو عنّى غافلٌ ليس يلقانى بعذلٍ أو عداء
أأقضّى العمرَ فى هجركمُ خائباً بين صباحٍ ومساء ؟
يا دواء القلبِ من أسقامه كيف ترمى القلبَ بالدّاءِ العياء !
يا ليالى الصيفِ عودى بالهوى كم عدتنا عنك أيام الشتاء
ياليالى السعدِ عودى بالمنى قد تمادى حكم أيام الشقاء !

الحب والرحمة

لما رأيتم حياتى فى اقترابكمُ وأن بعدكمو والموت سيان :
بنتم فلا رحمة فيكم أؤمّلها ولا تحسّون ما بثى وتحنانى
فادعُوا لىَ اللهَ أن أنساكمُ أبداً وأن أبيتَ على صبرٍ وسلوان!
حسبى الذى قد عنانى من جفائكمُ وقسوة كَمنتْ فى صخر صوان
والله لو متُّ من شوقٍ ومن كمدٍ لما بللتم بماءِ الدمعِ أكفانى
ولا عناكم مماتى فى محبتكم بل كان حظى من سخرٍ ونسيان
ولو جننتُ لما اهتاجت لواعجكم ورُحتم بين مزهو وجذلان
أبعد ما قد بدا لى من عداوتكم تبدون للناس من صحبى وإخوانى ؟
ياطارقَ الموتِ فيك الأمن أنشدُهُ فأنت أرحمُ من صحبى وخلانى !

أملح الناس

ألا يـــا أمــلــحَ الــنــاسِ ... وطـــاق الــــوردِ والآسِ
لـقـــد حللت إيحـــاشى ... وقـــد حـــرمت إيناسـى
ألا يـــا أمــلــحَ الــنــاسِ ... أمـــا لـى فـــيك من آسى ؟
وهــل تـزهـد فـى حـــبِّـى ... ومـــا بـالحبِّ مــن بـاس !
أمـــا يـقـــدر أن يـرحـ ... ـمَ قـلبى قـلبُك القـــاسى
أبيتُ الـليـلَ ســـهـــراناً ... عــلـى هـمٍّ ووســـواس
وأقـــضى اليـــوم فى هـمٍّ ... أريـق الـهـــمَّ فـــى الـكـــاس
وقـــد حـــبَّـبْتَ لى الموتَ ... فـــهـل يـهـنـيكمُ يـاسى
ســـينعـــانى لـك الموتُ ... وأحـــســـوه مع الحـــاسى
فـــهـل يهنيكم مـــوتى ... وأن تـركـــد أنفـــاسى ؟
وأن أدرج فـى قـــبـــرى ... قـــتـــيل الحب واليـــاس ؟
فـــمن يصـــدح بالشـــعـــر ... ومـن يـســـخـــر بـالـنـاس ؟
ولـو أنـى دعـــوت البـــد ... رَجـــهـــراً غـــيـــر إبلاس
لحـــيّـــانى ولبّـــانى ... عـلـى العـــيـنين والـراس !
وأدعــوك فـــلا تـدنـو ... وأنـت الـغـــافل الـنـاسـى
ألا يـــا أمــلــح الــنــاسِ ... وطـــاق الــــورد والآس
لـقـــد خلفنى الحبُّ ... صـــمـــوتاً بين جـــلاسى
وقـــد مـــزقنى الحبُّ ... بـأنـيـــابٍ وأضـــراس !

ذكرى الحبيب الأول

ذكرى الحبيبِ الأولِ / أم لحن شدو البلبلِ ؟
أورى هيامك يا فؤا / دُ وكنت عنه بمعزل[١]
فدع الشجونَ لأهلها / ليس الزمانُ بمقبل
أصبحت ربعاً دارساً / بين الصبا والشمأل
ولقد عهدتك آهلاً / بالحبِّ غيرَ مُعذَّل
وعهدتُ فيك الحب بيـ / ـن مُنوّر ومكلل[٢]
يا قلبُ هل من مرجعٍ / ذاك الزمان المنجلى
هيهات ليس بعائدٍ / عهد الهوى المتحمل[٣]
أصبحت كالقبر الذليـ / ـلِ وكالظلامِ الأليل
من بعد ما قد كان حـ / ـبك كالرحيقِ السلسل
فشملت من شجوٍ ومن / يعشق كعشقك يشمل
وتقول إن أمل بدا / يا ليت ذلك كان لى
قد كان يعجبك الدلا / ل وعزة المتدلل
أصبحتَ لا أملاً ترا / ه ولا رضا المتجمل[٤]
كأسُ الحياة تمجّها / كالشهد شيب بحنظل
فى كل يومٍ لوعةٌ / بين الضلوع كمِرجل[٥]

(١) أورى : أشعل . (٢) الشجر المنور : ذو النور وهو زهر أبيض . (٣) المتحمل : الذاهب .
(٤) أى ليست عندك نشوة الأمل وفرحه ، ولا قناعة المتجمل بالرضا والقناعة .
(٥) المرجل بكسر الميم : القِدْر .

حتّام أنتَ معذَّبٌ ... ترضى بعيش مذلل

ولقد ظمئتَ إلى السرا ... ب فعش كقفرٍ ممحلِ[1]

هذا جزاءُ معاندٍ ... يرضى بحبٍّ مضلل

ويذوب إثْر الغادريـ ... ن بلهفة المتعجل

ويحبُّ سحّارَ اللوا ... حظ قلبه كالجندل[2]

فاكتم حنينَك يافؤا ... د فما السرابُ بمنهل

ودع النسيبَ فسحره ... أعياك من متغزل

إن الذى أحببتَه ... ينأى بقلب معضل

يا قلبُ مالك خافقاً ... أشجاك شدوُ البلبل ؟»

«أرسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادى هذه الأبيات البديعة

إلى صاحب الديوان» [3]

ياشاعر القلب رفقًا إننى وصب ... دامى الفؤاد أحانٍ أنت أم جان[4] ؟

رفقًا فلى مهجة إن لم تكن فنيت ... فقد غدت أشبه الأشياء بالفانى

قرأتُ شعرك كى آسو به حزنى ... والشعر خير دواءِ المدنف العانى[5]

فهاج شعرك ما بى اليوم من كبد ... مصدوعة وفؤاد جدٍّ حران

لله أنت أقوال بألسننا ... تبدى خفى مشوق القلب ولهان

إلاّ تكن عارفاً نجوى ضمائرنا ... فما لنا قد حننا كل تحنان ! [6]

---

(١) ممحل : مجدب . (٢) الجندل : الصخر . (٣) هو الأستاذ المؤرخ عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٤٢ وتوفى سنة ١٩٥٥ (٤) أى إثارتك النفس بالشعر حنو عليها أم جناية لما يؤلمها من اهتياج عواطفها عند قراءته (٥) آسو: أى أداوى .

(٦) أى قدرة الشاعر على إثارة عواطف القراء ، دليل على عرفانه نجوى الضمائر وأسرارها .

كم ذا أريد لأنساه فيخذلني — هوى دخيل وقلب غير معوانِ

سأقرأ الشعر يا « شكريّ » تبعثه — وإن أثار عليَّ الشعر أشجاني

قد يعشق المرءُ ما يبلى حشاشته — كأنما موتها محيا لها ثان !

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة :

الشعر

طرب الفؤادُ فهاتها — فالخمر فى أبياتها !

« عبد الحميد » جلوتها — كالكأسِ فى لمعاتها

إن النفوسَ صحائفٌ ، — الشعرُ من آياتها

والنفسُ طيرٌ صادحٌ — والسحرُ فى نغماتها

لو راعَ كرّ الدهر شيء — ريع من نبراتها[1]

فترى الحياةَ قنيصة — فى الشعر من عقداتها

والعيشُ نهزةُ شاعرٍ — يقتصُّ من فلتاتها

والشعرُ تاريخُ النفو — س ومعقلٌ لحياتها

والشعرُ كأسٌ للنفو — س حذار من نشواتها

والشعرُ ورد يانعٌ — غرسته فى جناتها

والنفسُ ريحٌ قد هفت — بالشعرِ من نفحاتها

(١) ذلك لأن الشعر يذهب عن كر الدهر ، ويعيد الحياة الماضية وحوادث النفس التى تقضت ، وهو للنفس بمنزلة الربيع للسنة ، والشباب للعمر .

والنفسُ طوراً كالسمو ... م تروع فى لفحاتها

والنفس بحرٌ زاخرٌ ... والشعرُ من موجاتها

والنفس طيرٌ فى الحيا ... ة يطير فى روضاتها

فى أرضها وسمائها ... غَرد وفى جنباتها

إن القلوبَ خوافقٌ ... والشعرُ من نبضاتها

فترى الحياةَ جميعَها ... منشورةً بصفاتها

والشعرُ مرآة الحيا ... ة تطل فى مرآتها

تجلو أساليبَ الحيا ... ة تلوح فى صفحاتها

فتراه فى آلامها ... وتراه فى لذاتها

والشعرُ فى عبراتها ... والشعرُ فى ضحكاتها

وهو المعينُ على الحيا ... ة يغضُّ من نكباتها

والشعرُ نورٌ ساطعٌ ... عادٍ على ظلماتها

ويصيغُ من ألم النفو ... سِ اللحن فى أناتها

ويضىء كلَّ جريمةٍ ... فيبين عن غاياتها (1)

فهو الخبيرُ بما يحد ... ثُ النفسَ فى فعلاتها

للنفسِ نشوةُ راقصٍ ... والشعرُ من رقصاتها

للنفس همةُ ساحرٍ ... والشعرُ من نفثاتها

---

(1) ذلك لأنه يشرح الانفعالات النفسية التى دعت إلى إتيان تلك الجرائم، ويفيض عليها نور الصياغة الفنية.

فـــى كُـــل نـــفـــسٍ مـــنـــزلٌ للشـــعـــرِ من حـــركـــاتهـــا[1]

فـى الطـفـل والـرجـل الـكـبـــيـــ ـــرِ يجـــول فـى حـــالاتهـــا

وتـراه فـى فـــتـــيـــانهـــا وتـراه فـى فـــتـــيـــاتهـــا

فـى حـــزنهـــا وســـرورها وطـمـــوحـــهـــا وشـكاتهـــا

والـشـــعـــرُ نغـــمـــةُ صـــادح والـنـــفـــسُ من آلاتهـــا

أشـــجـــانُهـــا أوتـارُها والـشـــعـــرُ من رناتهـــا

ولـكـلِّ شـىءٍ مـــبـــعـــثٌ لـلـنـفـس من رقـــداتهـــا

والـشـــعـــرُ كـــالإلـهـــام يأ تـى الـنـفـس فـى يـقـظـاتهـــا

والـكـون آيـةُ شـــاعـــرٍ يـأتـى بمـبـــتـــكـراتهـــا !

بين العذر واللوم

ألا عـلـلـونـى بـالـظـنـونِ الـكـواذبِ ولا تـتـركـوا قلبى لنـهـب النـواهبِ

ولا تسـألونى كـيف أنت فـإننى أرى الموتَ فى هجر الحبيبِ المجانبِ

بخلتُ به بخلَ الشـحـيحِ بماله وكـان جـواداً بى على كـل عـاتبِ

فـلا تحـسـبـوا حبى غـروراً وزهوةً كـأنى خليقٌ باقـتـراب الحبـائبِ[2]

وإنى لأدرى أننى لسـتُ للهـوى وأنىَ مـشـنوءٌ كـثـيـرُ المعـايبِ[3]

لذاك أذود القلبَ عنكم فـينثنى إليكم فقلبى عندكم غير آيبِ[4]

فـلا تعـجـبـوا أنى لجـجت بحـبكم فـإن عـزاء النفسِ شـرُّ العـجـائبِ

---

(١) إن كل إنسان موضوع من مواضيع الشعر وكل إنسان شاعر صغير .

(٢) أى لا تحسبوا أن سبب حبى اغترارى بنفسى ، وزعمى أنى أهل للحب .

(٣) مشنوء : مكروه (٤) أذود : أبعد وأطرد . والآيب : الراجع .

وكـنـتُ أظـنُّ الحـبَّ أمـنًـا ولـذةً ... فـجـار علىَّ الحبُّ بين النوائـبِ

وكنتُ أظن الحبَّ في العيشِ بلسمًا ... فكان كريشٍ في سهام المصائبِ[1]

ومن لي بنزع السهمِ والسهمُ قاتلٌ ... إذا ولغت أطرافـه كـالمخـالـب[2]

أأحـبـابنا رفـقـاً بقلبٍ مـولهٍ ... كثير الجوى عفٍّ الهوى والرغائب

جعلتُ لكم عذراً على الصدِّ واسعًا ... فـإن فـؤادي عـاذرٌ غـيـرُ عـاتب

وما كان لي في حبِّكم وجهُ حيلةٍ ... وكيف وقد سُدَّت وجوهُ المذاهب

وخلّفتموني أحسدُ الناسَ حبَّهم ... وأوحشتموني من حبيبٍ وصاحب

وخلفتموني إن مررتُ برفـقـةٍ ... بكيتُ على فقد اللدات الأصاحب[3]

ومـا ليَ حق عندكم فـألومكم ... على الهجر إن أدلى محب بواجب[4]

قـبلتم غـرامي رحـمـةً وتطولاً ... فـإن ارتـضـاءَ الحبِّ جـهـدُ المناقب

وحسبيَ في حُبّيكمو أن علمتمُ ... بأنكمُ في النفس خير الحبـائب

فـيـا نشـوة الحبِّ الذي أنا شـاربٌ ... هوالحبُّ مـثلُ الخـمـر مرُّ العـواقب

ومن لو رآني هالكًا من صـبـابةٍ ... لخـال فـؤادي نـهـزةً للّواعب

أَضيءْ لي وجوهَ العيش منك بعطفةٍ ... فـقـد ضلّ قلبي في سواد الغياهب

وأنت جـمـيلٌ كـالحـيـاةِ محـبـبٌ ... وإن كنتَ مثلَ العيش مرَّ التجارب

أبيت وطرفي بالنجـوم مـقـيـدٌ ... أردد لحظي في عـيـونِ الكواكب

فيـا نجميَ النحس الذي أنا نـاشـد ... أراك ضـئـيـلاً آفـلاً غـيـرَ ثـاقب

---

(١) البلسم : الدواء يستطب به . (٢) ولغ الكلب في الإناء إذا أدخل فيه لسانه . وهنا تشبيه لسهم وتلوثه بالدماء بلسان الوحش أو مخالبه . (٣) اللدات : القرناء . (٤) أدلى به : متّ وشفع .

فليت حياتي غالها الموتُ غولةً ... وأصبحت في قبرٍ ذليل الترائبِ

أُدَلىّ بمهواة سحيق قرارها ... ويُحْثى عليَّ الترب من كل جانبِ[1]

فإن متُّ لا تبكوا عليَّ بلهفة ... ولا تُسمعوا روحي نواح النوادب

فإن نفاقاً ما يكون بكاؤكم ... وخشيةَ لومٍ ما نواح الأقارب

ويا قلبُ كم تبغي مصادقا ... وتبصر في الأحلام صفوَ المشارب

فتغفي قليلاً بين وافٍ وصادقٍ ... وتصحو طويلاً بين خبٍّ وكاذب

وإن غروراً بغية قد بغيتها ... فلا تأس إن أمسيت في عيش خائب[2]

أما أنت مثل الناس خباً وكاذباً ... صميم ا لخنى جمّ الأذى والمثالب[3]

وكلُّ امرئٍ في العيش للعيش خادمٌ ... يقادُ الفتى فيالعيش قودَ الجنائب

نجـــوى

أسارقه الألحاظَ والناسُ بيننا ... فترجعني عنه العيونُ النواظر

وينفر من قلبي وقلبيَ روضه ... ويزهد في حبّي وحبيَ طاهرُ

وهل أنت إلا كعبةٌ أنا عابد ... وهل أنت إلا منسك ومشاعر !

وإن كنتَ في الصحراء فهي خميلةٌ ... وإن كنت بين الزهر فالروض باكر

وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً ... إذا لم يكن في أيكه منك طائر !

ألا إنَّ روضِي صوّحت شجراته ... فلا النبتُ مخضرٌّ ولا الزهرُ زاهر

---

(١) بمهواة : أي حفرة عميقة . ويحثى: أي يهال . (٢) لاتأس : أي لا تحزن .

(٣) المثالب : المعايب التي يذم لها المرء .

وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجت — عليه أكاثيبَ الترابِ الأعاصرُ[1]

وأصبحَ مهجوراً خرابا ترودُه — وحوشُ الفيافى والطيورُ الكواسرُ

وقد كان كالفردوسِ حسناً وبهجةً — فأهلكه صرفٌ من الدهر غادرُ

وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره — فلا الطير تهواه ولا الغيث ماطر

وكيف يعيشُ النبتُ والغيثُ باخلٌ — وكيف يسرّ القلب والحسنُ هاجر ؟

ومالحسنُ إلا روضة النفس ، والهوى — علالة نحس الجدّ ، والجدُّ عاثر

وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أُصب — فلست أبالى الدهرَ ، والدهرُ غادر

وحبىَ فضلٌ للذى أنا عاشق — وما كلُّ حبٍّ فخر من هو فاخر

وأحببتُ من قد كان مثلك بهجة — فشطّت به عنى المنايا البواكر

يذكّرنيه كلُّ قولٍ تقوله — وهيهات لا تجدى الحزينَ الخواطرُ

وكنتُ وإياه كعينٍ وأختها — وكنّا كسرٍّ غيبته الضمائر

وكنا نجوب الليلَ ،والليلُ فاتنٌ — وكنا نؤم الفجرَ ، والفجرُ حاسر[2]

وكان على رغم الحسودِ ودادنا — هيامًا وتحنانًا تجن السرائر

سلامٌ على البدر الذى غيّب الردى — وليس على البدرِ الذى هو هاجر

فيا بدر إنّ العيشَ بعدك مظلمٌ — ويا بدر إن الطرفَ بعدك ساهر

ويا بدر طهِّر بؤسَ عيشى ونحسَه — بضوئك إن الضوءَ كالماء مائر[3]

ففيك معانى الحسنِ والشعرِ والهوى — وأنت كما تهوى النهى والبصائر

فيا بؤس للحيِّ الذى ليس فاتئًا — ينوح على من غيبته المقابر ![4]

---

(١) أكاثيب : أكوام . والأعاصر : العواصف . (٢) حاسر : سافر .

(٣) مائر : نافذ وشفاف وجار . (٤) فاتىء: باق ودائم .

عقوق الغدر

محضتُك النصحَ فى سرّى وإعلانى ... كـأنما النصحُ من دينى وإيمانى !

قد كـان لى حلمٌ فى الناس أنشده ... يجلو همومى ويأسو كُلْمَ أحزانى

حلم من الصدق والإخلاص تنسجه ... أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانِ

وشمتُ فيك خصال النفس زاهيةً ... والنفس تُجلى بأوصافٍ وعنوان

حسبت نفسك نوراً ما به ظلم ... فما اعتذارى إذا ما طاش حسبانى ؟

قوارص عنك تأتينى وأكتمها ... بأى وجهيك بين الناسِ تلقانى؟

تذيع أن ودادى فىَّ منقصةٌ ... حسيبك الله من عادٍ ومن جانى

حسيبك الله ليس السوءُ من شيمى ... ولا الخيانة والإسفاف من شانى

فى أى شرع يجوز الغدرُ عندكمُ ... حتى تقابل تحناناً بعدوان ؟

تقول بالظن قولاً لست صادقه ... يا بعد ما بين ذى صدقٍ وظنان

أحسنتُ ظنى وحسنُ الظن تجهله ... فسوءُ ظنِّك فيه شك حيران

أستودع الله ما قد خلته زمناً ... فيكم وأبرأ من ودٍّ وتحنان

ما أنت أول من خانت أواصره ... وراح ينقض بين الناس بنيانى

أعيا على الناس أمرُ الناسِ كلهم ... فالخلقُ للخلق شيطانٌ لشيطان

ليت الزمان عدانى عن لقائكمُ ... كى لا أُلام على سخرٍ وأحزان

لولا خيانتكم ما خلتُ من شجنٍ ... إن الفضائل من أحلامِ غفلان

تغتابنى ، ثم تلقانى وتضحك لى ؛ ... والقلب ملآن من سوءٍ وأضغان

كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه ... وفيه حتفك من سمٍّ وذيفان

يا رُبَّ شـاكٍ شكاه الناسُ قـاطبـة
فـراحَ يقـدح فى صحبٍ وخـلانِ

بيـنـا أُنـوِّهُ فى أمن بـذكـــركم
إذ أنت تنقص من قدرى ومن شانى

هذا جـزاءُ امـرئٍ بالناس منخـدعٍ
فـالغـافل الغـرُّ فـينا فـرصـةُ الجانى

أقــول علَّ الذى بُلغـتــه كــذبٌ
هيــهــات مـا هو من إفكٍ وبهْـتــان

فـقــد أتى بدليـل لست تدفــعــه
وهل يـكذّب من يسـعى ببـرهان؟

يا ربّ لا يُرتجى فى الأرض ذو ثقـةٍ
عفّ اللسان على صحبٍ وخلصان

لأى أمـرٍ يعـيش الغــادرون بهــا
أمــا تضــيق على خبٍّ وخــوان

من صح نفسًا فلا يزرى به صـغـر
إن الكبيـرَ كـبيـرُ النفسِ والشـان

بعضُ القـلوب قـلوبٌ قــال بارئـهـا
كونى عن الصدقِ والإخلاص فى شان

بعضُ النفـوس نفـوسٌ كلهـا جيـفٌ
فــاربأ بنفــسك عن نتنٍ وديدان

وكن كما خلت فيك الفضل أجمعه
وحـسـب نفـسـك من لـبٍّ وأذهان

اعتدت من أهل دهرى كلَّ منقصةٍ
فــلا ألومك فى مكرٍ وعــدوان

ومــا عـتـابيك فى طبع بليت به
الطبع أغلبُ من نصحٍ وعـرفـان!

بعد الــود

ســلامٌ عليكم يـا أخــلاى أنتمُ
لقـد طالَ هجـرٌ منكم فنسـيـتمُ

فـأصبحتمُ فى العين كالناس كلهم
وقد كـانَ قِدْماً مطمح العين فيكمُ

وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكمُ
وأسـمع شـدوَ الطيـرِ إمـا نطقـتمُ

فـخلتم ودادى خلةَ العـبـد ضـلةً
فــراح بنا عنـكم عــزاء ورحـــتمُ

فما كان من فضلٍ لديكم وددتكم
ولـم تـر نفــسـى الودَّ برًّا لـديكمُ

خلعت عليكم نورَ حبى وخلتكم	كما يخلع القلبُ المحبُّ عليكمُ
فكنتم لدى نفسى كما النفسُ تشتهى	يلوحُ لعينى مطمحُ النفس منكمُ
فأصبحتمُ ذكرى كأمس الذى مضى	وغُضّت لحاظُ العينِ والقلبُ عنكمُ
فكونوا كما شئتم جفاةً فإننى	عرفتُ عزاءَ الصبرِ حين غدرتم
وهونتُ من وجدى وكفكفتُ عبرتى	ونامَ على السلوان طرفى ونمتم
فإن غبتمُ ما حنَّ قلبى لذكركم	ولا أنتمُ منا ولا نحن منكم
لقد هنتمُ إذ هان حبى لديكمُ	ولو صنتمُ ودى لكنا وكنتم
وكنتم مكان النجمِ عندىَ عزةً	فأطغاكم ذاك المكانُ فهنتم
دعوتكمُ للودِّ حين وددتكم	فكان بكم وقرٌ إذا ما دُعيتم
ورتلتُ آيات الإخاء عليكم	فهل كان ذنبى أنكم ما فهمتم
وأنتم وجدتم قسوةَ الغدرِ لذةً	فلما بلونا راحةَ الصبرِ لمتمُ
قسوتم علينا إذ حننا إليكم	فلما أردنا هجركم ما رحمتم
نزعنا نزوع اليأسِ عنكم فلمتمُ	فإن شئتمُ عدنا إليكم وعدتمُ

الحب والطبيعة

رحمَ اللهُ محبّاً والهاً	لم يجد من حبكم وجه المآب
أنَّ مما نابه من هجركم	كأنين الريحِ فى الربع الخرابِ
وهو كالعصفورِ غريداً على	غصنه والغصنُ يزهو كالشباب
وترى العاشقَ فى لوعاته	أبداً بين سكونٍ واصطخابِ
وهو كالبحرِ وللحب جلالٌ	كجلال البحرِ مخشىِّ العباب

وقطوبٌ كقطوب الليلِ إن | أقبلَ الليلُ كإقبال السحابِ
ولهُ بشر كبشر الفجر إن | سرَّه وعدُ حبيبٍ باقترابِ
وهجير كهجير القيظِ إذ | غلواء الصيف ريعان التصابى
وهو آناً عزةٌ مثل السهى | وهو آنا ذلةٌ مثل التراب
وهو مثلُ النارِ من أشجانه | أبداً بين اضطرامٍ والتهاب
يحسب الكونَ إطاراً دونه | رسم من يهوى مضيئاً كالشهاب
أو كتاباً فُصّلت آياته | وحبيب النفس معنى للكتاب
الهوى والمال والجاه سواء | نشوة العيش وغايات الطلاب
فهى تلهى المرءَ فى دنياه عن | عبثٍ للعيش خدّاع السراب
لا تَرُح بالصحو من كاساتها | فترى العيشَ بألحاظ غضاب
اسقنى خمرَ المساعى والهوى | فجمالُ العيشِ فى ذاك الشراب

نرجس

نرجس أنتِ الحسن يا نرجسُ | تشتاقكِ الأبصارُ والأنفسُ
ترضعك الشمسُ بأضوائها | واليوم صحو أفقه مشمس
تحنو على الغدران مستأنساً | يا زهرة فى روضها تغرس
تبصر وجهَ الحسن فى مائها | بحسنه كلُّ امرئٍ يأنس
حتى إذا البدر بدا ضوءُه | يزينه فى ثوبه الحندس
أفقت فى جسم كجسم الدمى | يُلتذ منه الشم والملمس
كالدرِّ من أصدافه خارجاً | والدرّ فى أصدافه يُحرس

عند غــديرٍ شَــبِم مــاؤه خلعت من ثوبك مــا يلبس(١)

لكى ترى حسنَك فى مــائه تخلس منه العينُ مــا تخلس

تدلّ بالحسن على بدره والبــدرُ دانٍ فــوقه يلمس

فــأنت والبدر على مــائه بدران قــد حفّــهما الحندس

وتستحمان على مــائه وأنت من بدريكمــا الأنفس

تقــوم قــرب البدر فى مــائه لكى ترى أيكمــا الأملس

تعــوم كالنشوان من حسنه تُسكر من خمــرته الأكؤس

نرجس أنت الحسن يا نرجس يقــبس منك الطرفُ مــا يقــبس

أشــهى من الروضــة إذ تنثنى قــدك من أغصــانها أميس

وطرفك الأدعج يا نرجس يشوق فيه الحسن إذ ينعس !

الحطاب والحشرة

أو

دين الكون

خرجت من حجرات الـ أرض والعينُ تــراهــا

ذات ذل وخشــوع تحسب الخيــر نماها(٢)

داســها العــابرُ قــدمــاً فــهى لا يُخشى أذاها

فــرآها حــاطبٌ يسـ ـعى لحاجٍ قــد بغــاها

قــال بالظن وقــدمــاً كــان مــا ظن سفــاها

(١) الشبم : البارد . (٢) أى تحسب أنها تنسب إلى الخير .

قـــال لا يســـعى إلى الشـ ـــرٌ ضـعـيـف قـد تناهى[1]

بلغ الإشــفـاق منه ـمـبلغـاً حـتى حـمـاها

قـالت الحـيـةُ قـولاً حـجـة فـيـمـا عـراها

إنما الحـمـدُ قـيـودُ الـ ـنُبلِه مـفكوك عـراها

بُنيَ الكون على الخـد عـةِ لا دين سـواها

كـل نـفـس ذات مـكـرٍ حين تسـتـدنى مُناها

كم مُـسـداجٍ وجـد الشـ ـرَّ مطايا فـامـتطاها

بلغ القـصـدَ ولما يعـبـد التـقـوى إلهـا

بـلـغ الـنـجـح ولمـا يبلغ الحـسـنى رضـاها

لـذعـتـه لـذعـة الخـ ـبِّ فـأخـطـاه أذاها[2]

فـرمـاها تحت رجليـ ـه هـوانـاً وقـلاهـا

ليت وطأً مـا عـداها ليت طرفـاً مـا رآها

ربَّ خـبٌّ دفـنـوه تحت أرض قـد حشـاها[3]

لا تُصب بالخـيـر نفـسـاً ليس للخـيـر هواها

قـد يُضل السـوء حـتى تبلغ النفسُ عـمـاها

فـتـرجّى كل خـيـر في الذي فـيـه رداها

إنما الرحـمـة ضـعـفٌ إن تُـصـب من لا يـراها !

---

(١) أى بلغ الغاية فى الضعف . (٢) الخب : الماكر المخادع . (٣) حشاها : ماهلا .

الوتر المفقود

أحسست أن نفسى ... من شجوها كعودِ

أوتارها مليئةٌ ... بالنغم السديدِ

تخلق من ألحانها ... روحاً لذى الجمود

ألحانها معانٍ ... من محكمِ القصيد

لكل معنى وترٌ ... فى عودها المشدود

فللشقاءِ وترٌ ... ووتر المسعود

ووتر يشدو لها ... بالمطلبِ البعيد

كأن ريحاً إن شدت ... تطلق من ركود

ووترُ الحزينِ ... ووترُ السعيد

ووترٌ مقتبسٌ ... من جنة الخلود

قد وقعت عليه الـ ... ألحانُ بالترديد

كأنها من لحنه ... فى فرحٍ وعيد

تسمع فى ألحانه ... بلابل التغريد

يا نفس ما دهاكِ ... من شقوة الجدود ؟

فوقعى عليه ... وغردى وعودى

واحسى الغناءَ وانتشى ... من طربِ النشيد

هيهات أين منى ... ذو الوتر المنشود

قد كان فى فؤادى ... كجنةِ الخلود

لشد ما أعانى   للوتر المفقود !

أغاريد شاعر

نغمات البلابلِ   أم أغاريد شاعرِ
لعبت بالسرائر   واستبدت بخاطرى
نقعت غلةَ الفؤا   دِ برىً الهوامرِ
وغيوث مواطر   من غيوث البصائر
أخصب القلب بعدها   من صنوف الأزاهر
بعد ما كان مجدباً   من قشيبٍ وناضر
إنما الشعرُ نغمةٌ   كحنينِ المزامر
أو رعود الرواعد   أو أنين الأعاصر
ومعانٍ خوالد   كالنجوم الزواهر
إنما المرءُ ذرةٌ   فى رياحِ المقادر
إنما العيشُ نغمةٌ   فى زفير الزوافر
نغمةُ الخفضِ والنعيـ   ـم ونحس مخامر
إنما العيش قصة   أو أحاديثُ سامر
فأجز عنىَ الهمو   مَ بألحان شاعر
نغماتٌ شجيةٌ   هى خمرُ المشاعر
كل أمرٍ نحسه   فرصات لشاعر
إنما الشعر فى الحيا   ةِ كمنظارِ ناظر

يصف الناسَ كلهم ... من تقيٍّ وفاجرِ

يُشعر المرءَ حالهم ... من صروفِ المقادر

يرفع النفسَ سحره ... عن وهادِ الحقائر

لسماءِ العظائم ... عن حضيض الصغائر

فهو دينٌ لطامح ... من مصيبٍ وعاثر

يصف العيشَ فى الكما ... لِ عديم المحاذر

فيحنّ الورى إليـ ... ـه حنينَ المسافر

فيه إغراءُ وارد ... وبه حثّ صادر

يجعل اليأس والطمو ... حَ دواء المغامر

يدفع النفس بالخيا ... لِ لورد المآثر

يُبلغ النفس أفقها ... كجناحٍ لطائر

لاتقاس النفوس بالـ ... ـمالِ فى ذخر ذاخر

وهو دينُ الضمائر ... لا مقال المنابر

يفتح النفسَ ضوؤه ... مثل ضوءِ التباشر(١)

مثلما يفتح الصبا ... حُ زهيَّ الأزاهر

يلقح النفس وقعه ... ربَّ نفس كعاقر

---

(١) التباشر : أول الفجر ، قال الشريف الرضيّ :

ورب سنا أرقت له ... يخادعني تباشره

صوت الله

نجوى المؤمن

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس ... فــإن صــوتَ الله دانٍ كليمْ
وكلنا مــوسى لدى ربّه ... وكل روحٍ حين يصفو عظيمْ
وإنما نفسُ الفتى معبدٌ ... يضيئها الله بنورٍ عميم
والنفس بيتُ الله إن طهرت ... والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

* * *

أنصت أما تسمع ذاك الدعاء ... صداه فى الأنفس صوت الضمير ؟
من ذا الذى أودع فيك الرجاء ... ومطلبَ الخير وكره الشرورْ ؟
يا هاتفًا فى جنح ليلٍ بهيم ... لبيك فالقلبُ كعبدٍ أسير
أنت رجاءُ النفس فى أسرها ... تضيءُ فى العيش ظلامَ الأمور
وأنت صحو الروح فى بحثها ... من نشوة الفكر وسكر الغرور

* * *

إن كثر الخطب وعمَّ البلاء ... فقربه للنفس قرب الرجاءْ
ففى الأسى يبدو ضياءُ المنى ... وفى الأسى نبصرُ منه الضياءْ
والوقر عن نجواه وهن النفوس ... والوهن فى الأنفس داءٌ عياء
نجواك نجواك دواء الأنام ... من عنت العيشِ ووقع الشقاء

* * *

تسكب منك الضوء فى الأنفس ... فيرفلُ العيشُ ببردٍ قشيبْ

يعبدك الناسُ بأعمالهم | وما يعانون لوقعِ الخطوبْ
وبالأسى فى عيشهم والندم | عبادة الندب الجليد المصيب
طوبى لمن روَّض من نفسه | فإن صوتَ اللهِ منه قريب

وارحمة للناس

تعلمنى الأقدارُ أن أرحمَ الورى | فقلبى لكل العالمين رحيمُ
وأنظر فى نفسى وأعرف عذرَهم | على شرِّهم داءُ النفوس قديمُ
وإن جميعَ الناسِ أهلى وإخوتى | وإن كان فيهم جارمٌ وذميم(1)
فيا ويح هذا الخلق مما يصيبهم | مقادير يتلوها أذى وهموم
وليس خصيمى من يريد شقاوتى | فإنّا جميعاً للقضاءِ خصوم
أليس أسير الشرِّ أولى برحمةٍ | وأى امرىءٍ مما يُذم سليم
أليس أسير السوءِ يغدو معذبًا | به من حزازات النفوسِ كلوم(2)
وأحسنُ ما فات امرأً حسن نفسه | وإن خفيت عمن يودُّ وصوم(3)
وليس شقاءُ المرءِ رهنًا بشره | وليس على قدرِ العقولِ نعيم
فوارحمة للمرءِ حتى حياته | تناهب قوتٍ إنه للئيم
وإن أشدَّ اللؤم لؤمُ ابن طعمة | يبيع بها من نفسه ويسوم
وليس يبالى الناسُ هلك نفوسهم | إذا سلمت طول الحياة جسوم
فنونٌ وآداب وفقهٌ وصنعةٌ | وفضلٌ وجاه واسعٌ وعلوم

---

(1) الجارم : المجرم - (2) الكلوم : الجروح - (3) الوصوم :جمع وصم والمقصود آثار عيوب النفس .

وسائلُ يستدني بها رزقَ يومه ... يريم به في عيشه ويقيمُ[1]

فوارحمة للمرءِ من سقم نفسه ... وكل الذى يبغي الشرورَ سقيم

ووارحمة للمرءِ من عجز نفسه ... هو العزم إن حال القضاءُ عقيم[2]

ووارحمة للمرءِ إن بات عانيا ... يحنُّ إلى ورد المنى ويحوم

ووارحمة للناس من سخرِ عيشهم ... وسيّان فيهم واجدٌ وعديم[3]

حياةٌ كمستشفى السقام أليمة ... فيسقم فيها أشيب وفطيم

خليق بنا أن يرحمَ المرءُ صنوَه ... فكلٌّ لكلٍّ عاذرٌ ورحيم

جهاد المصلحين

أسائلُ عن هذا الورى ومآله ... فيخرس داعٍ بيننا ومجيبُ

أفي كلِّ يومٍ معرك بعد معركٍ ... حروب على آثارهن حروب

ولو كان يجدى أن تطيحَ ضحية ... فإن شقاءَ العاملين حبيب[4]

خليليَّ هذا الكون من أوليائه ... أأصلحه في العاملين طبيب؟

وكم من نفوسٍ ساميات أذلها ... فعادت بأدناسِ الحياةِ تطيب

ترى دنسَ الأشياءِ رؤيةَ آلف ... يرى أن أحلامَ النفوس لغوب[5]

يظن جهاد المرءِ في العيش ضلة ... وأن مساعى المصلحين تخيب

يرى أن خيرَ الكونِ ما هو كائنٌ ... ووحى النفوس الساميات مريب

ويحسب أن الشرَّ ضربةُ لازب ... وأن أساليب الحياةِ ضروب

(١) يريم : يمكث . (٢) عقيم :عديم النتيجة . (٣) لواجد : تعنى الغنى . والعديم : المعدم الفقير .

(٤) تطيح : أى تهلك . (٥) اللغوب : أشد التعب .

ويصبح فى مجرى الحوادثِ ريشةً تجـوب به الأيام حـيث تجـوبُ
ويطفئ نور النفس حتى كأنما دواعى النفوس الساميات عيوبُ
ويحسب نشدانَ الكمالِ حماقةً وأن دعـاءَ المصلحين ذنوب
لئن فشلت للعاملين أولى النهى مسـاعٍ وذلت أنفسٌ وقلوب
فإن شرورَ العالمين كثيرةٌ وإن الخطوبَ العائقات تنوب
وهمة باغى الخيرِ كالدهر صبرها وقلبُ الذى يبغى الكمالَ رحيب
وإن أمانىَّ النفوسِ كثيرةٌ تريك ضياءَ النجحِ وهو قريب
وكيف يرى سارى الحياة سبيلَه إذا حان من نجم الرجاءِ غروب
ولولا ضحايا العاملين لأرهقت شرور على إثر الشرورِ تصيب
فلا تعجبنْ أن الشرورَ كثيرةٌ ولكنَّ بأسَ العاملين عجيب!

الروح السوداء

يا سوأة ما مثلها سوأة ما بك من حقدٍ وأوغامِ
يا سوأة كالدهر فى وسعه تنمو بمرِّ العامِ والعامِ
تنقص من خيرٍ ومن عفَّةٍ وعيبك المستنبت النامى
لو أطلقت روحك وسط الضحى لألبسته ثوب إظلام
كأنما ينسابُ منها الدجى يزخرُ فى ديجوره الطامى
ما خلقَ الرحمنُ من خصلةٍ يطير فيها لوم لوَّام
إلا على وجهك مكتوبة كأنها من خطِّ أقلام
خاتم إبليس على جلده بيِّنةٌ فيه لأفهام

روحُك كـــانت قـــبل فى ناهقٍ ... ريض بأســـــراجٍ وألجــــــامِ[1]

فلسـفـة لا شك فى صـدقـهــا ... فلم تـكـن أضـغـــاث أحـــلامِ !

فى كـلٍّ فـــضـلٍ قـــادح واقع ... تنهــــشـــــه فى نابـك الدامى

وذاك برهـانٌ عـلى صــدقــهـــا ... والـصــــدقُ ذو وقـعٍ وإحـكـامِ !

سنة العيش

التنافس أم التعاون

إنى لأفكر ، والأيام مـــوعظة ، ... فى السـابقين وفى التـالين من أمم

من عـهـدِ آدم من أنفسٍ شـقـيت ... وكم عيونٍ بكت من شجوها بدم

فى النور قومٌ ، ضياءُ العيش خمرتهم ... وكم أناسٍ شقوا بالعيشِ فى الظلم

ظنّ السعيد شقاء النحس متهماً ... مرأى الشقاءِ لدى المحدود كالتهم

فإنما طعمة المسعودِ يمزجها ... عيش المناكيدِ بالأسقامِ والألم

ما نالَ طعمة قوت ساغها سغب ... إلا كأن مُزجت فى صنعها بدم[2]

لا تسـمـعنّ مقـالاً قال قـائله ... وما أصاب صواب الرأى فى الكلم :

اضحك ولذّ فإن العيشَ منتهبٌ ... وأضيعُ الأمرِ عيشٌ حيط بالعدم

فـذلك القـول حـربٌ للنهى أبداً ... قد صيَّر الناسَ للذاتِ كالخدم

ظنوا الحـيـاةَ مـحـالاً أمرها أبداً ... إلا على الحقـد والبغضاءِ والنقم

وإنما ملجـأ النفسِ التى كـرهت ... عـزو الأمـور إلى الأقـدار والقِسم

---

(1) أسرج : وضع السرج . وألجم : وضع اللجام . وفى البيت إشارة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح

(2) السغب الجوع .

إنَّ المحالَ لديها كل ما كرهت ... ليس المحالُ محالَ السعى والهمم

هذى المقابح طراً فى تنافسهم ... إنَّ التنافسَ داءُ الجائع النهم

طبع قديمٌ سينضو المرء خلعته ... مثل الأديم نضته صمة الصمم[1]

لابد من فشلٍ من بعده فشل ... حتى يفيقَ سوادُ الناسِ من صَمَم[2]

انظر إلى الناس ما فى عيشهم أربٌ ... داء الخماص وداء الهمِّ والتخَم[3]

ظنوا التقاتلَ فيه سنة أبداً ، ... فعل الوحوش على الأدناس والرمم

انظر إلى الناسِ هل يبدى تنافسُهم ... غيرَ التباغضِ والأوجالِ والسأم

وكلما قام فيهم ناصحٌ وَجِلٌ ... قالوا هو الغرّ يرعى روضةَ الحلم[4]

العيشُ حربٌ ولكن فى عدوهم ... حرب الطبيعة حرب الخير والحكم

حربُ الطبيعة حربٌ لا انتهاء لها ... حسب العقولِ وحسب العزمِ والهمم

إن كان يُخشى على الأرزاق أن كثروا ... فأحسن الداءِ داء العقم فى الرحم !

أتحمل الزوجُ كى يفنى الألى حملت ... بين المصانعِ والأسيافِ والسقم ![5]

لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم ... حتى يُطهر داءُ الحرصِ بالندم !

الكونـــان

قلب اليائس :

ضـــــاق قلبى بما يجـ ... ـنّ ونفــــسى بما تشــــا

فــهى كــالبــيتِ مــغلقٌ ... نازح الأهل قـــد خـــوى

---

(١) الصمة : الحية (٢) الصمم بالفتح : ذهاب السمع . (٣) الخماص : الجياع .
(٤) أى كلما ظهر مرشد قالوا إنه يريد تحقيق الخيالات والأوهام . (٥) الزوج : كلمة تقال للمرأة والرجل ، أى الفرد المزاوج .

راكــــدُ الجــــوِّ قــــاتمٌ	فـــاســـدُ الماءِ والـهـــوا
يُفــــزع المرء من صــــدا	ه إذا ردَّد الــصـــــدى
يحـــسب الجنَّ قـــد ثوى	جــمــعـهـا فـيـه مـا ثوى
أغـــبـــرُ اللون عـــابسٌ	مظلم الأرض والســـمـــا
ضـــاق صـــدرى بما يجــ	ـنَّ ونفــــسى بما تشـــا
فـهى كـــالبيت مـفـــزعٌ	يُفــــزع الطرف بالدمـــا
أهـلـك الـنـفسَ جـــــارمٌ	فـــاتكُ النفسِ مـــا ارعـــوى
أصـبحَ الـبـيتُ خـــاليـــاً	مـــسكن البـــوم والدجى
يُســـمع العــــابر المجــ	ـدَّ صــــراخـــاً إذا دنا
أسكت القـلب وقـــعـــه	روع الأمــــن والـــكــــرى
ضـــاق صــــدرى بما يجـ	ـنَّ وروحى بما يشـــــا
فـــهـــو قـــبـــرٌ لعـــالمٍ	قـــبل ذا الكون قـــد مـــضى
كــــلُّ روحٍ وذيـــلـــةٌ	تـهـب العـينَ مـــــا يُرى[1]
فــتـــرى العينَ مـــايجىء	ويبـــدو الذى انقـــضى
كـــان كـــالكون واســـعـــاً	لا يُرى بعـــــده مـــدى
قُـــضى الأمـــرُ فـــانقـــضى	بـقـى الســـــعىُ والمنى
ضـــــاق قـلبى بما يجـ	ـنَّ ونفـــــسى بما تشـــا

قلب الآمل :

فـــمــتى يصـــبحُ الخـــرا	بُ جنانــاً كـــمـــا مــضى ؟

---

(١) الوذيلة : المرآة .

ومتى تبلغ النفو   س مداها من الحجى ؟
ومتى ينزعُ الورى   قسوةَ السوءِ والخنى ؟
ومتى ينجلى الظلا   مُ عن الفجرِ والضحى ؟
ومتى تطهر النفو   سُ من الشرِّ والأذى ؟
ضاق صدرى بما يجـ   ـنّ ونفسى بما تشا
تبتغى عالماً جديـ   ـداً من الكون قد نشا
خارجاً منه مثلما   تُخرج الليلةُ الضحى
حدث الناس أنه   حُلمُ النفسِ فى الكرى
قبر ذا الكون مهد كو   ن جنين ما إنْ بدا(١)
حدث الناس أنه   قول غرٍّ قد انتشى
ضاق صدرى بما يجـ   ـنّ ونفسى بما تشا
أيظل الورى كذا   بئسَ ما يفعل الورى !
عبثاً يحلم الورى   حلمَ الخيرِ والنهى
أم لأمرٍ مقدرٍ   فهو للكونِ كالحدا(٢)
حلمُ الخيرِ مُبلغ الـ   ـكونِ ما ينقع الظما
فلئن كان خدعةً   عبثاً ننقل الخطى
ضاق صدرى بما يجـ   ـنّ ونفسى بما تشا !!

---

(١) أى أن كل كون بمكانة البذرة يخرج منها كون آخر أرقى منه .

(٢) أى أن الأنبياء والشعراء والمصلحين يسمعون ألحان الخير والنهى والكمال ؛ فكأن تلك الألحان حداء بهم إلى منازل . والحداء للناقة الغناء لها كى تتجشم السير .

نظرتان فى النفس

إذا جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مآثمه هانت عليه مكارمُه

فييأس حتى يحسبَ الخيرَ خدعةً وينحل عنه صبرُه وعزائمه

ويصبح لا يرجو صلاحاً لنفسه كأن سرابَ الخيرِ ما هو شائمه

ويحسب كلَّ الناسِ خبّاً وماكراً يداريه عن آثامِه ويكاتمه

ويحسب أن الخيرَ والشر كذبة وأنَّ خيالَ الحقِّ ما هو حالمه

فيلتذ ما قد كان بالأمسِ كارها فتعدو عواديه وتسرى أراقمه

وإن جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مكارمه هانت عليه مآثمه

فيصبح مغرورا يتيه بخيره يرى أنَّ كلَّ الخيرِ ما هو عالمه

وإن صفات السوءِ ما ليس ربها وإن فتكت أسيافه ولهاذمه[1]

كأنَّ محالاً أن يجيءَ بريبةٍ وإن لامه فى الخلق من هو لائمه

وإنَّ هوان الفضلِ ينأى بلبِّه عن الفضل حتى يغرم الفضل غارمه

وإنَّ هوانَ الإثم يسعى بعزمه إلى الإثم حتى يأتىَ الجرمَ جارمه

وكم مغرمٍ للمرءِ فى بعض غنمِه وكم مغنمٍ تزجى إليه مغارمه[2]

تم

---

(١) لهاذم : سيوف قاطعة . (٢) أى بعض ما يصيب الإنسان ويعده غنماً يعود عليه بالخسر ، وبعض ما يعده غرماً يعود عليه بالكسب والفائدة .

الجزء الخامس

الخطرات

إن القلوبَ خوافقٌ والشعر من نبضاتها

والشعرُ مرآة الحيا ةِ تطلُّ فى مرآتها

فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتها

والشعرُ فى عبراتها والشعرُ فى ضحكاتها

والشعر كالإلهام يأ تى النفس فى يقظاتها

والكون آيةُ شاعرٍ يأتى بمبتكراتها

« من قصيدة (الشعر) فى الجزء الرابع لصاحب الديوان »

عن الطبعة الأولى للجزء الخامس

عام ١٩١٦

مقدمة

لصاحب الديوان

(فى الشعر ومذاهبه)

يقولون إن الشعر ليس من لوازم الحياة . ولو جاز لنا أن نعد الإحساس غير لازم للنفس ، أو التفكير غير لازم للعقل ، لجاز لنا أن نعد الشعر غير لازم للحياة . أليس مجال الشعر الإحساس بخوالج النفس وشرح ما يعتورها ؟ ويقولون إن الشاعر ينبغى أن لايجعل الشعر مالئاً لحياته . كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه . فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجل عمل يعمله في حياته ، وأنه خلق للشعر ، فليس الشعر متمما لحياته بل هو أساسها . هل العطر كمالي متمم للزهر ، أم العذوبة كمالية للماء ؟! كلا . فإن الزهر يراد لعطره ، والماء لعذوبته ، والنحل لشهده ، والشاعر لشعره .

ولو جئت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية ، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر ، ما أفلحت . ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب ، بقى كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها . وينبغى للشاعر أن يتذكر كى يجيء شعره عظيما ، أنه لا يكتب للعامة ، ولا لقرية ، ولا لأمة ، وإنما يكتب للعقل البشرى ، ونفس الإنسان ، أين كان. وهو لا يكتب لليوم الذى يعيش فيه ، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر . وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولا لأمته ، المتأثر بحالتها ، والمتهيء ببيئتها . ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة ، ولكنه باعث من البواعث التي تجعل شعره أشبه بالمحيط - إن لم يكن محيطاً - منه بالبركة العطنة فى المستنقع الوبيء .

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذى يجعله راغباً في أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل إحساس . وهذا هو الدافع الذى يدفعه ، بالرغم منه ، إلى أداء ما قد خلق له من التعبير عن حقائق هيأته لها الطبيعة. فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس ، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذى يفهمه ويهيئه لفهم شعره . ويعين الشاعر العبقرى فى أداء فرضته عليه الطبيعة ثقته من شعره بالرغم من كثرة إساءة ظنه به . فإن إساءة ظنه بشعره ، إنما سببها رغبته فى الكمال . وهى سائقة به إلى منازله . والشاعر العبقرى يعلم أن حياة

الشاعر حرب أدبية ينجلي بعدها النقع ، فيعرف الظافر والمنهزم .

ولقد فسد ذوق المتأخرين في الحكم على الشعر . حتى صار الشعر كله عبثاً لا طائل تحته . فإذا تغزلوا جعلوا حبيبهم مصنوعاً من قمر ، وغصن ، وتل ، وعين من عيون البقر ، ولؤلؤ ، وبرد ، وعنب ، ونرجس ، إلخ .. ومثل ذلك قول الوأواء الدمشقي ، وهو البيت الذي ينسب ظلماً إلى يزيد بن معاوية :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

وذوق الأمويين بريء من أمثال هذا القول . ولا أريد أن أجمع على يزيد جرمين : قتل الحسين ، وقول هذا الشعر الذي لا بأس به ، إذا أريد للفكاهة والعبث ، لا للغزل الذي يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها . وإذا أراد المتأخرون وصف الحب ، أكثروا من ذكر الدموع ، وقالوا إن دموعهم تغني عن المطر ، وإن البحر قطرة إذا قيس بها، وإنهم سلخوا عاماً لم يذوقوا فيه النوم ، وإن جسمهم صار أقل من القليل ، حتى إنهم يخشون أن يطيروا مع الهواء لنحولهم . وإنهم لايريدون أن يروا حبيبهم بالليل ؛ لأن طلعته تجعل الليل نهاراً فيفتضحون ولكنهم يريدون أن يروه نهاراً ؛ لأن طلعته من نورها تجعل ضوء النهار ظلاماً ، فيخفون عن العذال . إلى آخر ماذكروا من هرائهم . وإذا رثوا قالوا إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثي . وإن الليالي لابسة حداداً عليه . وإنه قد شاعت تعازي الشهب باللمح بينها حزنا على النير الهاوي إلى الفلوات . وإن القمر به كلف حزناً عليه . وإن الرياح تنوح أسفاً على موته . وإن الملائكة لبست السواد حداداً عليه . وإن القبر لايسعه لأنه بحر . وإذا صلب أحد الأمراء ، قالوا إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر . وينشدون أبيات الأنباري التي يقول فيها :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك .. إلخ ..

ويقولون : انظر إلى مهارة الشاعر في قلب الحقائق ، وإظهار الذميم مظهر الحسن . وإذا مدحوا قالوا لممدوحهم إن وجهك قمر ، ولحيتك ذهب يطرز هذا القمر . وأنت بحر ، وأسد ، وغمام ، وإن الدنيا لو دخلت في صدرك لوسعها لأنه رحيب ، وأنشدوه قول المتنبي :

وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

وقالوا له : إنك لوغضبت على النجوم ، لانطفأت من غضبك . وإنك لولا انقطاع الوحى لنزلت فيك الآيات والسور . وإذا مات للممدوح قريب ، لم يكن في بيته حينما أدركته المنية ، قالوا إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائباً عنك .

وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالا يفسر حقيقة ، لم تتملكهم هزة الطرب التى تنويهم عند قراءة الخيال الفاسد ، إنما يعجبهم من الخيال استحالته وبعده عن المألوف عقلا . وإذا وضحت لهم فساده قالوا : إذاً كل خيال فاسد . وزعموا أن حلاوة الشعر فى قلب الحقائق ! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل . عالم يرخص المرء لعقله أن يتنزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب . كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة . ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب ، وليس أدل على جهلهم وظيفة الشعر من قرنهم الشعر إلى الكذب . فليس الشعر كذباً ، بل هو منظار الحقائق المقلوبة ، ووضع كل واحدة منها فى مكانها ، ولئن كان بعض الشعر نزهة ، فإن بعض النزهة فرض . ولئن كان بعض الشعر رحلة ، فهى رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم . رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير ، أكثر مما يحسها فى هذا العالم الأرضى .

وإذا تدبرت ما ذكرته ، عرفت فساد ذوق الجمهور فى حكمه على الشعر . وكيف أنه يقبل على الشعر المرذول ويعده جيداً . ويعاف الشعر الجليل ، الصادق الخيال ، الكثير الحقائق . وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه ، مهما كان الشبه الذى فيه متوهماً . ومثل الشاعر الذى يرمى بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذى تغره مظاهر الألوان ، فيملأ بها رسمه من غير حساب . وليس الخيال مقصوراً على التشبيه ، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها ، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات ، وهى بالرغم من ذلك تدل على ضآلة خيال الشاعر . وقد تكون خالية من التشبيهات ، وهى تدل على عظم خياله . وقيمة التشبيهات فى إثارة الذكرى أو الأمل ، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس ، أو إظهار حقيقة . ولا يراد التشبيه لنفسه ، كما أن الوصف الذى استخدم التشبيه من أجله لايطلب لذاته ، وإنما يطلب لعلاقة الشىء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان . وكلما كان الشىء الموصوف ألصق بالنفس ،

وأقرب إلى العقل ، كان حقيقاً بالوصف . وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى ، لا لسبب آخر . وهذا الوصف خليق بأن يسمى الوصف الميكانيكي . فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقروناً بعواطف الإنسان وخواطره ، وذكره وأمانيه وصلات نفسه .

فالخيال ليس مقصوراً على التشبيهات . والشاعر الكبير ، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة ، الذى يكثر من مثل وكأن . ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل ، والصورة المضطربة ، غير المتجانسة الأجزاء . فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة . وشرح عواطف النفس وحالاتها ، والفكر وتقلباته ، والموضوعات الشعرية وتباينها ، والبواعث الشعرية . وهذا يحتاج فيه إلى خيال واسع . والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير . وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة ، أو بيان حقيقة . وإن أجلَّ الشعر هو ماخلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية . انظر مثلا إلى قول مويلك يرثي امرأته وقد خلفت له بنتاً صغيرة ، فقال يصف حالها بعد موت أمها :

فلقد تركت صغيرة مرحومة   لم تدر ما جزع عليك فتجزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة   فتبيت تسهر أهلها وتفجع

وإذا سمعتُ أنينها فى ليلها   طفقت عليك شئون عينى تدمع

فهو لم يعلمك شيئاً جديداً لم تكن تعرفه . ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة ، والمغالطات المعنوية . ولكنه ذكر حقيقة . ومهارته فى تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة . وهذا أجلّ التخيل . وأجل المعانى الشعرية ما قيل فى تحليل عواطف النفس ، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم . ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينة فى وصف حياء الحبيب :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له   ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل   به سكتة حتى يقال مريب

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزّاً . والشعر ما أشعرك وجعلك

تحس عواطف النفس إحساساً شديداً ، لا ما كان لغزاً منطقياً ، أو خيالاً من خيالات معاقرى الحشيش . فالمعانى الشعرية هى خواطر المرء وآراؤه ، وتجاربه وأحوال نفسه ، وعبارات عواطفه . وليست المعانى الشعرية – كما يتوهم بعض الناس – التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة ، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح . فإذا لم يجد هؤلاء فى الشعر مغالاة سخيفة ، أو مغالطة معنوية ، أو ألعوبة منطقية ، أو تشبيهًا بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان . وبين رسم تسشيانو ومهارته فى استخدام الألوان . أقول : إذا لم يجدوا ذلك فى الشعر قالوا إنه ليس فيه معنى ، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى ، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب ، وعقل راجح كبير ، ونفس عظيمة . وأنه جعلها ذخيرة الحقائق ، والآراء السامية الشريفة . ولكن الأمر ليس كذلك ، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة ، وأن خيال صاحبها بهلوان شعرى ، أو مشعوذ يغرك بحركاته . فينبغى أن نميز ، فى معانى الشعر وصوره ، بين نوعين : نسمى أحدهما التخيل والآخر التوهم . فالتخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التى بين الأشياء والحقائق . ويشترط فى هذا النوع أن يعبر عن حق . والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلة ليس لها وجود ، وهذا النوع الثانى يغرى به الشعراء الصغار ، ولم يسلم منه الشعراء الكبار ، ومثله قول أبى العلاء المعرى :

واهجم على جنح الدجى ولو انه　　أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة ، التى بين المشبه والمشبه به ، صلة توهم ، ليس لها وجود . وكذلك قول أبى العلاء فى سهيل النجوم :

ضرجته دماً سيوف الأعادى　　فبكت رحمة له الشعريان

أىّ أعادٍ ، وأىُّ سيوف ؟ فى مثل هذا البيت ترى الفرق واضحاً بين التخيل والتوهم . أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل إن ضياء الأمل يظهر فى ظلمة الشقاء ، كما يقول البحترى :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه　　حلك الدجى حتى تألق وانجلى

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها . وكذلك قول الشريف :

ما للزمان رمى قومي فزعزعهم تطاير القعب لما صكه الحجر[1]

فهو يشبه تفرق قومه بتطاير أجزاء الإناء المكسور . وهذا أيضاً توضيح لصورة حقيقة من الحقائق ، وهي تفرق قومه .

فتكلف الخيال أن تجيء به كأنه السراب الخادع ، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد ، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب . وبينه وبين الخيال الصحيح ، مثل ما بين الماس الصناعي وماس كمبرلي . وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب ، التأليف بين شيئين لايصح التأليف بينهما . ثم إن بعد وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحاً صادقاً ، وكانت الصلة التي بينهما متينة . فليس ظهور الصلة لكل قارىء دليلا على متانتها . فقد تكون ظاهرة ضعيفة ، وقد تكون خفية سليمة صادقة . فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقاً صحيحاً . وهذا سبب من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضئيل . وعجز الناس عن التمييز بينهما . فإن العبقري قد يغري باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء ، فتقصر أذهان العامة عن إدراكها . وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذي يولع بأن يوجد صلات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة . ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إن الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته ، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته . وكذلك الشاعر العبقري يعرف أنه عبقري بحسناته ، كما يعرف أنه عبقري بسيئاته ؛ لأن سيئاته سببها أنه واسع النفس ، حر الذهن ، غير مقيد بقيود المحاكاة في فن الشعر .

إن القراء من الجمهور إذا قرأوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم ، ثم ينبذون ما بقي من غير أن يبحثوا عن السبب الذي جعل الشاعر ينظم في قصيدته هذه المعاني ، فهم كالمريض الذي فقد شهوة الطعام ، يأخذه متكرها . فهم لايغتفرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحاً ، وأسلم ذوقاً ، وأكبر عقلا . ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم . ويحكمون على قصيدته بأبيات منها تستهوي أنفسهم إما بحق

---

(١) القعب : القدح والإناء .

وإما بباطل ، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة . وهذا خطأ ؛ فإن قيمة البيت فى الصلة التى بين معناه وبين موضوع القصيدة ؛ لأن البيت جزء مكمل ، ولايصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة ، بعيداً عن موضوعها . وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهيناً بتفهم الصلة التى بينه وبين موضوع القصيدة . ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة ، بل بالنظرة المتأملة الفنية . فينبغى أن ننظر إلى القصيدة من حيث هى شىء فرد كامل ، لا من حيث هى أبيات مستقلة ؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارىء لغرابته ، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة . ومثل الشاعر الذى لا يعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها ، مثل النقاش الذى يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التى ينقشها من الضوء نصيباً واحداً .

وكما أنه ينبغي للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه ، كذلك ينبغى للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة ، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير . وكذلك ينبغى أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع . فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل . وهي مغالطة غريبة ؛ إذ أن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعاً ومقداراً خاصاً من العاطفة والتفكير . فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم ؛ وفى بعضه تكون أقل وضوحاً . ولاريب فى ذلك ؛ إذ أن الغزل مثلا يستلزم نوعاً خاصاً من العاطفة غير العاطفة التى تبعث على خواطر الحكم والوعظ .

والأدباء فى مصر يخلطون فى الكلام عن الأساليب خلطاً كثيراً ؛ فهم يتناسون أن أجلَّ الشعر العربى وأفخمه ، وأجزله وأسيره ، وأكثره نفعاً وتوكيداً لبقاء اللغة ، هو الشعر الذى لم تتكلف فيه الغرابة . فإن المعلقات أسلس وأجزل شعر الجاهليين (ماعدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيداً . وشعر الشريف أجله وأفخمه مالم يتكلف فيه الغرابة . إن فى شعر الشريف صفتين : حسن الديباجة والفخامة والسلامة فى أكثر شعره ، وتكلف الغريب فى بعضه . فصار الأدباء يخلطون بين الصفتين ، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة ، ولوقرأت شعر الشريف لعلمت كذب ذلك .

وإذا نظرت فى شعر الحريرى ، وجدت أنه مترع بالغريب ، ولكنه بالرغم من ذلك ، ليس من حسن الشعر . وهذه قصيدة ابن زريق ، ليس فيها شىء من الغريب ، ولكنها من أجل الشعر وأفخمه . وإذا شئت فقل وأضخمه ؛ لأن الضخامة صفة فى الأسلوب الملتهب الذى يشبه الصخور الذائبة ، التى تسيل من فم البركان . ذلك الأسلوب الذى تؤججه العواطف القوية . وهذا الأبيوردى مغرى بالأساليب الغريبة ، ولكن شعره ليس عليه طلاوة ، وليس فيه مجتنى . فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً . وليس له أن يتكلف بعض الأساليب . ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة ، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس . وعاطفة الغريب ، الذائعة بين فئة خاصة منا ، هى رد فعل سببه ولوع شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب . وقد وجدت بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة . ويحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضيعة . وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ! وهذا يؤدى إلى ضيق الذوق ، وفوضى الآراء فى الأدب . قرأ أحد الأدباء قول الشريف :

إن غدا مجدوعة أشرافه فالبنى وافية والمجد عالى

فقال : المجد عالى ، عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها . ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر ، سواء كان الشريف الرضى أو امرأ القيس ، العبارات الكثيرة الاستعمال ، لحذفنا أكثر شعره !

إذاً فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأى غير رجيح . فإنا نجد أجل الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها. أفتريد أن نحذف ونمتهن كل ما كان من نوع قول المتنبى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

أو قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

أو قول أبى العلاء :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

أو قول ابن زريق :

لا تعذليه فإن العذل يولعه .. إلى آخر القصيدة .

أو غزل جميل ، وكُثَير ، وابن الدمينة ، وغيرهم ..

هل يرى القارىء فى أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً ؟ كلا ، ولكنه بالرغم من ذلك أجل وأفخم وأروع الأساليب . فإذاً قولهم الروعة فى الغريب هراء المتكلفين الوزانين ، الذين يسرقون معانيهم . وجعلهم حسن الديباجة فى الغريب مغالطة تكذبها كل دواوين أشعار العرب . فإن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعاً جليلاً من غير تكلف للغريب . أما المبتدىء فهو الذى يتكلف الغريب ، كى يخفى به ركاكة عبارته . وكذلك الوزان يتكلف الغريب ، كى يخفى به جمود طبعة وقلة معانيه . وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطى فى وصف العامل : «كأنه الآلة فى المعمل» : وهذا وصف بديع لبؤس الصانع . فقال : الآلة من الكلمات الوضيعة ؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة ! ولو أخذنا برأى أمثال هذا لقضينا العمر فى مجادلات لفظية ليس تحتها طائل ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد . وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة . وليس لشاعر بد من استعمال الكلمات المستعملة ؛ إذ أن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل .

وقد تكون العبارة الملأى بالكلمات الغريبة أخس أسلوباً وديباجة ، وأقل متانة من العبارة السهلة ، التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدىء أن يتطلب المتانة ، وأن لايخلط بينها وبين الغرابة ؛ كى لاتضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها . انظر مثلا إلى قول المتنبى :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

هذا أسلوب فخم جزل ، رائع متين . ولكن ليس به غريب . ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئا غريباً ، ولكنه يأتى أحيانا فى بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابة كى تجيز له ادعاء الغرابة . كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهناً واطلاعاً ! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه

استعمال الغريب ؛ لأن المتانة تستلزم درس آداب كل العصور التى مرت على اللغة العربية حتى يكون ذوق الشاعر واسعاً صحيحاً . ولو فرضنا أن فى الكلمات ، الوضيعة والشريفة ، لكان للكلمة الوضيعة منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة . وإنما العيب فى استعمال الكلمات فى غير مواضعها . فينبغى للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التى يريد وصفها أتم تعبير . فالكلمة قد تكون شريفة أو وضيعة حسب الاستعمال . فشرف الكلمة فى دلالتها على المعنى ، وفى وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر ، لا فى غرابتها . فلو كانت الكلمات وضيعة تلوكها الألسن فيزرى بها ذلك ، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة . فضعة الكلمة إذا هى غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضاً ، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه ، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة ، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه .

والذى يجنى على بعض شعرائنا تعصبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر . فى حين ينبغى تطلب صحة الذوق التى أساسها سعة الاطلاع . فإن الشاعر ينبغى أن يتمزز الأساليب كما يتمزز الخمر المعتقة ، ويترشفها كما يترشف الكؤوس ، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غريتها . فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت فى غرابتها وسهولتها ، من قماش واحد وذات لون واحد ، هذه حقيقة يعرفها الطبع ، وإن كان ينكرها التصنع .

والاطلاع شراب روح الشاعر . وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه . ونفس الشاعر ينبوع ، والاطلاع هو الآلة التى يرفع بها ماء ذلك الينبوع إلى الأماكن العالية . والشاعر فى حاجة إلى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث . والأديب الذى لايغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن ، الذى لا يحركه محرك . وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل فى قول أبى العلاء المعرى:

والنحل يجنى المر من نَوْر الربى فيصير شهداً فى طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جديداً ، ولكن العبقرى يخرج أيضاً من الردىء جيداً . ولكن بعض القراء يقىء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً . وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس . نعم إن المطلع بآداب لغة من اللغات ، لابد

أن يجتنى بعض ما يقرأ من المعانى والخيالات من غير أن يشعر . وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبى مثلا علقت بذهنك بعض معانيه . وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً . أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان ؛ فمن مظاهر تعمد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد . فإن المشابهة والتوليد لاتعد سرقة . ومنها تسلسل المعانى كما فى الأصل . وكثرة المتشابه وعجز الشاعر عن الابتداع والتوليد .

وشعراء العرب لم يكونوا جهالا بآداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم . فليس كل التربية مدرسية . انظر إلى زهير بن أبى سلمى وحكمه ، وانظر إلى امرىء القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية ، وعدى بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية . وانظر إلى رواج العلوم فى أيام الدولة العباسية ، وتأثُّر أبى العتاهية وابن الرومى والمتنبى والشريف الرضى وأبى العلاء المعرى بهذه العلوم . فإن هذا التأثُّر واضح فى أشعارهم كل الوضوح ، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل فى الممالك العربية فى العصور الأخيرة . فإن سنة التقدم تقتضى الاطلاع بما يستحدث فى الآداب والعلوم . وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً ، كان أغزر اطلاعاً ؛ فلايقصر همته على درس شىء قليل من شعر أمة من الأمم . فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشرى والنفس البشرية ، وأن يكون خلاصة زمنه . وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس ، ومظهر ما بلغته النفوس فى عصره . وما عجبت من شىء عجبى من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حداً فاصلا بين آداب الغرب وآداب العرب ؛ زاعمين أن هناك خيالا غربيًا وخيالا عربياً .

نعم ، إن كل لغة لها خصائص وذوق . ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محموداً حيث كان . إذ أنه ليس رهناً بخصائص اللغات ؛ وإنما مرجعه العقل البشرى والنفس الإنسانية . إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات . وتختلف فى كلٍّ حسب ذوق الجماهير فيها . وإذا قرأ الشاعر العربى آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة فى معانيه ، وفتحت له أبواب التوليد . فإن الشاعر الكبير ، كى يعبر عما فى نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لايبقى بعضها مكتوماً مجهولا ، لابد أن يجدد ذهنه دائماً بالاطلاع . وأن يحرك به نفسه ، وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فإن شره الإحساس والتفكير هو ميزة العبقرى . فإن مذاهب القول التى

تستلزمها حياتنا تقتضى درس آداب العناصر الأخرى التى عمرت العالم ، وأنشأت لها حضارة وعلوماً وفنوناً . فإن درسها يوسع عقولنا ، ويجدد آمالنا وقوانا ، ويهيىء وحى ذكائنا ويعلى خيالنا ، ولكن ينبغى أن لا نكون ناقلين ، بل ينبغى أن نكون مفكرين باحثين فيها . ومن دلائل هلاك الأمم نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذاؤهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه ، ولا ذكاء ولافطنة . ولقد بدأ الناس يتهمون ذوى الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقة . وهذا الاتهام شىء لاغرابة فيه ؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأغراض والمسالك الشعرية الحديثة ، واتخاذ الآداب شكلا غير شكلها المعهود ، يدعو إلى الظنة والاتهام .

ولكن مما زاد الطين بلة ، أن بعض الأدباء لا يرعى حرمة ، ولا يردعه ضميره عن السرقة الفظيعة . وأمثال هذه الأفعال قد بثت فى أذهان كثير من القراء أن كل شىء جليل معناه ، غريب موضوعه ، مسروق لا محالة . وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون فى ظلامها مرح الخفافيش فى الظلام . وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء ، وأهل الحسد والحقد والكذب ، ومغلقو الأذهان ، ممن يكره كل جديد ، ويتهمه ، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم ، وفسدت معانيهم ، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة . ولكنى أعتقدأن الشاعر العبقرى الكبير يخرس هؤلاء حتى ولو بعد موته ، بكثرة مايجيد ، ويزيحهم من طريقه كما يزيح الخنفساد بنعله عن قارعة الطريق وهو يعلم أن عداءهم له سنة طبيعية لا مناص منها ، كانت لها مظاهر فى كل عصر من عصور الآداب فى الأمم كلها . ولكن ، بالرغم من ذلك ، ينبغى للقراء أن يميزوا ما يقال . فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق . فإن هذه الزحمة فرصة السارق . فيزاول مهنته فى خفاء وأمان . فالاتهام الذى أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل ، والذى ينأى بالمتهم عن البحث والتدقيق ، يؤدى إلى الفوضى التى هى فرصة ينتهزها اللص . ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نظم قصيدة بديعة فاتُّهم أنه سارقها ، بأى شىء كان يحارب المتهم ؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع ؟ إنه قد يكون جاهلا ، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة ، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة .

وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الشاعر المحتضر» اليائية التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شلى الإنكليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «قبر الشعر» ، وهى منقولة عن هينى الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى «فتى فى سياق الموت» ، وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الراعى المعبود» ، وهى منقولة عن الشاعر لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها «الوردة الرسول» ، وهى للشاعر ولر الإنكليزى ، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهى من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان ، قطع طويلة عن العظماء ، وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو . ومن مقالات كارليل الأدبية ، وقد ذاعت هذه الأشياء . ولو كنت أعرف أن المازنى تعمد أخذها ، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعمد أخذها . ولو أنى رأيت عفريتًا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء ! ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروجى الإشاعات والتهم . ولا أظن أن أحداً يجهل مدحى المازنى ، وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثانى من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لايمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه . حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء . ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى !

الصنع والكسب

قد حدثوا عن صانعٍ حاذق … قد فاق كلَّ الناس في صنعهِ

يرى من الحسنِ الذي لا يرى … سواه مما جلّ من بدعِهِ

كأنما ينظر في عالمٍ … يحسر طرف الناسِ عن علمه

والحسنُ في الصنعة طيرٌ بدَا … إن يرمه عن عزمه يُصمه[1]

يا راقيَ الصنع إلى منزلٍ … يرتدُّ لحظ الناسِ عن سمته

يحارُ لبُّ المرءِ في أمرهِ … ويعجز الناعتُ عن نعته

الناسُ في السهل يرون الذرى … كما يرون الأفقَ في بعده

ويحمدون العقلَ في جزرِه … ويكرهون العقلَ في مدِّه

كلُّ امرىءٍ يبغي هوى نفسه … وإن أصابَ القبحَ من نفسه

فاصنع له إن شئتَ ما يبتغي … تستهو لبَّ المرءِ في حسه

إن كان هذا الصُنع قد صغته … كيما تنالَ الخيرَ من بيعه :

فالصنع وادٍ أنت آجرته … للناسِ ما يخرجُ من ريعه

ولا تشكَّ الدَّهر في فعلِه … قد حارَ كلُّ الناسِ في فعله

ما حيرةُ المرءِ دليلاً على … فسادِ هذا الكونِ في عقله

يا شاكياً من قومه جهلهم … اعذر سوادَ الناسِ في جهله[2]

واستنزل الأرزاقَ من أفقها … كالغيث يحيي الأرضَ من وبله

فقد يحبُّ الصنعَ من حسنه … وقد يحبّ الصنعَ من كسبه

---

(١) أصمى السهم : أصاب الرمى (٢) سواد الناس : جمهورهم .

وقــــد يُرادُ الحقّ من نفـــعــــه وقــد يُرادُ الحقّ من حــبــــه[1]

قــد عنّفــتــه نفــسُــه مــرةً لما رأى الـفـــقـــرَ عـلى بـابه

وعنكبــوت من خـــمـــول به قــد تعــبت في نسج جلبــابه

فــمـــوّه الصنعَ وجــارى الورى وراحَ يبــغى الصـيتَ فى فنه[2]

فـــــازدحم الناسُ عـلى بـابه وقـــيل هذا الصنع فى حــسنه

باللوّ والليتِ رمـــوا صنعــــه قــدمـاً فلجُـوا الآن فى مـدحـه

لكـنه بـاتَ عـلى لـوعــــــة يعـافُ ذاك المدح من قـدحـه[3]

أثرى فـلم يـنفــــعــــه إثراؤه وأُخلف المأمــول من عـــمــره

وعــادَ يبكى صنعَــه خـائبــاً يبكى على مــا فــاتَ من سـرّه

وكـــــــان ذاك الصنع ربًا لـه هواه دين كـــهـــوى عــرســه

فنال مــــا قـــد نالَ من رزقــه وباع مـــا قـــد باعَ من نفـــســه

وصار عـبـد الوفرِ فى خـفـضـه وكـان عـبـد الصنعِ فى سـحـره[4]

وخــفّــضـت من قـدرهِ نفــسُــه ورفّع الجـــهـــال من قـــدره !

نجى النجوم

رأيتُ عــقـــوداً أم رأيتُ الدراريا أم الزهر منثـوراً على الأفق زاهيــا

كـأنّىَ فى بحــرٍ من اللّيلِ غـارقٌ طفَت فـوقـه زُهرُ النجـومِ لآليـا

---

(١) بعض المفكرين لا يريد منك أن تثبت أن الحق حق حتى تثبت أولا أنه نافع .

(٢) التموية : إظهار الشيء مطلياً بطلاء غير حقيقة . (٣) لأن مدح الجاهل ذم للممدوح .

(٤) الوفر : الإثراء . والخفض : النعيم والترف .

وإني إذا ماطار بالنَّفسِ طيرُها وحلّق في أفقِ السماء خياليا

أبيتُ فلا أدرى أتلك أزاهر مفتّحة أم قد رأيتُ الدراريا

ويبعثن نحوى باللحاظ كأنما يردن ليعرفن الذى فى فؤاديا

فغضى عيون اللّيل لحظاً بعثته فإنّ بريقَ اللحظ أصمى جنانيا

أذاك بريقُ اللحظِ لحظ رأى الأذى وعوّد حتى صارَ كالصّخرِ قاسيا

ولا عجب أن صار لحظُك قاسيًا فقدمًا رأيت الشرَّ فى الناس فاشيا

أم اقتدحت فيك الحوادثُ رحمةً فعاطى حنانًا قد أصبت حنانيا

وقد كنتِ ندمان الحزين وراحة الـ وحيد فسلِّى خائب القلب عانيا

وكم كنتِ هديًا للرجاء وللمنى إذا صار عيشُ المرءِ كالليلِ داجيا

وكم عشقت نفسى النجومَ لأنها إذا أبصرتها العين تحيى الأمانيا

وكم كنت نجوى عاشقٍ وسميره إذا غابَ صب عن حبيب لياليا

وكم لحت لى والدمع فى العين حائرٌ أُودِّعُ آمالى وأندبُ حاليا

وقبّةُ رمسٍ فى السّماءِ نجومها نثرن على قبرى الزهور الزواهيا[1]

أزاهر آمالٍ مضت لا يعيدها بكائى وهل يُغنى لديها بكائيا

فيا من لميت بالحياة معذَّبٍ ومن لى بميت طامع فى حياتيا

وياتاج ملك الليلِ تهنيك نعمة وإن كان قلبى عاطل العرش خاليا[2]

كأنك فردوس تقضى نعيمه وخلّف أطلالاً لديك بواليا[3]

تضىءُ هموماً فى الضلوع مقيمةً حنانكِ خل الهمّ أسود خافيا

---

(١) الرمس : القبر ؛ أى خيل له أن السماء رمس والنجوم حليتها من الأزهار .

(٢) تشبيه النجوم بتاج الليل .   (٣) أى كأن النجوم أطلال فردوس .

فـإنى أدارى النفسَ عـمـا تكنّه | وأخـشى بريقًـا يتـرك الهمَّ باديا
أبيتُ كـأنَّ النفسَ ليلٌ وظلمـةٌ | وضوؤك يفشى سرَّها فى الدجى ليا
أفـيك أناس للشـقـاءِ حـيـاتهم | فإن شقاءَ العيش أصمى حياتيا[1]
لعلَّ حزينًا فيك يرثى لشـقـوتى | وليس شقاءُ النّحسِ للنحس شافيا
أبيتُ فـلا أدرى لعـيـشىَ علّةً | فـيا بؤسَ أيامى وطول ملاليا[2]
أُسائلُ هذا النجمَ والنجمُ لا يعى | وماذا يقول النّجمُ لو كان واعيا ؟
فـيـا عين مـا لحظ النجـومِ بنافعٍ | فيا ربَّ ذكرى هنَّ قد هجنها ليا
ومـا فى مـريرِ الذكـرِ أنسٌ ولذةٌ | إذا كـان مَن أهواه أصـبحَ نائيـا
أتلك نجـوم كن أبصـرنه مـعى | وأبصرن مغبوطاً من العيش حاليا
أم استحدثت بعدى السماءُ دراريًا | سـوى أنجمٍ زنَّ السنين الخـواليـا
أم العينُ غـيـر العينِ أم أنا حـالمٌ | وهيهاتَ ليس النحسُ حلمًا بدا ليا
فما لحظها مثل اللحاظِ التى مضت | إذ القلبُ لا يلقى على الحبِّ عاديا
وتلحظنى لحظَ الغريبِ جليسـه | كـأنّىَ ما كنت السميرَ المدانيا
كـأنّى لم أرعَ النجـومَ بمقلةٍ | بها كنت أرعى الحسنَ فينان زاهيا
وقد كان يصبينى الهلالُ إذا بدا | ويرتاحُ قلبى أنْ سهـيل رنا ليـا
وكم لىَ من نجوى لديها أسرُّها | وأنّات قلبٍ تترك الليلَ شـاديا
ولم أعرفِ الأحبابَ حتى فقدتهم | وأصبحتُ منبوذاً عن الناسِ ساليا
وما كنتُ أدرى الحبَّ حتى بدت له | ليـالٍ وأيامٌ تخـال لياليـا

(١) التساؤل عما إذا كان فى النجوم سكان أشقياء تعساء كما فى الأرض .
(٢) علة : أى سبب .

ووَدَّعت آمـــالى ووَدَّعت عـــزمـــتى ولَذَّات عيشى والحبيبَ المصافيا

فـهل تنضر الأفلاكُ كالزَّهرِ حـقبة وتذبلُ حتى يصبحَ الكونُ ذاويا ؟

وهيـهـات ! إنَّ القلـبَ أصـبح ذاوياً وأصبحَ نورُ الحسنِ فى العينِ داجيا

سحر اللحاظ

أســرْتـنا منك بســحــرٍ حــلال أم ذاك لحظ نافــذ كــالنبــال ؟

أم تلك خـمـرٌ من عـصـير النُّهى أم ذلك النجمُ البـعـيـد المنال[1] ؟

يا هـل لـطـرفى مـنـك من نـظرةٍ فــربَّ لحظٍ فــيــه رجعُ الســؤال

يقــولُ قلـبٌ قـــد رمـــاه الهـــوى ياعينُ مـــا أقـــتل هذا النضـــال

ياعينَ رفـــقًـــا بفـــؤادٍ عليل تكسَّـرت فــيــه صـدور النصـال

قـــد عـــشق الحـــسنَ فلم يُجْـدهِ غـيـرُ عـلالات حكاها الخيـال[2]

قــد لجَّ هذا القلب فى خـفـقـه ياليـتـه يجـهل سـحـرَ الجـمـال

فـــالحـــسنُ فى العينِ طريرٌ غـــرير والحبُّ فى الأحـشـاء داءٌ عـضـال

آه علـى خـــيــبـــةِ قلبٍ طروب شـقــاؤه فى الحبِّ حــال فـحــال

أتعـــبـــتنى يا قلب ، يا طائراً يحـسب أن الحـسنَ مـاءٌ زلال[3]

يــا طـائـراً بـين ضــلـوعـى ثـوى يحـلـم بالغـــصن وبـردِ الظلال

هـذا جناحٌ منك أدمـــيـــتــه على ضلوعٍ نصبت كـالحجال[4]

---

(١) النهى : أى العقول . أى هل الذى يسحر فى اللحاظ ويسكر منها أنها مظهر من مظاهر العقل .

(٢) أجدى أى نفع (٣) تشبيه القلب بطائر يحاول أن يفلت من قفصه .

(٤) الحجال : الحجب .

هيـهـات أن تُفلتَ من أسـرها | يا قلبُ كم تبـغى سـرابَ المحـال
وأنتِ يـاعينُ عـــداك الـكرى | شـوقًا إلى طلعـة ذاك الجمـال[1]
يا حـسـرةً مـا مـثلهـا حـسـرة | نهـوى عـيـونًا لحظهـا كـالنِّصـال
ياعين من أهوى رعــاك الكرى | فليلـتـى منـك لـيـــالٍ طـوال
يـا نجـمــة الآمـال قـد أشـرقت | أبصـرهـا فى الحلمِ مـثل الذُّبال
عــودى بلحظٍ صـادق ضـوؤه | يجلو دجى العيش وليل الخَبَـال
يا طاقــة أُبصـرُ منهـا النعـيم | فى جنَّةِ الخلدِ وريفَ الظلال[2]
كــأنَّهـــا بابُ إلى جنَّةٍ | ليس بهـا من شـقـوةٍ أو مـلال
عـودى بلحظٍ أحـتسى خـمـرَه | فـالكوثرُ العـذبُ شـهيُّ المنال
ولا يكـن بـرقُك لى خـلبًـــا | أهـكـذا حـظِّىَ آل فــآل ![3]
مـهـمـا تناءَت بك عنّا الديار | وطال من ذاكَ العشيرِ احتمال[4]
فـأنتِ أدنى مـن نجىِّ الرجـاء | وأنتِ أحلى من كـئـوس الشَّمـال
فـإنَّ فى ذكـراك برءُ العليل | وربَّ ذكـرى مـثل شـوكِ السـلال
فى لحظِ عـينيك عـقـالُ الهـوى | نفـوسنا فى أسـر ذاك العـقـال
تطلّ فى العين مـعـانى النفـوسْ | والنفسُ أسـمى مـا يحبُّ الرجـال

قوة الفكر

أسـرى من العـقل إلى القلوبِ | أكـاد أن أُعـرفَ فى الوجـيب[5]

---

(١) عداك أى جازك وتعداك .

(٢) تشبيه العين الجميلة بطاقة أو باب نبصر منه حسن النفوس الذى يشبه بالجنة .

(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى لا يعقبه غيث . (٤) احتمال : أى ارتحال .

(٥) الفكر يحس به المرء إحساساً شديداً فيصير عملا .

أبتّ فـيـهــا الهـممَ الصليـبـة — وأنزع الـعـــــــزيمة المغلوبةْ

كــالكهـــرباءِ فـعلهـا يبين — يخـبـــر أين ســرها المصـــون

لكنّهــا عن العـيــونِ خـافـيــةْ — ســـاكنة طوراً وطوراً عـــادية

ألـوى بـرب الـفـكـر عـن ذويـه — وأذهل العـــازم عن أخـيـــه[1]

طوراً وطوراً راحـــة وسلمـــا — أجـبـر عظمًــا وأهيض عظمـــا

وأرخص العـــزيزَ والكبـيـــرا — حـتى يصـيـر هينًا حـقـيـرا

أليحُ بالمطامعِ البـعـيـــدهْ — وأُهلكُ الجـحــافل العـديدهْ[2]

وربَّ غـرٌّ كـان عـبـدَ عـمـره — زوّدته من خـيـــرهِ وشـــره

كـان صـغـيـراً فـغـدا عظيـمـا — كـان يرى عـيشَ النهى أليـمــا

رفـــعــــتـــه عن لـذةٍ وألم — فـصـار ناراً أضـرمـت فى علم[3]

مـشـهّـراً بين الأنامِ مـعـلمًـا — مـبـغَّـضًــا طوراً وطوراً مكرمـا

حـمـلتـــه مــؤونة العظائمْ — حـتى اسـتـبــان صـابر ونادم[4]

الـكـونُ بردى والـزمـــانُ دارى — أكـتـب فـيـهــا سِـيـرَ الدرارى

والكونُ كـالنّشوانِ من كـئوسى — ألا تـرى تـطرُّبَ الـنـفــــوسِ ؟

آمــالهـــا من طربِ الخـمـــار — فلذةُ الحـيـــاةِ من عـــقـــارى

كم حـقـبـةٍ قـد اختـمـرت فـيـهـا — وكــان كـأسى قـبلهـا كـريهــا

أقـــوى علـى الأيامِ والدّهـور — كـمـا صـفـت عـتـيـقـة الخـمـور

---

(١) نعم فكم فرقت المذاهب والآراء بين الأقارب (٢) ألاح بالشيء : أظهره ، ولاح الشيء : ظهر .

(٣) العلم أى الجبل ، أى صار يهتدى به (٤) استبان الشيء : ظهر ووضح ، واستبان أيضاً بمعنى عرف .

والناسُ قد غرَّهم خمودى ... وهم على غِرتهم وَقودى

نبهتهم للحادث العظيم ... كما تشبُّ النارُ فى الهشيم

فأُشعل النيرانَ واللهيبا ... وأُشعلُ الأحمقَ واللبيبا

طويتُ جيلاً ونشرتُ جيلا ... وكم بعثت فيهمُ رسولا

وكم رمانى الجورُ فى الأخدودِ ... وقيدونى فوهت قيودى[1]

واستبشروا بمقتلى وهُلْكى ... وبينهم لو يفطنون مُلكى

وأوسعوا من نالنى عذاباً ... وقطعوا من لحمه عقابا

فصار لى فى قتله انتشار ... يقام لى من قبرهِ منار

وصار لى من دَمِه مداد ... يخط فى الدهر به السداد

الفكرُ عَدوى ما لها من راقى ... وليس منها حافظٌ وواقى

يذر ذرَّ البذرِ فى الرياح ... فيسعد النفوسَ باللقاح

سأغمرُ الأنامَ من مياهى ... فلا ترع أن صلت بالدواهى

إن الخطوبَ سُنَّةُ التجدد ... فلا ترع من سهمها المسدد

وأولُ الفكر الكبيرِ خطب ... ثم يظلُّ خيره يرب

وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفًا ... ثم اغتدى مجالداً عنيفًا

يوسعُ من جالده عناداً ... مضرِماً من عزمه جهادا

يا برما بالفكر يبغى خنقَه ... أأنت تدرى سره وخلقه؟[2]

الفكرُ نورُ اللّهِ فى الوجود ... فعمرهُ كخلده المديد

يلبسُ برداً ثم ينضو بردا ... إن لكل زىٍّ منه حدا

(١) الأخدود : الحفرة (٢) البرم : المتأنف من الشيء الضجر منه .

فـهـو كـثـيـرُ اللونِ كـالحـرباءِ وهو كـثـيـرُ اللونِ كـالضـيـاء

إن حـقـقـوا بالفـعلِ منه جـانبًا أجـدً من أعـمـاقـه مطالبـا

فكن كـسـيفٍ في يديه مـاضٍ فـهـو علينا حـاكمٌ وقـاضٍ !

الذكـر

قـد يفـعلُ الذكـرُ بالنفـوس مـا تفـعل الخـمـرُ بالرؤوس

يعـيـد لى الذكـرُ مـا تقـضَّى من الهـوى مُـتـرَع الكئـوس

فـيـقـدح الشـوقَ فى فـؤادى كـالنَّار فى عـودِها اليـبـيـس

فـإنَّ ذكـراك فى فـؤادى كـالنَّار فى مـعـبـدِ المجـوس

راحـةُ عـيـشى ونومُ عـينى خُـصًـا لقـربانهـا النفـيس(١)

والحـسنُ كـالنَّار فى ضـيـاء والحبُّ من جـمـره القـبـيس(٢)

فـالذكـرُ رمـزٌ إلى حـبـيب والنارُ رمـزٌ إلى الشـمـوس

أصـغى إلى الذكـر فى فـؤادى وأحـسبُ الذكـرَ كـالهـسـيس(٣)

كـأنما شـدوه خـريـر أو نعـمـة المطرب الأنـيس

كـأنما شـدوه أتِيٌّ قـد غـمـر اليـأسَ بالطمـوس(٤)

كـأنه الريـحُ حين هـبَّت بالروضـة الغـضـةِ الميُـوس

والذكـرُ كـالريح فى شـذاها وعـطرُه نـشـوةُ النفـوس

كم قـرَّب الصبَّ من حـبـيب حـتى يُرى دانىَ الحـسـيـس

---

(١) القربان : ما يتقرب به إلى المعبود فى المعبد من الهدايا . (٢) القبيس : المقتبس .

(٣) الهسيس : من الأصوات الخافتة . (٤) الأتى : السيل الشديد .

فينشق العطرَ من حبيب يكاد ينقاد للُمُوس

حتى كأنْ لم يكن بعيداً ولم يكن طعمةَ الرموس

كأنه ساحرٌ قدير يدوف من نعمة وبوس

يُليحُ للعين ما تقضّى كأنه خُطٌّ في الطروس[1]

يمزّق الستر عن خفيٍّ ويصدعُ القيدَ عن حبيس

ويُرجعُ الدهرَ عن فريس والناسُ للدهر كالفريس !

المجرم

يرى الناسُ أنَّ النومَ أمٌّ رحيمةٌ ولكنَّ نومَ الجارمين عقابُ[2]

يسلُّ عليَّ الحُلم أسياف نقمة فأحلامُ نومى كالجحيمِ عذابُ

وكم هدَّ من عزمٍ صليبٍ عذابها وشيَّب ورَّاد الذنوب فشابوا[3]

فيا بلسمَ الأحزانِ أصبحت عونها عليَّ فَبُطلٌ ما وعدت كِذابُ

أما يهربُ المسكينُ فيك من الأذى فيسكره مما تدوف شراب

شرابٌ من النسيان يحلو لذائق له من وميض النيِّرات حباب[4]

يبيتُ فلا وقع الصروف بِكارثٍ ولا تزدهيه عزمةٌ وطلاب

وما العيشُ إلا نومة راع حُلمها ووقع سؤالٍ ما عليه جواب

وغيَّرنى عما عهدت جرائرى فليس إلى الحالِ القديم إياب

---

(١) ألاح الشيء : جعله لائحاً واضحا . (٢) الجارمون : أى المجرمون .

(٣) أى أن النوم دواء الأحزان ، ولكنه يعينها بأحلامه على المجرم .

(٤) أى ينسيه كل شيء إلا النجوم التى يراها عند نومه ويقظته .

فلا تحسبن الشرَّ يُمحى بتوبةٍ وإن غفرَ الجرم العظيم متابُ

كذلك فعلُ الطِّبِّ يشفي دواؤه فيحمد من مرأى السقام ذهابُ

ولكنَّ بعضَ الضعف في المرءِ كامنٌ وإن حسنت حالٌ وراقَ إهاب[1]

وروّع عنى الوزرُ كل محبَّبٍ فقد بان أحبابٌ وفاتَ شبابُ

وقد غاب بشرُ الناس عنى وأنسهم كأنّي على ضوءِ النهارِ سحاب

ألوح فيبدو الخوفُ في وجه مبصرى كأنّي سيفٌ والرقابُ قراب

أو أن دماءَ الهالكين جعلتها على راحتى مما سفكتُ خضاب

ويسكت عنى الناسُ سكتةَ مبغض فما لى لديهم إن دعوتُ جواب

ولا أنس إلا أن يكونَ مخافةً على أنهم مما يخافُ غضاب

فبينى وبين الخوفِ ودٌّ وألفة وبينى وبين العالمين حجاب

ويلحظنى المغرورُ لحظةَ جاهل يُسرُّ بما أُرمَى به وأُعاب

رجوتُ من الإجرام نفعًا وإنما هواه من الفعل الحميد ثواب

ولو لم يجد في الخيرِ نفعًا لعافه وأصبحَ يُخشى شره ويُهاب

وإنَّ رواءَ الطُّهرِ حيلةُ ماكرٍ يُصيب بها من عيشه ويُثاب

وإن يلق ما لاقيتُ أصبح خيرُه ضئيلاً وقال القائلون وعابوا

يُواقع كلُّ الناسِ بالفكر شرهم وقد عابنى أنى جرؤت وهابوا

وكم حدَّثت بالشرِّ ذا الخير نفسه وذاك حديثٌ ما عليه عقاب

ولكنّه في النفس إثر يشوبها وكلُّ ضميرٍ بالمعيب يشاب

ظمئنا فخلنا الشرَّ في العيش منهلاً ولكنَّ وردَ الجارمين سراب !

---

(١) الإهاب : الأديم .

ليلة الحسن[1]

أحـيـا اللواعجَ مـاضٍ من أمـانينا فـعاود القـلب عـهـداً كـان مدفـونا

وكان عهدُ الهوى يا حُسن يُضحكنا فصار عهدُ الهوى يا حُسن يُبكينا

ما لى وللحُسنِ لا أمرى بمقـتَبَلٍ ولستُ بالعيشِ واللَّذات مفـتـونا

ما العيشُ إلا ليالٍ فى الهوى سلفت واها لهـــا حـســنات لا تؤاتـينا

فى ذكـرها نفـحـاتُ الحبُ عـاطرة تهـفـو علينا فـتـصـبـينا وتحيـينا

إن تنس لا أنس ليـلات لنا سلفت إذ أنت حُلمٌ لذيـذ فى ليـــالينا

يا مَن رأى حلمًا بالحسن مرتدياً نسعى إليه ويسعى فى مساعينا

يرنو إلينا فـــلا وهمٌ ولا خُــدَع وإن يمسَ فـــلا تخطيـــه أيدينا

حـسـن تأنق فـيـــه خـالقٌ لَبق راضَ الفنونَ فلبَّـتـــه أفـــانينا

كـأنه صـاغكم كـيـمـا يحـبـكمُ يافتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا

كـأنه صـاغكم من عـسـجـدٍ بهج ومـرمـرٍ ناصعٍ باللَّون يـسـبـينا

فجاء حسنُك رىَ النفسِ ماظمئت فـالعـيـشُ يظمـئنا والحسنُ يروينا

هل صاغَ من ورق الأزهارِ حسنكمُ فـكنتَ فى جنةٍ ورداً ونســـرينا

أم من قطوف جنى الفردوس صاغكمُ إن القطوف إلى الفـردوس تشـهـينا

نرى الثمارَ كـأنَّ الشـهـدَ فى فـمنا وأنَّ رؤيتَكـم كـالشَّـهـدِ تشـفـينا

وفـيك فـاكـهـةُ الأبصـارِ يـانعـةٌ يـكـاد يأكـلهـــا لحظُ المحـــبـينا

هل أنتَ من فلتات الخلق معـجزةٌ تعيى ذوى الفنِ خير الحسنِ يعيينا

---

(١) يتخيل الشاعر فى هذه القصيدة أن صفة الحسن مجسمة كالأفراد .

ياصورة صاغها ذو الصنع متئداً ... ودمية بثَّ فيها الحسنَ واللينا
وبثَّ فيها معانى الخلدِ أجمعها ... فصار حسنُك بالأرواح مقرونا
تسمو إليك نفوس الناسِ كلهمُ ... حتى يبيت تقىُّ النفسِ مفتونا
ففيك من كلِّ نفسٍ خيرُ ماضمنت ... أنت الحبيبُ إلى كلِّ المحبينا
تدعو النفوسَ فتأتى غيرَ كارهةٍ ... فأنت كعبةُ أرواحِ الملبينا
يا حُسنُ كيف سرت بى نشوةٌ لعبت ... بالقلب منى قد داويتها حينا
فى بعض سكرِ الهوى عن بعضِه عوضٌ ... كالخمرِ تصرعنا حيناً وتحيينا
يا حُسنُ من لى بسحر مثلِ سحركُم ... سحر العيونِ الذى قد باتَ يبلينا
يا حُسن من لى بسحر أتقيك به ... فالحسنُ يسحرنا والسحرُ يرقينا
يا حسن هل أنت ناسٍ ليلةً سلفت ... طافَ الغرامُ بها يا حسن يسقينا
خمرُ الغرامِ وخمرُ الحسنِ تُسكرنا ... وخمرةُ الكرمِ ترّوينا وتصبينا
كأننا نغمةٌ فى الليلِ سارية ... تهفو وللليل أذنٌ فيه تبغينا
كأننا نغمةٌ بالنفس آخذة ... فإنما الحبُّ ضربٌ من تغنينا
ورقَّ فيه أديمُ البدرِ مؤتلقاً ... حتى كأنَّ سناهُ من تصافينا
قد باتَ يلحظنا ريباً ونلحظه ... حتى كأنَّ ضياءَ البدرِ واشينا
وبتُّ ألحظكم طوراً وألحظه ... وفوق وجهك ضوءُ الحسنِ يشجينا
أبديت أحسن منه صفحةً وسنا ... فغارَ حتى لكاد البدرُ يأتينا
وصار يصقلُ وجهًا منه ذا كلفٍ ... وفتّر اللحظ ، لحظ الحسن يسبينا
وصار يغمرنا باللحظ فى مَهلٍ ... فعل الحسان بسهم الحظٌ تصمينا[1]

---

(١) أى أن البدر غار منك فصار يتحبب إلينا كى يشغلنا عنك . وأصمى : أصاب المقتل .

هيهات يا بدرُ إنَّ الحسنَ أجمعه   يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا

يا حُسنُ لا تحسبنَّ البدرَ يشغلنا   يا حُسن لولاكَ ما ابيضَّت ليالينا

لم أنس قولي له يوماً أمازحُهُ   كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا

مذ ألْف جيلٍ مضت قد كنت أعرفكم   ولم أدِن غيرَ حبِّي حُسنكم دينا

لا تُخفِ عنَّا الذي ندري فإنَّ لكم   سيما تعزّ وأوصافاً أفانينا

فأنت أنت إلهُ الحسن كم سجدتْ   لك النفوسُ ولبَّاك المحبونا

جاذبتُه كفَّه كي لا يفارقني   فمنهلُ العيشِ حلوٌ في تدانينا

وقوله ليَ في دلّ ومعتبةٍ   أظمأتنا من قريضٍ منك يروينا

فصف لنا ليلَنا شعراً تقل عجبًا   فإنما الشعرُ إلهامٌ يناجينا

هذا قليلُ مقالٍ أنتَ باعثه   إن شئت زدتك منه لو تؤاتينا !

البطل المنتظر

عليمٌ بأسرارِ القلوبِ خبيرُ   تناجيه منَّا أنفسٌ وضميرُ

فيحكمها حكم المطرّب عوده   أمينٌ على وحي النفوسِ أميرُ

وقد كان سراً في الطبيعة كامنًا   فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ

وهل مخبر عن نابغٍ كيف خلقه   فذلك سرٌ في الوجود ستير

تمر دهورٌ والحياةُ كآجن   أمرً وقدماً كان وهو طَهور

إلى أن يحلَّ الغيث حبوة مائه   فيترع منه جدولٌ وغدير(١)

---

(١) حبوة : أى عطاء من حبا يحبو أى أعطى . ويترع : يملأ .

كـذلك حـالُ الناسِ فـالناسُ آجنٌ مــريرٌ ، ومــاءُ النابغين نميــر
وبارقـــة تجلو الظلامَ وصـــاعق يشبُّ لهـيبًـا ، والأنام قـشـور
فيضطرمُ القلبُ الذى كان خامداً ويصبحُ روضُ النفسِ وهو نضير
لذاك يُرجَّى بينهم كلَّ حقبةٍ بشيرٌ لمن يبغى العُلى ونذير[1]
ليصبح عزمُ الناسِ وهناً بعزمِهِ فيحمد منهم آسرٌ وأسير[2]
وقد كان مزجُ النفسِ بالنفس باعثًا يجدُّ بها نحو العُلى ويسير
كأنَّ نفوسَ الناس طيرٌ تشردت وللطيرِ من نفس العظيمِ وكور
فيا ساكناً فى الغيب هل أنت مسعد أما آن من خلف الغيوبِ سفور ؟
فإن نفوسَ الناس قد مات جدّها وليس لها إلا لديكَ نشور !
وصارت حياةُ القومِ مزحةَ عابثٍ وقولك طبٌّ للنفوسِ قدير !

خميلة الحب

تمهل رعـاكَ اللّهُ أقض لبـانتى وأتلُ على تلك الرياض تحيتى
فـإنى تعلمتُ الهوى فى ظلالها وفيها رأيتُ الحسنَ أول رؤيةِ
تمهل خليلى فى رباها فعندها نظرتُ فلم أملك على الحبِّ نظرتى
نظرتُ إلى زهرين ، زهرِ نباتها وزهرةِ حسنٍ ناضرٍ أىّ زهرة
هنا قد عرفتُ العيشَ جمًّا ضياؤه وقد كان قدماً فى سوادِ الدجنة
هنا نالنى سحرُ الهوى فى نسيمها هناك كان بدءُ الحبِّ قدمًا ونشوتى

---

(١) الناس عندما يشعرون بحاجة إلى مصلح كانوا من قديم الزمان ينتظرون ظهور نبى أو مهدى أو شاعر أو حكيم .
(٢) الذى عزمه غالب يكون بمنزله الآسر ... إلخ .

هنا مهدُ آمالى ، هنا حُلم يقظتى ، هنا سكرت نفسى غراماً وجنت

هنا قد جرعت الحبُ حتى كأننى جرعتُ به من خمرةٍ أىَّ خمرةِ

هنا زادَ هذا القلبُ خفقاً كأنه جناحُ قطاةٍ فى الضلوع أجنتِ

وكم لىَ فيها من أمانٍ لذيذة وكم لىَ فيها من لقاءٍ ونظرةِ

وناجيتُ فيها كلَّ غصنٍ لعله رأى خطرة من شبهة أىَّ خطرةِ

وساءلتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه فغنَّى مغنى الطير فى كلِّ أيكةِ

وناجيتُ فيها كلَّ شادٍ وأعجمٍ وأنت بعيدٌ لستَ تحنو للقيتى

وهل تنفعُ النَّجوى وقلبُك صخرةٌ ألا خابت النَّجوى لدى كلِّ صخرة

نعم يسمع النجوى الذى طاب روحُه فتُعدى على بعدٍ بروع وغيبة

وتدنى أليفاً من أليفٍ موافقٍ كأنْ لم يرعْ قلبيهما شحطُ غربة

فيا دعوةً بالروضِ لم تلق سامعًا ويادعوة بالليل ، يا طول دعوتى!

إلامَ يُحبُّ القلبُ من لايحبه وحتى متى يحنو على غير منصت ؟

لعلك يومًا بعد شحطٍ من الصبا وبعد مضىٍّ من جمالٍ ونضرة

ترى فى قريضى ما مضى من نضارةٍ لوجهك إنَّ الحسنَ يجلى بذكرة

فإنَّ قريضى جنةُ الخلدِ حسنه وحسنُك فيه خالدٌ غير مفلت

فلا تنسَ حبِّى عندها ولواعجى وهل نافعى حبى هناك ولوعتى؟

أيرضيك شعرى فيك أنَّك وحيه وأنَّك سحرى يا حبيبُ ورقيتى ؟

فَمُرنىَ أن أهواك أزدد محبة وإن كنتُ قد أحببتُ كلَّ محبة

فإن نعيماً أنْ أبثُّك لوعتى فتضحك جذلانًا ببثِّى وعبرتى

وإن نعيماً أن تراتىَ باكياً فتمسح أجفانى وتوقف دمعتى

فيـاليت شعـرى هل بروقك أننى ... أحبُك أم تقرى الهوى كلّ بغضة

فإنْ تكن الأخرى فإنى مُهلك ... من اجلكَ حبّى يا حبيبُ ومهجتى

فـــإنَّ هلاكَ الحبِّ حبٌّ لكارهٍ ... فإن تمقت النفس المشوقة أمقت

فياليت لى من صخرِ قلبك آلةً ... فأتلو عليها نغمةً أىّ نغمة

يئنُّ أنينَ العودِ من شجو ضاربٍ ... فيسعد قلبى فى حنينٍ وأنّة

فياصبوة القلب العفيفِ وهمه ... أُعيذك من صدٌ يروع وجفوة

بك العيشُ حلوٌ والحياةُ شهيةٌ ... فأقطفُ من أثمار عيش جنية

وأنهلُ فيه من رحيقٍ وسلسل ... وأبصر فيه جنةً أىّ جنة

وأنت جنانٌ أنبتَ الحسنُ زهرَها ... وأنهلها من كوثرٍ فترّوت

وأنت ربيعٌ ليس يخشى انقضاؤه ... فاين ربيعُ القلبِ ، ياطول حسرتى ؟!

علالة العيش

أيا طالباً من عيشه ما يودّه ... أحقٌ وملك يُبتغى ويُرامُ

سفاه سؤال المرءِ لو قدِّرت له ... خطوب فما يجدى لديه ملامُ

ولو شاءَت الأقدارُ لم يَشكُ خطبها ... ولكنَّ أطماع النفوسِ قوامُ

وهل يحمد الأقدار من كلِّ عيشه ... أمانىٌّ تدعو للكمالِ عظام ؟

فلا تحزننْ من ضجةِ العيش ، إنها ... سيخرسها مما يُتاحُ حِمام

لعلّك بعد الموت تبغى ضجيجَها ... وهيهاتَ لا يصبى الرميمَ مرام

ستسكن بعد الموتِ حتى تملّه ... وليس بمن تطوى المنونُ سآم

وإنَّ ضياءَ العيشِ يزهو رواؤه ... لأنْ حاطَه بين الأنام ظلام

ظلامٌ من الأحداث والخطبِ والردى | يبيت ضياءُ العيش فيه يشامُ[1]
وما العيشُ إلا خمرة أنا شاربٌ | فهل رائعى أن الخطوبَ أمامُ
وهل يفرق النشوانُ من صرف دهره | ويشقيه من وقعِ الخطوبِ لمامُ[2]
ومالىَ لا أرضى وفى الخوفِ لذةٌ | وليس لأدواءِ الكُلوم دوامُ
مغالبةُ الأخطار سكرٌ ولذةٌ | وإن شُبَّ منها فى الضلوعِ ضرام
وقد لا يزيل الهمَّ إلا تعتب | فلاتنكِ من ذاقوا الصروف فلاموا
وإن صروفَ الدَّهرِ تأسو جراحَها | وتُظمى فيروى بالأوام أوام[3]
ومن رحمة الأقدارِ كرُّ خطوبها | ومن عادة ضيمٌ فليس يضام[4]
فسر فى غمار العيشِ تعتد خطوبَه | ويسهلْ بميدان الحياة مقام
ولا تحسبنَّ الحزنَ تبقى قروحه | فليسَ لحزنٍ ما بقيت دوام
كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلم إذا مضى | وذكرى دموعِ البائسين غمام
وإنْ شقيتْ بالعيش نفسٌ كليلةٌ | فللرُّمد من لون المنونِ جمام[5]
ولولا الأذى ماذقتَ فى العيش لذةً | فكلٌّ نقيضٍ بالنقيضِ يُشام
ولا شرَّ إلا فيه للخيرِ مألفٌ | كما تألف الماءَ الطهورَ مدام
لقد وسعتنا الحادثات إراحة | لأنْ قادنا مما تريد زمام
فمن ضلَّ فى خرقٍ من العيشِ لبَّه | هداه زمامٌ جاذبٌ وخطام[6]

---

(١) يشام أى يرى . (٢) يفرق : يخاف . أى أن السكران لايخاف ما يقع حوله ، وكذلك من سكر من خمر الحياة لا يخشى مصائبها . (٣) يروى بالأوام أوام أى أن طول الصبر على الظمأ يعلم الإنسان تحمله حتى كأن قد زال. (٤) أى أن الإحساس بالقيم هو الضيم . وذلك الإحساس يزيله ترادف ضيم الحوادث . (٥) جمام : راحة . (٦) الخرق : المهمه والقفر . أى أن فى انتفاء التخيير راحة .

وهوِّن وقعَ الخطبِ أنّا ذرائع الـ ـقضاءِ فلا صون لديه يرام

لص أم أديب

أتسرقُ من شعرى وتقدحُ فى شعرى كذاك لصوص الشِّعر فى مسلكٍ وعرِ ؟

كمن يسرق الدهماءَ من تحت راكبٍ وراكبُها من خفة اللصِّ لايدرى(١)

وإنَّك كالمزمارِ أخرس أبكم إذا لم تهيئه النوافخُ للزمر

وإنَّك كالمزمار ما لك منطقٌ إذا لم تهيئك الأصابع بالنقر

فلا تحسبنَّ الصبرَ فىَّ استكانة فربَّ وعيدٍ فى التواضعِ والصبرِ

خلقتك من لا شىء لو شئتُ لم تكن ولو شئتُ لم تُحمد على السِّر والجهر

ورمتَ غروراً كنتُ فيك نفثته فمن منصفى ياقوم من وَرِمٍ غِرٍّ؟

وهل يُصلح الإنسانَ لومٌ يصيبه إذا كان مطبوعًا على اللؤم والغدرِ

يظن غبىٌّ جهله فىَّ سُبَّة إذا ما غباءٌ فيهِ قصَّر عن شعرى!

تزاوج النفوس

إن النفوسَ لأسرارٌ مخبَّأةٌ فكلُّ روحٍ عن الأدنين مستترُ

وكلُّ روحٍ على الأيام منفرد إنَّ النفوسَ لدى أسرارها جُزُرُ

إن كان روحك لغزاً أنت باحثه فكيف تعرف نفسًا دأبها الحذرُ(٢)

مجاهلَ النفسِ هل من كاشف فَطِنٍ لقد بعدتِ فلا ركب ولاسفر(٣)

---

(١) سرقة الفرس من تحت راكبه من غير شعوره : يراد به أن مهارة اللص الموصوف معجزة .

(٢) أى إذا كنت لا تعرف نفسك فكيف تعرف نفوس الناس ودأبهم الحذر منك وإخفاء صفاتهم عنك .

(٣) المجاهل : الأراضى المجهولة .

مُجاهلَ النفسِ هل من باحثٍ يَقِظٍ | طال التساؤل لا راوٍ ولا خبرُ
والحبُّ تكشفُ بعضَ النفسِ هبتُه | وأكثرُ النفسِ كنزٌ صانه المدرُ
كأنما النفسُ تبدو خلفَ كلتِه | سحابةُ الصيف فيها البدرُ يستتر[1]
للنفس بالنفس تلقيح يطيبها | كما يلقَّحُ في بستانه الشجر
وفي النفوسِ دروعٌ للنفوس فلا | ترقى إلى كيدها الأقدارُ والغيَر
أهوت إلى النفس نفسٌ تبتغي سكنًا | حتى تطايرَ من حُبَيهما الشرر[2]
يولِّد الحبُّ نفسًا غير ماضمنا | فالوامقون بما قد عالجوا كثروا
وكلُّ قلبٍ يعيش الدهر منفرداً | كالبيدِ والبيدُ لا ماءٌ ولاشجر
والحبُّ كالنَّارِ زانَ النفسَ صيقله | والحبُّ كالنَّارِ لا يُبقى ولا يذر[3]
كم خائفٍ جاءه من حيث يدفعه | خوفًا وكم حاذرٍ لم يجده الحذر
الخلد في وحشة كالموت نجنبه | فكلُّ روحٍ إلى الأرواح مفتقر
لا يُبتغى الخلد إلا والهوى سكنٌ | فالخلدُ لولا الهوى الزقُّوم والصَّبِر
ويبتغي المرءُ وردًا في الهوى أبدًا | وقلبه جاهلٌ لم يدر ما الصَدَر
والنفسُ للنفسِ زوجٌ طاب عرسهما | ومهرُها الحب لايغلو لها المهر
من لي بنفسٍ أرى نفسي بها مزجت | كما تمازج في وديانها الغُدُر
والنفسُ في عيشها شتّى منافذها | منها القلوبُ ومنها السمعُ والبصر
والحبُّ في الناس ذنبٌ لا اغتفار له | لكنه في صميم النفسِ مغتفر
يثير في النفسِ ما قد كان ذا سِنَة | تبدو اللآلي ويبدو ماؤها العكرُ[4]

(١) الكلة : ستار خفيف تحمل فيه النساء . (٢) السكن : الأليف الذى تسكن النفس إليه أى ترتاح.
(٣) الصيقل : الذى يصقل الشيء . (٤) السِّنة : النوم الخفيف .

والحبُّ كالنهرِ يغرى الروحَ رونقُه ... روح المحبُّ به عــريان منحـســرُ

والنفسُ كالركبِ فى الصحراءِ سيرتها ... تمضى الشجونُ ويبقى بعدَها الأثرُ

هذى العظامُ على الصحراءِ قد نخرت ... والحبُّ آثاره الآمــالُ والذكَــر

ورُبَّ نفـسين مـثل اللُّجّـتين إذا ... تهـاوتا نحـو شطِّ اليمِّ يُبتـدر

أو مثل قطر الحيا قد ضمَّ شملَهما ... ودٌّ كـمـا ضمَّ قَطْرَ المزنةِ الزهر(١)

تسرَّبت أنفسٌ فى أنفسٍ فمضت ... آمـالهـا أمل أوطارها وطر(٢)

ورب نفسين حال الدهر بينهما ... كما يدين لصدع اللُّجة الحجر

كصخرةٍ هدَّ منها اليمُّ فانشطرت ... شطرين والنفسُ دون النفس تنشطر

وإنَّ أوجعَ مـا تمنى النفـوسُ به ... صدعُ الزمانِ وسوءُ الظن والضجر

وللنفوسِ مطافٌ بالنفوسِ كما ... تدورُ حـول النُّجـوم الأَنْجُم الزهُرُ

والدَّهرُ للنفسِ بحـرٌ زاخـرٌ أبداً ... بحرُ النفوسِ ومنها العُشب والدّرر

فمـا تآلف منهـا فهـو منتظمٌ ... ومـا تناكر منهـا فهـو منتـشر

عيش الأدباء

أخـشى عليك مـصارعَ الأدباءِ ... فالنحسُ رهنُ معيشةِ الأدباءِ

لا بل وقيتَ من الصروفِ وغدرها ... ونعـمتَ فى حـرزٍ من الأرزاءِ

فالشعرُ ينفثُ فى ذويه سمومَه ... ويسعّر النِّيرانَ فى الأحشاءِ

لاتنحتنَّ من الفـؤادِ قصيده ... فالشعرُ يأكلُ جدةَ الأحياءِ

واجعل لنفسك ساعةً من لهوه ... وارفق بنفسك إنَّه كالداء

(١) الحيا : المطر . (٢) التاء فى مضت تعود على النفوس لا على الآمال .

والصيتُ وهمٌ فى الحياة مخادعٌ مثل التماع الآلِ فى الصَّحراء[1]

هيهاتَ ما هجرَ القريضَ مطاوعًا إلا امروٌ ما كان فى الشعراءِ

يتهافتون على المحاسن كلِّها والنَّحلُ لصٌّ الروضةِ الغناء

ذهبَ الخيالُ بحزمهم وحلومِهم فحلومُهم رهنٌ لدى العلياء[2]

يستخلص الألمُ الوجيعُ نضارهم كالنَّارِ تذكى العودَ بالإصلاءِ

فإذا خبرتهم وجدتَ لديهم شِيمَ الملوكِ وحالة الفقراءِ

لفتت دراريٌّ النجومِ عيونَهم فتعثروا بمعاولِ الغبراء

فُتنوا بلذات الحياة فعيشهم مهدُ الردى وقرارةُ الأدواء

ياويحَ من حسب الحياةَ ذخيرةً تنمو على الإسرافِ والإمضاء

فمخيَّب محت العقارُ ذكاءَه من ذا يعين ذكاءه بذكاء

وأخو هوى فتك الغرامُ بلبِّه ورماهُ حيثُ تنازعُ الأهواء

لا عزمَ يهدى فى المسالك خطوه كالذرِّ دان لعصفةِ الهوجاء[3]

متواضعون فإن ألمتَّ ذلَّة ألفيتَهُم فى منزلِ الجوزاء

ويرونَ وحيَ الشِّعرِ فرضًا واجبًا فرض يؤود وليْه بأداء[4]

وكأن فيه غذاءَهم وشرابَهم ياليتَهم لم يخلقوا لغذاءِ

بل ليت فى نشق الهواءِ غذاءهم وشرابهم من خمرةِ الأضواء

إنَّ الذى حلَّى الحياةَ بشعره أحرى بحلى محاسنِ النَّعماء

عرفوا الحياةَ نعيمَها وشقاءها فمضوا بكلٍّ لذاذةٍ وشقاءِ

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الحلوم : العقول .

(٣) الريح الهوجاء : المجنونة .

(٤) يؤود : يثقل .

جرعوا الحياةَ وليس يسأر جارع ... منهم فإن ماتوا فموتُ ظماءِ[1]

كم ماتَ منهم خاملٌ ذو شقوة ... عيش الأديب وموتُه كالداء

فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم ... عدوى تجيء بشقوةٍ وعناء

وإذا استطعتَ فداوِ نفسَك وانتبذ ... خلق الأديب وخلّة الأُدباء

(١) يسأر : يبقى : والسؤر : بقية الشراب فى الكأس .

إلى المجهول[1]

مقدمة :

الولوع بالمجهول من أمـور الحياة والطبيعة والنفس والكـون . والشغف باستطلاعه وكشفه ، هـو الذى أخـرج الإنسان من المعيشة فـى الكهوف ، ومـن حضارة العصر الحجـرى مـن عصـور الحضارة ، وأزال عنه خوفـه مـن مظاهـر الطبيعة ؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر .. وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء فـى الطائـرات ، حتـى طمـع في الوصول إلـى الأفـلاك . وذلك الولـوع بالمجهول هـو الذى جعله يخترع مخترعـات الحضـارة التـى زادت حياته بهاء ومتعة وراحـة ولـذة ، وجعـلـه يجـد لذة حتـى فـى ركـوب الأخطـار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قـد يصيبه مـن الألـم أو الهلاك ، فى أثناء بحثه المجهول من أمور الحيـاة والكـون . والولـوع بالمجهول هـو الـذى أدى إلـى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء . وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة ، عن أبناء الأمم المتـأخـرة التى لا تزال تعـيش فى الكهـوف أو الغـابات ، أو فى المدن ، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة ، المربوءة بالأسقام والأقذار ، المغلوبة على أمرها ، لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسيطرة على الحياة والناس ، هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم فى كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة . والأمة التى تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتـها تحت الشمس ، ينبغى أن تـهيىء لأبنائها نوعاً

---

(١) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة «الرسالة» فى عدد ٢ مايو سنة ١٩٣٨ وأضاف إليها المقدمة .

من التربية والتعليم يبث فى نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذى لايبث هذه الصفة في النفوس ، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم فى حياة الخمول من المألوف الذى أصبح كالمخدرات . وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة ، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التى تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول فى نفوس النشء ؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها . وترى لذتها فى ذلك قبل أن تعلمها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف . ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية ، وأنها قوة طبيعية فى الأمم القوية فحسب .. لا .. بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التى هى أساس الرقى العلمى والاجتماعى الصحيح ، وهذا الأسلوب من التربية ألزم فى الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه .

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منكَ بحرٌ لستُ أعرفه ... وَمَهْمَهٌ لست أدرى ما أقاصيه[1]

---

(١) المهمه : القفر .

أقضى حياتى بنفسٍ لستُ أعرفها وحَوْلِىَ الكون لم تُدْرِكْ مجاليه[1]

ياليتَ لى نظرةً فى الغيب تسعدنى لعلَّ فيه ضياءَ الحقِّ يبديه

أخالُ أنِّى غريبٌ وهو لى وطن خابَ الغريبُ الذى يرجو مُقَاصيه[2]

أوليتَ لى خطوة تدحو مجاهله وتكشفُ السِّترَ عن خافى مساعيه[3]

كأنَّ رُوحىَ عُودٌ أنتَ تحكمُهُ فابسطْ يديكَ وأطلقْ من أغانيه[4]

والروحُ كالكونِ لاتبدو أسافله عند اللَّبيبِ ولا تبدو أعاليه[5]

وأكبرُ الظَّن أنِّى هالكٌ أبدًا شوقاً إليك وقلبى فيه ما فيه[6]

من حسرةٍ وإباءٍ لستُ أملكه يأبى لِىَ العيش لم تُدْرَك معانيه

وأنت فى الكون من قاصٍ ومقترب قد استوى فيك قاصيه ودانيه[7]

كأنَّنى منك فى ناب لمفْتَرس المرءُ يسعى ولغزُ العيش يُدْمِيه[8]

كم تجعل العقل طفلاً حار حائرهُ وربَّ مُطَّلَبٍ قد خاب باغيه

لو النَّبالُ نبالُ القوسِ مُصْمِيَةٌ كنتُ ادَّرَيْتُ بسهمِ القوسِ أرميه

أو كان للسحر سهمٌ نافذٌ أبداً لكانَ لى منه سهمٌ صالَ راميه

يا مُصْلِتَ السَّيفِ قد فُلَّتْ مضاربه ورامِى السَّهمِ قد خابتْ مراميه

---

(١) المجالى : مباديه . (٢) قاصاه : باعده ، والمراد بالغيب هنا المجهول لاغير .

(٣) تدحو : تبسط .

(٤) يخيل للمفكر أحيانا أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها ، أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده . (٥) لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح .

(٦) أى شوقا إلى ما يجهله العقل وتتوق النفس إلى معرفته .

(٧) أنت : الخطاب كله موجه إلى المجهول .

(٨) ذلك لأن جهل الإنسان أسرار الحياة وعجزه عن حل مسائلها قد يوقعه فى الهلاك .

قلبي يحـــدثني أن لا يليق به — رضًا بجهل ذليل اللُّبُّ يُرضيه

قد ثارَ ثائرُ نفسٍ عزٌّ مَطْلَبُها — وطار طائرُ لُبٌّ في مراقيه

كالنَّسر لا حاجبٌ للشمسِ يحرقه — ولا الصواعق والأرواح تَثْنيه[1]

وأنتَ كالليلِ والأفهام حائرة — مثل العيون علاها منك داجيه

ليل مهيب كليلِ البحرِ حندسه — تكاد تسمع منه صوتَ طاميه[2]

فليتَ لي فكرة كالكونِ واسعة — أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه

ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهٍ — ولا السموّ إلى حقّ بمكروه

إن لم أنلْ منه ما أروى الغليل به — قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه

والقانعون بما قد دان عيشُهُمُ — موت فإنَّ خضوعَ اللُّبِّ يُرْديه[3]

يا قلبُ يهنيك نبضٌ كلُّه حُرَق — إلى الغرائب ممّا عزّ ساميه

فالعيش حب لما استعصت مسالكه — تجارب المرء تُدْميه وتُعْليه

كم ليلة بتُّها ولهان ذا أملٍ — لم يُسلِ قلبِيَ أن غابت أمانيه

لعلّ خاطر فكر طارقي عرضًا — يدنو بما أنا طول العمر أبغيه

يوضح الغامض المستور عن فطَنٍ — وأفهم العيشَ تستهوي بواديه

---

(١) الأرواح : الرياح .

(٢) أشد ما يكون الليل روعة الليل في وحشة البحر ، ولذلك يشبه به المجهول .

(٣) دان : خضع وذل .

إلى ماضٍ من العمر

شكا قلبي إلى يومي | مَا ألقاه من دهري
وقال : لقد تركت هوا | يَ في ماضٍ من العمرِ
فدعني أقتفيه عسى | أُقاد إليه بالإثْرِ
وإنَّ سبيلَ ما يمضي | سبيلُ المسلكِ الوعرِ
فراحَ القلبُ ولهانًا | وظلَّ بخفقه يجرى

إلى ماضٍ من العمر !

فقال اليوم يا قلبُ | على مَ تروغ من أسرى ؟
وما لك غير ساعتك ا | لتي تلقاك في الدَهرِ
لأمسك قلبك الماضي | وما للأمس من كرٍّ
لقد جشَّمتَ نفسَك ما | عييت به من الضرِّ[1]
غدوت تقاد بالذِكر | وفي التذكارِ ما يغرى

بما قد فات من عمر !

فيا ماضيَّ دع قلبي | فما لى عنه من صبرِ
وإنَّك قبرُ آمالي | فهل لى فيك من قبر ؟
فآهٍ لو يجول المر | ءُ فيما شاءَ من دهر
لطار القلبُ كالعصفو | رِ عافَ تريُّث السَّير

---

(١) جشمت : حملت .

وحنٍّ لروضه النضرِ وما آواه من وكرِ

لدى ماضٍ من العمر !

إلى الريح

يا ريحُ هيَّجتِ قلبًا شجوه واري كما تهيجين عودَ الغاب بالنارِ[1]

يا ريحُ رفقًا بقلبٍ هجت لوعته يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري

كم قد نسيت شجونًا نارها خمدت فهجت قلبي بإغراءٍ وإذكارِ

يا ريح أي زئيرٍ فيك يفزعني كما يروع زئيرُ الفاتكِ الضاري

يا ريح أي أنين حنٍّ سامعه فهل بليت بفقد الصحبِ والجارِ ؟

يا ريح ما لك بين الخلقِ موحشة مثل الغريب غريب الأهل والدار !

أم أنت ثكلى أصاب الموتُ واحدها تظلّ تبغي يدَ الأقدار بالثار ؟

يا ريح ما لك من إلفٍ فُجعت به مثلي ولا لك آمالي وأوطاري

يا ريح كم لك من نفع يجيءُ به حدو السحاب بصوبٍ منه مدرار

وهبة منك تحيي النفس من عُرُض بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطار

يا ريح فيك جنونُ النفسِ يفزعني إذا سطوت بعصف منك إعصار

يا ليت نفسيَ ريحٌ لفح لافحها يطهّر الكونَ من شرٍّ وأشرار

وتنشر الخيرَ نشرَ البذر يحمله نسمُ الرياحِ على زهرٍ وأثمار

أو ليت لي فيك نفسًا حرة أبداً الكونُ بيتي وما أهفو به داري

هيهات ما لك فيما شئت مُنطلَق تجري الرياحُ بأحكامٍ ومقدار

أو ليت أنَّ جناحًا منكِ يسعدني كيما أطير إلى أفنان أشجار[2]

---

(١) الواري : المشتعل .   (٢) الأفنان : الأغصان .

فأنشد الشّعر كالغرّيد في فننٍ وتحملين أغاريدى وأشعارى

ياريحُ هل أنتِ طيرٌ طائرٌ أبداً أما تقرين فى روض وأوكار ؟

يا ريحُ يا صنو نفسٍ طالما شقيت قد خان نفسىَ أحبابى وأنصارى

فليتها مَلِكٌ فى الجوّ دولتُه فى جحفلٍ من جنود الريح جرَّار

أشكو إليك همومَ العيش قاطبة شكوى الضعيف لبادى البطش مغوار

يا ريح ما لك من عطفٍ ولا مقةٍ فما حنوّى لقاسى القلب جبار

لا تسألين عن الحادى وحكمته ولا تنوحين من صولات أقدار[1]

وليس يعنيك لا سُؤلٌ ولا سببٌ فليتَ مثلكِ إيرادى وإصدارى[2]

طيف الجنون

أُقلّبُ طرفى فى وجوهٍ كثيرة وأُكثر من تلحاظِها وأطيلُ

وأبغى بديلاً من هواكِ يتاح لى وهيهاتَ مالى من هواكِ بديلُ

وكيف وعندى من خيالك حارسٌ تجسَّم حتى ما يكادُ يزولُ

فيهمسُ فى أذنى ويسرى بخاطرى ويسمعُ ما أشدو بهِ ويقول

ويشغلنى عمَّا سواه فإن أرد سلواً تصدَّى دونه فيحول

كأنّى أسيرٌ وهو فى السجن حارس فمالى إلى وجه الخلاصِ سبيل

وأفزعُ حتى تشعرَ النفسُ جِنَّة وأرجو مُجيراً فى الممات يغول

وأعجبُ من أمرى وكيفَ عشقتكم وقد كنتُ لا يقوى علىَّ غليل

---

(١) الحادى : السائق الذى يحدو الإبل ؛ والمراد هنا الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الريح تنساق بأمره .

(٢) أى : ليتنى أورد وأصدر أمور الحياة من غير تشك للأقدار ، والسؤال عن حكمة الله فى خلقه .

وأرخصني حبيك من طول هجرةٍ فـإنَّ عـزيزَ العـاشـقين ذليلُ
فـأبكي على نفسي وليس بنافعي إذا تلفت نفـسي لديك عـويلُ
وأبكي على العزمِ الذي أنا ناشـدٌ فـعـزمي شـريد في هواك ضئـيل
أُناديه هل من سلوةٍ فـتـريحني وقـد صُمَّ عـزم من هواك قـتيل ؟
فـيـا جَنَّةَ العُشـاقِ ظلُّك وارفٌ وإنِّي في حَـرِّ الغـرام أقـيل
لئن لـم يرُحني الطيفُ منه بهجرة جننتُ فـهل يبكي عليَّ خليل ؟
فإنَّ اقترابَ الطيفِ سحرٌ وشقوة وخـبل أليمٌ في الفـؤادِ دخـيل
تملَّك أرضي رحـبـهـا وفـضـاءها وأصـبحَ في أفق السَّمـاءِ يجـول
ويسـخر بي طوراً وطوراً يهشُّ لي فـأنت قَطوع والخـيـالُ وَصُـول
وأحـسب شـيطانًا من الجنِّ آثمـاً يُليح بحـسـنٍ منكمُ ويصـول
وكيف يفرُّ المرءُ من ظلِّ جسمـه فطيـفُك لي ظلٌّ لـديَّ ظليل
وأستعطفُ النِّسيانَ في الحبِّ إنَّه طبـيـبٌ وقلبي من هواكِ عليل
فمن لي بكأسٍ منه تمحو لواعجي فـحـبُّك داءٌ للضلوع أكـول ؟

المموه

شـهـادة للكريم يبـغـضـه الـ وغـدُ صـيـال اللئـامِ بالتُّـهـمِ
ولستُ أخـشى زورَ المقـالِ إذا أودت بما يخلقـونه شـيـمي
يحـزنني المرءُ ذو الفطانة والـ ـلب بنفسٍ شنعـاء كـالظلم
قد تسفلُ النفسُ والحجى صعـد في راجح العـقلِ سـاقط الهـمم
وأنـت لا فـطـنـة ولا أدب يكبح شين الخـصـالِ باللُّجُم

إن أخـا اللؤمِ ينتـشى بأذى الـ ... شـتم ويبـغى الخليلَ بالألم[1]

يغـالط الناسَ عن مـقـابحـه ... وهو كنابٍ مـخـضَّبٍ بدمٍ

يحسبُ خـفـضى لشانه عظَمـاً ... هيـهـات مـا كـان ذاك من عِظَم

لستُ ملومـاً إذا علوتُ وأخـ ... ـطاك عـلاء فـالذنبُ للقِـسم

يحسبُ قـدرى رهناً بسبـتـه ... هيـهات ليس الحضيضُ كالعلم

هيـهات مـا سبـة الحـقـيرِ أذى ... كلّ امـرىءٍ قـادرٌ على التـهم

وليس قـولُ السبـابِ مـعجـزةً ... حتى تباهى بالهُجْر فى الكَلِم[2]

وغـادرٌ قـد غـفـرتُ زلتـه ... فـمـا رعى لى فـضـيلةَ الكرم

وعـاد يبـغى بشـتـمـه ألمى ... يا خبُّ، مـاذا تلذُّ فى ألمى ؟

ويـوهـم النـاسَ أنـه مَـلَـكٌ ... وأننـى لسـت راعـىَ الـذمم

يحـسبُ رأىَ الأنام نهـبـة خـ ... ـدّاع وأنَّ الصـوابَ كـالحُلُم

يزعمُ مـا سطَّر الورى كـذباً ... والفضل والنقص ليس فى الشيم

بل فى ادعـاءِ اللبيبِ إن خـدع الـ ... ـناسَ جـمـيـعًـا بباطلِ الكَلِم

يحـوكُ من نسجِ كـذبه كـفناً ... للنفس ، والنفسُ منه كـالرمم

أو عنكبـوت ذمـيـمـة سكنت ... بيـتًـا من الكذب حيكَ فى الظُّلَم

الكذب أحبـولةٌ يصـاد بهـا الـ ... ـقانص فيـهـا عـدلٌ من النقم[3]

لتـقـضـمنَّ البنانَ من ندمٍ ... لو كنت تدرى فـضـيلةَ التدم

والشـرّ قـد تجـتـويه من نـدم ... يدعـو نفوسًـا لأحسن الشِّيم[4]

---

(١) ينتشى : يسكر .

(٢) الهجر بضم الهاء وسكون الجيم : السب فى الكلام .

(٣) الأحبولة : حبائل الصياد .

(٤) تجتويه : تكرهه .

لا يندم المرءُ نفسه خبثت — فأنكرت خُبْثَها من السَّقم

تحمل الناس وزرَها أبداً — وذاك يغرى بزلة القدم[1]

شقوة العيش

حياتى ! أما للنحس حدٌّ ولا مدى — فإنى كرهت العيشَ فى أول الصبا!

حياتىَ ! إن الجسم يبلى ودونه — فؤادٌ شجىٌّ ليس يدركه البلى

إلى مَ حياتى أذرف الدمعَ حسرةً — ولا ينفع المحزون أنْ ردَّد البكا

وبين ضلوعى للتصبرِ لوعةٌ — تحملنى ما لا أطيق من الأسى

وحتى متى أبلو نفوساً ضئيلةً — أبين لها ودِّى فتبدى لىَ القلى ؟

وحتى متى يُبغون ضرِّى وشقوتى — ومالى لوُ خيِّرت فى الناسِ من عِدَى ؟

يهيجون أقذارَ النفوسِ بشرِّهم — فما يقنعون الدهرَ منىَ بالصفا

فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلٌ — إذا ماطفا من كدرةِ الشرِّ ما طفا

وليس لهم نفعُ يرجّون نيلهَ — إذا ما كوى قلبى من الهمِّ ما كوى

كأنَّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةٌ — فقد أُغرم الإنسان بالشرِّ والأذى

ينالون من قلبى بنابٍ ومخلب — وماراعهم أن خضَّبوا القلبَ بالدما

كأنى ربيبُ النحسِ ليس يجوزنى — فياشرَّ ما راعٍ يجور إذا رعَى[2]

إذا كان فى نحسِ الفتى شرفٌ له — فمالىَ لم أشبع من المجد والعلا؟

يقولون بؤس العيشِ نبل لصابرٍ — فلا مجد إلا فى ذوى النحس والشقا

---

(١) أى ذاك يغرى بالآثام .

(٢) يجوزنى أى يتعدانى .

فإن كان في هذا العذاب مهذّبٌ ... فاغدق على راجيه يا عيشُ مارجا[1]

حياتي ! أعفواً جئتِ أم عمد عامد ... قضى من صروفِ الدهر في الخلقِ ما قضى

ولو أنني كالناس لؤماً وغلظةً ... جريتُ على شرع الزمانِ كما جرى

فيا موتُ أقبلْ لا كإقبال رائع ... مرير كطعم العيش يؤلم من حسا[2]

ولكن كترنيقِ النُّعاس بمقلةٍ ... طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا[3]

وكن لي على الأحزان عوناً ورحمةً ... فما نافعي في العيش لومٌ ولا رضا

وما طلبي للموت تطلاب كاذب ... رأى الموتَ ينحوه فأبكاه ما رأى[4]

فإنَّ حياتي غلةٌ ريها الردى ... وخيرُ شرابِ المرءِ ما نقع الظُّما

فتخمد نارٌ كان جمًّا ضرامها ... إذا ما خبا من لوعةِ العيشِ ما خبا[5]

فيا قلبُ كن في الصدر كالميت واسترح ... كفى من مرير العيشِ يا قلبُ ما مضى

لعلك إن نهنهت يا قلب رغبةً ... وعفتَ طماحَ العيشِ يدركك الردى[6]

فيا ليت أن المرءَ إمَّا دعا الردى ... أتاه فلا نحسٌ يروع ولا أسى

أما يصطفيني الدهرُ إلا لحسرةٍ ... فهلا اصطفى لي عيشةً غير ما اصطفى

ويشعل في قلبي جحيماً ، وناسه ... شياطين ، فيه تضرم الهمَّ والجوى

أداريهمُ جهدي وما ذاك نافعي ... وأمنح منهم مُدعي الفهم ما ادّعى

فأصبحت أخشى الناس في كل خطرةٍ ... وأفرق من داعي المودة إن دعا

ومن شقوة الإنسان أن حار لبه ... وأصبح خفاق الأضالع والحشى

(١) على راجيه أي على راجي هذا التهذيب الذي في المصائب . (٢) حسا يحسو : شرب .
(٣) الطلا مقصور الطلاء الخمر . أي أحب الموت الذي يحس به المرء كما يحس بلذة النعاس وراحته أو لذة الخمر ونشوتها . (٤) ينحو : يقصد . (٥) خبا : خمد . (٦) نهنه : زجر .

كــأنىَ بين الـنـاسِ مـن أهل عــالـمٍ جـديـدٍ غـريـب أخطأ الأهل والحـمى
فـمـا لىَ من عطفٍ لديهم ورحـمـة ولا لىَ فـيـهـم من إخـاءٍ ولاهوى
يعـيـبـون نـفـسى ضـلـةً وجـهـالة ويرمـونـنـى بالسـوءِ والمكرِ والخنى
إذا مـا أراد المرءُ إخـفـاءَ عـيـبـه رمى غيره بالعيب لم يعْدُ من رمى[1]
ومـا قـومىَ الـقـوم الـذين أراهـمُ ألا إن قومى فى البـعـيـد من الدنى[2]
كـأنَّ حـيـاةَ الناسِ ضـجـةُ أخـرق وعيشىَ فيهم نغمة البؤس والأسى
وأوجع مـا لاقـيـت جـاه مـصـدق كـأن ثيابَ الجاه خيطت من الحجى
يخـال ذووها فى كـمـالٍ وعـفـةٍ وتحت ثيابِ الجاه ما شئت من خنى
يصـدق رأى الجمعِ والجمعُ ظالم ويحـقـر رأى الفـرد ريان من نهى
بذا قـضت الأخلاق مـا بين أهلهـا وما تنفع الشكوى ألا خاب من شكا !
وكم من جموعٍ ليس تعدل واحـداً فإن ظلام الجهلِ فى الناس كالعمى[3]
فيـا شـقـوة الأيام هل منك مـهـربٌ فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا ؟
كـأنَّ هـمـومَ المرءِ ذنبٌ مـراوغ فيـابؤس مـقـتـولٍ ويابؤس من نجا[4]
وبعض دواعى العقل حربٌ لبعضها فلا يعرف الإنسان فى العيش من دعا
أليس الحجى والحقُ لغزاً ومجـهـلاً فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟[5]

أمل ميت

لحبّك من عـمـرى أخـيـرٌ وأول وإنك فى قلبى حـبـيـب مـبـجّلُ

(١) لم يعد : لم يتعد (٢) الدنى : جمع دنيا (٣) أى لا توازى واحداً
(٤) لأنه لا ينجو إلا مقروحاً ممزقاً (٥) المجهل : الأرض المجهولة .

قصرت عليك الأنفسين محبة ... فحظك من حبّى فؤاد ومِقْوَلُ[1]

وإن كنتُ قد قطعتُ قلبى صبابةً ... وعرضت نفسى للذى ليس يجملُ

وذكرتنى العهد القديمَ الذى مضى ... وشوقنى الودّ الأغرّ المحجل

فحتّى مَ أرجو منك ما ليس واقعًا ... وحتّى م أذوى فى ثراك وأذبل ؟

سفاهةُ أحلامٍ تغرّ وتنثنى ... وتترك قلبى والهاً يتململ

وبشرتُ نفسى منك بالسعد والمنى ... فأصبحتُ أبكى إن ذكرت وأعول

خذ اليأسَ منى مدحةً لك إنه ... جزاؤك عندى نعم ما أتبدل

لفظتُ الأمانى كالبُصاق ولم أكن ... لأغترّ بالآمال لولا التعلل

هو الرغبُ مثلُ الريق إن ساءَ طعمه ... فإخراجه بالمرء أحرى وأمثل

ولكن يأسَ الحبِّ حبٌّ وذكرةٌ ... وفى اليأسِ ما يلقى الفتى حيثُ يأمل

وهل أنت إلا كالأنام وحالهم ... لهم عزمةٌ فى كل يوم تقلقل

يريدون أمراً طرفةً ثم غيره ... فلا العهدُ محفوظاً ولا القولُ يفعل

التفاهم فى الحب

إن خبّروك بسلوةٍ كذباً ... فأخو الملامِ كثيرةٌ تُهمه

ولقد رأوك على جفائك تحـ ... ـنو نحو قلبٍ هانَ فيك دمهْ

فتحدثوا أنى استعضت هوى ... وهواكَ دون القلب مضطرمه

ساموكَ نسيانًا لذى سقمٍ ... لا عيشه تدرى ولا عَدَمه

إن كنتَ أنتَ وأنتَ ذو فطنٍ ... ضاعت لديكَ من الهوى ذممه

---

(١) المقول على وزن مبرد بكسر الميم : اللسان .

أفـمنصـفى من ليس يفـهـمُ مـا ... أعنى ولا مـحـمـودةٌ كَلِمُـه

أفـمنصـفى من ليس مـثلك فى ... لبٌ ولا حَـسُنت بكم شـيـمُـه

أقـسـمتُ بالأشـواقِ نحـوكُم ... وجـوى المحبِ مـشـفَّعٌ قَسَمُـه

فـانظرْ إلى روحى وروحكـمُ ... تبـدُ لديكَ من الهـوى حِكَمُـه

فلقـد خُلقـتم كى يحـبكـمُ ... قلبى فـتـخـصب قلبَكم ديمُه

والحبُ يخـصبُ قلبَ صاحبِـه ... حتَّى يفـيضَ على الورى كـرمُـه

قلبى على الهُـجـرانِ ذو أملٍ ... إنَّ الرجـاءَ مـحـبَّبٌ حُلمـه

بينى وبينك حـاجبٌ فـمـتى ... تنجـابُ عنا فى الهـوى ظُلَمُـه

ومـتى أحـقّق فـيكمُ حلمى ... ويطيبُ من شجنِ الهـوى نَغَمُـه

ولقد عشقتُ فما عشقتُ سدًى ... إنَّ الغـرامَ كـثـيـرةٌ نِعَـمُـه

ملك القلوب

حجبوكَ عن طرفى وأنتِ سميرُهُ ... ونَفَـوك عن قلبى وأنت أميرُه

فـوحقّ حـسنِك وهو خـيـر أليَّـةٍ ... الحسنُ فـيك غـريبه وغـريرهُ[1]

ووحقّ حسنِك ما انتفعت بعيشةٍ ... لم يأنَ فـيـهـا من سناك سفـورهُ[2]

كالليلِ، والبحر الخضمٌ، وصرصر ، ... تغـدو عليـه تميره وتثـيـره[3]

ظُلمٌ على لججٍ تجىءُ وتنثنى ... حتى يروع من العُبـاب زئيره

يأيُّها المَلك البـعـيـد بودِّه ... لكَ من هواى جليُّـه وستـيـره

---

(١) أليّة بتشديد الياء : أى قسم . (٢) أنى يأنى : أى حان وأن .

(٣) هذه العيشة مثل اجتماع الليل والبحر والعاصفة .

القلبُ فوضى وهو مُلكٌ واسعٌ وُكلتْ إليك شئونه وأموره

فارفقْ بملكك في فؤادي واحتكم ، فالملكُ ملكُك تاجُه وسريره

والحبُّ خرقٌ والوفاءُ سرابه هبهات ما نفعَ المحبَّ غديرُه[1]

والحبُّ كأسٌ قد شربتُ عقارَه لم يُغْنِ فيك صغيرهُ وكبيرُه

أوَ ما أويت لعاشقٍ مُتَعبدٍ لجليل حسنِك دينه وضميره

إن كنت أنت مع الزمان عدوَّه من ذا على جورِ الزمانِ يجيره ؟

والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا يُجنَى لذي الحسن الطريرِ نضيره

وبعثتُ قلبي قاطفاً من روضه والقلبُ يسعى في هواك أسيره

فجنيتُ من ثمر القريض أطايبًا يُجْنَى لغيرك يا حبيب مريره

هذي قصائدىَ التي يُزهى بها وخيالُ شعرٍ للجلال خطيره[2]

ذهبَ الوفاءُ فلا حبيبٌ صفوه يرجى ولا أملٌ تدرُّ درُوره[3]

الحق المكتوم

الحقُ حملٌ يؤود النفسَ محمله إذا مضيت بشلوٍ منه مقبور[4]

إذا كتمت ، فداءٌ لا دواءَ له بل طبه حين يبدو غير مستورِ

كأنَّما النفسُ منه اليمُّ مصطخبًا يظلُّ يضربه وقعُ الأعاصير

والفكرُ كالنارِ في الأحشاء كامنة حتى يذاع فيبدو ساطعَ النور

لا تكتم النفسُ حقاً أبصرت أبداً فللأجنة حد في المقادير[5]

---

(١) الخرق : المهمه والقفر (٢) أي تستدعي العجب والزهو (٣) الدرور : الكثيرة اللبن (٤) الشلو جمعه أشلاء : وهي أعضاء الجسم بعد التفرق والبلى

(٥) الأجنة جمع جنين : أي أن الحق المكتوم مثل الجنين ، وكما أن الجنين إذا نما لابد أن يخرج كي لا يقضي على الحامل ، كذلك النفس لابد أن تخرج ما تحمل من الحق .

هو الوليدُ وليدُ النفسِ تحمله ... كأنه الطفلُ يُغْذَى فى المقاصيرِ

إن كتَّمته على رغمٍ لذلتها ... عاشت بحال بغيضِ العيشِ مصدورِ

والحرُّ إن لم يُطق إرسال فكرته ... راع الأنام بدامى الصدرِ منحورِ

قد حدثت نفسه عيسى بقلتها ... وكاد أحمد يقضى غير مذكور(١)

أشقاهما من لجاجِ الحقِ شدّتهٌ ... والحقُّ فى الناسِ خافٍ غيرُ مشهور

والحقُّ يقتل نفسَ الحر إن كتمت ... نداءَه خوف إقدامٍ وتشمير

والحقُّ تذعر نفسَ الحرِّ روعته ... وغافلُ القلبِ ميتٌ غير مذعور

والحقُّ إن لم يُجَب كالوحش مفترسًا ... كأنما وقعُه وقعُ الأظافير

ويوسعُ النفس لسعًا حين تكتمه ... كأنما لسعُه لسعُ الزنابير

والحقُّ منكتماً كبل وجامعة ... غُلّت على خاشعِ الآمال مأسور(٢)

وليس ينفيه نكران ولا فَرَق ... وليس مندفعاً بالزورِ والجور

بلاغ الحب

أيا نفس من نفسى إليه مشوقة ... ومن هو فى نفسى أميرٌ وحاكمُ

أحبك حبًا ليس يدركه قلى ... قلى الحب ما أدت إليه المآثمُ

إلى مَ تحول الحجْب بينى وبينكم ... كأنك أحلامٌ وإنى نائم

ولو كنت تدرى قدرَ حبىَ كله ... لأبديت لى النفس التى أنت كاتم

---

(١) إشارة إلى حادثتين فى حياة محمد وعيسى عليهما السلام : إذ اشتد بهما لجاج الحق فكاد يدفعهما إلى الموت .

(٢) الجامعة : قيد يجمع أعضاء المرء بعضها إلى بعض .

فلا تُخْفِ عنى يا حبيب سريرةً		فلستُ بشارٍ للنفوسِ يساومُ[1]
وكن لىَ مثل الماءِ يبدى ضميرَه		ولاتكُ مثلَ الليلِ ، والليلُ قاتم
بذاك يصحُ الحبُّ بينى وبينكم		وتثبتُ منه فى الخطوبِ الدعائم
فلو كنتَ بين الناس ربًّا معزَّزاً		ونادوك أنى فاتكُ النفسِ جارم :
لألفيتُ غفرانًا لديك ورحمةً		فما يغفر الزلَّات إلا الأعاظم
وإنك لو أصبحت فيهم مرجّما		فإن فؤادى ناصرٌ لك راحم
ستعلم يوماً أننى لك عاذرٌ		وإن كان بين الناس عادٍ ولائم
فإنى قتلتُ العيش علمًا وخبرةً		فما راعنى فى الناس خِبٌّ مسالم
ولستُ كمن يرجو على الحبِّ رشوةً		وينفثُ فيها ما تكيد الأراقم
بسطتُ لكم عرضى مجَنًّا يقيكمُ		وأنف الذى يسعى لكيدك راغم[2]
نظرتُ إلى الأعمال كيف ابتعاثها		فما راعنى إلا النفوسُ الرواغم
وماقسموا الأفعال قسمةَ عادل		وهل حاكمٌ بين السرائر حاكم
فللمرءِ فينا خادمٌ من ضميره		وما لسواه منه عونٌ وخادم
يرى أنه فى فعله غير آثمٍ		وأن سواه فاتك النفس آثم
وما العيشُ إلا خدعة بعد خدعةٍ		وما الناسُ إلا مستغيثٌ وظالم
وما دنَس أن تمنح الحبَّ ما كراً		إذا أنت غرتك الثنايا البواسم
يعيبك أنْ محَّضته الحبَّ جاهداً		أينقم أنْ محّضته الحبَّ ناقم
وما خيرُ حبٍ أحكم الكيدُ أمره		سيدهمه صرفٌ من الدهرِ هادم

(١) شرى : تستعمل فى الأضداد ، يقال شرى بمعنى اشترى ، وشرى بمعنى باع .

(٢) المجن : الترس .

وكلُّ لئيمٍ يجعل الحبَّ سُبّةً ... فتعدو عواديه وتسرى المظالم

وهل سُبّةٌ فى الزّهر أن فاحَ نشرُه ... وأن هدلتْ فى وكرهنَّ الحمائم

وألْوَمُ من عاداك من هو حقبةً ... شريكُك فى أفعاله ومقاسم

فلا تأسَ أنَّ الناسَ خبٌ وكائدٌ ... نصيبُك من قلبى مجيرٌ وعاصم[1]

وإنّك لا تجديك خشيةُ كائدٍ ... وإنّك لا يُجديك أنك نادم[2]

فياليت لى عزم القضاءِ وحوله ... فتُحمد بين الناس منك العزائم

أعلمك الأمرَ الذى أنا عالم ... وأمنحك العزمَ الذى أنا عازم

فإن أنت لم يُكسبك حبىَ رفعةً ... ولم ترو نفسى من هواك المكارم

ولم أخلُ من شكٌ تعالج مثله ... ولم يُزج نفساً نحو نفس تَفَاهم

ولم تمتزجْ نفسى بنفسٍ أحبها ... كما يمزج الصهباءَ بالماءِ ناعم[3]

ولم يبتعثْ حبى للبِّك فطنة ... ولم تطَّبينى من هواك العظائم[4]

فوا أسفاً لا حبَّ يجدى لديكمُ ... عُلا الحبِّ ماتبغى النفوسُ الكرائم

الآمال الذاوية

أيا فتنةَ الأحلام قد لاحَ كذبُها ... محال علينا أن نلذَّ بك النوما

لقد كنت فى عيشى مصابيح حلية ... فقد صارت الأيامُ أغربةً سُحما[5]

فيا حسن مرأى العيش لو عاد حلمُه ... وإنّ ألذَّ العيش ما خلته حلما

عزيزٌ علينا أن نقولَ بكذبه ... وأن لا يكون الحسنُ إلا كذا وهما

---

(١) لا تأسَ : أى لا تحزن (٢) لاتجديك : لا تنفعك (٣) ناعم : أى مترف متنعم .

(٤) اطبى : استمال (٥) سحما : أى سودا .

لقد كنت زادى فى الحياة ونهلتى ... فلما استبان الحقُّ زودتنى الهمّا

أأرثيك أم أقلاك لو ينفع القلى ... كلا ذين فى قلبى يجدد لى كَلْما[1]

كأنى غريقُ اليمّ قد لاحَ حينه ... ألوذُ بزهرٍ منك أعلو به اليمّا

فيا لائذاً بالزهر خابَ تشبث ... بوهن فما وهن لدى مهلك عصما

يرجى غريقُ اليمّ حتى عدوه ... ويحسبُ زهراً طافياً أجبلاً شمّا

فيا حسنَ أحلامٍ تقضّت لذيذة ... ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلما[2]

وكانت حبيبًا مات أنكرت هلكه ... أقلبه طوراً وأوسعه لثما

عسى أن تعودَ الروحُ جسماً أحبه ... فأكلاً من وقعِ البلى ذلك الجسما

وهيهات يُعفى النتن جسماً نحبه ... فكم ذلَّ جسمٌ لم ينل قبله وصما

كذا أنت آمالى التى غالها الردى ... وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدما

على مَ تُرى الأقدار ما لا نناله ... وتزجى نفوسًا كى تتوق وكى تظما

إذا لم يكن فى منهل العيشِ طبها ... فيا ربّ أطماعٍ تدوف لها السما[3]

أعيرى جناحًا كى أنالَ به المنى ... ونبلاً لكى أرمى به مثلما أُرمى

فإنَّ سنا الآمالِ أعشىَ لواحظى ... فيا طيبها رؤيا تهيج بىَ السقما

وما فتنةُ الآمال إلا كغادةٍ ... تلين لنا كذباً وتوسعنا صرما[4]

وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها ... كذاك ثمارُ السوءِ أخبثها طعما

ولو كان قلبُ المرءِ بالعقل حكمه ... لما زوَّد الأقدار مدحا ولا ذما !

---

(١) الكلم : الجرح ... (٢) الخلم : الخليلة .

(٣) تدوف السم : أى تمزجه ... (٤) الصرم : الهجر .

شكوى

حياةٌ كدمعِ العين أمّا مذاقها — فمرٌّ ، وأمّا وقعُها فوجيع

وإنّ الأمانيَّ التى أنا ناشد — فقاقيع ، طرفى نحوهن نَزُوعُ

تقدمنى فى الناسِ من لم يجارنى — وأخّرنى أنّ الذكاءَ يروع[1]

وأخرنى أنَّ اللبيبَ محسّدٌ — على فطنةٍ يعصى بها ويطيع[2]

كأنّى بجارى النهر صخرٌ تجوزه الـ — ـمياه وما للجاريات رجوع

يمرٌ لداتى واحداً بعد واحدٍ — أمامى ، وعيشى فى الهوان يضيع[3]

وأوجع ذلّ النفسِ طاعة سائدٍ — تعلّى ، وقدمًا كان وهو مطيع

أيخشون منّى خلةً عبقريةً — فيغلو مقالٌ أو يسوءُ صنيع؟[4]

ويبغون أن لا يجتلى البرق فى الدُّجى — بعينٍ ولا طيب النسيمِ يضوع؟

فيا نفس صبراً إنما العيشُ لوعةٌ — وما للذى يشقى القضاءُ شفيع

وإنَّ حياةَ الطامحين عواصف الـ — ـشتاءِ وعيشَ القانعين ربيع !

العلم وعزة النفس

رأيت بيوتاً كالوجارِ ذليلةً — ألا إنَّ عيشَ الجاهلين عليلُ[5]

رضاءٌ بعيش البهم والخصبُ وافرٌ — ومركب من يبغى العلاءَ ذلولُ

---

(١) أى أن الناس تسىء الظن بالذكى وتحار فيه وتخشاه ، فلا تسعى فى تقديمه ونفعه إلا إذا كان عنده من الدهاء ما يمكنه من مداجاتهم وخداعهم .

(٢) إذ إنهم يريدون المرء للطاعة فقط لا للفطنة مهما جشمته الطاعة من الضعة والنذالة

(٣) لداتى : قرنائى

(٤) الخلة : الخصلة والصفة (٥) الوجار : بيت الكلب .

يعيشون كالأنعام في نفع ربها ... ولكنَّ مرعى الجاهلين وبيلُ[1]

ويعلو الفتى بالعلمِ عن كلّ ذلّةٍ ... وكلُّ جهولٍ لو فطنت ذليلُ

وفي الجهل أسرٌ للنفوس ورهبةٌ ... هو الجهل داءٌ للنفوس قتولُ

ويرضى جهولٌ بالقليل مهابةً ... ولا يطّبي المرءَ العليمَ قليلُ

وتعظم نفس المرءِ حتى كأنها ... عوالمُ فيها الكائناتُ تجول

على قدر علمِ المرءِ عزةُ نفسه ... فأهل النهى في الصاغرين قليل

وأكثر ذلّ العاقلين خديعة ... وأكثر ذل الجاهلين خمول

وما العلمُ إلا قوة واستطالة ... يحكمه أهلُ النهى فيصول

فلا تحسبن الحربَ سهماً ومغفراً ... فإن سلاحَ الصائلين عقول[2]

وكم بلغت شأوَ العلا في منيةٍ ... نفوسٌ على حدِّ السيوفِ تسيل

وكم أخطأ العلياءَ غرٌّ ونالها ... سريعٌ إلى داعي المنون عجول

وفي ملك أهل الجهل جبن وذلةٌ ... تراه إذا ما لم يزل سيزول

وفي العلم حسنٌ للنفوس وبهجةٌ ... وعيشٌ نبيل لو فطنت جميل

ويفزع أهلُ الجهل من كل حادثٍ ... كما خاف طفلٌ في الظلام يجول

وكم خفض الأقوام أن زال علمهم ... فأصبحَ صرحُ العلمِ وهو طلول[3]

وكم ترفٍ للعلم والعزّ قاتل ... يزل حَمِيّات النهى فتزول

فلا علم إلا عابث كلَّ ذهنه ... ألا إنَّ ذهنَ المترفين كليل

كذلك حالُ الغابرين فلا ترى ... علاءً مضى إلا عليه دليل

فإن صروفَ الدهرِ في وثباتها ... سيولٌ على آثارهنَّ سيول

(١) الأنعام : البهائم الراعية .   (٢) المغفر : زرد للرأس .   (٣) الصرح : القصر المتين .

فيا مَنْ لغرقى أثقل الجهلُ ظهرَهم ... وللْجهلِ حملٌ فى الحياة ثقيلُ[1]

كـأنَّ ظلامَ الجـهلِ بين عـيـونهم ... سـتـارٌ على مـا يكرهون سـديلُ

لقد أرمدت شمسُ العلاء عيونَهم ... فطرفـهـمُ دون العــلاءِ كليل

همُ يحسبون المجدَ نهبةَ باخلٍ ... يقـتّـر فى مـسـعـاته ويكيل

ومـا علمـوا أنَّ النفـوسَ وسـائلٌ ... يجـودُ بهـا باغى العـلا ويصـول

ومـا غبن الأقـدار باغى طليـبـة ... ضنين بما يدنى الطليب بخـيل[2]

على قدر ما يُعطِى الفتى هو آخذٌ ... فمجـدُ الذى يُعطى الجزيلَ جزيل

ويبـذل من أعـمـالهِ وحـيـاتهِ ... عظيم بنيلِ السَّاميات كـفـيل

وقد يضجرُ اليقظان من سقم عيشهِ ... وليس بجـمـعِ الجـاهلين ملول

فـصبرُ الجهولِ الفـدم نومةُ راقدٍ ... ولكنَّ صبرَ العـاقلين مـقـيل[3]

نجم الحياة

أنتم رجـاءُ حـيـاتى ... يا طيـبـه من رجـاء

وأنـتمُ نجمُ سـعـدٍ ... يضىء وجـه سـمـائى

لولاه كـانت حـيـاتى ... كـاللّيلة الليـلاءِ

مـالى لديك شـفـيع ... إليك غـيـر وفـائى

لا تتـركنَّ حـيـاتى ... فـريسـةً للشـقـاءِ

فـإن نبـهـت ذكـاءً ... فـأنت واقى ذكـائى

---

(١) الجهلاء لايحسون ثقل الجهل ، ولكنهم يحسون سقم العيش وسوء الحال الذى سببه الجهل .

(٢) الطليب : المطلوب .   (٢) الفدم : الغبى .

وإن بلغت علاءً فأنت أصلُ علائى

وأنتُمُ نجمُ حظىَ من شقوةٍ ورخاءِ

إن شئت وقّيت عيشى مصارع الأدباء

فلا تكلنى لقومٍ لا يسمعون دعائى !

ذل المشيب

تمر بىَ الأيامُ حتّى تروعنى لذلِ مشيبى لا لوقعِ شَعُوب[1]

وأخشى مزيدَ العمرِ يسلب جدتى فأشقى بوهنى واتصال عيوبى

ولم أُلْفِ خلاً فى الشباب مصادقاً فكيف أرجّى فى المشيبِ حبيبى ؟

فيا خيبة للمرءِ قاربه الردى يقول لأيام الشبيبة : أوبى

يجوبُ فيافى الشيبِ والموتُ راصدٌ كما يرصد الغربان هُلكَ غريب

يرى فيهِ أشباحَ السّنينَ التي مضت كما روّع السفاحَ روحُ سليب

وكم نهزةٍ فى العيشِ يبكى ضياعها ولم يرو من جماتها بذَنُوب[2]

تُجِدُّ له ياليت شجواً وحسرةً وهل قوله : ياليت ، غير لغوب؟[3]

ولم أحمد الأيام أيام شِرّتى أأحسب سؤرَ العيشِ غير مريب ؟[4]

أظلُّ غريباً بين أهلى ومعشرى وكم أشيب فى قومه كغريب

وأصبح كلاًّ فى العشيرةِ مقعدًا يقتّر رزقى أو يملُّ قريبى

---

(١) شعوب : أى الموت . (٢) الذنوب : النصيب وأيضاً الدلو الملأى ماء ، والجمات : المقادير الكبيرة من الماء (٣) اللغوب : التعب والإعياء (٤) السؤر : ما يترك فى الإناء من فضلة الماء ، وشرة الشباب : نشاطه .

ويهزأ بى الأهلون من بعد هيبة وأخشى وقدماً كنتُ غيرَ هيوبِ
وأصبح منسياً وإن كنتُ شاهداً كأنى خفىُّ الجسم غيرُ قريبِ
وكم قائلٍ ما باله طالَ عمرُهُ سها الموت أم ما عمره لشَعُوب
ويخطىء سعى الرزق أيام مِرَّتى فكيف إذا أصبحت غير كسوب؟[1]
فزرنىَ فى ليلِ الشباب كسارقٍ ولا تنتظرْ ياموتُ ذلَّ مشيبى !

خطوة عن عالم الحسن

خطوة لا خطوتها أبدَ العمـ ـرِ خطت بى فى عالم الأرواحِ
أخرجتنى من عالم الحسّ حتى خلت أنى أقضى بحَيْنى المتاح[2]
غاب عنى الوجودُ واستشعر الحـ ـسُّ اغتراباً عن صرفِ دهرى الوقاح[3]
خلت أنى فى النوم أبصرُ حلماً كيف أُغْفِى والقلبُ يقظان صاحى
رحتُ أسعى كمصحرٍ بان عنه الـ ـصحب فرداً ذا وحشةٍ واطّراح
أو كذى الجُرم حين طال به السَجْـ ـنُ يضلُّ الطريقَ عند السراح
عالَم غير عالم الحسِّ أبغى فيهِ عوناً على الصروفِ الشحاح
حيث تبدو النفوسُ فيه جهاراً عاريات من جسمها والوشاح
فنفوس ملساءُ كالغادةِ الرو دِ وأخرى قد أدميَت من جراح
وأرى فيه كلَّ أمرٍ تقضَّى من سرورٍ وخيبةٍ ونجاح
وأرى ما دفنت من خطرات وأرى فيه ما مضى من طماح
وتكاد الأشباحُ يلمسها المر ءُ لها جَرْس فرحة أو نواح[4]

---

(١) المرة : الشدة والقوة . (٢) الحين : الأجل . (٣) الوقاح : الشديد . (٤) الجرس : الصوت .

وأرى أوجـــهَ الدّهور التى فـــا ... تت بسلم من أمــرها وكــفــاحِ

وأرى أوجـــهَ اللّيـــالى التى مـ ... ـرّت ســراعــاً بنا كـمــرِّ الرياحِ

وأرى عـيـشـىَ الذى قــد تقـضّى ... فى صــلاحٍ أو غـيــةٍ وجـمــاح

وأرى وجــه من عــرفت ومن مــا ... تــوا ووارهـــمُ أديم الــبــطـــاح

فـعـــرانى القنوطُ من صـولةِ المو ... تِ ومــا لاحَ فى رُباه الفــسَـــاح

وابتـــغـــيـت الطريقَ أرجع للحـ ... ـسِّ فـأشـفى به أوار التـيـاحى[1]

غــيـر أنّى أضللتـه ومـضى بى الـ ... خطو حـتى أنكرتُ وجـهَ رواحى

خطوةٌ إثْر خطوةٍ فـيــهِ حــتى ... قــد هدانى خطوى لنهجِ النجـاح

خـــذْ بقـــولى ولا تضلَّ عن الحـ ... ـسِّ فـيــا ربَّ نعمــةٍ فى انتـصـاح

إنمــا الـفـكـرُ خـطـوةٌ تـنـقـلُ المـر ... ءَ فــحـــاذرْ إضـــلالَ وجـهِ المراح

الحسن الكاذب

وددتكـمُ جـهـدى فـمــا نَفَعَ الودُّ ... ولم يُدننى منكم وفـاءٌ ولا عـهـدُ

فـلا تـرحــمــوا قلبــاً يحنّ إليكمُ ... فـإنّ فـؤاداً ليس يـهـجـركم وغـدُ

لئن لم أبت خلواً من الشجو والجوى ... أقـرُّ وألهـو ليس يكـرثنى البـعـد[2]

فـــإنّى خـليقٌ بالتـنقص والجـــفـــا ... وإنى خـليقٌ أن يتـيــه بك الصــدُّ

★★★

وعنّفتُ قلبى أنْ عــتـبـتُ عليـكُم ... فـبـعضُ عـتـابِ المرءِ يبـعـثه الحبُّ

أتعـذلُ من أبدى لك الغـدرَ والقلى ... وأنـتَ مـلومٌ فى حـنـينـكَ يا قـلبُ

---

(١) الأوار : حرارة العطش .	(٢) يكرثني : أي يحزنني .

وقـــد عـــابنى أنى حننتُ إليكـمُ لديكمْ صدقتمْ أنَّ حُبّيكمُ عيبُ
ولـو ودَّ قلبى غـــيــرَكـم لعـــذرتمُ ولكـنَّ حبـًّا ليس يعـدوكـم ذنبُ

★★★

وقـد خلـت أنّ العـقلَ عندك وافـرٌ لقـد كـان ذاكَ الظنّ من سـفـه الحبِّ
فـلا تحـسبنْ أنـى عنيـتكَ بـالهـوى فقـد كـان خُلق غير خُلقك فى قلبى
وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته وقد كنت أهوى ما خلقت من اللبِّ
فـمـا أنا إن جـافيـتَ بـالواله الجِوى ولا أنا إن باعدت بالـهالك الصبِّ[1]

تمثال سوء

يا خِبَّ مـا لحظاتُ البـغضِ قـاتـلةٌ فارجع بلحظكَ مقهوراً ومخذولا[2]
وقطّع اللحظ دونى لا ترى رجـــلاً تحنى له الرأى تعظيـمًا وتبـجيـلا
لقـد نقـمتُ عليه الفضل أجـمعـه فـصـارَ بغضك تضليـلاً وتغـفـيـلا
ســلاحُك الجـهـل لاتهنأ بمضــربه وسيفُك الحمقُ لا تتركه مسلولا
وفى غـــبــائك لو تدريه مـعــذرةٌ عـذرُ البـهـائم مـحـقـوراً ومـرذولا
لو ضـمَّ شـملَ لئـامِ النـاسِ ملكـهمُ أعطيت فى ملكهـم تاجـاً وإكليـلا
فــأنـت تمثـــالُ ســوءٍ صـــاغــه لَبِق يمثّل الشـرَّ والأحـقـاد تمثيـلا![3]

★★★

(١) الجوِى : العاشق . (٢) الخب : الخداع . (٣) اللبق : الماهر .

يقظة فى الفجر

قم فإنَّ الدّهرَ غفلانُ وقضاءُ النَّحسِ وسنانُ
رقَّ ليلٌ أنت راقده فكأنَّ الليلَ ولهانُ
إن جُرْماً أن تنامَ به ما لهذا الجُرم غفرانُ
إنَّ حسنَ اللَّيل مكرمةٌ بغضُها لله نكران
قد أراقَ البدرُ بهجتَه وجحودُ الحسنِ كفران
خذ نصيباً من أشعَته إنَّ روحى منه ملآن
وهمومى منه فى سنةٍ وفؤادى منه يقظان
وهو للأشجان أنغامٌ وأناشيد وتحنان
قم فإنَّ البدرَ زائرُنا إنَّ عمرَ المرءِ عجلان
ربَّ حسنٍ كنت أنشدُه فى ضياءِ البدرِ عريان
اسقنى من ضوئه جُرعًا أنا منه الدهرَ نشوان
لىَ منه خمرةٌ لطفت وعلالاتٌ وسلوان
قد نسيتُ العيش أجمعه إنَّ طِيب العيشِ نسيان
باعَ أهلُ الحُسنِ حسنَهمُ ما لحسنِ الليلِ أثمان
لُذْ بما يعطيك من مُلَحٍ كلُّ ما يعطيك مجان
كم رأى من قبلنا أُممًا وكأنَّ القومَ ما كانوا
فتمتع إنَّها فرصٌ وطباعُ الدَّهر حرمان
قُمْ فإنَّ النفسَ يؤنسها من نجومِ الأفقِ جيران

ونجـومُ الأفقِ تنظمـهـا … فـوق رأس الليلِ تيـجـانُ

وهـى جـنـاتٌ لـذى أمـلٍ … وهـى لـلأرواحِ أوطـانُ

وهى للمـفلوكِ عـقـيـان … وهى للمهـجورِ سلوان[1]

وكـأنَّ الـنـفسَ طائرةٌ … فلهـا فى النجمِ بسـتـان

إن حـسنَ الـليلِ آيتـه … فى ضـمـيـرِ الكونِ وجـدان

وقـصـيـدُ الكونِ يطربنا … منـه أشـعـارٌ وألحـان

قم فـإنَّ الـفـجـرَ طارقنا … إن وجـهَ الأفق عـريان

فى احـمـرار الخـدِّ رونقـه … فكأنَّ الأفقَ خـجـلان

ونسـيمُ الـفجـرِ يلثـمكم … فـفـؤادى منه غـيـران !

قبر فى القلب

وجـعلت أبحث فى الفـؤاد كـأننى … فى الأرض أنكُتُ جاهداً لا أفْتُرُ[2]

حـتى رأيتُ هناك قـبـراً غـائراً … للحبُّ قـدمـاً كـان غـدرك يحـفـر

وعليـه مكتـوبٌ بحـرفٍ من دمٍ … الحـسنُ خـدَّاعٌ يغـرُّ ويغـدر

قـبـرٌ دفنت به الصـبـابةَ والمنَى … ولذيـذُ عـيـشى فى جـوارك يزهر

وجـزعتُ حـتى قـيل ليس بصـابر … وصبـرتُ حـتى قـيل لا يتـذكَّـر

وخَبَرْتُ حـالات التـسلى والهـوى … فرأيتُ خيرَ الحسنِ ما لا يُخْبَرُ[3]

---

(١) المفلوك : الفقير المعدم ، والعقيان : قطع الذهب الصغيرة . (٢) نكت الأرض : نثر ترابها .

(٣) أى خير الحسن ما لا يجرب ويختبر .

فالحسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرَّزٌ والقبحُ في ثوبِ المحاسنِ يُستر[١]

يا قبرُ هذا الشّعرُ فوقك حليةٌ والزهرُ في قبرِ الأحبةِ يُنْثر

يا قبرُ أنت قرارةٌ أرمي بها ما لا أطيق من الهمومِ فتُغمر

والقلبُ مثلُ البحرِ يفزع قاعه أهنا قلوبِ الخلقِ ما لا يُسْبَر[٢]

كم فيه من أثر العواصفِ راسبٌ أبدًا به لا يُستطاع فيُنْظر

فاطوِ الفؤادَ على الهمومِ كأنها رمم على رممٍ به لا تُنْشَر

لو كُشّفتْ سِيَرُ النفوس لراعها منها علامات تسوء وتَذْعُر !

صرصور الشعر

يا أيها الشانىء المغرور يشتمني ارفق بنفسكَ ليس الشتمُ يؤذيني !

لذْ بالجبالِ وضعها فوق فضليَ واشـ ـتمني كما شئتَ شتمُ الوغدِ يعليني

واجهد عليَّ إذا ما شمت محمدةً منّي فكلُّ خفاءٍ ليس يخفيني

واذم مقاليَ وازعم أنني رجلٌ مغرى بكل ضئيل الرأيِ مافون[٣]

وانسب إليَّ عيوباً لست محصيَهَا وصِلْ بكلٍّ رهيف الحدِّ مسنون

فإن فضليَ مثلُ الشمسِ مشتهراً يبين نقصك من نتنٍ ومن دون

أبعد شدويَ بالآيات يا عجبًا وبعد مسعاى في الغرِّ الميامين :

يتاح لي منك صرصورٌ يناوئني بالرجس والنتنِ يا صرصور ترميني ؟

لو شئت صبّت عليك النعل مسكتة صوتًا يغرِّد في بيت المساكين

---

(١) اللجين : الفضة . (٢) أي أسعد الناس من لا يسبر قلبه ، والسبر : معرفة الغور ، أي من لا يعرف كل ما في أعماق قلبه . (٣) المافون : المكذوب الباطل .

بيتٌ من النظم لا شعرٌ فتحكمه ... ولا نثير متينٌ غير موزون !

لكنَّ نعليَ يا صرصور طاهرة ... عن لمس كل قبيحِ الشكل ملعون !

لوازم الحب

عبثاً أحاول قرب روحكم ... سفه بقلبي ظلّ يوهمه

أفمنصفي في الحبِّ من زمني ... من ليس يفهمني وأفهمه ؟

لا السنُّ دانيةٌ ولا فطن ... وتشابه في الحب يحكمه

وتغاير في السنّ ينقضه ... وتفاوتٌ في العقل يهدمه

فاظفر بظئرٍ درُّها عمم ... إن الصغير ذكاؤه فمه[1] !

النقد القذر

نقدُك هذا وَضَرُ الزيتِ ... لوّثْ به ما شئتَ من بيتِ[2]

يغسله الدهرُ بأمواجه ... إذ أنت فيه طعمة الموت

شعريَ مثلُ الدهرِ في صوته ... وأنت غِرٌّ خافتُ الصوت

إن تعب الناقد في نقده ... بادره باللوِّ والليت !

إيكاروس

العبد الروماني

(حادثة في حياة الرومان)

مضى العبدُ إيكاروس في بيتِ سيدٍ ... يرى الظلمَ حقًّا ليس فيه ملامُ

فيا شقوة العبد الذليل ونحسه ... وفي الظلم لذات الظَّلُوم ترامُ

(١) الظئر : المرضع ، والدر : اللبن ، والعمم : الكثير التام .   (٢) وضر الزيت : قذارته .

فلمَّا طغى بالعبدِ نحسٌ وشقوةٌ   وما كلُّ نفسٍ في الحضيضِ تقام

تأبطَ سيفاً مرهفاً وسعى به   إلى حيثُ مولاه الظَّلوم ينامُ

فأورده من سيفه موردَ الردى   وذلك في حكم الأنام جُسَامُ[1]

وأشعلَ ناراً ليس تخبو ضرامُها   فأصبحَ ذاك القصر وهو ضرام

وجندله بالسيف أنصار ربِّه   فقال وقد أهوى إليه حِمَام :

★★★

قول العبد :

حلالٌ أباحوا وِرده وحرام   وليسَ على العبد الذليلِ حرامُ

قيودٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلة   لها في أنوف الخانعين خطام[2]

وكمْ خدرت نفسٌ بخشخاش مَيْنهم   فصالوا وجاروا والنفوسُ نيام

أحالوا حلالاً أن أذلوا بحَوْلهم   نفوساً ولا مثل المذلَّة ذام

فإن قدَّروا جوراً فقد قُدِّر الإبا   وذلك في حكمِ القضاءِ نظام

وإن جميعَ الناس في الضعف إخوةٌ   إذا لم يخف مرعى الحرام سوام[3]

ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشر سنةٌ   ومن جُنَّ من جورٍ فليس يُلام

هوَ العبدُ عبد النفسِ من عاش راضيًا   ولا يُخضع القلبَ الأبيَّ زمام

وما ظَلمَ المظلوم إلا رضاؤه   وفي كل ظلمٍ للنفوس مدام

وبعضُ التُّقى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ   وفي الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرام[4]

وما الناسُ إلا مالكاً غير عادلٍ   وآخر يرضى بالأذى ويُضام

---

(١) الجسام : العظيم الجسيم .

(٢) الخانعون : الخاضعون .

(٣) السوام : التي ترعى .

(٤) العرام : الشدة والقوة .

وما كلُّ ذى ذلٍّ على الشرِّ قادراً ... وهل كلُّ مَنْ سِيمَ الهوان سنام ؟

ولو خوّف الإنسان من شرٍّ عَيْره ... لما قادَ ذاك العَيرِ منهُ لجام[1]

رضينا «بنيرون» فكُنَّا بناره ... جديرين إنَّ الأتقياءَ حطام[2]

وهل نافعى لو عاش فى الناسِ ناعمًا ... وعشتُ وحظى فى الحياةِ أوام؟[3]

★★★

قول الواعظ:

قضى اللهُ أنَّ الجرمَ للجرم باعثٌ ... وربَّ بريقٍ شُبَّ منهُ ضرامُ

فلا تحسبنَّ الشرَّ فرداً فإنه ... تُؤام إذا جدَّ الردى وتؤام

وللشرِّ عدوى كالوباء وعدوة ... هو الشرُّ فى هذى النفوس سقام

فلا تقصدنْ بالشَّر نفسًا بريئةً ... فقد ينتحيكَ الشر وهو سهام

وإنَّك لا تدرى بما الشر واقعٌ ... وفى أى دارٍ للمصابِ مقام

فأنتَ قسيمى فى اتِّقاء مصابه ... وإنَّا لأكفاء عليه كرام

ألا إنَّ درأ الشرِّ عنك رهينةٌ ... بدرئك عمَّن كانَ منك يضام

فلا تَعْدُ مظلوماً ولا تَعْدُ ظالمًا ... فكلُّ عرامٍ يقتفيهِ عرام

دعابة

(أى مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دلّها أن لا تضنَّ بقبلةٍ ... لأنزل لثمى فى أعزِّ مكان !

أُقبِّل منها الحسنَ فى خير موقعٍ ... برغم حسودٍ راحَ بالشنآن !

---

(١) العير : الحمار ، أى لو خاف الحمّار من حماره لما أذله (٢) نيرون : الإمبراطور الرومانى المشهور ، وينسب إليه حرق روما . (٣) الأوام : العطش .

فيا ليتَ أنَّ الناسَ تُغفى عيونُهم فالثمها فى خفية وأمان !

فوالله ما أدرى أخَدّك أحسن أم العين أم ما تحجب الشفتان ؟

أم الشفةُ الحمراءُ أطيبَ موقع به الشمُّ والتقبيل يستبقان ؟

أم العُنقُ المعقودُ بالنحرِ أطيبُ أم الصدرُ حلّى وجهه جبلان ؟

أألثمها فى الخدِّ والفم طيبٌ ولى فى لذيذات النُّحورِ أمانى !!

لقد حِرتُ حتَّى ما أرى لىَ حيلة وليس لمثلى بالسلوِّ يدان !

دعينى أقبّل كل ما لاح حسنه فكلُّ مكان فيكِ خيرُ مكان !

خليلىَّ فى التقبيل أطيب متعة ولستُ أرى فى الحبِّ ما تريان !

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسانُ آماله وصابه منها كقطرِ المطر[1]

ولم يعد يعرف ما يبتغى ولم يجد فى العيشِ ما ينتظر

لكانَ أشقى الناسِ فى عيشهِ حتّى تقولَ النفسُ أينَ المفرّ

لا عيش إلا بطلاب المنى لولا المُنى فى عيشهِ لانتحر!

بعد زينة

ابتعد عمَّن أحبك لا تُرِح بالقرب صبّك

أنت فى البعد جميلٌ لستُ أبغى منك قربك

قد حمدنا منك بعدا إذ حمدنا منك غيبك

للفقاقيع بهاءٌ قد حكت فى الحسن قلبك !

(١) صابه المطر : أنزل عليه صوبه .

فاعتصم بالصمتِ كي لا ... يعرف العاشق لبّكَ

وإذا لحتَ قريباً ... ما بعثتُ اللّحظ صوبك[1]

خشيةً أن يأخذَ اللّحـ ... ـظ إذا ما لحتَ عيبك !

الروضة المنتهبة

غرستُ روضًا زاهياً زهره ... وحطته من خشية بالبِنا

فجاءَه الغلمانُ في طيشهم ... والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا

وهدَّموا الأسوارَ من قفزهم ... وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى

كأنما نيلُ العلا لعبةٌ ... ما لهمُ لو عقلوا والعلا !

أكثر من طيشهمُ جهلهم ... يُعدون من عاشرهم بالغبا

حتى يرى في عقله ظلمةً ... يضلُّ فيها الرأي إمَّا سرى

إن يسألوا عمَّا بأيديهمُ ... قالوا اشتريناه كما يُشترى

أو يُسألوا عن روضتي جمجموا ... أن ليس في أغصانها مجتنى

ولوثوا الزهرَ بأيديهمُ ... فهانَ حتى صارَ لا يُجتدى[2]

ثم ادعوا كي يعذروا نهبهم ... أنيَ لم أغرس بها ما زها

فكلّهم يسرقُ من روضتي ... وكلّهم ينكرُ ما قد جنى

من يرجِ الشُّكرَ لدى أحمقٍ ... يُبدله عدوانًا بما قد رجا !

---

(١) الصوب هنا الناحية .

(٢) يجتدى . ينفع ، يعطى .

حلم وردة

وردة فى الشتاء تحلم بالصيف

وردةٌ فى غـصنهـا طال كـراها		عـبِق فى نومِـهـا طيبُ شـذاها
مـثلُ أنفـاسِ حـبـيبٍ راقـدٍ		نشـرت نفس مـحبَ فى سـراها
مـــا لهــــا وسنانة ذابلـة		هل ترى فى النومِ أحـلامَ هواها !
حلمت بالصـيف فى ريعـانه		وبضـوءِ البـدرِ يسـقـيـهـا طِلاها
وحـبـيب من هواها صـادح		بأغـانٍ ينتـشى من قـد حسـاها
لا أرى البلبلَ جـسـمـاً طائرًا		هو نفس تشـتكى مـا قـد عناها
لو بدا للنفسِ صـوتٌ وفـمٌ		كانَ شدوُ الطيرِ معنى فى لغاها[1]
باتَ يشكوها بشـعـرٍ سـاحـرٍ		شجو نفسٍ قـد نأت عنهـا مناها
يا عـروسَ الروضِ رفـقًـا بمحبَ		نفـسـه فى شـدوه فـاض جـواها
وهىَ من أشـجـانهِ حـائرة		خـجـلاً تحـمـرُّ منه وجنتـاها
تحـملُ الأنفـاسَ عنهـا نشـرها		كُلَّمـا غنى لهـا فى الشـدو آها[2]
أىُّ شىءٍ قـد نفى عنهـا كـراها		أترى البلبلَ قـد قـبَّل فـاها ؟
فـرأت أن شـتـاءً لم يزل		حـولهـا يا ويحَ مـا منَّى كـراها
حُلُم مـا فـيـه من شين سـوى		أنه غـادرها حـيث بـداها

---

(١) جمع لغة .		(٢) أى إذا تأوه من حبه تأوهت رحمة له فينشر تأوهها نشرها .

الهوى حلم العمى

كان عهدى بالأمانى فى الشباب كـالغـوانى راقـصـات من هيـام

صار عهدى بالأمانى كالسحابِ فى دجى العـيشِ ظلامٌ فى ظلام

كنتُ أرجو العيشَ حلو الثمراتِ صرت أخشى إن دعـا داعى الأمل

كنت أقلى الموتَ مـرَّ الجرعـات فـحـلا لى بعـد كم مـرُّ الأجل

إنَّ عـيشى بعـدكم مـثل الظلامِ أنـتـمُ كنتمْ ضـيـاء البـصـر

احملى يا ريح عن قلبى سلامى وارجـعى عنهم بطيب الخـبـر

عـاد فـجر الحبِّ ليلاً داجـيـاً إن أضواءَ الهـوى حُلْم العَـمِى[1]

بعـد مـا كنتُ زمـاناً راضـيـاً أرتجى من حـبكم مـا أرتجى

تم

(١) أي يحلم المرء بالحب كما يحلم الأعمى بالضوء .

الجزء السادس

ديوان

الأفنان

عن الطبعة الأولى للديوان السادس

عام ١٩١٨

فصل فى أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يحكى أن دوناتلى الإيطالى صنع دمية فأجاد صنعها ؛ فلما رآها أستاذه قال له مازحا : ما ينقصها غير أمر واحد . ثم كتمه عنه حتى مرض دوناتلي من الأسف عليه ، والفكر فيه ، وحتى أشرف على الهلاك . فدعا أستاذه وقال له : قد رأيت ما بي من الداء ، وأنى هامة اليوم أو غد . فأخبرني أى نقص رأيت فى دميتى ؟ قال : ما ينقصها غير الكلام ! فقام المريض محموماً حتى أطل على دميته وقال : تكلمى ، تكلمى ، فما ينقصك غير الكلام . ثم وقع ميتا !

وكل ذى فن فى فنه مثل دوناتلى فى طموحه إلى مرتبة الكمال . وإنما يجيد حسب فضل الملكة المهذبة التى يسترشدها من نفسه ، لا لأنه يقصد إلى ما أولع به الناس ، مما يستفز إعجابهم ؛ فإن إعجاب الناس - وإن كان حبيباً - يتطلب بإرضاء ملكته المهذبة لا بإرضائهم ، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه . وهذا سبيل أثره فيهم الذى يأمله فى حياته أو بعد موته . وسواء أأكبر الناس شعره أم أصغروه ، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه ، وبلهفة على ما لم يقل ، وإن جل ما يقول .

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء ؛ فإن الشاعر يعالج حسرة على كل فوز لم يفزه ، وطائر أمل لم يقنصه . فإن نفس الشاعر طماحة أبدا . وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجادة إجادة أن لا يدع للحسد سبيلاً إلى قلبه ، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزاً يزهى به عالم الحسن على عالم القبح ، ونصراً أصابته الحياة على الموت ، غير مفرق بين قائل وقائل فى الإعجاب الذى لا يتقاضاه الشاعر ، بل يتقاضاه شعره .

ألا وإن أجل شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير ، ويود لو قيده بقيود الكلام ، وليس أجل شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه ، فإن كل حسن في الفنون عنوان لحسن ، وكل فوز وعد بفوز . فإن الشاعر ليرى في نفسه القصائد التي يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلدهم . أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التى لم ينحتها كأنها محبوسة في الصخر الأصم الذى لم يلمسه بعد . وقد ورد عن كثير من كبار ذوى الفنون ما يثبت هذا الظمأ الذى هو خير لشعر الشاعر شر لنفسه .

ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . ولولا الشعر افتقد جمال الحياة ، وكل حى شاعر بمقدار ما يحس الجمال في الأشياء والأخلاق والأعمال التى ينشدها . والعالم عالمان : عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه . والشاعر رسول الجمال يسعى في تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضا الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف . وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير ، إنما ينبذها شوقاً إليها ، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه ، وإنما الحياة أو الحق كالميزان ، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه . ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة ، كما يعدل كل نقيض نقيضه ، وهذا أساس الحياة . ألا ترى كيف عدل عيسى ، عليه السلام ، روح الأثرة في دولة الرومان ؟ وكيف أن رفض شوبنهور للحياة يعدل تقديس نيتشه إياها ، وتقديس كل ما تغرى به ؟ ومنزلة السعادة في الحياة كمنزلة الشعر من النثر . والذين يسعون في نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون المحال ، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزانا وأنغاما .

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه في مداواة قبح الحياة ولو لم يكن من المكافحة كي يستخلص من الحياة جمالها إلا التغنى بما يلهى المكافحين ، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا إلى الأمل ، أو اتخذوا منه مرقداً لكفى .

ولا ريب أن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه ، وأن الشعر ضروب متغايرة . وذلك لا ينفى ما ذكرنا . هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفًا لهم . كما أنك لا تجد فيه وعظ من لايرى إلا جانبه من الحق . وإنما نريد بذكر ما ذكرنا ، أن الرغبة في الشعر من أجل أنه شعر ، لا من أجل مقصد خلقي حق إذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغي أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهيىء بها لذات الفنون ، كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات . وأما إذا قيل : إن الشعر لهو ساعة ؛ فهذا قول من اللغو !

الحياة والحق

هات اسقنى الذِّكَرَ الخوالدَ هات ، إنَّ النفوسَ كثيرة اللفتاتِ

ياساقىَ الذكرى ، كئوسك أضرمت من ذا الرحيق النار فى لهواتى

أصحوت من خمرِ الحياةِ وإنما طيبُ الحياةِ يصاب فى الغفلاتِ

والعقل أليقُ بالفتى من غفلةٍ للسعد تحكى غفوةَ النشوات

لولا فروضُ العيشِ لم أعبأ له جيشاً من الآراءِ والعزمات

وتكاثرُ الحاجاتِ ينبىء أنما خلقُ النفوسِ لأعظم الغايات

وهى المنى صوت ، صداه صرخةٌ لليأسِ ، ثم الموت كالسكتات

واليأسُ ينبىء أن فوقَ جهودنا خيرَ المنالِ وأعظمَ الرغبات

لولاه لاستوت المطالبُ كلُّها حيثُ الحضيضُ ووهدةُ الوهدات

إنَّ الفضيلةَ والرذيلة لذةٌ خيرُ الجنى يجنى لخيرِ جناةِ

لا تسعد المجدود منك برحمةٍ ، أهلُ الجحيمِ أحقُّ بالرحمات !

وهى التجاربُ للعقول صياقل صفحاتها للغيب كالمرآةِ

إنَّ التجاربَ كالأزاهرِ جمّةٌ أو ما اغتفرت الشوكَ للزهرات ؟

يا قلبُ لا يغنيك ذعرك للأسى فالخوفُ أول مهبطِ المهواةِ

والموت ظلُّ الله أبشرْ إن دنا فى ظلِّه أمنٌ من الحسرات

ثبتَ الزمانُ ونحن نعدو عمرنا ونخال أنَّ الدهرَ ذو نقلات

كالراكب العجلان ينظر حوله فيرى الشخوصَ سريعة العدوَات[1]

والعيشُ كالحرباءِ يخدع لونه والحِسُّ بعضُ حبائلِ الخدعات[2]

---

(١) العدو : الجرى . (٢) الحرباء : دويبة تتلون ألوانا مختلفة .

فالمرءُ يسرى وهو قيدُ مكانه ... سكن الوجود لشدة الحركاتِ

والحقُّ مثلُ الشَّمسِ يهلك آلَه ... والشَّمسُ أُمُّ الخيرِ والآفاتِ

أُم الهدى لكنَّ بعضَ ضيائها ... رفع السراب وغرَّ فى الفلوات

والحقُّ مثلُ الشَّمسِ يجعل ضوءه ... بعض النفوسِ قرارةَ الحشرات

والمرءُ فى دنياه خابطُ حِنْدِسٍ ... آراؤه ضربٌ من الخطوات[1]

كم حكمةٍ فيها الدواءُ لعاقلٍ ... لو يدرك المعلول عزم أساة

والعزمُ شىءٌ لا يباع فيشترى ... من للشقىِّ ببائعِ العزمات

والموت بحرٌ والنفوسُ لآلىءٌ ... والعيشُ فوق الموتِ كالموجات

لسنا نصيبُ الحقَّ فيما نبتغى ... لكنْ كظلِّ الحقِّ فى الصفحات

نبغى من الدنيا نظام محدَّد ... فى رحبها برءٌ من الغايات

فنظامها ألف النقيض نقيضه ... ونقائضُ الأيامِ كالأخوات

والعيشُ غيمٌ والعقولُ جلاؤه ... كالشمسِ تنقش جانبَ المُزْنات[2]

نظرُ الأنام إلى الحقائق فى الدنى ... كتطلع الحمقاء فى المرآة

كالطفلِ ينظر فى الأضاةِ فينثنى ... متسائلاً عن روضةٍ وأضاة

والفكرُ دائرةٌ يظل يدورها ... فى دهره متقارب الدورات

فلكلِّ دهرٍ دورةٌ معلومةٌ ... ومطالبٌ موصوفةُ المسعاة

والفكرُ يعظم وهو فى دوراته ... كالماءِ حول مواقعِ الحصبات

والحقُّ فى الأضداد يلقى سره ... ولقلَّما ندريه بين عداة

كالمرءِ ينكر فى الوجوه غريبها ... ويحنُّ نحو أحبةٍ ولدات

والحقُّ مختلفُ المقاطعِ والنُّهى ... متباينُ الأسبابِ واللهجات

---

(١) الحندس : الليل الشديد الظلمة .

(٢) المزنة : القطعة من السحاب .

والعيشُ مثلُ الشمس يعمى ضوؤه — عن أنجمٍ تزدانُ بالظُّلمات
ولعل فى ظلم الحمامِ زواهراً — تجلو الظنونَ وتكشف الغمّات
احزن ولذّ وقلْ لكلٍّ مقدَّرٍ — يامرحباً بالحزنِ والفرحات!
وخذ الأنامَ على عوائد كيدهِ — واغنم صفاءَ العيشِ فى الفلتات!

أبو الهول [1]

أنختَ فوق الدهرِ بالكلْكلِ — وكنتَ مثلَ الواعظ المرسلِ
عند فلاة قلّ قطّانُها — هل باختيارٍ كنت فى معزلٍ ؟
مضى الألى شادوك فى مجدهم — كأنه منك لدى موئلِ
فهل مللت العيْشَ من بعدهم — كأنما جُلّلتَ بالمُثقلِ [2]
ثقل من الدهر تحمّلته — لو حلّ بالأطواد لم تحملِ [3]
فهل يَدرّ العيشُ من بعدهم — أم ما ضروعُ الدَّهرِ بالحفَّلِ؟ [4]
وأنت مثل الخان فى لُبْثه — ونحن مثلُ الراكبِ المعُجَلِ [5]
غداً ترى عيناك من بعدنا — غير حلول الحيِّ والمنزل

---

(١) أعيد نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة عدد ١٥٩ فى ٢٠ يوليه ١٩٣٦ ، مع تبديل ضئيل فى بعض الألفاظ المشار إليها فى هذا الهامش .

(٢) جلله وتجلله : علاه . والمثقل : أثقال الدهر .

(٣) الأطواد : الجبال .

(٤) الضروع : الثدى . والمراد بدر الدهر (بفتح الدال) خيره ؛ أى هل سيعود لمصر خيرها ومجدها الماضى ؟

(٥) الخان : المراد به المنزل أو الفندق .

كم أمّـــةٍ من بعـــــدها أمّـــةٌ ... قـــــد رحلـت عنك ولـم تـرحلِ

فــأنت ســفــرُ الدَّهرِ خطّت به ... يـــداه آيَ المحـــكــمِ المـــنـــزل

فـــــــاتـلُ لـنـا مـن آيـه آيـةً ... لـعلّنا نجنبُ مـــا يبـــتلى[1]

كم وعـظَ الدَّهـرُ فلم نـزدجــــرْ ... وكم سـمـا الناسُ ولم نعـتـل[2]

قــيـدنا العـجـزُ ونـرجـو عُــلاً ... يـسـمـو الذى فى الطيـر لم يكبل

نعــاف مــســتطرف مــا يُرتجى ... كـــأننا فى العــيشِ لم نُجـبـل

فــيـــا مــثـــالَ الدهرِ يا رمـــزه ... كم صنمٍ فى القلبِ لم يبطل[3]

كــأنَّ روحَ الدهرِ فى جـســمــه ... إن تـره مـن نـحـــــــوه تمـثـل

تحـسـبُــه من هيــبـةٍ عــاقــلاً ... من حـسب المرهوبِ لم يعـقل[4]

كـــــأنما فـى طى أحــــاظـه ... ذكـــرى لعــهـــدِ الزمنِ الأول

كـــأنه فى صــمـــتــه حـــارس ... يحـــرسُ بابَ القــدر المقْــفـل

يا عـجبًـا أبصـرتَ مـا قـدْ مـضى ... ونـظـرات منـك لـم تـقـــــتـل[5]

أبـصـــــــرتَ أكـلَ الـدهـرِ أبـنـاءه ... ألــم تُـرعْ مـن ذلـك المـأكـل ؟

---

(١) أى أعطنا مما رأيت من تجارب الدهر كي نتجنب الزلل .

(٢) فى الطبعة الأولى – فلم نرعو ... ولم ننبل .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول المعرى :

والقلب من أهوائه عابد ... ما يعبد الكافر من بده

أى وثنه وصنمه . فعبادة الأوثان إذن لا تزال قائمة فى القلوب .

(٤) الخوف من إنسان يجعل الخائف يكبر عقله .

(٥) لم تقتل من هول ما شاهدت عينه .

بينكما نجوى على صمته وصمتة فى فيك كالمِقوَلِ[1]

عشّش فيك الحادث المجتوى وكنت عرش الرمية الضئبل[2]

مرت بك الأيامُ مخشيّة كأنّها مرّتْ على هيكلِ[3]

فابعثْ لنا من عزمها عدّة فلو سألت الدهرَ لم يبْخل

ولو نهيتَ الدهرَ لم يعتدِ ولو زَجرتَ الدهرَ لم يُقبلِ

والدهر كم تسحرُ أحداثه لبّ غضيض اللبٍّ والمفصلِ

أىّ حكيم قد رأى ما رأتْ عيناك فى الدهر ولم يذهل ؟

يا ناظراً ينظرُ هذا الورى نظرة طرف الناظر المعضل

انظر إلى الأقدار فى غيبها واذكرْ مآلَ العيشِ فى المقبل

أغابرُ الأيامِ فى صرفها كمضمرٍ فى الغيبِ مستقبل

أمالكٌ عُوجل عن ملكه كذى علاء بَعدُ لم ينزل

والناس حَلْيُ القاهر المعتلى يألم نار الحاذق الصيقل[4]

يصوغهم كل غلُوبٍ على سنّةِ مُلك الرمحِ والمنصل

كم عبرة للناس أبصرتها وعبْرة للهاطل المسبل

فهل دموعُ النحسِ تحيى الورى مثل عقيب المطر المرسل ؟

أراك لا ترثى لما نابهم يا ليتنى مثلك لم أحفل !

---

(١) المقول : القوال ؛ اللسان .

(٢) هذا البيت لم يطبع فى القصيدة المنشورة بمجلة الرسالة .

(٣) أى تمر بك خاشعة ولو أنها مخشية من الناس .

(٤) فى الطبعة الأولى - القاهر المجتوى .

ومقلة تُخبر ألحاظها أنّ عيونَ الدهرِ لم تُسملِ[1]

والدهرُ وهو الساهر المعتدى يُغْضى وعينٌ لك لم تغفل

وربّ لحظٍ منك قد رِشتَهُ في قلبِ هذا الدهرِ كالموغل[2]

فابحثْ خباياهُ وأحناءه واكشف لنا عنْ ذلك الغيطل[3]

كأنَّ روحَ الدهرِ تبغى به وكْناً لها أُحْكِمَ كالمعقل[4]

تحسبُه لو جئته ناشداً معنى حياة الناس لم يجهل

يا من سؤال العيش فى صمته اسأل ومن لم يدره فاقتلِ[5]

كم امتطى الأيام تجرى به كأنَّه والخلد فى منزل

كم عبّ لجّ الدهرِ ثم انثنى إلا بقايا الماء فى الجندل[6]

كأنَّه منتظر موعداً حُيِّنَ كىْ ينطق بالمقْولِ[7]

لو فاه يوماً ذاكراً سرَّه لم يعجب الرائى ولم يَعْجَل

أو أنه المسحورُ فى صمته قد كان يمشى مشيةَ المشبل[8]

فخاف صرف الدهر من فتكه وعلمه بالحادث المقبل

فذاده بالسحر عن نطقه حتى تناسى عيشه المنجلى

---

(١) تسمل : تفقأ . (٢) راش السهم : هيأه - أي كأن ألحاظك سهام تتغلغل في قلب الدهر .

(٣) الغيطل هنا كالغيطول : الظلمة المتراكمة . (٤) الوكن : الوكر .

(٥) في البيت إشارة إلى أسطورة قديمة تقول : إن أبا الهول كان إذا مر به إنسان سأله في معضلات الحياة ، فإذا لم يجب قتله . (٦) الجندل : الصخر ، أي كأن الدهر بحر ، وأبا الهول الصخر على شاطئه يصد أمواجه . (٧) أي كأن سكوته سكوت المتأهب للقول في حينه .

(٨) المشبل : أبو الأشبال ، أي كأن أبا الهول كان حيا يسعى كالأسد أبي الأشبال ، فسحره الدهر خوفا منه .

هرم خوفو [1]

يامـــوجـــةً للدهر لم تهـــزم | تـعـلو عُـلوَّ الجـــبـل الأعـظـمِ
ومـــا رأينا قـبـلهـا مـوجـةً | تعلو فـلا تحـدر للمـحطمِ
مـــا الناسُ والآثارُ مِن بعـــدهم | إلا كـــمـــوجٍ إنْ عـــلا يُهـــزم
مـــوج لبـحـــرٍ مـــا له ســاحل | غـيـــر الردى فى لحـــدهِ المظلم
كم عـنـد شـط الموتِ شِلْو رَدى | يقـذفـه الدهرُ إلى ضـيــغم [2]
هل أنت شِلوٌ لزمـــانٍ قـضـى ، | رفـــــاتـه الآثـارُ لـم تُـردم
لم يبق من عـمران من قـد مضوا | إلا بـقـــايـا الجـلـد والأعـظـم
كـــأنما يَدخـــرُ من مـــجـــدهم | مـــا يـدخـــرُ النملُ من المطعم
كـــيف نرجّى الدهر ذا عـــفـــةٍ | إن ذاقَ طعمَ اللحم لم يقـرم [3]
لا يـسـمـع الدهر سـوى منصت | بـالـروح إن يُصـغ لـه يـبـكـم
همـــهـــمـــةٌ يطلقـــهـــا عـــارمٌ | إن يمضغ المودى به يبـــغم [4]
هل خـــاف هذا الدهر صـــرف الردى | فـشـــادَ صـرحـاً منك لـم يثلم ؟
لا يجـــرؤ الموتُ على بيـــتـــه | فى هرمٍ كـــالجـــبلِ الأدهم [5]

---

(١) أعاد الشاعر نشرها بمجلة الرسالة - عدد ١٥٧ فى ٦ يولية ١٩٣٦

(٢) الشلو والجمع أشلاء : العضو من أعضاء اللحم ؛ وما أكل منه شيء وبقيت منه بقية والضيغم : الأسد .

(٣) قرم الحيوان إذا ضراه طعم اللحم . وفى هذا البيت وما بعده تشبيه للدهر بحيوان .

(٤) العارم : الشرس ، ويبغم : لم يفصح .

(٥) فى الأصل : لا يدخل الموت ... والأدهم : الأسود .

أم شـادك العـقل لكيمـا يرى — من فـوقك الأقـدار لم تهـجم ؟
بعيدةٌ لم تبدُ أشخـاصهـا — تهـفـو لنا في يومهـا الأيوَمِ[1]
كيْ يؤذن الناسَ بإقـبـالهـا — من قـبل أن تُفْـجأ بالمقـدم
إن أرْزَم الرعـدُ على شـاهقٍ — فـفـوقك الأيامُ كـالمرزم[2]
أو كـلـلـتْ هـامـتَـه ديمةٌ — وطفـاءُ مثل المجْسدِ المسَهَّمِ[3]
فـوقك أرواح عُـصـور خلت — كـديمةٍ سـوداء لم تحـسـم
هدت يدُ الدهرِ مـشـيد البنا — وهو إذا أمّك كـالأجـذم
كم أنزلَ الدهرُ شـآبيـبَـه — على جـبينٍ منك لم يهـرم
كـالمزْنِ فـوق الزهرِ يحـيـا به — زهرُ الربى من غـيثـه المرهم[4]
كـأنما الأيام ظئـر به — تغـذوه منهـا بسليلِ الدم[5]
كـأنما ينمـو على مـرّها — فـيـرتدى تاجـاً من الأنجم
قـد شـمخَ التـرب به عـزةً — كـشـامخٍ بالأنف لم يخطم[6]
أم قلّصت وجـه الثـرى كـبرة — فـأنت من تجـعـيدها الأقـدم
أم كـفنيقٍ مـا له راكب — يمنع ظهـر المكرم المقـرم[7]

---

(١) الأيوم : الشديد .

٢) أرزم الرعد : اشتد صوته . والمرزم : ما يرزم ويشد به كالحبل .

(٣) ديمة : مطر يدوم في سكون . وطفاء : أي مسترضية الجوانب لكثرة مائها . والمجسد : القميص . والمسهم : الهزيل المغير اللون .   (٤) المزن : المطر أو السحابة .

(٥) ظئر : مرضع   (٦) يخطم : يقاد من خطمه أي أنفه كالبعير ، يقع على أنفه .

(٧) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب . والمقرم : ما لم يمسه حبل ، والفحل إذا ترك عن الركوب والعمل .

أم ثدى مصر إنها ناهد — عشيقة للقدر الأزلم[1]

أم أنت ناب الأرض ذا شحذة — خُلّف فى شدق فمِ الأهتم ؟[2]

أخرج صخر الأرض طياته — حتى بدت كالهرم المفعم

أم كيف شادَ القومُ أحجارَه — حتى بدت فى عِظَمِ المَخْرِمِ ؟[3]

كأنما روحُ زمانٍ مضى — معشش فوقك كالقشْعم[4]

يا معبداً يُعبدُ فيه الحجى — إلى الحجى فى صنعه ينتمى

أجل ما تعبد فيه النُّهى — سليلها فى صُنعه المحكم

قد حملتك الأرضُ فى بطنها — كأنها المقلات لم تعقم[5]

تمخضت عن عَلَمٍ أروع — مُقذّة فى الحمل لم تُتْئم[6]

ثم تردّى بعلها بعده — كيف نرجّى النسل من أيّم[7]

يا علمَ الدنيا الذى قد غدا — عجيبة الغائر والمتهم

علت بك الأرض كمن قد علا — برأسه الكبر فلْم يهضم

رفعت رأساً منك مَا طَالَهُ — رأس البناءِ الشامخ الأقوم

---

(١) الأزلم : المقطوع طرف الأذن .

(٢) الأهتم : من تكسرت أسنانه .

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل

(٤) القشعم من النسور والرجال : المسن ، أوالضخم .

(٥) المقلات : المقلة من النسل . قال الشاعر : (وأم الصقر مقلات نزور) .

(٦) المقذة : التى تأتى بالفذ الوحيد فى النسل . والمتئمة : التى تأتى بالتوأم .

(٧) الأيم : التى مات بعلها .

كـــأنما كلّ البنا سُـــجَّـــد ... من هيـــبـــةِ للـملك الأعظمِ

يا مـلكاً مـــا انحلّ سلطانه ... قـــد هدم الماضى ولم يُهـــدم

كم دولةٍ قـــد ضـــاع سلطانُهـــا ... ودولـةُ الأهـرام لِـم تـهـــــرم

كم شـابكت كـفّاك أيدى الردى ... ثـم انـثـنـى عـنـك ولـم تُـكـلـم

يا غِـــيـــرَ الأيام فى كـــرِّها ... من أبيض نامنٌ أو أســـحم[1]

تباعـدى إن شئتِ أو فـاهجـمى ... على شـــبـيـــه البطل المُعْلَم[2]

هيـهـات لم يبـدُ له مـقـتـل ... قد أخطأ الرامى فـأشوى الرمِى[3]

كم خـالَ فـيك الناسُ سـراً طَوا ... هُ الدهرُ لم يُكشف ولم يُعلم

خلوا الألى شـادوك قـد أودعـوا ... فـيك رمـوز المطلب الأكـرمِ

مـا أودعــوا إلا كنوزاً غــدت ... نهـبـة كفٍّ الصـائل المجرمِ

وكلٌّ مـــا لـم يبـــدُ كنه له ... يُخـــال كنزَ الحقِّ والمغْنمِ

والمرءُ يبـغى الحقَّ فى خـدره ... ولَـوْ بـدا فـى أعين الأنجـم

ورِمّـــةٌ خـــبـــأها كـــاهنٌ ... لفـــاتك الآراء والمخـــذم[4]

رِمَّـــةُ ربّ رائع عـــزمُـــهُ ... قد أخرجتْ من بَعدُ للمرجم[5]

جـــلالُ روحٍ منه ذى همّـــةٍ ... مُـــجـــسّم فى صنعـه المحكم

لا تحـــسبن الناسَ لم يُجـــدهم ... غـيـر منالِ البُـرْد والمطعم[6]

---

(١) أسحم : أسود . (٢) فى الطبعة الأولى – تليثى إن شئت .....

(٣) أشوى الرامى إذا أصاب الشوى ولم يصم أى لم يصب المقتل .

(٤) الرمة : العظام البالية . والمخزم : القاطع من السيوف . وأيضا المقر بالذل .

(٥) المرجم : المتكلم بالظن (٦) البرد : الثوب .

فـالنّفسُ تبـغي أن يرى كنهـهـا　　مـجسّـمـاً في صُنعـهـا الأعظم
لم يُصلح الـناسَ لذي أمـــرهـم　　غـيـرُ شـفـيع السّيْف والـدرهم
أظلمـــهـم مَنْ ســاغ طعم الأذى　　لـيـس الـذى يـظـلـم بـالأظـلـم
كلُّ ضـعـــيفٍ خـيـــره علّةٌ　　من ذا الذى صَحّ فلم يعـرم ؟[1]

الليـــل

ياجـــوهراً نفـــسى له صـورةٌ　　لأنـتَ عـنـدى بالمكـانِ المصـــونْ
كـالنَّجمِ فى البـحـرِ يرى نفـسـه　　فى كـوكـب الأفقِ القـصىِّ الشطون[2]
قمْ حـدّث الليلَ حـديثَ الـكرى　　فطيـره قـد عـشـشت فى الجـفـونْ
كـــأنه المرآة مـــصـــقـــولة　　تصـقله الأحـلامُ صـقلَ القـيون[3]
الـكـونُ وكــــرٌ والـدجى واقـع　　كـالطير تؤوى فرخها فى الوكـون[4]
يصـــيخ قلبى تحت أســتـــاره　　كـالطفـلِ يصـغى لدعـاءِ القـرين[5]
كـــأنما أحـــسـبُ أســتـــارَه　　مـــســدولة فـــوق اليـقـين المبين
أكـــاد أن أســـمعَ فى جنحـــه　　وجـيـبَ قـلـبٍ مـنه جمٌّ الـشـجـون
وناطق بالـصـــمـت كـــانت له　　هـذى الـدراريُّ مكـان العـيـــون
أحـــســيـــه قـــد شـــاب مما رأى　　فـالـشـهـبُ فـيـه شـعـرات السـنين
كــــلا هـو الخـــالد فى مـلكـه　　مـتـوجـاً بالـنجمِ فـوقَ الجـبين

---

(١) فى الطبعة الأولى - كل سقيم .. ويعرم : يشتد ويفسد .

(٢) الخطاب موجه إلى رفيق - الشطون - البعيد .

(٣) القين : الحدّاد والجمع قيون .　　(٤) الوكن : عش الطائر ، والجمع : وكون

(٥) القرين : العشير والمصاحب .

تكاد تبــدو النفسُ فى جُنحِــه كـالوضع يبـدى من خـفىٍّ الجنينْ

تشــدو لك النفسُ بأنغــامــه كالريح تشدو فى حفيفِ الغصونْ

فى فـحـمـة الليل وقـودُ النهى وفى دُجى الليلِ ضـيـاءُ الحـزين

كــأننى فى جُنحــه مــفــرداً ســحــابة الحـزن بقلبِ الركين

كـــأن روحَ الموتِ فى جنحـــه تـخطرُ فى أثنـاءِ هـذا السـكون

الصـمتُ سجنٌ والدُجى حارس والصـوتُ مـاسـور عليل الأنين

أو كــوليــدٍ كَلَّ من ضـحكه تحـصنه أمٌّ رؤوم حــضــون

أو هـو صبٌّ عـــاشقٌ للدُجى تناجـيـا باللَّحظِ بين الجـفـون

كــأنما هذا الدجى مـعـبـد وفى خـشوع الحيّ صمتُ اليـقين

أو كـضـريح النورِ يخــفى به قـد خُطَّ فـيـه للنهـار الدفين

هل ذهلة الأصـواتِ أن قـد رأت مــا أودع الليل غــلاة الظنون ؟

تلفَّت الريـح به خـيـفـة هل عـادها من ذعرها كـالجنون ؟

كــــأنه ظـلٌّ ظـليـلٌ بـدا لدوحـة الفـردوسِ ذات الغـصـون

أمــا ترى أثمـارها فى الدجى نجـمـاً تناءى مـثل ذخـرِ الضنين ؟

أم هـو ظـلُّ الموتِ إمـــا دنا سغبان يسعى لاقتضاء الديون؟[1]

أم هامـة اليـوم الذى قـد مـضى يهيج من روعِ الجبـان الظنين؟[2]

فــالكونُ منه خـاشعٌ حـائر مـات به الصـوتُ ومـات السكون

وخلَّفـا روحـيـهـمـا فى الدُجى كــمـــا يروع الحيَّ روحُ الدفين

قلبى عــودٌ خـــافق قلبـــه أوتـاره تـنـبض نـبضَ الـوتين[3]

---

(١) سغبان : جائع . (٢) الهامة : روح الميت القتيل : والظنين : المتهم .

(٣) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها .

تهـفـو بيَ الذُكـرةُ في جنحـه		كـأنهـا هامـةُ مـاضي السنين
أو دمـيـةٌ ينحـتـهـا ناحـتٌ		يحكي بهـا من أمس هلكَى الشجون
أو كـهـدايا هالكٍ غـابرٍ		تطيـر عنهـا خطراتُ المنون
الليلُ مـثلُ الماءِ في ركـدةٍ		والصبحُ يبـدو مثل مـاءٍ مـعين

سؤر العيش

يمر بي زمني كـالصلٍّ منفلتـاً		من بعد ما كان كالأطيار وثَّابا(١)
أمسي كنِهيٍ أرى في قـاعـه دُرراً		تذكي اللواعِجَ أن قد غاب ما غابا(٢)
حتى لقد صار لي عُشّـاً ألوذ به		والقلبُ إن ذيدَ عن أوكـاره آبا
كم طارت النفسُ في رأدِ الصبا مرحاً		كالطير يبغي بنهيِ الشمسِ تشرابا(٣)
مثل الندى وجناح الضوء يحفزه		يسـمو بخاراً فإنّ حطَّ الدجى آبا
قد تهبطُ النفسُ مثل الطيرِ عاجلها		نسرُ الظلام فكان النسرُ غلاَّبا
أحارس كـان هذا الموت من قدم		أغفى فأفلت صِلُّ العيش وانسابا
وكـان حيـةَ حواء التي خدعت		بلذة العـيشِ أوابا ولعـابا
ولذةُ العـيش أثمـارٌ مـهـدلة		تبقى رمـاداً إذا ذيقت وتَوْرابا(٤)
إن الصبا مـعبدٌ للعيش نعبده		على مضاضته بوركتَ محرابا
ظلُّ الجنانِ رفلنا في غضارتهـا		حتى تقلّص ظلُّ الخلدِ وانجابا
والموتُ كالأسد العدّاء تلقمه		لذائذُ العيشِ تخشى منه أنيابا
لا بل هو الظئـرُ والأرواح في يده		كالطفل في المهدِ لا تألوه إطرابا(٥)

---

(١) الصل : الحية		(٢) نهي على وزن فعل : غدير . اللاعج : الهوى المحرق

(٣) الرأد : الضحى . (٤) التوراب : هو التراب . (٥) الظئر : عاطفة المرأة على ولد غيرها ، أو المرضعة له

والعيشُ كالنردِ ترمى غير محتكم … فيطلع العيشُ حرماناً وإنهابا

أدلى لىَ الدهرُ خيطاً من حبائله … فعدتُ ما عاد هياباً ووثابا

كالحوت أفلتَ مكلوم اللهاة فإن … أدليت خيطكَ ألفى فيه آرابا(١)

كم عشىَ القلبُ فى ضوءِ الصبا فمضى … كخابط الليلِ أعمى بات جوّابا

والظلُّ والشمس لا يبغى افتراقهما … فما ابتغاؤك عيشاً لم يذق صابا(٢)

فاجعل همومَك بيتاً غالَ قاطنه … عادى الوباء فلا تطرق له بابا

كزائف الذخرِ قلب ليس ينفق فى … سوق الحياةِ وإن أثرى وإن طابا

وما انتفاعى بخيرٍ كله فشلٌ … يأسى الصفىّ ويمضى الحبّ خلابا

والمرءُ يغفل عن أمر الحياةِ وما … جبناً يطامن بل حزماً وإصحابا

ضمائرُ الناسِ كالرعديدِ يزعجها … صوتُ السكونِ فتبغى فيه صخابا

يندسُّ فى غمرات العيشِ جارمهم … وقد يبيت لوحى النفسِ هيابا

كذلك المرءُ يخشى أن يرى أبدا … مفكراً خاب تسآلا وتطلابا

قارضْ مُضيفك من بشرٍ ومن كرمٍ … إنَّ الزمان إذا ريّبتَه رابا

والسخرُ مرآة إبليس التى نصبت … إنْ تبُصرَ الحقَّ فيها عاد كذابا

ذكرى أمس

مدّت لك الذكرى وجيع القيود … مخبوءة فى خدعات الجدودْ

كأنها ذو إحنة ماكر … يهدى صِلالاً تحت زهرٍ نضيدْ(٣)

وقبر أمس شاحبٌ ماثل … كذى حياة راكع بالوصيد(٤)

والذكرُ دوحٌ فوقه باسق … أفنانه مثمرة بالوعود

---

(١) مكلوم اللهاة : أى جريح الحلق . وآراب : حاجات . (٢) صابا : مرا.

(٣) الإحنة : الحقد . والصلال : الحيات (٤) الوصيد : فناء الدار أو عتبتها .

والـذكـــــــــرُ صِـلٌّ لاذع نـابـه يـاليـتــــه يخلـع رثَّ العــهــودْ

كــالحـــيــة الـرقطاءِ تـنضــو ردا ءَ الأمس كي تكسى الرداءَ الجـديدْ

والذكـرُ كـالجـرذان فى خـفـيـة ينـخـــر من قلـب الأبىِّ الجليــد

مطيـــةُ الذكــرِ على نهــجـهـــا مـعـكوسـةُ المسـعى لخلفٍ تحـيـد

كــــأنما إذ عــــقـت باب الردى تبـغى خـلاصـاً من سبيلِ الوليـد

كى تتـــخطى أزلاً مـــاضـيـــا تـرجـع مـنـه عن طـريـق الخـلـود

كم تبـتـغى أمـسك إن سـاءك الـ يوم وأمس مـعـجـز من يعـيـد

يا مـخـرج الملحـود من قـبـرِهِ لم يبق منه غـيـــرُ عظمٍ ودود

أمس الذى فـــات علـى قـــربه كــالأبد الآبد قـــاصٍ بعــيــد

وإن يـســـؤك الـيـــوم ترجُ غـــدا إن غـــداً لـيس بيـــومٍ جـــديد

فـانظر إلى أمس مـضى واسـتـعن منه على اليـــوم برأىٍ ســـديد

الـشـــيخُ يبــغى ضلّة أمــسَـــهُ وفى غـدِ اليـافع حلمٌ سـعـيـد

نعسة الطرف

عـــيناك عـــيناك منبت الذكَـــرِ كـــالزهرِ فى قـــاعٍ رائق الغُـــدُرِ

فنعـــــســــــة الطرفِ أنه أبدا كــذاهل قــد أصـــاخ للفكرِ(١)

بالله مـــا تـذكـــر العــيـــون أأالـ ـحـاظ مشوق بالصبر مسـتـترِ ؟

أم تذكـر العـهـدَ حـيث لا عـذلٌ يلوى بصادٍ عن مورد خـصـر ؟

أم طرفـك الـناعـس الـنؤوم يـرى مـــامنٌ من فـــتنةٍ ومن سكـر ؟

لـواعج العـــاشـــقين ذخـــرك والـ ـذكـرى وعـــاءٌ لخيـر مـدَّكـرِ(٢)

(١) أصاخ : استمع . (٢) اللاعج : الهوى المحرق .

تنظر فى أنفسٍ وفى مُـــــهج — فـــعل غنّى يرنو إلى الذُخـــرِ

أم رحـــمــة غــضت اللواحظ مـ — ـمـا يشـتكى العاشـقـون بالنظرِ

أم لوعـــــة رنقت لحـــــاظك إذ — عـشـقت عـشـقاً لحسنك العطرِ

أم غـــضـّـــة فى لـواحظ حلم — بعـالـم الحـسن طيب الخـبــرِ!

بعـــــالـم أنت من بشـــــائره — بشـــرى طيـــور الربيع بالزهـر

يخفى اقتدارَ العيونِ إن نعست — كـصـــولةٍ فى الخـفـــاءِ للقـدر

كم صـــائلٍ سيـفـه تشـفـعـه — وصــائل بالحـيــاءِ والخـــفـــر

قـد تقـصفُ الريحُ كلّ عــاتيــة — وتعـجـز الريحُ عن أذى الخـور(١)

عــــينك من لمحـــةِ الزواهر أم — مـقـبوسـة الضـوءِ من سنا القـمر ؟

أم من غــدير الحـيـــاةِ حفً به — من هدب عـينيك باسقُ الشـجـر!

كم جـاءك العـاشـقـون من نذُر الـ — ـحبٍّ بخـيـــر الزهورِ والثــمـــر

فكيف تُرعى لحبّ مـحـتـضـر — ينبت من قـبــره على مَـــدَر ؟

ولسـت أرضى لمثل وجـهك قلـ — ـبـاً بين جنبىَّ غـائضَ العُـذَر(٢)

نفـــسىَ بحـــرٌ ظللت أسـبـــرُهُ — كـمـــا يغـوص الغـواصُ للـدرر

والذكـرُ كـالبحـرِ كم رمَى جـيـفـاً — تبـدو كغـرقى السنين من عمـرى

فــانعمْ فـــإنَّ الحـيـــاةَ دانيـــة — قطوفـهـا ، وامـضـهـا على غـرَر !

قبس الحسن

شـعــرى بحـــرٌ وأنت ســاحلُه — قــد صــدَّه عنك قلبُك الحـجــرُ

---

(١) الخور : الضعف والجبن .

(٢) جمع عذرة ، وهى أول الشىء وبكرته .

يا ليت أن الخلودَ لى قبس ... من حسنك الغضِّ ناله الشررُ

كيما أنير الحياةَ قاطبةً ... أوضاحها من جداك والغُررُ

كالبدرِ يكسو الأشياءَ حلّته ... وَشْى من السحرِ حاكه القمر(1)

فاكسُ بأنوارك الورى أبدا ... كى لا يبين الشقاءُ والعسُر

ياشمسَ حسن حياتنا ثمر ... ينضجُ فى ضوءِ حسنك الثمر

ويخصب القلبُ إن رآك كأ ... نَّ الحسنَ إما جلوته مطر

أشعلْ بألحاظك الحياة فإ ... نَّ الصخرَ إما رمقته درر

ياعار حسن جلوتَ غرَّته ... إن لم يرق فى قريضىَ الأثر

وأنضبُ الناسِ فطنة وحجى ... تنبع فيه من حسنك الغدُرُ

عطِّرت برد الحياة قاطبةً ... فكلُّ شىءٍ لمستَه زَهر

أنت أعرتَ الحسانَ روقتها ... كأنها منك أنجم زُهر

والحسنُ روحُ الحياةِ يستره ... للقبح ستر كالقشر ينذثر

أو مثل لمع البريقِ آونة ... لناظر ، والظلامُ معتكر

يا بارق الحسن فى الحياة أما ... تبصرُ من شاقَ قلبَه النظر؟

ود شحيح رأى جمالك لو ... تصاغ منه الحلىُّ والبِدر!(2)

درع الحياة

البس على السمع درْعا ... والبس على العين درْعا

فالناسُ شاكٍ وعادٍ ... يبغون فى الدرع صدعا(3)

---

(1) وشى الثوب : زانه بالألوان ونقشه .

(2) جمع بدرة ، وهى مقدار من النقود .

(3) شاك : أى حامل السلاح مستعد للقتال .

والمرءُ جـــــدٌّ شـــــقيٌّ ... إن ضـــاقَ بـاللؤم ذَرْعــا
واقـــهــر فلست بنـاجٍ ... إن رمـتَ بـاللين طوعـــا
تقلّى من الصــحب مما ... نرضى من النفس خـدعـا
إنْ نعـــمـــة بك حلّت ... سـاءَت لدى الإلف وقــعـا
حـــتى كـــأن لـهـا في ... حـشـاه نـهـشـاً وقطعـا
تكـاد تخطم أنفـــا ... منه وتثـقـب سـمـعـا
فليس يبـــرأ صـــدرا ... إلا إذا شـــامَ نفـــعـا
تخـــال في العين منه ... أفـعى وفي الثغـر أفـعى
يرومُ خـفـضَك كيـمـا ... ينالَ بالخـفضِ رفـعـا
ولـيـس يـرحـم إلا ... من هابَ للشـرِّ وقـعـا
أو من يسـرّ بأن قـد ... عــداه مـا بتّ ترعى
فـإن رجـوتَ رحـيـمـا ... في الخَطب ألفيتَ قَـذعـا[1]
عـدّوا الشـقـاءَ اجـترامـا ... والخـفض فضـلاً وصنعـا[2]
فـالبسْ على الصـدر درعـا ... والبسْ على القلبِ درعـا

طائر السعادة

لعـمـرك ما اللّذات إلا حـمـائم ... تنوحُ على أفنانهـا وتطيـرُ
نشـدتك ياطير اللذاذة والهوى ... أما لك في هذى الحيـاة وكورُ؟
وإن الذى يرجـو السـعـادةَ واثب ... على ظلّه لو أنَّ ذاك يجـيـر

(١) القـذع : نو الفـحش والشـتم

(٢) الخـفض : النعـيم والرخـاء .

وبعض مساعى المرءِ حمى وخيبة الـ — ـمطامع برء للحجى ونشورُ
ومن لم يجدْ فى نفسه ذخرَ عيشه — فليس له بين الأنامِ نصيرُ
وهل يستقيم السعدُ للمرءِ فى الدنى — ومطلبُه بين الضلوع سعير
وليس شقاءُ المرءِ فيما يصيبه — ولكنّه طبع له وضمير
هو العيش كالحسناءِ تبغض محجماً — جباناً ، ويحظى بالوصال جسور
ومهما يتح فى العيش فالخوفُ خادمٌ — وكلُّ جرىءٍ فى الحياةِ أمير
ومن صان عن رقٍّ المطالب عنقه — رأى أن خطبَ الدهرِ ليس يضير
قلى العيش حبّ العيش قد شطّ رغده — كما يبغض المهجور وهو أسير
كمن يبغض الحسناءَ يقلَى دلالها — وفى الصدر منه لوعةٌ وزفير
إذا أخطأ المرءُ السعادَة خالها — سراباً يغرّ العينَ منه غدير
وليس عجيباً أن يرى العيشَ مجهلاً — فإن الحجى طرف لديه ضرير
وما السعدُ إلا حكمة وتجاوزٌ — وإنك ربٌّ فى الأنام غفور
تكيد بصفو الصفحِ من يبتغى القذى — لوردك ، إن الشائبين كثير(١)
ومن لم يجدْ فى عيشه فرض آمل — رأى أن سعداً فى الحياة عسير
ومن ضمَّ قلباً أخطأ السعدَ ، خاله — يتاح له بعد الممات حبور
أمانىّ خلف الموت ظل حياته — يقيل بها والحادثات هجير
بدا لىَ أن لا سعد إلا تصبر — تقرُّ به فى النائباتِ صدور
وعزمٌ ، وإيمان ، وطبعٌ ، وحكمة ، — ورأىٌ بآلاءِ الحياةِ خبير
وإنَّ أجلَّ الخلق ما هو مقيل — تُهيّئهُ بعد الدهورِ دهور
وإن الأذى سبرُ القلوبِ ، وصيرف الـ — ـنفوسِ ، وقين للعقول ، وظير(٢)

(١) القذى : القذر (٢) القين : الصقل . والظئر : المرضع .

وراجى حياةٍ ليس للشرِّ بينها — مَشار تنال النفسَ منه حَرور
كمن يرتجى أسبابَ أمر يعافه — وذاك محالٌ فى الدُّنى وغرور
وليس أعزّ الرغبِ سعداً فإنه — يضنُّ بعيشٍ ليس فيه سرور
ولو أن خلداً كان أمراً مقدرا — أهاب الفتى بالموت وهو قرير(1)

لا مرحبا بالأقدار

ألا ليت للأقدارِ قلباً وفطنةً — أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ ؟
وهل نافعى ذمُّ القضاءِ وجورُه — كما ينقم الظلمَ الأسيرُ المكبّلُ ؟
وهلْ يملك المظلومُ إلا شكاته — وإن كان حمل الحتمِ بالصبر يجمل؟
ولو كان هذا الحتمُ قرناً قتلته — فإمرته حملٌ على النفس يثقل
ولو كان سعداً خلت أنّى ملكتُه — ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبل
إذا فر نحو الدار طِرفٌ لراكبٍ — توهمه طوعاً إلى الدار يرقل(2)
ولو أن صبراً كان روّع بالذى — بليت به ما كان للصبرِ موئل
ولو أن خطباً نابه بعض شرّه — لأصبح لا يصمى ولا يتغلغل
فمن لى بنفسٍ فى الشقاءِ نعيمُها — كأنىَ فى نار الشقاءِ سمندل!(3)

مرحباً بالأقدار

إن الذى بثّ فىَّ الخوفَ علّمنى — حملَ الهمومِ فكلُّ الأمر أقسامُ
إن كان بى جزعٌ فالصبرُ غايته — أو كان بى سَقَمٌ فالعيشُ أسقام

---

(1) أهاب به دعاه .

(2) الطرف : الفرس

(3) السمندل : دابة يقال إنها لا تحترق فى النار .

وإن دمعى حتمٌ لست أدفعه إذا ابتلانى إثخانٌ وإيلامُ

فإن تربت فعيشُ المرءِ متربةٌ وإن غرمت فبعضُ الغرمِ إنعامُ

وإن مدحت فأمر كان عن قدرٍ يجرى القضاءُ فيسرى اللومُ والذام[1]

يا مرحباً بالذى يأتى القضاءُ به حظّ المحكم ترحيبٌ وإعظام

حزمُ المزورِ إذا ما زاره ملكٌ أن لا يلوح به حقدٌ وأوغام[2]

أدرْ علىَّ كؤوسَ العيشِ قاطبةً سعدٌ ونحسٌ وإهوان وإكرام

إن كان عيشٌ فإن العيشَ محتملٌ أو كان موتٌ فما لى عنه إحجام

الظِمْءُ والجوعُ ، والأسقام قاطبةً والذلُّ ، والفقر ، تقديرٌ وإرغام

وإن لجأت إلى موتٍ ألوذُ به فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوام

فإن فررت فمن حتمٍ إلى قدرٍ قد استوى فيه إحجام وإقدام

والجسمُ فى العيش لا يعيا بمؤلمه وإن أتيح له نوحٌ وإرزام[3]

هذى مرارةُ كأسٍ لذّ شاربها خمارها فهو عبّاس وبسّام

والنفسُ كالخيل والأقدار رائضها فالبؤس ركضٌ ورغدُ العيش إجمام[4]

مادمت تعدو من الأقدار عدوك من ضارى الفواتك فالأقدار آلام !

خلود التجارب

وكم ساعةٍ كالخلد فزتَ بخيرها هو الروح حرٌّ لا يذلُّ لتحكيمِ

بلغت بها أقصى مُنى النفس كلّها كأنَّ قضاءَ الدهرِ ليس بمحتومِ

نفوسٌ تودُّ العيشَ نهزة لاعب فتحسب أنَّ العيشَ أضغاثُ محموم

---

(١) الذام : الأمر المعيب .
(٢) الوغم : الحقد الثابت فى الصدر ، والجمع أوغام .
(٣) إرزام : اشتداد الصوت .
(٤) أجم الفرس : ترك يمرح ويستريح .

ترجّى سنىً العمر كالنحل ضمّنا لعيشٍ كأرْى النحل ليس بموهوم
ترجّى خلوداً والخلودُ عناؤها وأى بقاءٍ خالد غير مسؤوم
وما الخلد إلا ساعة تقنع الحجى وتُسعد نفساً لا تدين لتهويم
وقالوا بأن العيش فرضٌ مبغض وذلك حرصٌ منهمُ غير مكتوم
وعذرٌ على حبِّ الحياة ولهفة وأى امرىء فى العيش ليس بمكلوم
يعيش شقُّى الناسِ من خيرِ عيشه وإن كان يسعى فى الورى جدّ مهموم
يظل فتى فى نفسه ذخر ذاخر وإن كان محروماً كأنْ غير محروم
فما العيش إلا حكمةٌ وتهادنٌ فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويخلط حلواً فى الحياة بحنظل ويأخذ من عيشٍ حميدٍ ومذموم
وقد صحْ أنَّ الجدَّ يلهى عن الأسى وإن كان جدّاً لا يجىء بمغنوم
وكم نُهزة بالحسٍّ لم أحسُ خمرها حسوت بنفس تستقاد بتكريم
هو الروح مثل الحسِّ فى كلِّ لذةٍ وليس نعيم نال روحٌ بمحلوم
وطالعتُ فى سِفر الحياة كأننى ظفرتُ بسفرٍفى التجارب مرقوم(١)
فما نفع هاتيك التجارب هديها وليس أخو التجريب فينا بمعصوم
ولكنّها لذات نفس تمرّست بوقعٍ مرجًّى أو مواقع منقوم(٢)
فمنها مصيفٌ للنفوس ومربع ومنها كعام المحل ليس بمرهوم(٣)

---

(١) مرقوم : مكتوب . (٢) الواقع : المكان المرتفع من الجبل ، والسحاب المطمع ، والمنقوم : المكروه . (٣) المحل : الجدب . والمرهوم : المطير .

المثل الأعلى

يزعم الزاعمون أن أخس الـ خلق فى النفس لازب لن يزولا
كيف لا يخلد الخسيس من النفـ ـس إذا ما اعتقدت أن لن يحولا
مرحبا بالمحال فك عن النفـ ـس من العجز والقنوع كبولا
يشرق المرء بالزلال فهل كا ن زلال من أجله مرذولا
إنما التذت الحياة لأنْ كا ن ستير من أمرها مجهولا
كل معنى عرفته كان مملو لا ومعنى جهلته مأمولا
إنى ولعتُ بروقة الأحلامِ أأُلام فى طربى وفى استغرامى ؟
دنيا يشطّ بها المنامُ إذا نأى صدُّ الحبيب يشطُّ بعد لمامِ
ومن استنام إلى الحقائق لم يجد عزماً سوى ناب لديه كهامِ
عجباً نعافُ الخيرَ وهو محبّب حتى كأن الخيرَ فى الإحجامِ
جهل الورى فمضى الورى فى الشرإ نَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ فى الأحلام !
مافى الوجود حقيقةٌ غير النهَى فاطمح بنفسك للذرى والهام
أتنال أوهامَ الحقائق قانعاً وتعاف خيرَ حقائق الأوهام ؟
والعيشُ إن لم تبغه لعظيمة فالعيش حلم طوارق الأعوام
لفررت عن دار المذلة والأذى لو فرَّ بعضُ الناسِ فى الأحلام
وبدا له بين الحقيقة والكرى بابٌ لولاجِ العوالمِ سامى
فيفرُّ منه إلى الفضائل والنهى وينال ما يغلو على المستام
إن خلت أن الذام ضربةُ لازب فى النفس كيف تعاف ضرَّ الذام ؟
والنفس إما شئتَ كانت عالما يسع الدُّنى فى طوله المترامى

فكأنما جزعَ الزمانَ جناحُها   فرأته من خلفٍ له وأمامِ[١]
وكأنما حد الفضاءِ يحدها   يا طيبه من منزل ومقام !
فإذا سكنتَ إلى مجالى عيشها   ذلَّلتها بخزامةٍ وزمام
ورأيتَ عالَمها الوسيعَ كعالم   للنمل يصغر عن مدى الإعظام
لو كنتَ تعرف قدر مقبل علمها   أو جهلها لكشفت كل قتام[٢]
وعرفت ما العرفان لا يلوى به   أقصرْ فليس مرامُه بمرام
والمرءُ يضمر للبعيد مهابة   فإذا دنا ألفاه حظّ طغام
ويرى المحبّب بين ذين يرومه   بالنصر آونةً وبالإكرام
ولربّ نفسٍ كالخشاشِ مطارها   زحف الصلالِ تدب فى الآجام
أنى يكون معبّد لحياته   بين الأباةِ الصيد والأعلام[٣]
ولربّ مصفودٍ بلذة عيشه   كالنحل يصفد فى الجنى بحمام[٤]
ومن النفوس ذوات أجنحةٍ ترى   كالطير ناهضة على الآطام[٥]
ولذاذة الآثام فى ندم عليـ   ـها قد أتيح لجدّة الآثام
إنّ السكينةَ قد يملُّ نزيلها   حتى يلذ العيشَ فى الآلام
بئست حياة قد رضيت براكد   من أمرها وقنعت بالإجمام[٦]
فالنفس للمثل الأجلِّ طموحها   كالنجم يهدى من وراء ظلام
طوراً كما رقص السرابُ وتارةً   يشفى به من غلّةٍ وأُوام[٧]
كالبدرِ فى ليلِ العواصفِ ساطع   فى أفق مخشى الزماجر طامى

---

(١) جزع المسافة : قطعها   (٢) القتام : الغبار والسواد   (٣) المعبد : المذلل

(٤) المصفود : المقيد   (٥) الآطام : الحصون   (٦) الإجمام : الإراحة (٧) الأوام : العطش .

يبغى به الملاّحُ هَدْى سفينه ... فى زاخر باللجّ كالآكامِ

كم صان من جاشِ الحزين وكشّفت ... لمحاته من سُدفة الإظلامِ

من ذاد عنه النفس يخشى هلكها ... كمعالج للظمءِ خوف جمام[1]

صنو الذى لم ترضه لمحاته ... من يبتغى فى النجم فضل ضرام

لولا وقوع شعاعه فى نهجها ... ضلّت عليه طليقة الأيام

والمرءُ إن نبذَ الكمال وهديه ... شقّ العصا وأحلّ كلّ حرام

ورأى الأنامَ فريسةً مذخورة ... لموفقٍ فى شرّه عزام

ولقد يعود قذى يصيب به العمى ... فينال من عزمٍ ومن إقدام

كالنار يهلك حرّها وضياؤها ... يعشى وفيها من هدى وقوام

يحكى أضاميم السَقام ولوعه ... فكأنه سقمٌ من الأسقام

ولطالما خاض الفتى من أجله ... كيما يكون زواخر الآثام

أقسى الأنام من استبد به الحجى ... فسها عن العبرات والآلام !

الفصول [2]

طيرى أمانيّ النفوس وغرّدى ... فلقد دعاك الروض خير دعائه[3]

هذى عيون للطبيعة قد رنت ... فى الزهر من أكمامه وخبائه

بسط الربيع على الحياة رِدَاءَه ... ياليتها أبداً تُرَى بردائه

بل ليته بُرْدٌ نخيطُ على هوى ... هذى النفوس لكى تُرى بروائه

---

(١) الجمام : مقادير المياه أى خوف الغرق يأبى أن ينقع غلة

(٢) أعيد نشرها بمجلة الرسالة عدد ٢٤٩ فى ١١ أبريل ١٩٣٨ بعنوان « الفصول » : وكانت فى الأصل بعنوان « الصيف » .

(٣) فى الأصل – دعاك الصيف

والشيء لولا أن يَرُوعَ بفقده ... ما شاق عند قدومه بلقائه

* * *

لا كالشتاءِ تزايلت أوراقه ... كتزايل المهجور عن قرنائه

تتناثر الأزهار عن أفنانه ... كتناثر اللّذات من أهوائه

وتخال إذْ دَلَفَ الشتاء كأنما ... ساق السَّنا بِدَبُوره ورُخائه

هَربُ الضياءِ من السحاب وريحه ... هَرَب الكعَاب من الهوى وقضائه[1]

فرّ الخريف من الشتاء وخلفه ... عادٍ يريد لحاقه بجرائه

مثل المريض يفرّ من عادى الردى ... هيهات ذا ، والدّهرُ من أعدائه

راع الشتاءُ بقُرِّه فكأنما ... أنفاس ثغر الموت قُرّ هوائه

والريح مثل فم الشتاءِ وصوتها ... شكوى العجوز يخاف من أبنائه

نقمَ العقوقُ فقام يشكو أمره ... للناس ينشد آسياً لبكائه

والأرضُ تنظر فى فروج أديمها ... نظر الفقير إلى ثقوب ردائه

من بعد ما نفدت نفائس كنزه ... سَرَفاً وشحّ العيش بعد سخائه

وكأنما دجَنُ الشتاء مقطِّبا ... ذكرى العجوز لزهوه وفتائه

وكأنما دوح الخمائل فى الدجى ... نشوى شياطين انتشت بسقائه

شربت من الإظلام حتى أكتئبتْ ... تبغي النهوض كمكْتئبٍ من دائه

فى كل غصنٍ فى الظلام نواظر ... كنواظر للغيب خلف كفَائه[2]

وكأنما دوحُ الظلام ثواكل ... لبست حدادَ الثكل فعل نسائه

تحنو عليك غصونُها فكأنما ... تبغى سرار السمعِ من إصغائه

والدوحُ يهفو كالمؤرَّق فى الكرى ... يلوى على الأفنان فضل كسائه

---

(١) فى الأصل : هرب الضياء من الرياح إذا سطت .

(٢) الكفاء هنا : الغطاء .

تتـــــــردّدُ الأرواح فى أفنـانـه ... كـتنفّس الرعـديد فى لأوائه[1]

وكـأن فى إطراقـهـا وسكونهـا ... فكرُ المصـيخ لروحـه ونـدائه

ياليت بعض العمـر تُقطَعُ بيـدهُ ... وَثبـاً ويُمْـهِل فى سنىً رخـائه

كـالسِّفْر تقرأ بعـضه مُـتريِّثـاً ... جـذلاً وتطوى بعـضـه لهـرائه

أوليت حادى الأرض يعكس سيرها ... عن بعض دورتهـا بوقع حـدائه

أوْليت هذا الدهر عـقـربُ سـاعـة ... يَلْوِى به عن نحسـه وشـقـائه

آمـال أمس كـزهرة قـد صَـوّحَتْ ... عـود الربيع مـجـدّد لرجـائه

يانفس لا تأسىْ لعمـر قـد مضى ... بربيـعـه زمن أتى بشـتـائه

تَتَشـوّفين إلى قـديم عـهـوده ... نَظَرَ الغـريق إلى السُّهَى وسـمائه

بُشـراكِ خلف الموت لو ترديـنه ... نبت الربيع يروق فى غلوائه[2]

كالطير بعد الصيف تترك عشها ... نحـو الجنوب ترود أرض ثوائه

* * *

عطف النسيم على الأزاهر هامسـاً ... أنَّ الربيعَ سـعى إلى ندمـائه

إنّ الربيع أخـا الصبيحة مقبلٌ ... إقـبـال وجـه الحبِّ فى لألائه

كـالظئـر بَشَّـرت النؤوم بأن بدا ... فـجـرٌ لعيـدٍ كـان قيدَ رجائه

والقلب مثل الطير فى وضح الضُّحَى ... يتلو على الإصـبـاح آى غنائه

وكـأنما أمّ الخـلائق دوْحـةٌ ... من قـبل آدم فـهى من قـربائه

تشدو كَشَدْوِ الأمّ ناح وليدها ... تحنو عليـه لصـونه ووقـائه

والريح طيـرٌ شـاد فى أفنانهـا ... وكـراً كـأن الزهر من أبنائه

(١) اللأواء : الشدة . وفى الأصل : .. فى أفنانها (٢) فى الأصل - أرض الربيع ..

وكـأنَّ أجنحـة الملائك نسـمـهـا نَسَمٌ يطبُ برفـقـه وصـفـائه
وكأنَّ ينبوع الحياة غديرها خُلْدُ الصّبا في جرعـةٍ من مـائه
والقلبُ مـثل النهـر باشَـرَ مـاءَهُ جسم الحبيب تراه في سَوْدائه(١)
أهْوَاك ياروح الربيع فـهـيِّـئي جسـماً كجسم الغيد في لألائه
ثم ارقصي بين الخمائل في الضُّحى رقص المدلِّ بحـسنه وبهـائه
فلعلَّ في قـبـلات ثغـرك برء مـا أعـيـا الأنام بحكمـه وقـضـائه
أرد الخلود بقـبلةٍ وبضـمـةٍ تروى ظمـاءَ الخلد من لميـائه(٢)
والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى تُفْضي إلى الآفاق من أنبائه
الأرض أمٌّ للخـلائق كلهم والشمس بَعْلٌ شاقها بفَتَائه(٣)
فالناسُ والأطيارُ في وَضَح الضحى والزهر في الأكـمـام من أبنائه
النـارُ والأمـواهُ من آبائـنا والنـار والأمـواه من آبائـه
يهنيك يادوح الخـميلة بعـده نسـيـان نيـسـان وطيب هوائه
تنسى الربيع كأنه ما زفّه نغم البـلابل في مـثيـر حُـدائه
لا تمنع المشـتـاةُ عَـوْدَ زهوره وأريج نسـمتـه وحَلْي كَسـائه
يا ليت طيب العـمـر يُنسى وِرْدُهُ فـأبيتُ مـثلك لا أحَنُّ لمائه
لكنَّ طيب العـمـر ليس بعـائد لأخي صَدىً يُظْميه صَوْب بُكائه
وترى كحـالات النفوس تغـيّـراً في روضـه وسـمـائه ونِهـائه(٤)
فـكأنما للكون روح خُلْقُـه يبـدو لنا في غـيْمـه وضـيـائه
تتـغـيـر الأشيـاءُ فوق وجـوهه لتـغـيـر الأشجان في حَوْبَائه(٥)
من لي بأجنحةِ الزمانِ أهيضها كي لا يطيـر بصـفـوه ورخـائه

(١) سوداء : قلب (٢) لمياء : شفة (٣) فتاء : سخاء وفتوة

(٤) النهاء جمع نهى : الغدير . (٥) الحوباء : النفس .

أوْليتـه الغَـرِد الحبـيسُ أُقيـمُـه | كـيـمـا أُراح لشـدوه وغنائه
كى يذكـر العـهـد الأنيق وأوجـهـاً | كـانت تـطلُّ على وذيلةِ مـائه[1]
خلع الجمـالُ قناعَـه وسـعى إلى | عـشّاقـه وعـفـاته وظمـائه[2]
والمرءُ لولا صَـيْـفـه وربيـعـه | مـاذاق حُلْمَ السّعـد فى لأوائه[3]
والروضُ بـابٌ للجنان وثغـرة | منهـا ترى الفـردوس خلف فنائه
وكـأنما صـبغ الأزاهرَ صـابغٌ | فـتكاد تأخـذ منه إثرَ طلائه
والضـوءُ غُـدرانٌ ترقـرق تبْـرُها | وأراق منهـا الأفق فـضل إنائه
واللونُ شِعْـرٌ للطبـيعـة وقـعُـهُ | فى العَـيْن وقعُ اللحن فى سودائه
شـهـدَ الشـتاءُ بأن أفق سـمائه | أدنى إلينا من قـصىٍّ فـضائه
والنفسُ تعظم فى الربيعِ كـأنهـا | فى زهره ونسـيـمـه وصـفـائه
والضـوءُ خـمـرٌ للنفوسِ ونشـوةٌ | ودم الحـيـاة يشـام فى أثنائه
والأرضُ كالحسناء قُدّ قـميصُها | فبدت محاسنُ جسمها ووَضائه
فكأنما رفع الربيعُ حـجـابَهـا | فانجاب ستر الحسنِ عن حسنائه
والضّـوءُ كـالحـسناءِ بُزَّ رداؤها | فأمـاطَ عنهـا العُرْىُ ستـر غطائه
والقلبُ مثل الطيرِ هِيض جناحُه | فـى نَـزْوِه وحـنـيـنـه وغـنـائـه
والطيـرُ أفـواه الرياض فـشـدوها | أبداً يزجّى الدّهرَ وقْعُ حـدائه
وكـأنما نغمُ الحـفـيفِ هواتف | فى القلب دَوّت منه فى أنحـائه
والضوءٌ من خَلَلِ الغصون كأنه | طيـرُ الفـراشِ نراه من شـجْـرائه
وكأنه والقلب يذكو شجوه | شـرر الغـرام يطيـر من حَـوْبائه
نثرتْ ذكاءُ على البسيطة عسْجداً | فاذخـر ليوم الدَجْن كنز ثرائه[4]
ولكل شىء منطقٌ يشـدو به | والنفسُ تعرف كنه سحـر غنائه

(١) وذيلة : مرآة (٢) عفاته : طلاب فضله (٣) لأواء : شدة (٤) الدجن : الغيم المظلم .

تتلو عليك الطيرُ طيبَ ثماره ... وأَريجَ روضته ورقة مائه

والحسنُ ظلٌّ للسعادة فى الورى ... إنَّ السعادة لا تُرى بفنائه

ظلُّ الجنان على البسيطة واقعٌ ... فاستقبل اللَّذات من آلائه

يُنسى الحياة وبؤسها وشقاءها ... حتى يخال الحُلم أصل شقائه

فكأنه كون حلمت بحسنه ... حتى نقلت إلى ذُرَى خضرائه

هذى الطيور صوامت كنواطق ... ذخر النسيم نشيدها لهوائه

* * *

وكأنما زهر الخميلة إن بدا ... حُلُمُ الهوى في طيبه ووضائه[1]

والطيرُ أرواحُ الزهورِ وصَيْفُها ... عهد الشباب يروق فى لألائه

ضحك الزمان فذاع من ضحكاته ... صيف يعيد الحبَّ فى غلوائه

والقيظ يزفر بالهجير كأنما ... يتنفس الولهان من بُرَحائه

فكأنما مرحُ الحياة وحسنُها ... لهب ترقرق فى خفيٍّ دمائه

وكأنما نغمُ الطيورِ أريجُها ... يُسقاه زهر الروضِ فى أنْدائه

فيحيله نشراً يَضُوعُ ورونقا ... يشتار منه النحل أرْىَ عطائه

ودّت ذوات الحسن أنَّ حُليَّها ... كحُليِّه ورداءها كردائه

مرح الكعاب الرُّودِ فى خطراتها ... كالنهر يرقصُ فى ترقرق مائه[2]

والريح تعبث بالغصون كأنها ... طِفلٌ يعيث على رؤوس إمائه[3]

وترى جذورَ الدَّوح مثل أصابع ... بسط الشحيح يصون كنز ثرائه

وكأنما نغمُ البلابل مَطْرَةٌ ... فوق اللُّجين شجا مُرِنٌّ إنائه

تندى على القلب الجديب فينثنى ... روْضاً يرفّ بزهره وأضائه

---

(١) الأصل : فى طيبه وسنائه (٢) فى الأصل : عدواتها (٣) فى الأصل : على شعور

والزهرُ في وَضَح الصبيحة قد صحا ... صحوَ المفيق من الكرى وقضائه

وجلت ذكاءُ ندى الزهور كأنها ... أمٌّ الوليد تزيل فضل بكائه

حتي إذا اشتدّ الهجير حسبته ... نشوان أثمله اللظى بسقائه

وإذا الأصيل علا السماءَ حسبته ... ذا لوعة حانت نوى قربائه

وحمَى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره ... كمعشّقٍ متستّرٍ بردائه

وتراه يرنو للنجوم كأنها ... حُلُمٌ يُطِلُّ عليه في حَوْبائه[1]

كالطفلِ يُبْصِرُ في الوذيلة وجهه ... فيخال ذاك الوجه من قرنائه

تحكى النجوم الزُّهْرُ في دوْراتها ... رَقصَ المدلّ بعيشه وروائه

والنجم من خَلَل الغصون كأنه ... ثمرٌ تَدَلَّى من عليّ سمائه

درس السماء صفاءها وضياءها ... حتى جرى بعروقه ودمائه

والحي يحيا كالذي هو ناظر ... كالأُفْقِ يُرْسَمُ في متون نهائه[2]

والزهرُ يحلم بالفرادس طرفه ... حلم الغريب بأهله وفنائه

حَسِبَ الطيور تحاملت عن قلبه ... وبدت تبوح بشجوه ورجائه

والقلب مرآة الزمان فصيفُه ... في صيفه وشتاؤُه كشتائه

والكونُ مرآةُ الفؤادِ فقبحُه ... وجمالُه في نحسه ورخائه

والضوء مثل دم الربيعِ فلا تَعفْ ... جُرَعًا تنيلُ الخلْد من ضَذائه

هذي الطيور لسانه وغناؤها ... مستأنف من شدوه وغنائه

والزهر في حرّ الهواجر نائم ... سحرته باللحظات عين ذُكائه[3]

والأرض تحلم بالجِنان فصيفها ... حُلُمٌ يزيح القلب من ضرّائه

بسطَ الجمالُ على الفضاءِ جناحَه ... فالصيف من لألائه ورُوائه

فكأنه مَلَكٌ يُحلّقُ فوقها ... فتصيب من آلائه وعطائه

---

(١) الحوباء : النفس (٢) النهاء على وزن فعال : الغدران (٣) ذكاء : هي الشمس .

ياليت أنَّ المرءَ في أرجـــائهـــا
متَـفـرِّقٌ في أرضـه وسـمـائه(1)

حـتى يصيـرَمن الجـمـال بمنزل
في مـائه ونسـيـمـه وضـيـائه

وتظل تسـمـو النفسُ في آفـاقـه
كـالطيـرِ حلّق في أديمِ فـضـائه

خواطر الأرق

ياليلُ أين أليفُ الهمِّ والذكـرِ
مسهَّد القلبِ عون لي على السهرِ ؟

وصـاحب الهمِّ يبـغي صنوه أبدا
كساهرِ الليلِ يقضي الليلَ بالسمرِ

فـقل لأحـلامك اللاتي نراح لهـا
قَولي لمن هو روح الضوءِ والبصرِ

خاض الزمانُ مياهَ الحبِّ فاعتكرت
كـخائض النهر أبدى كـدرة العكر

مـراسم لك دون القلب يدرسـهـا
كالريّح تمحو ظلالَ الزهر في النهَر(2)

وعنكبوت من النسيان ناسجة
خيطاً على القلب يخفي أنفَسَ الذخر

جلت عن القلب ذكرى منك طارقة
كمن يزيح القذى عن شرعة الغدر

فـابعث بذكراك في قلبٍ نبت به
كالجذر مستوثقاً في منبت الشجر

فـإنّ زهرة حـسنٍ أنت لابسـهـا
تسـقي دمي مـثل ريِّ الماءِ للزهر

والذكـرُ كـالطرف إمـا نابه أرق
ياعازبَ النومِ أسدل حاجب الذكَر !

خـواطر كطيـورِ الروضِ سـانحـة
تستدرج القلبَ أخذ الطير بالنظر

إن غـربّت فـإلى ذكـراك عـائدة
عَود الطيور إلى الأوكار في الشجرِ

قد قُلت للحبِّ لا تعتب على سكني
لنبـوةٍ منه في أيامك الأُخَـر

كم لي وكم لك من يوم لنا بَهِجٍ
بطلعـةٍ منه تحكي طلعةَ القـمـر

---

(1) في الطبعة الأولى : في أرجائه متزايل في أرضه (2) يدرسها : أي يمحوها .

إن يقس قلبك فالأقدار قاسية … وأسعد الناس من يأتم بالقدرِ

أو يجف قلبك فالأثمار يانعة … ودون ذلك يُبْسٌ من نوى الثمرِ

أو كان قولك مرَّ الطعم لاعجبا … فإن تغرك كأس العابس الأشِر(1)

فارجم بقلبك قلباً أنت مالكه … فإن قلبَك مثلُ الماس في الحجر

ولست أول من أصمى فلا حرج … للناس رجم كرجم القرد بالمدر(2)

لم يترك الناسُ من قلبي له رمقاً … حتى أقول تحرجْ من دمٍ هدرِ

يرمونني بقلوبٍ في مودتهم … أقسى من الصخر فعل الراجم المكر

كأنها بعض أحجارِ الجحيم رَمت … بها شياطينُ تبدى صورةَ البشر

والحبُّ كالبحر لا يخشى به غرقا … من غاص فيه على الأصداف والدرر

وخالطٌ في الهوى لم يدر لذَّته … كخالط الكأس أخطا لذة السُّكُر !

غل السرائر

لقد عابني للناسِ أنْ عفتُ لؤمَهم … ومن لم يسغه فهو أجنب بائنُ(3)

وإنّ رضاءَ النفسِ ما ينبغي لها … وليس رضاءُ النفس ما هو كائنُ

فيا عائباً نفسي بقولة كاذب … وما عاب نفساً جائر القول مائن(4)

أتبصق في المحراب وهو مطهر … وتحسب أن البصقَ لله شائن ؟

يقولون : رزق المرءِ مفتاح قلبه … ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائن

فدع عنك هذا الناس إن كنتَ فاعلا … يكاد المبادى والصديق المداهن

أقولك للأنعام عزى يعزها … وإن قلت لليث اصطبر هو ساكن!

وكيف يطيبُ العيشُ للمرءِ وحده … ومن حوله في الناس باكٍ وحائن(5)

---

(1) أشر : بطر (2) المدر : الطين (3) بائن : فاسد

(4) مائن : كاذب (5) حائن : مصاب ؛ محروم

يضير شقاءُ الخلقِ من حيث لا يُرى — كما تطرق العدوى وإن قيل آمن

يقارب في بغضى عدوّ عدوه — كما اقتربت في الصدر منه الضغائنُ

ولحّتْ صدور العجم تضمر بغضتي — فقد شاكلتها في الأنام القرائنُ (١)

ومن نغص الحساد نعمى يسيغها — رأى أن لحظَ الشمسِ في الأفقِ عائن (٢)

سخائم لا يدرى سوى الموت سلها — إذا بشمت منها النفوس البوائن (٣)

لئن بلغ الإنسان أفق وهاده — تعجب من غلٍّ طوته البواطن

وقد يعجب الإنسانُ من غلّ غيره — وقد عمرت في الصدر منه المواطن

وكل امرىء فينا حسودٌ محسَّد — ولكنْ على قدر النفوسِ التباين

لئن كان في نفسي عدوٌّ أخافهُ — فلا غروَ إنَّ الناسَ عادٍ ولاعن

حياتي حياةٌ إن يلح ليَ حسنُها — يهشّ لها من سادرِ الموتِ ماجن

تضيء شموس المجد آثار من مضوا — أتدفأ منها في الضريح الدفائن ؟

آلة الضمير

ألا من لدهر وأيامه — وخبَّ يكيد بإيهامه

يودّ عشير الورى صنوه — لكيما يسرّ بإيلامه

وليس الضميرُ لخير سواه — ولكنْ ليحظى بأحكامه

ليمنع إتيانه مأثما — يرى مهلكاً دون إنعامه

فإن لم يجد فيه هلكا يعاف — تناءَى الضمير بآلامه

فلا تبتغ النصف من خيِّر — يرى الطهر في روث آثامه (٤)

---

(١) لغّ : التفت مضايقه ، اختلط عقله (٢) عائن: محتبس (٣) السخائم : الضغائن

بشمت : أتخمت . البوائن : المتباغضة . (٤) النصف : العدل .

هل التبر يحمر من سفكه		دماء تصيح بإجرامه ؟
وما الناسُ إلا أخو خجلةٍ		برئ شقىّ بأحلامه
وذو لوثةٍ ماله من حياءٍ		يخفّض من حقّ إكرامه
فداو الحياءَ ببعض الشرور		لتفلت من ظنٍّ لوّامه !
وما كلُّ باغٍ لخير الشرو		رِ ينقع من غلٍّ تهيامه
بقدر تُقاكَ يضيرك شرٌّ		كَ ضيرَ النقيض بإلمامه[1]
وبعضُ الضمائرِ داءٌ عياء		يذلُّ البرئ بأسقامه
وآخرُ كالسيفِ حرب الخطوبِ		ونور المغذٌ بإلهامه[2]
ومن لذة العيشِ جهلُ المغام		ر لؤم الضمير وأوهامه
وذلك من خير هذى النفو		س ، والشرّ يثنى بإبرامه

دعوة المصلح

ألا يا صيحة أطلـ		ـقها المحتثّ فى الوادى
لئن كنت طواك الدهـ		ـر فينا طىّ أبْراد[3]
أما يزجى خفاء البذ		ر زهر الفن البادى ؟
سقاك السامعُ الواعى		بصوبِ الرائح الغادى
وغنّى هاتفُ النفسِ		بغصنٍ منك ميّاد[4]
ففى النفسِ بلاغٌ منـ		ـك مخبوءٌ لميعاد
وفى النفس اقتدارٌ منـ		ـك مثل الضَيغم العادى[5]

---

(١) ضاره ضيراً : أضر به (٢) المغذ :المسرع فى سعيه (٣) البرد : ثوب مخطط ، والجمع أبراد . (٤) المياد : المتمايل (٥) الضيغم : الأسد ، والعادى : العدو .

غـداً ينفجر الصخرُ ... برىّ الهالك الصادى[1]

وصمتٌ منك قد يحدو ... بإبراقٍ وإرعاد

وإنَّ الدهر بانيك ... بأطناب وأعماد[2]

وخصّت لك فى الغيب ... مقادير بمرصاد

وكم من دعوةٍ قامت ... مقام الماءِ والزاد

وكم من خافت الأصوا ... تِ ذى وعد وإيعاد

سيسعى لك أفواج ... بإتهام وإنجاد

ويهفو منك فى الأقوا ... م من غىٌ وإرشاد

ويحكي صادر عنك ... إذا مرَّ بورّاد

وكم من مختفٍ ينحـ ... ـر فى صرحٍ وأطواد

ألا يا صيحة خيلت ... أضلَّ طريقها الحادى

وظلّت وهى كامنة ... كمونَ الصلِّ فى النادى

كما تختمر الخمر ... ةُ فى الدَنِّ لميعاد[3]

الشهرة بعد الموت

ما أحسن الصيت لو أن الفتى ... يزاد عمر الصيتِ فى عمرهِ !

أما ولا نفع يرجّى به ... واغَبْنةَ الميت فى ذكره

يهدم من لذات أيامه ... كيما يُشادُ الذكر فى قبره!

وما رأينا بائعاً من غدٍ ... بما مضى بالذكر من دهره

بشهرة من أزلٍ غابرٍ ... ليومه المُعْنِق فى فرّه[4]

---

(١) صدى : عطش عطشاً شديدا فهو صاد (٢) أطناب : حبال تشد بها سرادق البيت ، عروق الشجر

(٣) الدن : الوعاء . (٤) المعنق : المسرع .

سيّان صيت قد مضى عهده ... والمقبل المرجو من أمره
والذكر ظلٌّ لحياةٍ مضت ... يخفيه جرمُ الدهرِ فى مرِّه
ورب ظلٍ خلف ساع سعى ... والظلُّ كالمُعنق فى إثره
صيت يعيد الذهنَ كالمنتضى ... والسيف راق العين من شَهْره[1]
والنفسُ تبغي الخلدَ فى وهمها ... والوهمُ مثل الحقِّ فى خدره
فالبُطل فى إيمانها نافع ... إن لم يربها الوهمُ فى غدره
تحتال بالأهرام طوراً وبالـ ... ـقرطاس يحوى اللبَّ فى سِفْره[2]
سفائن لابد من هلكها ... إذا استفاض الدهرُ فى بحرِه

دلال الربيع

أنت روحُ الربيع حين تلالا ... يا ربيعاً زاد الربيع جمالا
غير أن الربيعَ وهو عزيزٌ ... ليس يسلى عن الحياة رجالا
إنْ أتى كان قُرَّةً ووصالا ... أو مضى كان ذكرةً ومقالا[3]
أيها المعرض المدلّ بطرف ... وبثغر يحكى لنا الجريالا
زد مطالاً فلست أبكى وصالا ... تهْ دلالاً فلست أخشى دلالا
أنا كالليل يفزَع الغرّ منه ... ويزيد الحكيم فيه جلالا
ويرى الرأى فى الدُجنة ما لا ... تبصر العينُ حكمةً ومقالا[4]
هو نعم الطبيب إن كرث الخطـ ... ـبُ وأنحى على اليتيم وطالا
وابتدار الربيع عانقه كا ... نون أرعى من أن يطيل زيالا[5]
وسريع كرّ الزمانِ فإن فا ... ت شتاء حدا الربيع زوالا

---

(١) انتضى السيف : استله من غمده ؛ وشهر السيف : سله فرفعه .

(٢) السفر : الكتاب الكبير (٣) قرة العين : ما تسكن إليه وتسر .

(٤) الدجنة : الظلمة (٥) زايله : فارقه .

وطلوعُ الربيعِ وهو قرين ... لشتاءٍ أرجى وأجدى نوالا
ضمّ قلبى من الحوادث ذخرا ... تارةً مطرة وطوراً هلالا[1]
ياشبيهَ الربيع إنَّك حال ... وفؤادى قد شامَ حالاً وحالا
وفؤادى كالكون لا بل هو الكو ... نُ حوى منك نضرةً وجمالا
فابتعد إن قدرت هل يجد البـ ... ـدر عن البحر والسماءِ مجالا
وائتنى فى الشتاءِ أرتجع الصيـ ... ـفَ إذا شئت قيظه والظلالا
بزفيرٍ يحيى الغصونَ ويلقى ... فى رواءِ الزهور سحراً حلالا
فيفرّ الشتاء فى غابر الدهـ ... ـر ارتياعاً وحيرةً وضلالا
غير أنى أقلى من الصيف إن جا ... ءَ وقد آذن الربيعُ ارتحالا[2]
يا ربيعاً مضى وخلّف فى القلـ ... ـبِ غراماً كالصيف أوفى وغالى

ربيع القلوب

ربيعَ القلوبِ وعهدَ الزهور ... مطارك مثل مطار الطيور
تضمّ لنا الإلف بين الوكور ... معللنا بالرجاءِ القصير
وخادعنا عن صروف الدهور ... وخير الخمار خمار السرور
وخيرُ زمانٍ زمان الزهور ... وعهد الهوى ونجىّ الصدور
ويارُبَّ عهدٍ كوجه البشير ... كثير الأمانىّ جمّ الحبور
وهلى يصقلُ العيش غَير الغرور ... وهل يشبه الزهر غير الثغور؟
تمرُّ علينا بلفح الحَرُوُر ... وطيبِ الزهور ونفح العبير[3]
وتخلف ذكرى كشدوِ الخرير ... ربيع القلوب وعهد الزهور

---

(١) المطرة : الدفعة من المطر ، والهلال : أو ل المطر وقليله (٢) قلا : أبغض

(٣) الحرور : الريح الحارة .

فقم واستمعْ نصحَ هذى الطيور ... تقول اغتنم صفوَ عيشٍ نضير
ولا تغبنن فى الشباب القصير ... فعهدُ الشبابِ كعهد الزهور
فيا قمرًا فى ليالى الحبور ... طلعت علينا طلوعَ البدور
لتغرب فى ظلمات القبور ... تمتع بضوئك قبل المسير
فمكثُك فينا كمكث الزهور ... وملكك فى ضوءِ هذا السفور
وعادى الردى يده فى النحور ... وفى كل جيدٍ ممرّ الجرير[1]
وكم ثمر عَطِن فى الثغور ... ويعبث بالزهر عصفَ الدَبور[2]
ولا يندمُ المرءُ قبل القتير ... وقبل انجلاء غشاء الأمور[3]
فإنّ الشبابَ كثيرُ الغرور ... وفعل الرجاء كفعلِ الخمور
وهل ينفعُ المرءَ وعظُ النذير ... إذا فات عهدُ الشبابِ النضير؟

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائب نفسِ ... فى ضلوعٍ من الحوادث درسِ
فبما قد أفاض من وَضَح الحسـ ... ـن عليها كالبدر فوق الرَمْسِ[4]
أو أكن قد بكيت للنأى فالأر ... ض تريق الندى لنأى الشمسِ[5]
ولو أنَّ الأيامَ تدرك ودًا ... لبكى لى من حرقة النأى أمسى
أنت نفسى وليس من حقٍّ نفسى ... أن يقولَ العذولُ أبغضت نفسى
أشقاء فى الحب قد صارَ سعدا ... أم هو السعدُ حائلٌ للنحس
فكأنى أحببتُ منك خيالاً ... خلت إياك غير جسمٍ وجَرْسِ[6]

---

(١) الممر : المحكم الفتل ، والجرير : الحبل (٢) الدبور : الموت (٣) القتير : الشيب .

(٤) الرمس : القبر والتراب (٥) النئى : البعد (٦) الجرس : الصوت .

وكـــأنى لم أُلفِ بعـــد لقـــاءً | أتقـــرى اليـــقين منك بلمسِ
فلعلّى إذا لمســــــتُك لم ألـ | ـفك فينا إلا مجاجة شمسِ
إن تكنْ قـــد نفـيت عنى آمـــا | لى وجـــرعـــتنى مـــرارةَ يأسى
فـــالأسى لا كـــأنت إلفٌ ودود | أنت خَلّفتـــه فـــأكـثـر أنسى
فـهـو عندى وديعـةٌ فـاطَّرحـهـا | فى ضلوعٍ على الصبـابة حبس
لو عـدانى نحس شقيت به منـ | ـك لما خفّ من أساى ونحسى
وشقىٌّ الهوى ليشقى ولو أخـ | ـطأ منه صُبـابة المتحسى(١)
إنما السـعـدُ والشـقـاءُ من النفـ | ـسِ فمالى أنحى على غير نفسى
سننٌ سنّهـا القـضـاءُ فـقـد أصـ | ـبح حربى من كنت أعتدُّ تُرْسى(٢)

عالم الحسن

ذرانى أُبيحُ الحسنَ قودَ عنانى | فـهذى عيونٌ للمنون ترانى
وأكـبـر مـا أقلى من الموت أننى | إذا متُّ لم أبصر وجوه حسان !
فـفى كلِّ مـعنى فـتنةٌ ولذاذة | وفى كل وجهٍ للجمالِ معانى
فمن لى بخلد أبصرُ الغيدَ كلها | سـواء أقـاصٍ فى الدنى وأدانى
وأبصر حسناً أطفأ القبرُ نورَه | وأبصر ما لم يبصر الملَوان(٣)
وترنو عيونٌ سوف يملك سحرها | عنان قلوبٍ نحـوهن روانى
وتبدو وجوه فى الغيوب مهودها | وأسمع ما لم تسمع الأذنان
كأنى بتربى يعرف الغيد إن سعت | عليه فتدوى الأرضُ بالخفقان
فيا عاشقيها إنَّ فى القبرِ عاشقاً | وأى قلوبٍ فى التراب حوانى

---

(١) الصبابة : بقية السائل فى الإناء ، والمتحسى : الشارب

(٢) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية .   (٣) الملوان : الليل والنهار .

وقلبىَ عـودٌ أحكم الحـسنُ لحنَه ... فحسب الهوى من نغمةٍ ومثانى

تقـاطر مـاء فى المناقع من علٍ ... تقاطر حسن الكون دون جنانى

أحسّ إذا ما أبصر الطرف حسنه ... كأن بسمعى أنّة لحنانى

كأن وجوهَ الكونِ نغمةُ منشدٍ ... يرتّل آمالى بغير لسانِ

فيا مَنْ ضياء الشمس بين عروقه ... دماء تضىء الوجهَ بالجريانِ

ويامَنْ رحيق الخلدِ من خمر ثغره ... يداوى به من غائل الحدثان

فلو نالَ منه خائف الموتِ جرعةً ... إذاً لأصابَ الخلدَ كلُّ جبان

جمعت صفات الحسنِ والخلد كلّها ... فلم يبق منها فى الحسان معانى!

سواء حسان بعد لم يبد حسنها ... وأخرى حداها الموت بالوخدان[1]

فما عشقَ العشّاقُ من عهدِ آدم ... سوى لمعات منك غير دوانى !

رميت جميلاً والوليد بفتنةٍ ... وها إنَّ سهماً من هواك رمانى[2]

دعانى دعاءُ العيشِ والموتِ دونه ... فلبّيتُ فيك الشوق حين دعانى

دعانى دعاءُ الليلِ رقَّ نسيمُه ... وربَّ صموتٍ ناطق ببيان

دعانى دعاء البحر يشجو خريرُه ... ويحكى عبابَ الدهرِ بالنهضان

دعانى دعاءُ الذكر والذكرُ هاتف ... ويا ربَّ ذكر هاتف بأمانى[3]

دعانى دعاءُ العود فى البحر ليلةً ... رعى البحر فيها بدرها ورعانى

دعانى دعاءُ الزهر والطيرُ روحها ... تشوق فؤادَ الصبِّ للطيران

دعانى دعاءُ الفجرِ والفجرُ شائقٌ ... كأنَّ انفجارَ الفجر خلق كيان

---

(١) الوخدان : الإسراع بالجرى

(٢) جميل بن معمر العذرى ، والوليد هو البحترى ، وكلاهما حلو الغزل (٣) تخفيف الأمانى .

فلا تدعونْ قلبى إلى الحبِّ دعوةً … لكيما تشيب الحبّ بالشنآن[1]
دعوتك بالحسنِ الذى أنت ربُّه … لكى لا تخال القلب نهزة جانى
ولا تنقمن أنى نقمت خديعة … من الناسِ غالت مهجتى وجنانى
ولا يكُ فوضى قلبك الغضّ أنّه … فؤاد على رعْيِ الأمانة حانى
فإن كان لى فى بعض خلقى ومنطقى … شفيع إلى لقياك ليس بوانى
فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا … بإمرة معبودِ الجمالِ مدانى
وإلا فنا كرنى على الحبّ يسترح … فؤادٌ حبيسٌ فى حبالك عانى
سواك يهزّ القلبَ كالطئرِ طفلها … وأنت تجنّ القلبَ بالخفقان

اختفاء الحق

لو عددنا متاجرَ الـ … ـحقِّ ألفيت مفلسا
تاجر الحقّ بالمعا … نى فقد نال واكتسى
كان يشرى نسيئة … فرأى التَّجْرَ أبخسا
فاختفى خشيةَ القضا … ء فهل ناله الأسى ؟
كتم العيش منزل الـ … ـحقِّ إذ كان أخرسا
هو طبٌّ بأمره … فحماه ليُبْلسا[2]
علّموه خط ابن مقـ … ـلة إن كان ألبسا
وسلوه يخطّ فى الـ … ـطرس أسرارَه عسى
أو فصبوا له الشرا … بَ ليفشى إذا احتسى

---

(١) الشنآن : البغض (٢) أبلس : تحير ويئس .

لمت قـومى لجـعلهم صـفـقـة البطل منفـسـا

ذلـك الحـقّ بـينـكم بعـد مـا كـان أشـوسـا[1]

صـاح فى القـوم قـائل : إنـه عـاش مُـفْلسـا

وهو إن عـاش مـفلسـا كـان بُطْلاً مـقـدّسـا !

زورة الملائكة

مـرحـبـاً بالملأ الأعلى الذى شـرفت دارىَ منه والـفـنـاء

حُلمـاً فى النوم أم حـقـاً أرى يا ولاةَ الحقّ يا أهلَ السـمـاء

يـا ولاةَ الحـقّ يـا أهـلَ النُهَـى تبعثون البرءَ فى جرح القضاء[2]

أسـعـدونى أقـتـبس من نوركم بُلْغَـة النفس وريّا للظمـاء

ملكُ الفـضل حَـيـىٌّ لحظه وعـمـيمُ الفـضل قـرنٌ للحـيـاء

ملك الطهـر صـبـيحٌ وجـهـه إنّ وجـهَ الطهـر مـعـبـودُ الرواء[3]

ملك الحق اخـتـفى فى نوره مـاأضلّ الطرف فى ذاك الضـيـاء

مـلـك الـرفـق دواء لحـظـه إنَّ بعضَ اللحظ يشـفـى كـالدواء

ملك الجـود ضـحـوك بشـره مثل ضحك التبر فى وجه الشقاء

ملك العـفـو رجـيح رأيه إنما النقـمـة ضـربٌ من غـبـاء

يرحـم الجـانى عليـه كـذبا ويرى الأفـعـال فى غـيب القـضاء

طهـرت نفـسى فى أضـوائكم مـثلمـا تطهـر أجـسـامٌ بماء

وشـمـمت الخلدَ من أنفـاسكم نفس يشـفى من الداء العـيـاء

أسـمـعـونى منطقـا أحـيـا به يطرب النفسَ بألحـان العـلاء

---

(١) الأشوس : القوى (٢) النهى : العقل .

(٣) الرواء : ماء الوجه ، وحسن المنظر.

منطقاً كاللحن حلوٌ رجعه لو وعته الريحُ فى سمع الهواء

زورة فكَّت أخيذاً عانيا بحبال اليأسِ مصفود الرجاء

وأرى فى النفسِ رسماً منهمُ مثل رسمِ النجمِ فى مَتن النُهاء[1]

وعبيراً كشذا الأزهار إن خلفت فى الأنف ذكرى كالذماء[2]

خلفونى وادعاً من بعدهم أحمد العيشَ وأستقصى البقاء

الأم المسكينة

أمُنا الأرض كالعجوز التى تشـ ـقى وتسعى لرزق نسلٍ كثير

فإذا ما غَدَت تدلل طفلاً ضجّ طفلٌ من خلفها بالنعير

كلُّنا ودَّ لو تمدّ له الأر ضُ فراشاً من النعيمِ الوثير

وتغنِّى له بما يطرد الهـ ـمَّ كهزِّ الرؤوم مهد الصغير

وهى عمياءُ لا ملام عليها لا يصيب الصوابَ غير البصير

لا ترى أدمعَ الشقيِّ ولا تبـ ـصر وجهَ المحزونِ والمصدور

وهى صمّاء ماوعت صرخات الـ ـنحسِ فى الخلق من شقاءِ الأمور

فهى أولى برحمةٍ وبإشفا قٍ عليها من مشفقٍ وعذير

جد أم لعب

يبكى بريءُ الورى لمذنبه فقلْ لراجى القضاء ريع به

ذا صولجان القضاءِ منفلت أما ترى الليل ظلّ مضربه

(١) النهاء : الارتفاع فى النهار أو الماء (٢) الذماء : بقية الروح .

هذى كسرات الدنى تدار به لعبة من جدّ فى تطربه

فلا تقل حقّه وحكمته أتبتغى الحقّ بين ملعبه ؟

يا حيّةَ الخلدِ كم لبست وكم نضوت جلداً يشقى الأنام به[1]

كأنّ هذى الحياة غانيةٌ تعافُ بُرداً من بعد مطلبه[2]

كأنما الناس بُردها أبدا تعافُ ملبوسه لمعجبه

ثوباً فثوبا تظلّ تخلعه إذا خصىٌّ الحِمامِ آب به[3]

كأنّ مرآتها الكمال فما ترضى بما لم يرق بمُذْهَبه

يا ضيعةَ الخلدِ لهو غانيةٍ يقضى به الخلد فى تسرّبه

وهكذا المرءُ عيشُه طلبٌ حتى ليؤذى بنيلِ مأربه

هل لنفوسِ الورى الظماء وهل للعيش من ناقعٍ يبل به ؟

أم ظمْؤها قاطعٌ بأن لها خير منالٍ تظمى لمشربه

أم ظمؤها غلّةُ الجريحِ أخى الـ ـداء هلاك لابرء منه به

اصبر

اصبر لعلّ النحسَ فى لونه إذا دجا ظلٌّ لِجرمِ النعيم

لعل دمعاً منك لم تحتسب ينبت زهراً فى اليبابِ العقيم

لعل دمعَ النحسِ درٌّ له يسلك فى عِقد الرخاءِ النظيم

والصبرُ طِرفٌ مجهد أعرج لكنّه يبلغ شأو الظليم

---

(١) أى كأن الحياة ثعبان والأحياء جلده الذى يغيره (٢) البرد : الثوب .

(٣) أى كأن الحياة فتاة من أهل الثراء تتعشق ثوباً ثم تعافه وتلقيه إلى خادمها الموت .

ومـبـتـغٍ مـحـو الأسى بالأسى ... كـمـبـتـغٍ بالزفـر طرد الغـيـوم

أو مـبـتغٍ إطفـاء شـمس الضـحى ... بنفـخـةٍ يرسلهـا فى النسـيم

أو ناصب للريح أشـراكـه ... يرجع عنهـا وهو عين الكظيم

وهل زفـيـر الحـزنِ هادٍ لفلـ ... ـك الرُعب فى بحر الأسى والغموم

أطمـاعنا كـالجنّ إن رامـهـا الـ ... أهوجُ تدمى قلبَـه بالكُلُوم(١)

كـالكلبِ يدمى قلبَ كـلاًّ به ... آنًا ويعنو للبـيـبِ الحليم

إذا هدى الناسَ ضـيـاءُ الرجـا ... ءِ اهتـاجت الأطمـاع نار الهـمـوم

كم خـيـبـة تعـقـد عـزم الفـتى ... للنهر لولا الصخر خطو السقيم(٢)

صلع الدهر

من شعر السخر

ناصِ صروف الدهر مستقبلاً ... قَـذَاله لو جـزّهُ أصلع !(٣)

فـجـزّ من لـمّـتـه خـصلةً ... لعـلّها مـن خـلـفـه ترقـع!

فـالدهرُ إن أقـبلت ذو لمةٍ ... لكنّه من خلفـهـا أقـرع !

مطلعُـه مـثلُ طلوع المُنى ... وحـسـرة مـا خلّف المطلع !

ولا ترم بالذمِّ صـفـعـاً له ... فـإنما يصلع إذ يصـفع !

قـراعُـه مـثلُ قـراعِ الظُبى ... وإنما يَقـرِع إذ يُقـرع !

فـاطل قـفـاه بمدادٍ لـعـ ... ـلّ اللونَ من روقـتـه يخـدع !

---

(١) الكلوم : الجروح (٢) لولا اعتراض الصخر فى النهر كان النهر بطيئا ، ولولا اعتراض العوائق كان سعى النفوس بطيئا (٣) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس جز الشعر : قطعه .

وغضّ عنه نظراً واعـيـا … فـإنما يعـديك مـا يطبع !
وإن جـرى فى الدمٌ كـره له … فخير ما يجدى لك المبضَع ![1]
حجامةٌ لا شك فى نفعها … وقد يضير المرء ما ينفع ![2]
ولا تعف صحبتَه ، إنه … بالرغم من صلعته أروع !
واحن له الرأسَ لكى لا ترى … فإنها من خلفه تلمع !

قرد النهى

او الفلسفة الحديثة

لئن كان خلقُ القرد والناس واحدا … وصدق ما خالوه من ذلك القول :
فسائل بهذا الدهر إن جدَّ جدُّه … أيا دهر ما للقردِ ويبكَ والعقل ![3]
مقيمٌ على الدقعاء يسمو برأيه … إلى خير ما جاءت به حكمة الرسل[4]
وقل لبغيضٍ يحسبُ الحقَّ جرعةً … مقالَ رشيد القولِ والخلق والفعل[5]
جهلتُ ، ولكنى بجهلىَ عالم ، … وإنك لا تدرى بما فيك من جهل
ودعهم ولج بالرأى فى كل مغلق … فإنك يا قرد النهى معوز المثل
ولو كان ذاك العقل نقلاً حمدته … ليهنك يا قرد النهى مطعم النقل
ولكنه كالآلِ يظمى غديره … وإن نلت من جدواه نيلاً على نيل[6]

قبلة الوداع

قبلةٌ ثم فرقة وتنائى … أيعيد الزمان عهد اللقاءِ ؟
وعناقٌ كملتقى اللجِّ فى اليـ … ـمِّ وضم الغريق وجه الماءِ

---

(١) الميضع : المشرط لشق الجلد (٢) الحجامة : المعالجة بالمشرط .
(٣) وييك : كلمة تعجب كويلك (٤) الدقعاء : الأرض (٥) إشارة إلى سقراط
(٦) الآل : السراب .

وانثناء عن العناق كــمـــا ينـ ... هــارُ عن بعـضـه مـشـيـدُ البناء

قُــبَلٌ كــالطيــور تصـدح بالحـ ... ـبٍ فــتــصــغى قلوبُنا للغناء

عــابقــات كــأنَّهــا الزهَرُ الغـ ... ـضُّ تذيعُ العـبـيـرَ فى الأرجـاء

خـالدات كـأنهـا النجم فى الأفـ ... ـق تـزين الـنـفـــوسَ بـاللألاء

وهى فى ظلمــةِ الحـيــاةِ نجـومٌ ... هن هَدْىُ الهـوى وهدى الرجــاء

قُـبلٌ صـوتهــا ككلحـبــةِ النيـ ... ـرانِ في يابس الغضـا والإضـاء(١)

فـهى روحُ العـهـدِ القـديمِ وهل تؤ ... تى نفـوسٌ من مـيـتـة وعـفـاء ؟

يســمع العــابرُ المجــدُّ صــداها ... فـوق هذا الثـرى وتحت السـمـاء

فــيــخــال الهــواء قـبل إلفــا ... لفَّــه من نســيــمــه فى رداء

وحــمــاه عن العـيـون فـمـا يخـ ... ـطرُ إلا فـى طـىٍّ هـذا الـهـــواء

كـــذب الظنّ إنهـــا ذكـــر المـا ... ضى ونفس كـثـيـرة الأصـداء(٢)

تبر النفوس

لو أن لى حـكمـةً مثل التـمـائم أو ... رُقًى سعدت بها لو ينفع الراقى(٣)

فــعل الفــتى هو شطرٌ من تفكّرِه ... أجلّ شطريه من أفكاره البــاقى

داوِ النـفــوسَ بلذات الجـســوم ودا ... وِ الجسمَ بالنفسِ فعل الحافظ الواقى

نار الأسى شعلةٌ تهدى النفوسَ كما ... يـهــدى المغلِّس من لمحٍ وإبراق(٤)

والبــغض فى زهرات الحب ريقتـه ... كــالصِلِّ يجـــمع من سمٍّ وترياقِ

---

(١) الكلحبة : صوت النار المشتعلة فى الحطب (٢) أى كان للهواء نفسا تتذكر القبل التى أطلقها العشاق فيها فيسمع العابر صدى ذكراها فيحسب أن الهواء قبل حبيباً له .

(٣) الراقى : من يصنع الرقى والتمائم فى فنون السحر (٤) المغلس : السائر فى الغلس ، ظلمة آخر الليل .....

أنت النعيمُ وروحي في جحيم هوى ... ترى الفرادسَ من دمعٍ وآماق

شوق إليكم يحيل النفسَ مثلكم ... شكلاً بشكلٍ وأخلاقاً بأخلاق

فاطرد مثال كمال في الضمير ، له ... لمع السرابِ لعين الركبِ والناق

بطلعةٍ منك مثل الشمس رافعة ... ذاك المثال على لألاءِ رقراق

يطلُّ في النفس مزهواً بصورته ... كمنْ يطلُّ على الأحياء من طاق

الضوءُ تبرٌ ولكنْ ما له لمع ... على خَصاصة إقتار وإملاق[1]

والتبر ضوءٌ يطيع اللمس رائقه ... يذلُّ بالحرص من هامٍ وأعناق

فأنت تبرٌ وضوءُ الحسنِ وهجتُه ... وأنت شمسٌ تعلت بعد إشراق

فلا تكن لك روحٌ في وضاءته ... مثل الدميم بقصر جدّ برّاق

الزهرُ زهرٌ وإن لم يلق ناشقه ... وعاطلُ الحسن كالحالي بعشّاق

لئن مضى الزمنُ الماضي بروقته ... عدلاً تقضي بأحزان وأعلاق[2]

وخلّف الذكرَ روحاً منه شائقةً ... كالبدرِ يهتك من إظلام آفاق !

ليت شعري

ألا ليت شعري فتنة من جمالكا ... ويا ليت شعري خطرة من دلالكا

ويا ليته من سحر لحظك نشوة ... أداوي بها قلباً بحبِّك هالكا

ويا ليته عطفٌ كعطفك نافعٌ ... ويا ليته مستأنف من وصالكا

دع اللحظَ يسقِ القلبَ منك ، ولا تَخَفْ ... على منهل الألحاظ رشف نِهَالكا[3]

أتنقص من رشف العيونِ كأنما ... تبقّى مثالا ناحلاً من خيالكا ؟

---

(١) أي كما انقضت نفائسه كذلك انقضت أحزانه ... (٢) الخصاصة : القليل الباقي .

والإقتار : الضيق . والإملاق : الفقر ... (٣) المنهل : موضع الشرب . والنهال جمع ناهل : الشارب والعطشان .

وقد تصقل الوجه الصبيحَ لواحظٌ ... تبثُّ الهوى بثَّ الهوى من صقالكا
وما لضياءِ الحسن ظلٌّ على الثرى ... ولكنهــا روحى تُرى فى ظلالكا
إذا اسطعت فاجحدْ ما عشقناه نتخذْ ... على الحسن عوناً ناصراً من مقالكا
إذا كان ربُّ الحسن بالحسن كافراً ... فذلك سهمٌ قاتل من نبالكا
تبالَهَ بالنكران كيما يغرّنا ... دلالك ياويح الهوى من دلالكا !
أتنكر أنَّ الحبَّ أنت سننته ... وأوردتنا وِرد الهوى فى عقالكا ؟
جمالك ولاّجٌ إلى القلب بالغٌ ... سريرة قلب برؤه فى جمالكا
فلا تجعل النكران كَلْما ولوعةً ... فحسبى كلومٌ جمَّةٌ فى نزالكا
ولا تجعلنىّ خاطر السوءِ فى الورَى ... تضنّ عليه أنْ يُلم ببالكا
ولا تتركنْ قلبى كأطلالِ معبد ... يُرى الناظرَ العجلان عقبى زيالكا(1)
وإن خلتَ بى الكفران فاسأل محاسنا ... لديك أقلبى مفلت من حبالكا ؟
جمالك أشراك القضاء فما لنا ... فكاكٌ فقد أحمى علينا المسالكا(2)

أأنت والربيع

« اغنية »

أمــا كــفى الربيع ... يهــيج إذ يضــوع ؟(3)
وقلبىَ الصديع ... فى نشره يذيع

أأنت والربيع ؟

جــلاكَ لى السطوع ... يا قمراً يروع
من حسنه شفيع ... جدّ بىَ الولوع

أأنت والربيع ؟

---

(1) زيال : فراق وبعاد (2) أحمى عليه المكان أو الطريق بالهمز : منعه عنه .

(3) يضوع : تنتشر رائحته .

روح لـــه سَـــنـــيـــع مـــنـــك لـــه طـــلـــوع[1]
الـيــــأسُ والـطـمـــوع والحـــبُّ والـــربـــيـــع

أما كفى الربيع ؟

وعـــيـــشُنا شـــروع يا لـهـف من يـضـــيـع
أطـيــــاره وقـــوع زيـالـهــــا ســــريع

أأنت والربيع ؟

ها شـــمـلنا جـــمـــيع وعـــيـــشـنا وديع
ومــــا لـه رجـــوع وأنـــت لـــى قـــطـــوع

أأنت والربيع ؟

تـعـــيــــا بـه الـضـلـوع من شـــجـــوٍ مـــا يـذيـع
قـلـبى لـه ســـمـــيـع إذا دعـــــا يـطـيـع

أأنت والربيع ؟

نـافـــســك الـربـيـع من غـــيـــرةٍ يضـــوع
فَـــغَـــرْ وصـلْ تُـلـيـع حـــسـناً لـه يـضـــيـع

أأنت والربيع ؟

حلم بالأرواح الطليقة

تـعـــوم فـــوق الـنـور كـــالـغــيـــد فى الـغـــدير
مـــرسـلـة الـشـــعـــور كـــفـــاتـنـات الحـــور
فـى فـلـك مـــســحـــور تمـرح كـــالـطـيـــور

(١) سنع : حسن وطال فهو سنيع .

علـى ذُرَى الأثيـــر　　والخلد كـالوكـور
وكـلّـة الخــدور　　تـرقـص مـثل الـنـور
فـى روضـه الـنضـيـر　　ومـائـه الـطـهـور
كـرقـصـة البـدور　　فى صـفـحـة الغـدير
تـنـفـح بـالعـبـيـر　　كـنـفـحـة الـزهـور
صـافـيـة الضـمـيـر　　كـلـمـعـة البـلّـور
مـثـل نـدى الـزهـور　　فى عـيـشـهـا المنيـر
لـم تَـعْـنَ بـالأمـور　　وطـارق المـقـدور
وصـولـة الـدهـور　　كـصـولـة النـسـور
لـم تـدْرِ فـى الحـبـور　　مـا عـيـشـة المأسـور

فى نطفة الفجور !

الوحـــدة

عـذيرىَ من باغٍ أغـذَّ وأوضـعـا　　وأسـمعَ بالقـولِ المضيض وأوقـعـا
ومـاسـرّنى أنْ نلتُ منه بسـبـةٍ　　إذا صـار بين الناس شِلواً مـبضـعـا
لسـهلت لى غـدرَ الحـيـاة بغـدرة　　وهوّنـت عندى الحـادثَ المتـوقـعـا
وعلمتنى الصبرَ الجميلَ على الأسى　　بصبرى على مـاقـد أمضّ وأوجعا
وقـد صـرتُ لا ألقـاك إلاّ براحـةٍ　　وقـد كنت لا ألقـاك إلا مـروّعـا
وكم نعمة للناس فى جنب غدرهم　　ويا ربَّ شـرٍ عـادَ بالخـيـر ممرعـا
سـأهجـر هذا الخلق لا هجرَ عـائد　　ولكنَّ يـأسًـا حين لم يبق مطمـعـا

وإنى رأيتُ العقل كالضوءِ حليةً ... لروضٍ فإنْ يسطع على القبر روعا
وإن كنت بين الناس ظل مفرقا ... فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
وما جامعات الضوء إلا كوحدةٍ ... تجمّع من ضوءِ النُّهَى ما تذعذعا[1]
فيشعل نيران الذكاء اقترانه ... وقد كان بين الناس نهباً مضيّعا
وكنتُ إذا ما خلتُ فيك مودةً ... أُحبُّك حتى أحسب الحبَّ مصرعا
وحتى تصيرَ الأذنُ عيناً بصيرة ... وحتى تصيرَ العينُ للقلب مسمعا
فكنت كمن يرمى إلى الطفل درةً ... ويأمل منه أن يشاق ويهرعا !

من الحى إلى الميت

من لحىٍّ بميِّت يترجى ... عنده الحق أبلجا لا يفوت
خبرينى نفائس اللحدِ هل قـ ... ـبة تلك السماءِ والتابوت :[2]
توأمان استسر فى الجدث الدو ... د وفوق الأجْداث حىٌّ يموت[3]
خبرينى نفائس اللحد أم كـ ... ـلّ رميمٍ فى لحده صمّيت
هل لحىّ من ميتٍ هاتف يو ... ضح أمر الحياة وهو مقيت[4]
هل عدته الحياة أم ليس يدرى ... تلك حُلم وما الحلمِ ثبوت ؟
ربّ ميتٍ يسائل الحىّ عنها ... وهو فى اللحدِ حائر مكبوت
خبرينى عن الحجى أين يمضى ... أين تمضى عرامة وقنوت ؟[5]
أين يمضى الذكاءُ والأملُ الحلـ ... ـوُ وأين المعشوقُ والمنعوت ؟

---

(١) تذعذع : تبدد . (٢) يعنى تابوت النعش . (٣) الجدث : القبر .

(٤) مقيت : مقتدر . (٥) عرامة : اشتداد ومرح . قنوت : طاعة وخشوع .

أين نارُ الحيـاةِ كالنّارِ في رهـ | ـطِ مجوسٍ ما خيف فيها الخبوت[1] ؟
أين ذكرى في النفس تمضي وتَثنى | ربّ عهدٍ يمضي وذكرى تفوت ؟
أمحـاها الحِمـامُ كالريحِ تمحـو | نؤى دار والشمل شملٌ شتيت ؟
أم وعـاها الحِمـام كالدرِّ في الظلـ | ـمة يرنو لضوئه السبروت ؟[2]
أم تُرى هذه المشـاعـر أوها | م فلسنا نحـيـا ولسنا تموت ؟
ليس إلاّ كمـا يقـولُ ركينٌ | لا يفيت الصواب منه مفيت [3]
فـوقنا الأنُجم الصـوامتُ لا تد | رى وتحت الرجامِ صمٌ سكوت[4]

سجن الفضيلة

إنَّ الفـضـيلةَ ماسـةٌ | صنْهـا عن الرائي الحسـود
صـونَ الشحـيح لِفلسـه | حـذر المداهن والحقـود
صـونَ الجـبـان لنفسـه | حـذر البـوارق والرعـود
صـون المشـمّـر مـاله | حـذر المؤمـر والجنود
صـون الشـفـيق فـتـاته | حـذر الوعـيـد أو الوعـود
واجـعـل لهـا بين الضلو | ع خـبـيـئـةَ الذخر التليد
فـضـيـاؤها كالحقّ أفـ | ـتنُ وهوفى ظلم الجحـود
وصـفـاؤُها كالخـمـر تصـ | ـقلُ في الدنانِ على الخلود
إن الفـضـيلةَ زهرةٌ | تذوى بأنفـاس الحسـود

---

(١) خبتت النار مثل خبت ، قال المعرى :

وفارس قد شبت لنا النار وادعت * لنيرانها أن لا يحين خبوتها (٢) السبروت : المحتاج ، والجمع سباريت

(٣) إشارة إلى جيتى الشاعر (٤) الرجام : القبور .

ونسيمُها كالعطر فاحـ ـذر أن يذيعَ فلا يعود !

بيت اليأس

بنيتُ بيتَ الحياةِ أبغي في ظلّه مسكنًا فسيحا

جرَى غرابُ القضاءِ نحوى ولم يكن طائراً سنيحا[1]

فأُرعشت كفٌ من بناه فلم يكن أسُّه صحيحا

يغبقنى طارقُ الرزايا من بعد ما علّنى صَبوحا[2]

اعتادنى الهمُّ غير غبّ فلم يمت قلبىَ القريحا

كشارب السمِّ كى يصادى من علّه سمّه صريحا

يا بيت سوءٍ على ذُراه ذو نعبةٍ هم كى يصيحا

يادهرُ لِمْ لمْ تبح جنانى إلى سبيل النُّهى جنوحا ؟

خصصتنا بالنُّهَى فهلاّ جعلتها عزمةً نصوحا ؟[3]

أودعت فى الناسِ كلَّ طبع يعنو له عيشهم ربيحا

من يشترى نُهْيةً بطبعٍ يمضى إلى نفعه نجيحا

ألحْتَ لى بالسراب حتى عشقتُ ضوءاً له لَموحا

كمن بنى بالتراب بيتا فانهار حتى غدا ضريحا

كذاك صَرحُ الحياةِ أمسى رسم فلاة بها طريحا

ودكَّ بيتَ الحياةِ فوقى وقمتُ من تحته جريحا!

---

(١) السنيح الذى يأتى من جانب اليمين . (٢) يغبق : يسقى بالعشى ، والصبوح : ما يشرب صباحًا

(٣) النهى جمع نهية : العقل .

لغز الحياة

الشكُّ أول منزل العرفان ... إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني

مدٌّ وجزرٌ فى النفوسِ كأنما ... يتنازعان سريرةَ الوجدان

والعقلُ فوقَ الخلدِ مدَّ جناحَه ... كالطيرِ هابطة على الأوكان

والعقلُ ريحٌ صرصر تهفو به ... والدهرُ بحرٌ فائض الأزمان

تبدو إذا ماهاجَ من أعماقه ... قنص الردى وجواهر الدَّهْقان(١)

والشكُّ مشعالُ الحكيم وربما ... أضحى حريقاً للجهول الوانى(٢)

كونٌ ترقرق فى منادحِ رحبِه ... سرٌّ جرَى كالماءِ فى الأغصان(٣)

سرُّ الحياةِ لحسِّها ولعقلها ... يحكى دماءَ القلب فى الأبدان

روحُ الحياة كذى البراثن رابض ... دامى المخالب شاحذ الأسنان

يلقى على الأحياءِ قولة سائل ... يا هول عيش فريسة الحَدَثان

إنَّ الحياة لغادةٌ معشوقة ... تصبو إلى المتماجن الفتَّان

وتصدُّ عن متسائلٍ متشوّف ... للحقِّ ينشده بكل مكان

يا عاشقَ الحسناءِ كيف أغرتها ... أو كنت تبغيها بقلب ثانى

روح الحياةِ على العقول مؤمر ... يعتزُّ بالأضغان والأشجان

مثل الوصىِّ على الوليد إذا نشا ... يلوى عليه جوامع السجان

كى يستبدَّ بماله وعقاره ... ويليح زخرف خدعة المنَّان

ثار الحبيسُ على الوصىِّ وظلمه ... فرماه بالعصيان والنكران

ورأى به لَممًا وليس كما رأى ... لو كان يغنى العقل بالعصيان(٤)

---

(١) الدهقان : رئيس الإقليم   (٢) الوانى : الضعيف .

(٣) المنادح : الأراضى الواسعة .   (٤) اللمم : طرف من الجنون .

ماذا أرجّي في العقول وصوبها ... رشح الطباع وغلة الظمآن ؟
ولربّ غمرٌ بالغ بطباعه ... ما ليس يبلغه ذوو الأذهان

خواطر في الحياة

أرسلت إلى الأستاذ الأديب الشيخ محمود محمود[1]

أنت على خلّتيك محمودُ ... فعدْ بيُمنِ الحياة محمودُ
وإنما العيشُ هكذا نُقَل ... والدهر خرق سنيُّه القود
وخيرُ مايطلب الرخاء به الـ ... ـصبر ، ومن قد عداه مكدود
والدهرُ مثل الشحيح في عدةٍ ... أصدق آلائه المواعيد[2]
كلُّ رجاءٍ نرمي الطليب به ... فهو قنا في الضلوع مقصود[3]
وربَّ رامٍ أصاب مهجَته ... سهمُ رجاء إليه مردود
والسخطُ غربال جاهد قصد الـ ... ـسيل كأنَّ الآتيَّ مسدود
آمالنا هامةٌ نراع بها ... للسعدِ وهو الطليب ملحود[4]
وحيرة النفس كالظلام وقد ... يهدى ويقلى الضياءَ مزؤود[5]
والرغب عجب النفوس تخدعها ... مرآتها والطماح معبود
وقد تزين الحسناءَ دمعتها ... والنفسُ تجدى سنيها السود
كم عدة في الحياةِ خائنة ... كما يخون الخميس رعديد[6]
كخازن الحبَّ للمشيب وما ... يعطف من أجل ذخره جيد
يبخر في خيبة لنا أمل ... بحر الندى والظميّ مجهود

---

(١) كان أستاذا بالمدارس الثانوية وزميلا وصديقا للشاعر (٢) آلاء : نعم
(٣) قنا : رمح . (٤) الهامة : روح الميت . قال الشاعر : « أضربك حتى تقول الهامة اسقوني » .
(٥) الزؤد : الفزع . (٦) الخميس : الجيش . رعديد : جبان .

مـــا لىَ أهدى إليك مـن حكم
يااليـتـهـا الدرّ وهو منضـود

أحبوك من حكمة القريض كما
يهـدى لروض الربيع أملود[1]

وأنت أحـجى بأن تزفّ لنا الـ
ـحكمة فيها اليقين مشهود

وخير ما يبعث الفتى طُرف
من عـقله والمزيدُ تأويد[2]

الشجرة والغراب

رأيتُ الحـوادثَ فى وكـرها
ونبتَ المقـادرِ فى برّها

كـأنَّ غـراباً على فـرعـها
يحطُّ فـيأكل من خيرها

إذا ذدته آب يهـوى بها
على دوحِـها وعلى نهرها

فـقلت له : أبق من خيرها
تذوّق إذا جـعت من شرّها

وإلا فـأرسل عليها الطيورَ
أبابيل تقضى على أمرها[3]

وهل أزجر الطَّير عن دوحةٍ
تذوقت مـامـرَّ من تمرها

فـقـال : أتأكل من حلوها
وتترك للدهر من مـرِّها ؟

إذا أنت مـا ذقتَ من ضـرِّها
أتعرف ما الخير من شرِّها ؟

خـذ الحلوَ والمرَّ من رطبها
أقاسمك السوءَ من ضرِّها

ومن صبر النفس فى ضيقها
رأى الرغبَ أوجع من صبرها

وفى الصبر صبرٌ يريك الدنى
كـأنك رفّعت عن أمرها

تظلّ مطلاً على دهرها
كـأنك أعفيت من مـرّها

يريك مساوئَ خود الحياة
كـأنك ما بتّ فى خدرها

(١) أملود : لين . (٢) تئويد : ميل واعوجاج . (٣) الأبابيل : الفرق .

كـأنك مـا التـحت من ثغـرها ونـافـسـتَ رهطَـك فـى برِّهـا
كـأنك مـا كنتَ من نـاسـهـا ولا كنـتَ تسـعـى إلى نـكرهـا
ولا بتَّ يومـك فى دِرعـهـا ولا تُقْـتَ دهـراً إلى سـرِّهـا[1]

يا شاعر الكون

تحية إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثانى

ياشـاعـرَ الـكونِ أطلق من سـرائره نورَ الحياة فشعرٌ منك يذكيه[2]
لك الخليـقـةُ والأيام مـاثـلة فـمـا نأت بمقـالٍ أنت باغـيـه
كـأنها لك بسـتـانٌ وفـاكـهـة تجنى وخير الجنى ما أنت جانيه
الفـضلُ أغلب من غـرٍّ يصـاقـبه والعقلُ أعدى على غمرٍ يدانيه[3]
فلم يضـرك جـوار من أخى جـهل الفكر عـدوى وجـار المرءِ يعـديه
قد يُنكر الفضلَ بين الناس صاحبُه ويمدح الفـضلَ بين الناس باغـيه
كم أكبر الناس أمراً أنت تصغره وغـاب عنهم جـلالٌ أنت تدريه
إن يعظموك فبالنفس التى صغرت أو ينظروا فـبطرفٍ أنت ثانيـه
كـالمرءِ وهو قـعـيد رهن عرصته يخـال خـيـرَ مكانٍ بيتـه فـيـه
لو أنصف الأرض قال الأرض واسعة والكون أكـبـر من زعم أناجـيـه
يا ناطقـاً يذر الألبـابَ صـامـتـة كـأنما فـاه ذاك الخلد من فـيـه
تذكى الذكـاءَ بسحرٍ أنت نافثه حـتى لشـدة مـا تذكـيـه تفنيه
تقـصـيا لمعـانٍ لا انتـهـاء لهـا يفنى الذكـاءُ ولا تفنى مـعـانيه
حـتى يظـلَّ ولا ذهن يـراك بـه لولا بـريقُ خـيـالٍ أنت موريه[4]

---

(١) تقت : اشـتـقت . (٢) يذكى : يوقـد . (٣) يصـاقب: يقـارب . (٤) يورى : يضـرم .

كمن يرى الشيءَ لا ينحو سواه فيخـ ـفى عنه حتى كأنْ قد زال باديه

إطارُ شعرك خلدٌ أنت زائنه كواحة الخرْق زين فى صحاريه

أصورة الكونِ أم ذا الكون صورته كالآل يحكى ضياءً أنت مبديه

أو كالغديرِ يرى فى الماءِ مرتسماً رسم الدراريْ يحكيها وتحكيه

كعبة النفس

أيا كعبةَ الآمالِ ذات المحارمِ مكانك من قلبى كمحرابِ صائمِ

فلا تأخذونى بالرجاء فإنما رجائىَ إيمان النفوسِ الحوائمِ

وهل تسجد الأرواحُ إلاَّ لذى النُّهى وتعبد إلاَّ ساميات العظائمِ

وأكرم سؤل النفسِ ما كان وقعه على الفضلِ من أهل النهى والمكارمِ

ولولا احتذاء الفضلِ فى الشعر ما غدت صروحُ المعالى باديات المعالم

ومن كان ذا روحٍ برىء من الأذى كروحك لم يعرف وجوهَ المظالم

ولم يدر ما يلتذه الناسُ من أذى ولو كان ناراً فى لهاة الحلاقم[١]

يرى المرءُ أن النفسَ خيلٌ لراكضٍ وإن كان محذورَ الردى فى الشكائم[٢]

أظل رقيب السوءِ حتى يمسنى وأجعل أنفى نهبة للخواطم[٣]

وأى امرئ فى العيش يحمد خلقه إذا لم يعوِّد من حقود الرجائم

فكم راجمٍ بالغيب نفسًا بريئةً وربَّ مقال مثل لذع الأراقم[٤]

وهل يعدل الإنسان فى بعض فعله إذا كان فيه مدرج للنمائم ؟

وما النفسُ إلا تربة ليس ريّها من العيش إلا بالنفوس السواجم[٥]

---

(١) الحلقوم : الحلق (٢) الشكائم : الطباع . (٣) خطام :ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به

(٤) الأراقم : الحيات . (٥) السواجم : الباكية .

الصنم المكسور

عــــابدٌ يبكى علـى صنمِـــــه   عــافَ وردَ العــيشِ من ســقــمِــه

عـــــابد من حـــسنه صنمــــاً   خـــالَ كَلٌّ الفــضـلِ فى صنمِـــه

حطمـــتــــه قــولة فــــهـــوى   ك٥٣٨٥٣٨يم الجصُّ منهـشـمــه

كنـتَ لـى حُـلمــــــاً ألـوذ به   خـــابَ من يبكى على حُلمـــه

إن رضـــيتُ الـعـــيشَ بعـــد كمُ   فـــــحـــــيـــــاةُ المرءِ فـى ألمه

أو بكى شـــعـــرى فـــلا عـــجبٌ   بعضُ شـعــرِ المرءِ من لَمَـمِـه[1]

كـنـتم لــلـعـين بـاصـــــــرهـا   وجـــلاءُ الـعـــيشِ من ظُلَمـــه

كـــم لأهـل الـفـكــر مـن ذِمَــمٍ   كـــيف لـم تُبـــقـــوا على ذمه

كـــان قلبى مـــعـــبـــداً لـكمُ   ويح قـلـب ريـع فى صـنـمـــــه !

غلة النفس

رأيت مـــحـــمّـــقًـــا يجـــرى   يـحـــــاذى المـاءَ فى الـنـهـــــرِ

يـكـلّمـــــــه ويـســــــألـه   ويـحـــــــســـبُ أنـه يـدرى !

يـقـــــول لـه : أعـن ســـببٍ   ومـــــن أرب إلـــــى أرَبٍ[2]

ويحــــسب فى الخــــرير لـه   لســــــان الـنـاطق الـلّجـب

تـريـد الـنفسُ رؤيتــــهـــــا   مــخـــارجــهـــا، وغــايتــهـــا

ســــؤالٌ لـيس يـســـــألـه   مـــبـــيح النفس نشــوتهـــا

---

(١) اللمم : الخَبَل .   (٢) الأرب : الغاية .

رأيت محمّقًا يفدُ ... وراء الريح تطّردُ

وزَمرُ الريح يطربه ... يحدثه فلا يجدُ

كذاك المرءُ في الزمن ... يداوي غلّة الفطنِ

ولكن ليس ينفعه ... شرابُ الآل في الدمنِ

وما من غلّةٍ عرضت ... بغير دوائها خلقتْ

فأين الريَّ تطلبه ... نفوسٌ طالما ظمئتْ

أجزْ للعيش معركه ... لعلَّ الكونَ يدركهُ

ضميرٌ ما استبان له ... يروّضه ويملكهُ

ولولا ظلمةُ الحَيْنِ ... وجبن المرءِ للبينِ

لبغضت الحياة له ... وخصّ الموت بالزينِ !

الجزء السابع

ديوان

أزهار الخريف

عن الطبعة الأولى للجزء السابع

عام ١٩١٩

الإهداء

أهدى هذا الديوان إلى إخوانى القليلين فى أنحاء القطر المصرى ، الذين أيدونى بثقتهم ورسائلهم ، وأعانونى بها فى الحياة على بعد الشقة ، ومن غير سابق لقاء ، وبالرغم من عداوة السفهاء ، وسباب الأخساء ، الذين يقول فيهم المتنبى :

وانّهَ المشــــيــر عليك فىّ بِضلَّةٍ   فــالحـــرُّ ممتـــحنٌ بأولاد الزنى !

والذين يقول فيهم أيضاً :

أتنكر مـــوتهم وأنا ســـهـــيل   طــلــعــت بمـوت أولاد الــزنــاء ؟

مقدمة

لقد ذكرنا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهمه الناس إلاَّ لأنَّهم باعث من بواعث الشعر ، ولم أعنِ بذلك - كما زعم بعضهم - أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان خاص ، يكون موضوعاً لها ويستثير فى الشاعر جميع الخواطر التى دفعت إليها . فإن الشاعر ليس بالراسم . ولو كان راسماً لاستفاد أيضاً من أفراد كثيرين فى عمل رسم فنى خيالي كبير .

ولقد رأى القارئ في بعض هذه الدواوين قصائد فى شرح أخلاق السوء كالحسد أو البغض ، فحسب بعض الناس أنه المعنيّ بها . ولعمرى لو كان غير ذكى لقلت إنه يريد أن يشرف بهذا الادعاء ؛ ولكنه أجلُّ من هذه المرتبة . فلم يبق إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له ، وكما أنى لا أعنى أحداً بقصائد الهجاء، كذلك لا أعنى أحداً بقصائد النسيب . ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر ، ولكن هذا القول لا يستدعى أن تكون كل قصيدة فى فرد معين . نعم ، الأمر يستدعي ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم ، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة في فنه ، يجرى فى نهجها . أما القول فى أفراد ، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره . وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلةً أمام الشاعر ، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن . ومثل ذلك أن قصيدة « صرصور الشعر » فى الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر . وقصيدة « سم الخسة » مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها فى كتاب اسمه « مجالى الأخلاق » ، لم ينشر ؛ وكثيراً من قصائد الغزل فى هذا

الديوان خواطر كانت تخطر لى فأقيدها فى رسائل سميتها : « رسائل الحب » لم تنشر . ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر ، قول قائل إنى أعنى أحداً بما أقول فى أى باب من أبواب الشعر .

ولى كلمة أريد ذكرها فى العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة فى الإيمان . بل إن ذلك غاية الإيمان . وإن الذى يتهرب من الله إلى نفسه ، وينكر آياته فى الوجود ، يجد الله فى نفسه فى خير نزعاتها . وإن فى الله حاجة من حوائج النفس البشرية ، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشر والإثم ، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح .

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة ، لعظم الشر والشقاء . إذ أن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشر والشقاء . بل تزيد الحياة اختلالا ؛ كما ذكرت فى قصيدة : « صوت الله أو نجوى المؤمن » فى الديوان الرابع . وقد أساء بعض الناس فهم قصيدة « ليتنى كنت إلهاً » فى الديوان الثانى ، ولا أعرف كيف فات من صفت نفسه من سوء النية من القراء، أن نسبتى سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبة إله ، خرافة من خرافات الوثنيين ، والذى يريد أن يصلح نظام الحياة والكون ، هى غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشر والإثم ، حتى إذا حكم أتى الشر الذى نقمه . ولو أنى جعلت أفعاله فى القصيدة حميدة ، لكان ذلك اعترافاً منى بأنه مصيب فى نقده وأنه رشيد عادل !

هذه قصيدة « الملك الثائر » لقد حاول غبيٌّ أن يقرأها مرة ، فقرأ منها أبياتاً ، ورأى عصيان الملك ، فأخذ منه الغضب كل مأخذ ، ولم يتم قراءة القصيدة ، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصيانه ، انشرح صدره وقال : « إنَّه جدير بهذا العقاب » !

وهذه الحادثة تشرح السبب في سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد التى تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها واختلاف حالات النفس التى ضمنتها القصيدة .

آية الحسن

يا قلبُ قصرك لا تولَع بإنسانِ ... لقد كلفتَ بساجى الطرفِ وسنانِ

قد صار لى ألف عينٍ بعد رؤيتكم ... من بعد ما كان لى كالناسِ عينانِ

مذ صار حسنُك فى الإمكان منشأة ... فكلُّ معجز أمر رهن إمكانِ

ومعجز الحسن فى خلق خصصت به ... كمعجز الحبِّ فى شعرى وتحنانى

وصار لى ألف قلب أرتجيك بها ... ياليتنى زدت فى روحٍ وأشجانِ

كى لا يضيع جمالٌ منكَ أبصرُهُ ... ورقةُ اللفظِ فى سحرٍ وتبيان

بل ليتنى الكون طراً ليس يبصرُكم ... سواى فى الخلق من وحشٍ وإنسان

هل نافعى أننى فى الحبِّ منفرد ... فليس فى الخلقِ تحنانٌ كتحنانى

بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه ... وكيف يرحمُ نضواً قلبُ غفلان

ماكان مثلك فى الأكوان منشأة ... إلا بخبرة أزمانٍ وأزمان

استخلصتك دهارير كما خلص الـ ... ـعطرُ الزكيُّ فيا عطراً لأكوان(١)

مجاهلُ الزمن الماضى وحاضرُه ... لصنع حسنك فى بدْع وإتقان

فجئت آيته الكبرى التى خشعت ... لها القلوب ولم تدحض بكفران

ليت الكواكبَ تعنو لى فأنظمها ... لآلئا لك تحكى عقد أشجانى

إخالها ما بدت إلا لتبصرها ... مرآة حسنك لا يمنى بنكران

والطيرُ ما نطقت إلا لحسنكمُ ... فأنت للكون طراً خيرُ عنوان

يا سالبَ الكونِ أشهى ما يراد له ... ماذا تركتَ لأحقابٍ وأزمان

---

(١) الدهارير : أول الدهر فى الزمان الماضى .

عميتُ عن كلِّ حُسنٍ غير حسنكمُ ... كأنني غير صاحى الطرفِ يقظانِ

أعشيت طرفى بشمسٍ منك طالعة ... من بعد ما كان عيشى رهنَ إدجان[1]

لا أكثرنَّ من الألحاظ أرسلها ... إن البلاءَ لطرفِ العاشق الرانى[2]

وهل أخافُ وقد سقَّى الفؤادَ هوى ... العيشَ والموتَ فى صرفٍ وحدثان ؟

أو القضاءَ وما يخشى الورى أبداً ... من قسمة الدهرِ فى ربحٍ وخسران

كلا لعمرك إنَّ الحبَّ يرفعنى ... عن الحياة وعن عيشٍ لها فانى

إنّى أهابك من حسنٍ تجور به ... حتى لأفلاك فى أثناء أحيان

ماذا يضيرك من حبٍّ تزان به ؟ ... فالحبُّ للحسن نشرٌ حول أفنان

هبه المقادر من يأبى المقادرَ لا ... يرى الحياةَ بعين الناعم الهانى

فاضحكْ فضحكك أنغامٌ مرتلة ... أوتارها قلب صبٍّ منك ولهان

لم يبق فى الكون من شدوٍ نسرُّ به ... إلا جمعت بحسنٍ منك مرنان[3]

فى كل نظرة عين ذكرةٌ لكمُ ... وكل نبضة قلبٍ جدّ حرّان

حبيك لا شكَّ يعروه ولا جدل ... كأنما هو من أرباب أديان

فى منزل الله مكلوءٌ بهيبته ... سرُّ الإله وسرُّ الحبِّ سيَّان

ولن يضيعَ رجاءٌ فى الحياة إذا ... ما ظلَّ حبى مكلوءاً بإيمانى

أخلفت وعدَ لحاظٍ أنت مرسلُها ... تقول لى اعشق فإنّى جد فتان

لا تنكرنَّ مقالَ اللحظِ من خجلٍ ... كم حجة لك فى تبيان وسنان

الحبُّ أقوى من الأغلال تُحكمها ... عاد الحياة لقلب العاشق العانى

قد بعتُ راحة أيامى وصحتها ... بنظرة بدَّلت سرّى وإعلانى

احمل جناية حسن لست خالقه ... كما تحمَّل مقدورا له الجانى

---

(١)إدجان : ظلام . (٢) رنا : أدام النظر . (٣) مرنان : كثير الرنين .

ولا يكفِّر عن لحظٍ تصول به ... إلا ترفق عطف منك يرعانى
لو فرَّق الدهرُ حبّى فى مجاهله ... لعاد منه بمثل الخلدِ ملآن
ولو خبرت بحبى العيش أجمعه ... إذاً لباءَ بسرّ منه ضحيان
ما مسَّ حُبّيك أمراً خسَّ معدنه ... إلا أضاءَ كماسٍ عند دهقان[1]
ما أضأل العيش لولا ما يتاح بكم ... من الهوى وطماح ليس بالوانى[2]
خير لنفسك إن لم تدرِ ما ضمنت ... من فتنة الخلقِ فى حسن وإحسان
إذاً لأفرطتَ من سكرٍ ومن خبل ... ورحتَ تنعم فى ظلمٍ وعدوان
وكيف ترحمنى إن لم تجد أرباً ... فى أن تكونَ حبيبًا جدّ فَتّان ؟
ياهل ترانى إذا ما جاء يسعدنى ... طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقانى
حتى ليوشك أن تكسى مراسمه ... جسمًا فيامن رأى طيفاً بجثمان
أكاد أنشق أنفاسًا يردّدها ... وأحتسى منه من كاسات ندمان
ياليت أنى أناجيه ويسمعنى ... على النوى ورجاءٍ ليس بالدانى
حولى خيالات حسن أنت صورتها ... طوبى فإنك جيرانى وأقرانى
لا بل شقائىَ أوهام أغرُّ بها ... مثل السراب إذا أودى بظمآن
أنسى فناءَ جمالٍ أنت لابسه ... حتى كأنْ لم يكن حالٌ له ثانى
يروع حسنُك فى حبٍّ أعالجه ... كروعة الحسن فى نيران بركان
لو قسَّم الدهرُ بين الناس قاطبة ... لذائذاً لىَ فى قرب ولقيان
وفرحة لىَ إما لحتَ عن عرض ... تجلو همومى وتأسو كلم أحزانى
غاض الشقاءُ وغاض النحس أجمعه ... وعطَّل الدهرُ من منع وحرمان
لو صوّر الخلدَ كانت منك صورته ... شكلاً بشكلٍ وعنوانًا كعنوان

---

(١) الدهقان : رئيس الأقليم . (٢) الوانى : الضعيف .

قد قلت للحبِّ في قلبٍ أضرَّ به ... برح الهوى وطلاب المعوز الداني

لئن أضاعك وسنانٌ بغرته ... كم في الزواخر من درٍّ ومرجان

لم يحلَ بالغيد في بادي ترائبها ... ولم يحدّ بميزانٍ وأثمان

وأنت في لجةٍ للقلب منغمر ... ما أملك الرائح الغادي بنشدان

ما أنت أول حبٍّ عزَّ مطلبه ... ولا بأول قلبٍ غير جذلان

فأين أخبأ طرفي عن محاسنكم ... وأين أخبأ قلباً جدّ ظمآن ؟

وإنما الحبُّ كالمقدارِ مدخله ... رغم الأواخيِّ من عزمٍ وإيقان

لو كانت البيدُ تنجي منك ما رضيت ... نفسي قيودك في أهلي وأوطاني

بل ليت أني حُلمٌ في الكرى بهجٌ ... يأتي إليك بأزهارٍ وريحان

أقول للناصح المغرَى بتعزية ... انظر أفي الكون ما يُغري بسلوان ؟

والكونُ كالميت لا ماءٌ ولا شجر ... ولا جمالٌ تراءى حولَ أفنان

إن لم يبلَّ ظميَّ الحبِّ غلّته ... ولا تصافى بصفو الحبِّ روحان

ولا أتيح لقلبٍ قلبُ ذي مقةٍ ... ولا تدانى بنجوى الحبِّ صنوان

كأنما الكون لم يخلق له سبب ... أو أنه حُلم بادي الهمِّ أسوان !

فاهبط مع اليأس في قلبي فإنّ له ... في القلبِ منزلَ صدقٍ غير بهتان

وما ألمت ليأسٍ مثلما حزنت ... نفسي على أملٍ كالآل حليان

استنفد الكذب آيات الكمال فما ... أرضى لحبيَ منها أي تبيان

فليت لي لغةً ما شابا كذب ... ترضى الملائك لم تخلق لإنسان

وما لحبيَ في الأكوان من مثل ... ولا رموزٍ ولا شبهٍ ولا داني

فكيف يشفع لي لفظٌ يغرّ به ... منَ الخليقةِ شيطان بشيطان ؟

ولستُ أحاكِ إن لم تُلفَ ذا عوزٍ … إن الودادَ لقلب الناقص الفاني

كأنَّ حسنَك من إبداع ما ضمنت … منك الخوالجُ من صدقٍ وإحسانِ

يا من به قد نسيتُ الشرَّ أجمعه … لا يجتلى الحسن والأرزاء في آنِ

ما خلتُ أنَّ مكاناً ضمَّ حسنكمُ … يحوى من الشرِّ ما يودى بثهلان

دنياك دنيا رخاءٍ لاشقاء بها … كأنما الشرُّ لم ينزل بإنسان

أبعد معرفتي الأيام يا عجبا … وأوجه الدهر من طلقٍ وطخيان :[١]

أبغى الحياة وأبغى منكمُ مقةً … إنَّ الحياة حياة الناعم الهاني!

نزلتَ يا قلب عن غالى نفائسها … لما عرفتَ الليالى أيَّ عرفان

حتى فرحتُ بصبرٍ منك عن خُدَعٍ … من الحياةِ وعن إلفٍ وخلصان

وقلت لي الآن لا شجوٌ ولا جزعٌ … على الحياة ولا إعياءُ وجدان

فعدتَ لا صبر تبديه ولا جلداً … حتى كأنك لم تسكن لسُلوان

يا دوحةَ الحبِّ لا شمس ولا مطر … من اللقاء ولا وافٍ ولاحاني[٢]

فكيف أينعتِ في قلبٍ أضرَّ به … جدبُ الزمانِ وإلف غير معوان ؟

أتى الربيعُ فهبْ لى منك مكرمةً … يوماً نقضّيه بين السرو والبان

ونسمع الطيرَ تبدى سرَّ أنفسنا … حيث الهوى ورواء الزهر سيّان

ذخر لمقبل أيامى إذا بردت … نارُ الحياةِ ونارُ الحبِّ فى آن

لا تنس حبّى إذا ما الموتُ عاجلنى … لعلَّ ذكرك دون القبرِ سلوانى

---

(١) طخيان : مظلم .

(٢) الوافى من الوفاء . والحانى : المتعطف .

وسائلِ الليلَ عن روحى فإنَّ لها — فى الليل خطرةَ حىٍّ الهمِّ أسوان[1]

لا بل دعِ الذكرَ لى إنى به قَمِن — وانعم بحسنك فى غدرٍ ونسيان[2]

ولا تُعنِّى بذكرى منك خاطرةً — حسبى حبورى بقلبٍ منك جذلان

عذّب فؤادىَ بالآلام قاطبةً — الحبُّ ذخر منى يشرى بأثمان

وارحمْ أواقسُ ولاتحرجك معتبةٌ — ماذا تضيرك آلامى وأشجانى ؟

وليس فى الحبِّ خسران ولا فشل — وإن منيتَ ببعدٍ أو بهجران

ألم أعشْ غير عيش الناس قاطبة — وأقطع الدهرَ فى فرحات نشوان ؟

الشلال[3]

فلعلَّ الحياة كالماء تجرى — بين هذا الثرى وبين السماء

(من القصيدة)

يا أخا الصَّمت فى الجلالة والروّ — ع وصنو النكباءِ والهوجاءِ[4]

إنَّ فى القلب لوعةً ما تقضَّى — أنت حاكيتَ همَّتى ورجائى

أحسبُ الخلد مثل مائك ينهار — ونفسى فى مائه كالهباء

أنت فجَّرت فى ضلوعى ينبوعاً — من الشجو مُسرعاً فى دمائى

ليت أنَّ الحياة مثلك تعدو — لا تراخى مثل الجياد البطاءِ

---

(١) أسوان : حزين (٢) قمن : خليق وجدير .

(٣) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » - عدد ١٦٣ - فى ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .

(٤) أى أن صوت الشلال فى روعته كالصمت التام فى روعته ، فإن لكل منهما روعه ، وهو شبيه بالرياح الأعاصير فى صوته .

إن للعــيش كــدرةٌ تذرُ النفـ ... ـس ركـوداً كـآسنٍ فى نِهـاءِ[١]

فـأعنّى على الأواسن من نفـ ... ـسى بفَيضٍ ينهـارُ مثل البناءِ

يا ابنَ ماء السماءِ هل تذكر الرعـ ... ـدَ تحـاكى إرزامـه فى الغناء؟[٢]

وهل البـرق لا يزال خـفـيًّـا ... في ثنايا صـدرٍ كـصدر الغـماء

أنت ريح الأمـواه أم أنت روح الـ ... ـماءِ يمضى فى مـائه كـالهـواء؟

قد هددتَ الصخور تنشد خِصباً ... أم لذخرٍ تبغيه فى الدَّقعاء[٣]

إنما أنـت ناقمٌ ينصف السّـهـ ... ـلَ بفضل الشواهق الشّـمـاء[٤]

تجـعل السـهلَ والحـزونَ سـواءً ... ليـس نجـد ووهـدة بسـواء[٥]

مَـرِحٌ أنت أم كـمـا يُسـرع الفـا ... رسُ فى نجدةٍ إلى الهـيجـاء

لك بالشُّم مـولدٌ وعلى صـد ... رِ أبيك المحـيط وقعُ الفناء[٦]

غـيـر أنَّ الميـلاد فى قـمم الشُّـ ... ـم جِـمـامٌ لهـاطلِ الأنواء

فلعلّ الحـيـاةَ كـالماءِ تجرى ... بين هذا الثرى وبين السـمـاء

لكَ فى النفس نشوةٌ مثلما استشـ ... ـرف راءٍ من شاهقات العلاء[٧]

ويفـيض النفـوسَ مـرأى جـلال ... لك حـتى تطيـر كـالأنداء[٨]

---

(١) النهاء : الغدران . وأسن الماء : أجن وتغير . (٢) الشلال ابن ماء السماء : أى المطر . وإرزام الرعد : صوته . (٣) الدقعاء : الأرض . (٤) فضل الشواهق : أى فضلات الجبال من صخور وغيرها . (٥) الحزون : الأراضى غير المستوية . والنجد : الأرض المرتفعة . (وفى الأصل تجعل الوعر) . (٦) المحيط أبو النهر لأن النهر من سحاب. والسحاب من المحيط .

(٧) استشرف : أطل من مكان عال، والمرء يشعر بذهول أو دوار وروعة وخوف إذا أطل من مكان عال كما يشعر وهو يرى تدفق الماء من علٍ في الشلال .

(٨) مناظر الجلال الهائلة تتضاءل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم ، أو كما يتبخر الندى .

فكأني في مائك الغمر أمضي وكأني في كل دانٍ ونائي

أنت أيقظتني وقد كنت وَسنا ن فخلتُ الأكوان طراً ردائي[1]

هاتفٌ في خرير مائك قد أذ كرني عزمتي وماضي مضائي

أنت أصفى من الوداد وأنقى من حبور النعيم والسَّراءِ

أنت أرجوحة لنفسي وصوت منك كالظئر هاتف بالغناء[2]

أنت مثل الشباب عزماً وبطشاً ووَضاءً أحبب به من وضاء

لك وقع الأقدار حتى لقد خِلـ ـتُك رمْزاً رُمِزْتَه للقضاء

أنت كالدهرِ تأخذ التّرب والعسجد حتى تعيده بالحِباء[3]

لم تَهَبْ كرَّة الدهور ولم تجـ ـزع لذكر الشقاءِ والأرزاء

ياسليلَ السماء حدِّثْ طويلا بحديث العُلى وصدق السناء

تبعث الصخر من صخورك يزهو فوق صدر العشيقة الحسناء[4]

سوف تغدو كالشيخ في أخريات الـ ـنّهر تسعى بهمةٍ شمطاء

فاغتبط بالمضاءِ وامرح طويلا كل شيءٍ لطيَّةٍ وفناء[5]

---

(١) الإنسان في غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ، إذ يتضاءل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود .

(٢) كأنما حركة الماء في الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل في الأرجوحة ، وصوت الشلال يجلب للنفس راحة كراحة الطفل في غناء المرضع (في الأصل وشدو منك كالظئر هاتف بالدعاء) .

(٣) الحباء : العطية .

(٤) إشارة إلى بطء النهر عند المصب (في الأصل – فوق نحر العشيقة) .

(٥) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها . لطية : لغاية يستقر عندها .

يا وضيء البسمات

يا وضيءَ البسمات ... وحييٌ الوجنات
ليت لى منك ائتلافاً ... كائتلاف النغمات
أنت فى الدهر ابتسام ... كابتسام الزهرات
كل حسن أمل فيـ ... ـك وبشرى للعفاة(١)
فإذا الشمس تعلّت ... قلتُ حبّى سيؤاتى
صفْ لنا حسنَ الفراد يـ ... ـس بحسن القسمات
عذروا صَدّك من سـ ... ـموك بدراً فى السُّمات
أنت عنوانٌ لما أنـ ... ـشده فى الخطوات
كلُّ كونٍ كان أو لم ... يك من ماضٍ وآتى
فيك لى منه أمانـ ... ـىٌ النفوس الساميات
أنتشى منك بلفظٍ ... مثل طيبِ النفحات
هو موصولٌ بقلبى ... فى وجيب الخفقات
خلتُ أنْ قد كنت أحبـ ... ـتك من قبل الحياة
هات لى خلداً على خلـ ... ـد لأرضى صبواتى
إنّما الخلد كقيد ... للأمانى الرائعات
أنت كالضوءِ وهل يرْ ... ضى الأكفٌ الناشدات؟
إن تخل دمعى نجوماً ... فى ليالى الجفوات :
فاسرِ فى ضوءِ نجومى ... وائتنى فى الفلتات

---

(١) العفاة : جمع العافى ، كل طالب فضل .

أو تَخلْ دمعىَ دراً ... فادخر من عبرات
أوجيب القلب ما قُـ ... ـدّر لى فى النبضات
لسوى عدّ الرزايا ... والهموم الطارقات
سألوا : فى أى حالٍ ... هو أحلى فى الصفات
قلتُ: أحلى ما تراه ... فى حديث اللحظات
فإذا أرخى لحاظاً ... كان أحلى فى السُبات
وهو أحلى منه إن فا ... ه وأحلى فى الصمات
وهو أحلى ما تراه ... عاطياً باللفتات
وإذا صدّ فما أحـ ... ـلاه جهم النظرات
فإذا لان فما أحـ ... ـلاه طلق اللمحات
كلُّ حالٍ منه أشهى ... حالة فى الحسنات
إنّ حبىّ درةٌ تجـ ... ـلو دياجى الجَفَوات[1]
إن حبىَّ مثل حبٍّ الله ... غفراناً لعاتى[2]
كيف تلحانى على حـ ... ـب به تبلو أنَاتى؟[3]
إنما الحبّ ضياء ... من صبيح الصفحات
تبعث الحبَّ إلينا ... كابتعاث اللحظات
يعذر الحسن وإن قـ ... ـطب نضوَ اللهفات
راحماً يقسو اتقاءً ... لهناة الرحمات
إن يكنْ حبىَ خلداً ... أعطنى خلدَ الممات
وأرحنى من خلود الـ ... ـشجو موفور الأذاة !

---

(١) الجفوة : الغلظ فى المعاشرة (٢) العاتى : المستكبر : المتجاوز الحد .

(٣) لحا : لام وعاب . والأناة : الحلم والصبر.

إنما الخلد تجاءُ الـ	ـنفس من وخزِ الشكاةِ
لا تُرد لى سلوةً تشـ	ـعل نارَ الحرقات
إنما السلوان هاما	ت الشجون الهالكات[1]
آه لو يرشقُ قلباً	لك سهمُ اللحظات
لحظات لك تمضى	بالسهامِ المصميات[2]
آه لو تألم أخذ الـ	ـدهر من زاهى الشيات[3]
وترى حسنك نهباً	للخطوب المقبلات
وترى آثارَ أقدا	مِ الصروف الدالفات[4]
وترى الأرضَ كأنّا	فى العصور الخاليات
وترى الأرض كأنّا	فى العصور القادمات
لا ترى للحسن إلا الـ	ـحبّ فرض الفرصات
فتؤاتينى بعطف	منك يجلو حسراتى
لا يرى القسوة دينا	غير قنٍّ الغفلات[5]
والذى يبصرُ كرَّ الـ	ـدهرِ جمّ العدوات :
لخليق أن رآه	باختلاج الرحمات
ولئن خاتَلَنا العيـ	ـشُ بآل الطيبات[6]
ولئن خاتلنا الحـ	ـبّ بغضٍ القسمات
فلعلَّ الموتَ مكذو	بٌ كتلك الخدعات
ولعلّ الحبَّ يُجْزَى	صالحاً بعد الحياة !

(١) الهامة هنا : روح القتيل ؛ أى أن السلوان على ذكره روح الحب القتيل .

(٢) المصميات : السريعات الصائبات (٣) الشيات : الألوان .

(٤) دلف : مشى وتقدم (٥) القن : العبد . (٦) خاتل : خدع .

وسائل الحب

إنَّ الذين وددتهم وورضيتهم ... نالوا رضاك بآيةٍ لك تذخرُ

نالوا رضاك بمنحةٍ أم خدعة ... أم بالرُّقَى ترقى النفوسَ وتسحرُ[1]

أتقربوا بالبغضِ إنَّ محبةً ... أقصتَ فؤاداً وافياً لا يغدرُ

مرْني لأفعلَ ما تشاء فإنَّما ... لك من هوى نفسي المكان الأكبر

إنّ شئت أنْ أردَ السماءَ وردتُها ... ليلاً ليقنص دبّها والأنسر

أو شئت أنْ أهذى بكلٍّ فكاهةٍ ... كالآل لا حقّ يصوب ويغمر

لقرأتُ واستظهرتُ كلَّ فكاهةً ... وذكرت من عبث النُهى مايذكر

وسمعتُ ما أعيا السميع سماعه ... من صامتٍ ، ورأيتُ ما لا يبصر

أو شئتَ مدحي للئام مدحتُهم ... وحسبتُ أنَّ الفضلَ غرّ يزمر

أو شئتَ أنْ أردَ الرياءَ فإنني ... لكما تشاء إلى رضاك مسيَّر

أو شئتَ أنْ أهوى الكلابَ عشقتها ... ولقلتُ كلب ترتضيه غضنفر ![2]

هيهات لو أنَّ المحالَ فعلته ... لوددتَ ما بعد المحال وتعذَر

فعلان يربح واحد ولربما ... يمضى أخوه على السواء فيخسر

ذاك القضاء فإنْ أصيب بجنةٍ ... كم ماقَ سلطانٌ وجنّ مؤمّر[3]

والعطفُ مقمورٌ بغير كفايةٍ ... ونبالة ، والحبُّ ذاك الميْسر ![4]

---

(١) الرقى : جمع رقية (٢) الغضنفر : الأسد (٣) ماق : حمق . (٣) الميسر : القمار

حجة النائى

إيه ياقلبُ هل أمنتَ من النا … س حبيباً يُرعَى وحباً جديدا

قلْ لمنْ قد هويته أىّ حالي … ك بعيد المشوقَ نضواً عميدا

ولو أنَّ الحياةَ خلدٌ مديد … لأسغنا فى الحب نأياً مديدا

غير أنَّ الحياةَ كالحلم تمضى … إنما العمر طائرٌ لن يعودا

أنت لو كنت فى الشغاف من القلـ … ـب رجونا من اقترابٍ مزيدا

رحمة بى بعدتَ أم لحياءٍ … خفت لى فى الجمال منك وعيدا

ياشفيقاً علىَّ بالبُعد كم إشـ … ـفاق ناءٍ قد جرَّ خطباً شديدا

أم لإغراءِ ظامىء رعت بالنأ … ى وخلفتَ بعدك التصريدا[1]

خطوات النفوس فيك عباديد … فسيّان دانياً وبعيدا[2]

ولأنت الحياة فى القرب تظمى … وظماءُ المودى أحرُّ وقودا

إن تكنْ مشفقاً فلا تبد طرفاً … منك يسجو لحظاً وثغراً برودا

وابتغد إنْ لقيتنى ، إنَّ مراً … منك يوحى فى القلب نبضاً وئيدا

أو تكنْ مغرياً بنايك فارحم … ليت لى فى هواك قلباً جليداً

ليت قلبى تحنو عليه ضلوعٌ … منك حتى تخشى عليه الزنودا[3]

خلتَ ناراً أججتها زينة فيـ … ـه كضوءِ المصباحِ حَلياً وعيدا

ياشبيهَ الثمارِ والزهرِ والفَجْـ … ـر تَمَلَّ العيش الرخىَّ الرغيدا

إنَّ مَنْ جمَّل الحياةَ محيًّا … هُ خليق بأنْ يكون سعيدا

---

(١) االتصريد : العطش (٢) عباديد : أى شتى متفرقة (٣) الزنود : تأجج النار .

أنت أشهى من الخلود وهل تلـ ـفى لنفسٍ فوق الخلودِ مزيدا ؟
فادٌ كرِ فى الرخاءِ نضواً طليحا بات يدنيك ذكرة وسهودا
إنّ يمت تبكه اللواعج والهـ ـمّ فقد كان للشقاءِ عقيدا
وسل الليلَ والكواكب هل كا ن دعائى إلاَّ القريب البعيدا ؟

فطنة الحسن

يا ذكيٍّ الفؤادِ هذا فؤادى انتجع فيه من هوى مكتومِ
وأشدُّ الهوى هوى كتم الصد ر فأضحى كالمرجلِ المختومِ
ماترى فرحتى إذا ما تراءى منك طرف يوحى لقلبى الكليم
ما ترى الدمعَ حائراً فى جفونى حيرتى فى سوادِ حظىّ البهيم
ما ترى لحظةً يرق لها الصخـ ـرُ كسهمٍ براه وقعُ الهموم
لحظاتٌ فى إثرها لحظاتٌ هائماتٌ يحكين لحظ السقيم
خان عهدى الخلانُ حتى لقد أصـ ـبحتُ لا أرتجى إخاءَ كريم
كم رجوتُ الإخاءَ دهراً وكم أحـ ـببتُ، آهٍ لقلبىَ المكلوم
فإذا الحبُّ والإخاءُ سواء خدعات يقتلن لبَّ الحكيم
ومن العدلِ أنْ يحب صبيح حسنه كى يكون جدّ رحيم
ولو أنّ القلوبَ تألمُ للأحـ ـياءِ طراً من أجنب وحميم[1]
لرأين الحياةَ جنات عدن رافلاتٍ فى نضرةٍ ونعيم
يا ذكيٍّ الفؤاد لبُّك طبٌّ بسوى لوعتى وحبى القديم
فلعلّى أبهمت منه كلغزا الـ ـعيشِ واستعجمتْ حصاةُ الفهيم

---

(١) أى لسعيهم فى إصلاح ما فسد من أمورها ولمساعدة بعضهم بعضاً .

أم شـقـائي لذاذةٌ لك فـانعم ببكائي ولوعتي يا ظلومي

وسل الشعر والأصالة عن صـ ـبٍ مصيخٍ لحسنك المنغومِ

مَتَّ من شعره إليك بأسبا بٍ ومن قلبه بدامي الكلومِ

لك لحظٌ يأسو ويكْلِمُ يا لهـ ـفي لآس يزيد سقم السقيم !

كم طوى الدهرُ من غرامٍ ومن حـ ـسن ومن مغرمٍ وحِبٌ نديمِ

ومن الخطب أن يزولَ جمالٌ كان ريا وغلةً للحلوم

ما عذابي بخالد فيك حتى أشتكي منه قاتلي وغريمي

فلئن متُّ كان منك فكاكي من حياة كحرقة المظلوم

نعمةٌ موتِيَ الذي ليس يؤسيك وما أنت كالحمام حميمي

ولئن عشتُ فالحياةُ هموم لستُ فيها بزائدٍ من همومي

ما شقائي بخالدٍ ياحبيبي لا ولا حُسن وجهك الموسوم

ولئن غض من جمالك دهرٌ لم يبخ حرّ غلةِ المحروم

يا ذكي الفؤادِ تفديك نفسي من طروق الردَى ووقع الغموم !

الأماني والذكر

الذكرُ يشجوه والآمال تخدعه قلب تلوَّى إلى مغناك أخدعه؟[١]

يسائل الذكر عن عهدٍ لناخضل لعلَّ مقبل هذا الدهر يرجعه

فقال سائل به الآمال إنّ لها في مقبل العيش حكماً لست أدفعه

(١) الأخدع عرق في الرقبة . وفي البيت تشبيه حنين القلب بتلفت الإنسان إلى دار حبيبه .

وما انتفاعى بآمالى التى حرمت ... على فؤادىَ إذ لا عطف ينفعه

جعلتُ بعدك آمالى محرمةً ... إنّى لأبغض ورداً لست تُنبعه

نأيتَ من بعد عهدٍ جفَّ يانعُهُ ... كالعود فى الصمت لاشدوٌ فنسمعه

غير ادكار ترانيم إذا تُليَت ... من ذكر عطفك أعشى الطرف مدمعه

والحسن شدوٌ لمن أصغت جوانحه ... له صدى تتهاوى منه أضلعه

قد أصبح الذكرُ قبر الحبِّ وانتثرت ... عليه منّى المُنَى كالزهر تمرعه

وعزةُ الغابرِ المذكور مؤذنة ... بذلّة الحالِ إذ لا ريٌّ ينقعه

فهل تغضَّن وجهُ المرءِ مبتسماً ... كى يجد الدمع مجرى منه يتبعه

فيا سمائىَ إنْ غامت فإن لها ... فى نهر عيشىَ غيم أنت تطبعه

قد نمَّق القلبُ حسناً أنت طلعته ... أغرتَ حتى بصدٌ منك تصدعه

القلب مرآةُ ما أبديت من مُلَحٍ ... فاصقله بالقرب علّ القلب يبدعه

تذوى الزهورُ فلا عهد يعود بها ... لكنَّ للوصل روحاً منه يرجعه

أصبحتَ فى البعد مثل الروح محتجباً ... وأمره الأمر مغداه ومرجعه

أو كالقضاء إذا ما صالَ صائلهُ ... فى خفيةٍ ونفوسُ الخلق مرتعه

والحبُّ كالموت يأتى فى فجاءته ... من غير إذنٍ ولا ساعٍ يشفّعه

إنى أحبّك حُبًّا لست أفهمه ... أيُفهم الكون منشاه ومنزعه

يا راصدَ النجم مزهواً بخبرته ... ارصدْ هلالا بأفق السعد مطلعه

وارصدْ لحاظاً لمن أهواه ماضيةً ... بقسمة السعد تعطيه وتمنعه

الحبُّ روحٌ من الفردوس هبّته ... ليوقظ النفَس شدو لا يوقّعه

والحبّ كالخلدِ لا يلقاه ذو عدمٍ ... إلا فواقاً لعيش حان مصرعه

خمرُ الخلود فنادمنى على مهَلٍ سيحبس الدَّنُّ عنا من يشعشعه
لو قسّمت فرحتى إمَّا أراك على هذا الأنام لغاض النحسُ أجمعه
فما حنين هزار للربيع بأو فى من حنين فؤاد أنت مربعه
وأنت شمسى وقطرى والنسيم معاً بل الحياة وما أبغى وأُمنعه!

الحب والشفاعة

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبة كأنما أنت لم تخلق من البشرِ :
نأيت عنى كما ينأى المؤمر إذ يبغي المهابةَ فى ستر وفى صغَر
أخفتَ فى القرب ما يردى بتكرمةٍ تنفى العيان وليس الخُبر كالخَبرِ
لو كنتَ إبليس لم تَعْد الكمال ولم نسمعْ بذمّك فى الأمثال والسورِ
إنْ أَستغثْ بخصال الحمدِ أعوزنى منك الوفاءُ وفاءٌ غير مقتسر
لعلَّ بعض خصال السوءِ يسعدنى بشافعٍ غير مردود ومنزجر
بما بخلقك من عيبٍ ومنقصةٍ من كل مكتتم منه ومشتهر
وما يعيش به الأحياءُ قاطبة من النفاق ومن كذبٍ ومن نكر
أدعوك دعوة ذى خُبْر وذى مقةٍ ما إنْ رأى لك ذنباً غير مغتفر
فإن غضبت فلا عتبٌ ولا عذَل أدعوك بالفضلِ والإحسان والغُرر
لا بالحميدِ ولا المرذول أنشدكم فهل شفيعىَ خلق الغادر المكر
أم هل شفيعىَ أن أسلوك منصرفاً عن حرقةِ الحبِّ كى تقفو على أثرى
إن كان ذاك فما قلبى بمناظر إلى اللقاء ولا روحى بمدكر
فاغضب لحسنك وارم القلبَ عن كَثَبٍ واقرب وأشعل فواداً غير منصهر

فـمـا يزينك قلبٌ غـيـر مـدّكـر
من العـبـادِ وخـدٌّ غـيـر منعـفـرِ

فاحلف بـحسنك أنْ تدنو لترجعنى
إلى اللواعجِ والأسـقـام والذكـرِ

ولا تقل رحـمـة تنأى فلى كـبـد
لم تخش منك صيال اللفظ والبصر

أغـر الجـمـالَ بنا كـيـمـا نكفّـر عن
وزر الجحودِ جحودِ الحسنِ والغرر

فإن فشلتَ فبئست تلك منقصة
تنفى الجمال وبئس العجز فى الغُرَر

وإنْ ظفـرتَ فـقـد دانيتَ منعطفاً
فـاثأر لحسنك واعـرفْ لذةَ الظفـر !

لا تحـسـب الحبَّ أعـمـى ضلَّ رائده
الحبُّ أبـصـر بالأخـلاقِ والسّـيـرِ!

نجوى المحتجب

حـجـبـوكَ من حـذرٍ عليك صيـانة
يا ليـتـهم فى مـهـجتى حـجـبـوكـا

ولئن حـجـبـت ففى الرحيقِ مشابه
فى الدنّ أو مـا يحـتـويه فـوكـا

أو فى اللآلىء وهى أنفس مـا يرى
عيفت لهـا الأصداف واختصـوكـا

لولا ظنون السـوءِ وهى كـثـيـرة
يغـرى بهـا من خـشـيـةٍ أهلوكـا

لحـجـجتُ مـعـتـمـراً ببيتك طائفاً
أبغى إليك من الطواف سلوكـا

ياويح أهل الدار لو علمـوا الذى
تحـوى إذا سـجـدت لديك ذووكـا

هـم يحـسـبـونك واحـداً فى أمـةٍ
ولأنت دنيـا الحـسن لو عـرفـوكـا

لو يعلمـون مـخـاوفى ومـحـاذرى
حـرسـوك فى عـينىَّ إذ حـرسـوكـا

ولقـد وقـفـت على ديارك بعدمـا
هَجَعَ الخليـقـةُ سـوقـة وملوكـا

نجـوى وثقت بدينهـا وبربّهـا
ربّ المحـاسن خـاب من يدعـوكـا

إذا أمَّ قلبى شطر قلبك حـاسـبـاً
نجـوى المحبـةِ منهـجـاً مـسلوكـا

كيما تجيء على الوفاق وما نأى ... ناء إذا سلك الدعاءُ سلوكا

يا قلبُ مالك لا تبوء بسلوةٍ ... علَّ الحبيبَ بهجره يبلوكا

يا ساحراً خابت وسائلُ سحرِهِ ... أو ما عرفت على اليقين شكوكا

لا تبلغ النجوى أغضّ مرفَّها ... غفلان يجهل دمعك المسفوكا

ياليت أن الوحيَ كنت ملكته ... حتى تناجي غافلاً يجفوكا

إني اتهمتُ محبتي لما نأت ... بك عنِّي النجوى فلا تدعوكا

يا مَن به افتتن القضاءُ كأنما ... صرف القضاء بحسنه يرشوكا

ويلي من الآمال فيك فإنها ... زفتّ إليَّ حديثها المأفوكا

يا أين منك وداداة للقلب لا ... تألوه مصطفياً ولا يألوكا

الحب والحذر

كيف لا أغرى بك الحذرا ... إنْ تكن تغرى بيَ الحذرا

تبتُ من ودٍ ومن مقةٍ ... فأقل من تاب واعتذرا

صرت أخشى منك طارقةً ... مشمتاً بي كل من أمرا

رُبَّ مأمون بغرّته ... حيَّر الألباب إذ غدرا

كم وسعت النفس معرفة ... أتقصى الفعل والسِّيرا

فأتت ما لست أعرفه ... وكأني لم أصبْ خبرا

ما عجيب أنْ صبرت فكم ... جازع من كارثٍ صبرا

إن قلباً لم يَدِن بهوى ... قط شرٌّمن جوٍ خسرا

إنَّ مخدوعا على ثقة ... زين خبٌ لم يثق حذرا

إن من صــحت طويّتــه ... لم يكتّم حبّه ذعرا[١]

عجب أن لستَ تأمنني ... قد أمنتَ البدوَ والحضرا

آمناً من ليس يأمنه ... سابرٌ يدري الذي سبرا[٢]

أنت ممن عاشَ في كلم الـ ... ـناس يقفو فيهم أثرا

إنَّ حبَّ السوءِ مكتتما ... بزَّ حبَّ الطهر مشتهرا

خلت أنّ الناسَ لو كشروا ... شاحذين النابَ والظُّفُرا

كنتَ لي خدناً الوذ به ... تدرّي الآلام والكدرا[٣]

حببوا لي العيشَ إذ قذعوا ... كي أنال الفضلَ مقتسرا[٤]

كنت أرثي حسنَ رأيك لو ... لم أعالج قبلك الغيرا

كم صديقٍ بتُّ أكلؤه ... من عدى أغرى بيَ الحجرا

أول الرامين معتذراً ... من صفاءٍ كان لي ذخراً

لم ألمْ خُلقاً نأيت به ... بل ألومُ الدهر والقدرا

قد أمنتُ الدهرَ أرقبُه ... فدجا بالسوءِ واعتكرا

وأمنتُ الصيتَ أنشده ... فشآني الغرّ وابتدرا[٥]

خلته شهداً لمقتطف ... فسقاني الصاب والصبرا[٦]

وأمنتُ الحقّ أعبده ... فحماني الورد والصدَرا

ثم ألقاني إلى نفرٍ ... يعبدون الكذبَ والنُّكُرا

فامضِ مثل الدهر لا وطرا ... مالىءٌ قلبي ولا خطرا

وامضِ مثل الصيت إن به ... في الورى عن هامنا قصرا

---

(١) الطوية السريرة وزناً ومعنى (٢) سابر : مجرب ومختبر (٣) الخدن : الصاحب

(٤) قذع : أفحش في القول (٥) شآني : عابثني (٦) الصاب والصبر : المر .

وامضِ مــــثل الحقّ لاشَـــجَناً ... بعــــــده الفى ولا ذُعـــــرا

وامض مــــثل العــــيش إن لنا ... بعــــده فى راحــــــةٍ وطرا

موارد الحب

يا رائدَ القلبِ يحدو بى إلى حسنٍ ... انزل بقلبى فى خصب من الدمَنِ[1]

الأرضُ تهــــدى بأعــــلام وأوديةٍ ... والأفقُ يبـعثُ بالأضـواءِ للسُّفُنِ

وفى السـمـاءِ رياحٌ جـدّ مـعـملة ... تحدو الطيورَ إلى الأوكار فى الفَنَنِ[2]

فـمـا الضـلال بحسن لا دليل به ... إلاّ مـصـارع قـوم لسْنَ بالسَنَن

لا بالحنين ولا بالصـــدق أدركـــه ... وكيف أدرك آلاً غيـر ذى مِنَنِ[3]

وأنت كـالحقّ مـخـبوءٌ ومطّلبٌ ... والحـقُّ ذو صلـفٍ يحتن بـالجنن

ولاموتُ يظمى إلى حسن وإن صبرت ... عن شرعة الحق نفس الهالك الضمِنِ[4]

لئن نأيتَ كنأى الشمسِ عن دنفٍ ... يـرنـو إلـيـك رنـو المرءِ لـلـوطـن

لم يخرس الطيرَ أنّ الشمس نائيةٌ ... إذا بـدا الصـــبحُ تتلو آية اللسن

لاتحسب الحسنَ مثل الشمسِ يسعدنا ... فى البعد بالضوءِ إذ يؤذى على قرن[5]

فالحسنُ يحرق فى هجرٍ وفى بُعُدٍ ... ويبهج القلبَ فى قربٍ من السكن

ياليت للشعـر آلاماً فـتبـصـرها ... كـيـمـا ترقّ لما يحكيـه من حَزنى

أو ليت لى مسلكاً كالفكر أسلكه ... يخفى عن الناس فى حلّ وفى ظَعن[6]

أو ليت أنى قـضـــاء لا مــردّ له ... آتى إليك بنعـــمـــاءٍ من الزمن

أو ليت أنى شجون منك قد نزلت ... فى صدرك الغض قلبا ضاق عن شَجَنى

وما صبرت على صدّ قسوت به ... كـلا لعـمـرك إن اليـأسَ صـبرنى

---

(١) الدمن : الموضع القريب من الدار . (٢) الفنن : الغصن . ومعملة : عاملة .

(٣) المنن : العطاء والنعم (٤) الضمن : ذو مرض يلازمه ويشتد عليه

(٥) قرن : اتصال (٦) الظعن : الرحيل .

إنْ عذَّبَ السهدُ عيناً غير مغفية ... إفكٌ مقاليَ إنَّ الطيفَ يؤنسنى

يا باخلاً بلقاء ليس يحريه ... ما كنت أحسبُ أنَّ الحبَّ يبعدنى[1]

ما كنتُ أشقى بآمالٍ أعالجها ... لو أننى عاكف أحنو على وثنِ

وإن نأيتَ فقد أرخيتَ لى طوَلا ... لكنّ قلبىَ مشدودٌ على الرسن[2]

لو كنتُ أسطيع سلواناً عذرتكم ... وكيف أسلو وأنت الروح فى البدن ؟

وكيف تمنعنى وجهاً تلوح به ... للناس طراً بلا مَنٍّ ولا ثمن ؟

أنت المقادير كالعشواءِ خابطة ... بالسعد والنحس من نعمى ومن محنِ

فأنت توحشنى من غير ما سبب ... وأنت تؤنسهم بالمنظر الحسن

نام الخليون ممن قد رأوك وما ... نامَ الشجىّ وقد باعدت ياسكنى !

الصبر والجزع

يا لابساً حللَ الربيع مخايلاً ... فى خلعة الفردوس من لألائه

من لى بصبر عنك ليس بكائنٍ ... صبراً يداوي القلبَ من بُرَحائه[3]

صبر القتيل عن الحياة وطيبها ... وعن اقتسار الثأر من أعدائه

من لى بصبر الدهر من أزل الدُنى ... صبراً على المقدور من عدوائه !

من لى بصبر الغصن أجج عوده ... صبر النجوم على السُرَى وعنائه ![4]

صبرَ النيامِ عن الضياءِ وحسنهِ ... وعن الرجاء ونجحه ورخائه

صبر السماءِ عن الطيور تصويت ... صبر العيون عن الغماء ومائه[5]

أوّاه أعوزنى اصطبارٌ لاتنى ... تفنيه نار الحسن فى إعيائه

مثل الذبالة نورها بفنائها ... قمنٌ وصبر المرء عقب شقائه

(١) حربه : سلبه ماله وتركه بلا شيء (٢) الرسن : حبل الدابة (٣) البرحاء : الشدة والأذى .
(٤) السرى : السير ليلا (٥) الغماء : الغمام .

ولئن أصابك فى حياتك مثلما ... فزع الجريح إلى نقيع سقائه

لرثيتَ للصديان من حُرق الجوى ... ورحمتَ هيماناً لفرط بكائه

إنى لبعدك كاليتيم تباعدت ... أنصاره فبكى على آبائه

ولكم جزعت لجفوةٍ لك أفرطت ... جَزَعَ الجبان يفرّ من هيجائه

لعرفتَ ما جزعى لو أنك خابر ... جزع المريض من الرَدَى وقضائه

جزع الثكالى غالَ أوحدها الرَدَى ... فوددن طعن الموتِ فى أحشائه

جزع لباغى العدل روَّع جأشه ... طاغٍ يخال العدلَ من إجرائه

لا بل جزعت وليس يعرف جازع ... جزعى لبعد شبيهه وعنائه

غلاّن فى جيدى لحبّك واحدٌ ... ولصولةِ المقدورِ فى غلوائه

إنْ غبتَ عنى ظلْتُ ناشد حاجة ... مجهولةٍ لم يدرِ وجه دعائه

متلفتاً حولى كأنى مُشعرٌ ... روحاً يُحَسُّ وإنْ نأىَ بخفائه

وأرى الفضاءَ بلحظة هوجاء لا ... تبغيه بل تبغى ضمير هوائه

فكأنما أبغى عوالمَ خلفه ... سترت بغيب غطائه وكفائه

لحظات عين لا تراك كطائش ... من نبل أخرقَ حادَ فى إجرائه

إنْ لاحَ إنسان حسبتك طالعاً ... أو لم تكنْه فأنت من قربائه

حتى أحبّ الخلقَ إنك منهم ... وأقيل جرم الدهر فى عدوائه

فإذا استبان علمت أنى مبصر ... من لا أسرُّ بوده ولقائه

إنِ غبتَ عنى خلتُ أن عوالماً ... خسفت خسوفَ البدر فى ليلائه

كالسيف إن صدئَ الغرار وطالما ... راق العيونَ بطبعه وروائه

وأكاد أهتف فى الندىِّ بذكركم ... قهراً أذلّ لأمره وقضائه

لولا مغالبة اللسانِ وصونه ... بانَ اختبالُ اللبِّ من بُرحائه [1]
وأودُّ لو تدنو إلىَّ بزلةٍ ... أهلاً بجرمٍ نلتقى بعدائه!
بل ليت لى منك ائتلافٌ مسعدٌ ... إلف القصيد لعوده وغنائه
إلف الأزاهر والمياهِ تصافيا ... وجرى الربيع عليهما بجلائه
فلطرفةٌ تمضى ولست بشاهدٍ ... خلدُ الجحيم بنحسه وشقائه

زورة المباعد

يازائرى أعبقتَ منك محاسناً ... كالزهرِ يترك نفحةَ المرتادِ
أخصبت تربة أنفسٍ ظمآنةٍ ... شامت سناك فكان خيرَ عهادِ
وأفضتَ شؤبوب المحاسن والنهى ... طيباً على المهجات والأكباد
يازورة كالعيد إلا أنها ... جَلّتْ عن الفرحات والأعياد
ياليت أنَّ الدهرَ أوقف سيرَه ... حتى تحين قيامةٌ وتنادى
لهفى عليك أعائد بك ما مضى ... أم كلُّ عهدٍ فات غيرُ معاد
عجباً أما صابَت لحاظُك مهجتى ... صوباً يبل به أوام الصادى[2]
كتقاطر الرحماتِ عقب سوابق ... من نقمةٍ والحادث المرعاد
طرفٌ تألق منك حتى خلته ... قَبَس المجوسِ يُضىء للعبّاد
لوددت أن أرعاه رعيةَ عابدٍ ... يبغى الخلودَ له على الآباد
ياليت أنَّ النفسَ دُرَّةُ غائصٍ ... أهديك من نفسى أعزّ عتاد
النفسُ مرآة فقارب وجهها ... يخلص ضمير النفس من أضداد
كوذيلتين تحاذتا وتصافتا ... ما إن ترى غير الشكول بوادى[3]

---

(١) برحاء : شدة (٢) الصادى : العطشان (٣) الوذيلة : المرآة .

أترى ظلالَ الموتِ تسحب ذيلها ... وتظلّ رهن قطيعةٍ وبعاد ؟
سأسوم قلبى عنك سلوةَ صابرٍ ... القلبُ أحجى منك بالإسعاد
قد يلهم القلب الشجى عزاءه ... هجر أطلت لسلوةٍ ورشاد
هّا رحمت القلب رحمةَ مبصر ... لمّا نأيتَ بريّه والزاد
أم لست تعرف أن حسنَك مهلكٌ ... بزَّ المهالك فى رَدًى وعوادى ؟
أم أنت متّهم هواى فلم تخف ... منه علىَّ لواعجى وصفادى ؟
وحسبتَ أنى عابث بدعابةٍ ... فلهوتَ بالتقريب والإبعاد
اجحد حياتك ما استطعت جحودها ... فلئن قدرت فلوعتى ووداى
لو كنت شاهد عبرتى وصبابتى ... لمّا برمت بصدك المتمادى
وصدعت أبواب السماءِ بدعوةٍ ... كادت تهدّ شواهقَ الأطواد
لعلمت أنك بالسلوّ وبالقِلَى ... أحجى ولكن لا يطيع فؤادى
لو قلت أنت قتلتنى لضحكت إذ ... كاراً وإن أهلكت بالإبعاد
ولربّ باغٍ سعد خلٍّ هالك ... منه بخلق غير ما إسعاد
فاعط الصبا فرضَ المراحِ ولاتصلْ ... حذراً علىَّ من الشقاءِ العادى
واهَنأ بأترابٍ حنوت عليهم ... وتركتنى خلواً من الأوداد
فغصونهم كغصونك الفيحاء مو ... رقة وغصنى عاد شوك قتاد
لو كنت لم أبلُ الحياة وصرفها ... لقصدتهم بالغلِّ والأحقاد
أما وقبرى بالوصيدِ موطأ ... ألفى لديه راحتى ووسادى
سفهٌ بمثلى أن يلومَ على الجفا ... إلف الهوى بقوامه المنآد
لو كنت تجهل ما أعانى من جوى ... إن غبتَ عنى آخذاً بفؤادى

لرجوت منك مودةً لم ألقها ... وصبرت للبلوى كصبرِ إبادِ[1]

لكنْ علمت فلم تعد لى حيلةٌ ... لولا سراب رجائى الميّادِ

أدنوتَ كى تنأى ولِنتَ مخادعاً ... لأسام خفضاً بعد عزّ قيادى

رحماك ياغضَّ المحاسنِ لم تكن ... عندى بأهل خديعةٍ وعناد

ماذا اجترمتُ فكدتنى بخديعة ... تبغى عذابَ فؤادىَ المنقاد

إنْ المروءةَ والشهامةَ غير ما ... يأتى المصادق من أذى الأوداد[2]

قد كنتُ أحسبُ كلَّ حسن فطنة ... تودى بقسوة وحشة الأضداد

فمنيتُ منك بغير ما أمّلته ... أسفاً لقلبٍ منك غير جَوَاد

يا ليت أنك صخرة مهجورة ... ليست تغرّ بفطنةٍ وفؤاد

أدعوك بالآلام وهى مضيفة ... مما خبرتَ لفرقةِ الأنداد

أدعوك بالعبرات إنْ رقرقَتها ... من مقلةِ حرَّى بغير رقاد

وبكل ما عانيتَ من حُرَق الجوى ... وبروعة الأحلامِ والتسهاد

أدعوك بالزفرات إنْ صعّدتها ... من غدر أحبابٍ وغلٍّ أعادى

وبوقع خفقةِ قلبك القاسى إذا ... حذر الرَدَى ومراكب الأعواد

وبما ألمتَ من الشقاوة والأذى ... والخوف يقدح فى الحشا بزناد

وبما يتاح من المهود إلى الردَى ... من لوعةِ الإصدارِ والإيراد

أدعوك كى تدرى حنين جوانحى ... بحنين قلبٍ منك غير جماد

وبكلِّ ماعالجتَ من صرف النوى ... والمرءُ رهنُ روائحٍ وغوادى

كيما ترقّ للوعتى ولواعجى ... وتزيل دولة صدِّك المتمادى

يا قلبُ بعض الحبِّ ليس بفطنةٍ ... فاجنب هواك لفطنةٍ وسداد

---

(١) إباد : قوى ثابت أو الجبل (٢) أوداد : محبين .

لو أن شجوَ القلب يبعث مثله ... في صنوه لبلغت كلَّ مراد
أيقنت أنك مولعٌ بمباعدٍ ... هانت عليه حرارة الأكباد
فاقرن يقينك بالعزاءِ ولا تقفْ ... بالشكِّ موقفَ حيرةٍ وتمادى
وارجع إلى يأسٍ سكنت لجنحه ... زمناً ، فكان أبرَّ بالأنداد !

ياضوء [1]

تضيء ما يستر الظلامُ من الـ ... ـقُبْح وتكسوه حُلَّة البِدَر [2]
وأمّك النارُ وهي صائلةٌ ... للخير والشرِّ صولةَ الغِيَرَ [3]
كسوتَ وجهي وخاطري حُللاً ... وكنت للعين علّة النظر
لولاك لم يرحم الذي حمد الـ ... ـحسن أخاه ذا الآفة الكدرِ [4]
تلوح للهالك السقيم فيعـ ... ـتدّك خير اللذّات والذُّخُر [5]
تلوح للجارم الحبيس كما ... يلوح ماضي النعيم في الصور [6]
تغذوه أمٌّ في عينها أبداً ... سحرُ حنانٍ يضيء في البصر [7]
وهو وليد قد أولعت يدهُ ... يخطفة الضوءِ حلية الحجر
وكلّنا ذلك الوليد إذا ... لاح سراب الرجاءِ والوطر!

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ١٦٥ في ٣١ أغسطس ١٩٣٦ بعنوان – « ياضوء » وكانت في الديوان بعنوان « الضوء » . وحذف منها بعض أبيات أعيدت هنا كما كانت في الأصل .

(٢) البدر : جمع بدرة مقادير من النقود (٣) غير الدهر : صروفه (٤) ذا الآفة : أي الكفيف . (٥) لأن الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التي سيفارقها .

(٦) يرى الحبيس الضوء في سجنه فيذكره بعهد وهو طليق بريء .

(٧) المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان في نظر أمه وهو طفل طاهر .

وأنت في المعبد المَشيد كضو ... ء الله في صالح من الخبر[1]

أو مثل ضوءِ الضمير محتبسٌ ... في النفس أو كالصفاءِ في السيرِ

تبعدك الطيرُ في الصباح بما ... تتلوه من آيةٍ ومن سور

تهبط فوق الغدير في مرحٍ ... مثل هبوط الطيور في الشجر

أم أنت روح الحبور قد برزتْ ... تنير وجهَ الحياة في خَفَر

كأنَّ في الأرض قلبَ والهةٍ ... تسبى عشيقاً بحلة الزهر

سنابلُ النبتِ ، أنت صغت لها ... من عَسجدٍ ، حلّةَ من الحَبَر[2]

ترقصُ رقصَ الحسناء إنَّ لها ... رقصاً كرقص الضياء في النّهر

ياعَلماً للحياة ينشره الـ ... ـكون فيقصي القلوب عن خور[3]

وربّ فجر بشقْتَه بهج ... كفجر حُبّ في القلب منفجر

أو مثل فجر الآمال إنَّ لها ... فجراً وليلاً يضاءبالذّكر

فطرّز السحب مثلما حسُن الـ ... ـنحسُ بضوء الرجاءِ في الكَدَر

كأنما أنت سلّم لعلا ... ءِ النفسِ تَسْموُ لآية العُمرُ

أو أنت حُسن الجنان نبصره ... منبعثاً خارجاً من الثُّغر[4]

تُرمد طرفَ الحزين ، إن أخاك الـ ... ـليل برٌّ بالخاطر الكدر[5]

تُليح بالسعد والمُنَى أبدا ... لذى طموح بالترب منعفر[6]

وأنت كاليمِّ، دُرهُ الفلَكُ الـ ... ـدوّارُ أو فاقع من الزهر[7]

---

(١) سطوع الضوء في معابد الصلاة له جلال وأثر في النفس .

(٩٢ الحبر : الوشي والزينة (٣) الخور : الضعف والجبن . الأصل - فيقضي الكمي (٤) جمع ثغره : أي فتحة . (٥) في الأصل : طرف اليتيم (٦) في الأصل : تليح بالحب ... لذى هموم .

(٧) يغمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنهما دره .

ويا بشيراً بما نخال من الـ ... آلاءِ في مقبل من الغِيَرِ[1]

حكيت ذخرَ الآمالِ تبعثها ... للوهم يزهو كالتِّبْر في الذخرِ

تخال من رقّة المراسم مـعـ ... ـنًى لا يراه البصير بالبصر[2]

أشهىٰ ضياءٍ يكسو الحبيب خِمَا ... راً نعم ذاك الكساء في الخُمُر[3]

تستبق الطير في أشعّتك الـ ... ـغرّاء فعل الحسان في الغُدر[4]

وضاءةُ الماسِ منك قد قبست ... وأنت في الروض خمرة الزهر

والضوء في المنزل الخراب كقلـ ... ـب الندب يشقى بالجسم في الكبر[5]

خواطر الخير كالملائك أو ... كالضوءِ يزهو في قمة الشجر

كلُّ جليلٍ مشبّه بك في الـ ... ـمدحِ ، وليس التّراب كالدرر[6]

فالحقُّ والحسن والمطامع أشـ ... ـباهك في قول ناعت الغُرر

أضيء إن اسطعت ما يخال من الـ ... ـغيوب والطارقات والقدر[7]

كم ذا رأيت الأنامَ في عنت الـ ... ـعيش نشاوى من غير ما سُكُر

فلم تُقطّب على الشقاء ولم ... تبد كوجه لليل معتكر

كالشيخ شام الخطوب قاطبةً ... يذخر غفراً لزلّة البشر[8]

خبّر وما ينفع الورى أبداً ... طلاب ذاك الطليب في الخبر

أثغرة ذا الحمام نبصر منـ ... ـها الضوءَ ، أم حفرة من الحفر ؟

---

(١) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجذل . (٢) أى من لطافته يخيل للرائى أن أثره فى النفس لافى العين . (٣) الخمر : بضمتين جمع خمار (٤) الغدر : جمع غدير .
(٥) النّدْب : المرجو فى الأمور لنشاطه . (٦) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ونور الحسن ونور الأمل ونور الطهر الخ .. (٧) اسطعت : أى استطعت والخطاب للضوء . (٨) كما أن الشيخ قد يغريه علمه بالحياة أن يغتفر للناس أخطاءهم فلا يعبس ، كذلك أنت لا تعبس بالرغم من عنت الحياة وشقائها .

الصديق المنشود

إليك يا من قضيتَ العمر أنشده … في الناسِ ، لو أن فيهم من يصافيني

همو مثالُ سرابٍ لاح عن عرضٍ … وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظمينى

وأى شئٍ إذا جدّ الطلاب به … لم أُلفِ آلاً من الأهواءِ يرديني[1]

أو كالأجاج إذا أظمى بجرعته … وطالما خلت كاساً منه ترويني[2]

ياسى من الخَلق يحدو بى إلى أملٍ … فى ذى جفاءٍ إذا دانيت يقصيني

عرفت أنى لن أهنا بلقيته … فلم أصب برء أحلام تناجيني

يا بؤسَ نفسيَ لا صبرٌ ولا صلةٌ … ولا عزاءٌ يؤاسيني ويأسوني

يا لائمى أننى لم أُلف ذا مقةٍ … افضى إليه بأمر منه يشجوني

احمد زمانك فى جدٍ حَبَاك به … لقد حباني بجدٍ منه مدجون

ما إن أبيت حباءَ الدهر لو صدقت … آلاؤه ، وحباني بالميامينِ

يا مغرياً لى بخلقٍ لا أشاكله … أبغيك فى كل نابى الطبعِ مأفونِ

وكيف أنقم إفكاً منهم ، ولكم … كذبتني بحديثٍ منك يغريني ؟

أقول علَّ بعيداً لست أعرفُهُ … يوماً يجيءُ بخلق لا ينافيني

لم يغنِ قلبى فيكم ما يعالجه … هل تعلمون بديلاً منه يغنيني ؟

لو كان للعيشِ عَودٌ كان لى أملٌ … فى أن أصيبك فى عيشٍ يصافيني

لكنّه مرّة فى الدهر واحدة … ثم العفاء على آمالِ محزون !

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الأجاج : المالح الطعم .

الملك الثائر (١)

مقدمة :

هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس ؛ لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الإحساس الذى يحس السعادة لا بد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ؛ إذ الخير فى محاربة الشر ؛ ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة مَلَك عصى ربه وهبط إلى الأرض ، كى يدعو الناس إلى محو الشر فآذوه وألحقوا به كل شر ؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم . والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله .

* * *

نُبِّئتُ أن ملاكا ثار من حزَنٍ ... يسائل الله فى خلق الرزيئات

(قول الملك الثائر يناجى الله) :

تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة ... من الجوامع تُرضى فى المناجاة(٢)

الأرض منبره وهو الخطيب بها ... يدعو النفوس إلى هُوج المطيَّات(٣)

فارحم مسامعَ لم تسمع نجيَّكَ أو ... نفسًا لضوئك ترنو فى الخصاصات(٤)

وارحم عيونًا إلى مرآك ظامئة ... آبت من النحس فى شكٍّ كليلات(٥)

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ٦٨٠ فى ١٥ يوليه ١٩٤٦ وأضيفت إليها المقدمة والهوامش .

(٢) تكلم الشر : أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع منه الحكمة الفاصلة المقنعة .

(٣) منبره : أى منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة . الهوج : جمع أهوج ، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٤) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل ، والخصاصات : الثقوب ، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه .

(٥) آبت : أى عادت ورجعت ، وكليلات : أى متعبة .

إذاً أعـرْها لحـاظًا منك صـادقـة ... تدحو لها العيش محمود الصحيفات

وابعث لنا حكمة مما خُصصْت به ... فحكمة لك تُطفي حرَّ غلاَّت

ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها ... ونرتضيه بأرواحٍ أبيَّات

فما الخلود ولا الفردوس من أرَبى ... ولا كمالٌ لمعصوم السجيات[1]

حتى أرى الناس لا دمع ولا حزَنٌ ... ولا شقاءٌ بإجرام وغمَّات

سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا ... وأُبرىء الناس من جرح البليات[2]

إن الجهاد على النقص الذى طبعوا ... عليه أفضل من عصم السجيات

فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت ... بالصون ما درنت منه بإصْلات[3]

(صوت من السماء) :

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلق ... كما تشاءُ على تقوى وإخبات[4]

وارغب بهم عن شرورٍ أنت ناقمها ... وداوِ ما اسطعت كلْمَ المصمئلات[5]

أوردهُمُ الخُلُقَ الأعلى لعل لهم ... إلى الدنيات طبعًا غير منصات[6]

فإن فشلت فلا غَرْوٌ فإن لنا ... فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

(مسعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ ... يدرُّ للخير أرواحًا بكيَّات[7]

---

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء فى الحياة .

(٢) آسى : أى أحزن من الأسى .

(٣) أصلت السيف : جرده من غمده وصدىء الحديد : علاه الوسخ والصدأ ، ودرن : أصابه الدرن أو الوسخ ، والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى : هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال . (٤) أخبت إلى الله : خشع له .

(٥) الكلم : الجرح . والمصمئلات : المصائب والكوارث ، واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم : أى اجعله موردا لهم ، ومنصات إلى الشىء : أى منقاد إليه .

(٧) الناقة البكي : القليلة اللبن ، ويدر : يستنزل الدر أى اللبن ، والمراد خير النفس .

فيا لسعدهم لو أنهم جَنَبوا ... ما يجنب السعدَ من حرص المباراة[1]

عزيز عاداتهم للشرِّ رائدهم ... كم قدسوا العادَ تقديس الديانات[2]

تبغي المُحالَ فتبغي الخير أجمعه ... هيهات لو عزَّيت نفس بهيهات

كشَّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها ... فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات[3]

ثارت به الناس كالاغوال يقدمهم ... إليه كل عريق في الجهالات

وحمَّلوا خُلقَه من سوء خلقهم ... وكم رموه بأدناس الرمايات

ومزَّقوه بأظفار كما خُضبتْ ... فواتك الوحش من دامي الفريسات

وعلَّقوهُ على جِزْعٍ وقيلَ له : ... اصعد كما رمت في مرقى السجيات[4]

ما راعه أن رأى الأشرار ترجمه ... وإن توجَّع من وقع النكايات

حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه ... غرارةً وانصياعًا للسِّعايات

بكى لبغض ذوي خير وما منيت ... نفس بأوجع منه في العداوات

من كل لحظ بضوء الخير منبعثٍ ... يدجو عليه بتقطيب السخيمات[5]

تلك النفوس التي عاف السماء لها ... وثار يُغضب جبار السماوات[6]

يُكفِّرُ الناس بالآلام قاطبة ... عن الخطايا وعن شر الدَّنيَّات

وعن رضاء بعيش جلُّه نقمٌ ... وعن ولوع بنعماء ولذات[7]

---

(١) أي إن جشع التنافس في الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيراً ما يؤدي إلى ضياعها .

(٢) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة ، والعاد العادات .

(٣) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم ، واحمل عنهم : أي بدلا منهم .

(٤) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر . (٥) السخائم والسخيمات : الأحقاد .

(٦) عاف السماء لها : أي من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٧) جله : أكثره .

هم يعـذرون بمدح الخـيـر شــرَّهـمُ ... تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات[1]

لســـان بَرٍّ بثلب الشـــر منطلق ... مـثل الأفـاعى ومـا قلب بعـزْهاةِ[2]

مـا أنكر الناس شـراً غـير ضـائرهم ... أينكرون شـهـيـاتِ الغـريزات ؟

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم):

ناداه فى النار إبليس فـقــال له : ... هـوِّن عـليـك ولا تُـولَـع بـإعـنـات

قــد شــاء ربك إن الـشــرَّ عــدته ... فى صيغة الخير فى قَدْرٍ وميقات[3]

أنـا الـشـــقـىُّ بمـا لـم أَجـنـه أبـداً ... مـن خلق نفـسى ومـن آثام زلاتـى

(قول الثائر الساخط) :

فـقـال ذو شـقـوةٍ بالجزع منتـصـب ... يـكلمُ اللهَ فى نجـوى الـســريـرات

أنزلْ علىَّ شـقـاء الخلقِ قـاطبـة ... وطهـر الـنـاس من ضَـيـر الجـريرات

إن يظلمـونى فـمـن بـالـشر يجـبلهم ... أو يصلبونى فمن بارى الجنايات؟[4]

هل يَـعـذرُ الشَـرَّ أنَّ الخـيـر غـايتـه ... أم هـل تـهـــوِّن آثامٌ بغـــايـات ؟

(مصير الثائر) :

فـخُلِّفتْ روحـه كـالطيـر سـابحـة ... فى الجـو تـنـشـد مـخـضرَّ النبـاتات

طارت إلى الملأ الأعلى فـمـا لقـيت ... لهـــا قـــراراً ولـم تـظفـــر بمهْـــواةِ

---

(١) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم ، وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٢) عزهاة : أى زاهد ولها معان أخرى ، والثلب : الذم والانتقاص .

(٣) فى الطبعة الأولى : فى صنعه الخير .

(٤) فى الأصل : فمن جانى الجنايات .

لا في الجحيم ولا الفردوس مسكنها حيرى المسالك من فقد القرارات[1]

ترى الملائك حول العرش آسية تأسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء) :

يا ناقم الشر هلا كنت مُضْطلعًا بالجزع والصلب قبل الكارث الآتي

عصيت ربك في كبر وفي جهَل لما بَرِمْت بإيلام الملمات[2]

الخلْق للخلق ربح لو فطنت له كمغنم الحيِّ من أسلاب أموات

والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما فارفض إذا اسطعت نعمائي ولذاتي

حتى العقول وحتى الفضل أجمعه والذة النفس في بذل المروءات[3]

ومُرتضى الخير لو يسعى إلى دنس لَباءَ منه بإخلاف العلالات

ومرتضى الزهد مسعود بعفته ولذة المنع إنماء الخيالات

برحمة قد نماها الشر تنقمه ورحمة المرء من وخز المصيبات[4]

إن كان سخطك خيراً في مراحمه أجزت خلْقي بأرواح رحيمات[5]

فالشر للخير مردود وإن أسيت منه النفوس بأنَّات وآهات

وباحث سِرَّ عيش غير مُدركه كالطفل ينشد أفلاك السماوات

---

(١) في الأصل : ولا الفردوس موطنها .

(٢) برم بالشيء : ضجر وسئم .

(٣) ذلك لأن نمو العقل البشري كان بسبب مكافحته المصائب والآلام والشرور ، فالذي يريد حياة لا شر فيها يريد إنسانا لا عقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هي محاربة الشرور .

(٤) الرحمة تنتمي إلى الشر أي لو كانت الحياة لا شر فيها لما عرفت النفس الإنسانية الرحمة .

(٥) في الأصل : أجزت شري .

الموت

أيا معبداً قربانا فيه عيشنا ... نضحى به لذاتنا والأمانيا
ويا منصفَ المظلومِ من كل ظالمٍ ... ويا مهربَ الملهوف يخشى الأعاديا
ويا مبرئاً كلم الحياة بطبِّه ... جلالك أن قد راق ما كنت شافيا
ويا ستر لم يصدعك همٌّ ولوعة ... ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا
فيا موت يا أمّا أطالت تصامماً ... أمالك قلب يرام الولد حانيا ؟
ألا أرضعيني منك يا أمّ درة ... لأذكر ما قد كنت فى العيش ناسيا
فياموت أقبل باسط الوجه طلقه ... فإن حميم الصحب ما كنت لا قيا
تقارب من أمسى لطيفك قاليا ... وتبعد من يرجوك فى النحس راضيا
أتجمع بين الصحبِ أم أنت فرقة ... تقول لها الآباد أن لا تلاقيا ؟
وكلٌّ لهيفٍ يبتغى فيك نجوة ... وكل لديغٍ يبتغى منك راقيا
فما التاح من ألفى من الموتِ موردا ... ولا اعتل من لاقى من الموت شافيا
أتسمع صوتَ الرعدِ كى أستعيره ... لأوقظ طرْفاً منك وسنان ساجيا[1]
أحبّك حبَّ الصبِّ وجه عشيقه ... لينقع ثغرا منك صديان ظاميا
وكم طربت أذنى للحن أجدته ... أعد منك لحنًا يترك السمعَ واعيا
وأنت شبيهُ الله فى خيرِ نعته ... فإنك رحمن وإن كنتَ قاسيا
لأعززت من قد كان فى الناس صاغرا ... وأرخصت من قد كان فى العيش عاتيا
وليس يعزّ المرء مثل افتقاده ... وإن كان معشوقًا لدى النفس غاليا

---

(١) الوسنان : الناعس . والساجى : الساكن اللين .

جـوارُك مـأمـونٌ وملكك رحـمـة ... لمن كـان قد أعـيـا الطبـيـب المداويا

لخلقت قلبَ الخوف يخشى حِمامه ... فجارك لا يخشى من الخوف ساريا

وأين دمـوعُ النحسِ من عـهـد آدم ... محاها من الأحيان ما كان ماحيا[1]

وكم حرس الموت الودائع بعـدمـا ... أحالت صروفُ العيشِ إلفاً معـاديا

إذا لـم يكن للميت شجوٌ وحسرة ... ولـم يلك للفـقـد الذى ناب واعـيـا

فـأين وعـيـد منك ياموت نتـقى ... ونزوى إذا مـا لحت منه النواصيـا ؟

وللخـفـض أيامٌ وللنحس مـثلهـا ... ودهرك مـثل الخلد أروع نـامـيـا[2]

توالت فصولُ الحولِ عن قدر موعد ... فـهل منـذر ينبى عن الموت آتيـا ؟

وليـسـت حـيـاةُ المرءِ إلا كنفـحـة ... سل الموت عنها والسنين السوافيا [3]

وما بى خوف الموت بل حرّ حسرة ... لفـقـد حـيـاة فـيـه لم أدر مـا هـيـا

رزقنـا فلِم لا يرزق الدود بعـدنـا ... أليست فضول العيش خلقاً دواليا ؟[4]

نسرّ على قبر العصورِ التى خَلت ... كـما يضحك المجنونُ أخطأ الملاهيا

هو الحىُّ عبد الموت يسعى لطعمه ... فـيـغـذى دمـاه والمُنى والمسـاعـيـا

ومـا العـيـش إلا طائرًا فى دُجُنَّة ... توهـمـه برقًـا على الأفق نائيـا[5]

كـفى شرفًا بالموت أن كـان عـائش ... يصـولُ لنيل الرزقِ باللؤم شـاكيـا[6]

حـمـدنا مهودَ النوم أن شابه الرَّدَى ... وإن لـم يرع بالحلم من كان كاريا[7]

---

(١) الأحيـان : جمع حين بالفتح وهو الموت . (٢) الخفض : النعيم (٣) أسفت الريح التراب : بددته فهى سواف (٤) أى مرة لهذا ومرة لذاك .

(٥) الليلة الدجنة : المظلمة . (٦) شاكيا : للسلاح والعدة لابسها.

(٧) كاريا : نائما .

فكيف نعافُ النومَ لا نوم مثله ؟ ... سل القبرَ عنه والعظامَ البواليا

وما العيشُ إلاَّ عادة غال قَيدها ... وأى امرىءٍ يلفى لدى العاد عاصيا ؟

ولو فهم الحىُّ الحمامَ وطهره ... لما أوْجَرَ الحقدُ الكمينُ الأعاديا (١)

غداً يستوى الجانى ومن ذاق شره ... كأنْ لم يكونا مستكينا وجانيا

حبتك صروفُ الدهرِ بالحسن والهوى ... سل الموت أن يحبوك ما كان حابيا (٢)

ألم ترَ أنَّ المرءَ فى عظم سعده ... كما فى أساه ، يرتجى منه آتيا ؟

سواحر لذاتٍ يرى العيش بعدها ... خلاءً ، فيرجو لو رأى الموتَ باديا

يخاف عليها من عقيبٍ يمرّها ... فيكره من سوءِ العقيب اللياليا (٣)

كما ائتلف الإلفان فى صفو طرفةٍ ... يخالان أن لم يُبق فى العيش باقيا

فودّا لو ان الموتَ نسمةُ عاطر ... تطيرُ بروحٍ منهما كان هافيا (٤)

وهل يعدل الأحياء خير الأولى مضوا ... تنادوا لحينٍ واستجابوا المناديا ؟

فأهون بهذا العيش قد جاز داره ... ذوو اللب شتى يدلفون تواليا

سل الملكَ الجبارَ ينقع غلّه ... من الموت لو ألفى على الموت عاديا

وما العيش إلا ميتة بعد ميتة ... وما الخير واللذات إلا عواريا

وما العيش إلا الظئر تؤذى وليدها ... إذا لم يكن فى النحس جذلان لاهيا

فأهون بأحلام الحياة وطيبها ... فإن عناءً سؤر كأس رجائيا (٥)

فياليتنى كالزهرِ صيفٌ حياته ... فأفنى ولم يعنف علىَّ شتائيا

---

(١) أوجره : جعله فى فيه . (٢) حباه : منحه . (٣) العقيب : العاقبة ويمرها : يجعلها مرة
(٤) هفا : خف وطار . (٥) السؤر : ما يبقى فى الإناء من الشراب .

على العيش واللذات منى تحيةٌ ... وألفٌ على موتٍ يريح جَنَانيا[1]

أرى ظلمةً فى العيش أخشى غيوبَها ... وربَّ وليدٍ خافَ ما كان خافيا

أنخشى ظلامَ الموتِ والعيش مثله ؟ ... إذا ضاءَ سرٌّ العيشِ فاعدده داجيا[2]

وما يضحك المسرور إلاّ لخوفه ... وكم ضحكة فى ثغر من كان خاشيا

تقطع أوتار المودّات والهوى ... تقطعَ خيط العودِ أشجى الأواليا

أيعجب ذاك الميت من حزن والهٍ ... أم الميت لم يسمع من الناس داعيا

تدرّع بالصمت الذى ليس مثله ... مقال ، أليس اللبُّ للصمت واعيا ؟

وصمت على الأموات يدنى كأنما ... يسقّى الندى زهراً على الترب ناديا

سواءٌ مقال الإلف أو جَرْس سبةٍ ... فقد أمنوا منه الأذَى والمخازيا

فمَنْ مبلغ الأموات عنى تحيةً ... سلامٌ عليهم ، بل علىَّ سلاميا !

فما أعوزتهم رحمةٌ فى قبورهم ... كما أعوزتنى رحمة فى حياتيا

لعادوا وفى الأرواح منهم بقية ... وفى الماءِ مورودًا وفى الزهر زاهيا[3]

وقد أصبحوا رزقَ الحياة وطعمها ... أيدعى قوام الحىّ ميْتاً وفانيا ؟

سواءٌ لديهم صبحُنا ومساؤنا ... وسيّان ما يسْمى الأذى والأمانيا

وسيَّان لمحُ الطرف مرًّا وحقبة ... ويبطى لنا النحس السنين البواقيا

خليلىَّ خطَّا لى من الأرض حفرةً ... أريح بها قلبًا عن الناس ساليا

ولا تسمعانى الطير تشدو بنغمةٍ ... فآسى على العيش الذى كنتُ قاليا[4]

ولا تمهدا للغيد فوقىَ موطئاً ... فأحنو لحسنٍ لم أزل منه صاديا ![5]

---

(١) الجنان : القلب . (٢) داج : مظلم . (٣) الأرواح : أى الرياح .

(٤) أسى : حزن . قلا : أبغض . (٥) صدى : عطش .

عزائىَ أنَّ الزهرَ تسقيه حفرتى ... دمى ويروح الحسن بالزهر حاليا

حبيبى ، أرحْ منك الجنَان فإننى ... تبدّلت منك الموت حبًّا مؤاخيا

وهيهات لا يسلو عن العيش جارعٌ ... من العيش حتى يصبح العيشُ ماضيا

وحتى يموت الحبُّ والذِّكر والمُنى ... وتتلو نواعى الشائقات المناعيا

وحتى يموتَ الموتُ لولاه ما بكى ... حريصٌ على دنياه يخشى المرازيا

فياليت أنَّ العيشَ يخلف ميتة ... دراكًا كما يطوى النهار اللياليا

ذعر المحب

تعزَّل قلبى كلَّ شجوٍ وفرحةٍ ... فقرٌّ كما قرَّت رفاتُ المقابرِ

وما كنتُ أدرى أنَّ للحبّ عودةً ... إلى القلب حتى خِفتُ صرف المقادرِ

أخاف عليك الضرَّ حتى كأننى ... أخاف على قلبى وسمعى وناظرى

كتمتُ الهوى فى القلب حتى أذاعه ... وجيبٌ وإشفاق لأنباءِ ذاعرِ

فـ احسرتا مالى وللحبّ بعدما ... وَهَى منه قلبى بين جانٍ ونافرِ !

[illegible]ـيـنك فى رغدِ السلامة لم يخف ... عليك شفيقٌ من صروف الدوائر

ولم [illegible]درِ ما ذعر المحب ولم أبت ... أباعد عن قلبى مخوف الخواطر

ويسعدنى من شدّة النحس أنها ... نذيرٌ بإقبال الحِمام المغامر

أعالج آلامَ الدهور التى خَلَت ... كأنى مناكيد الدهور الغوابر(١)

فليتك تدرى مالقيتُ ولو درَى ... جَنانُك ما ألقاه ماكنتَ هاجرى

وياعجبًا لو كنت تجهل أننى ... لأجلك أقضى الليل رطب المحاجر(٢)

---

(١) نكد : أى عسر شؤم والجمع مناكيد .   (٢) أى دامع العين .

ويا عجباً لو كنت تجهل أنني | أبيتُ وقلبي في مخالب كاسرِ
أما خبّرت عيناي عينيك أنني | أحبك حبَّ النحسِ خصب المصادرِ
فقد خبرت عيناك عينيَّ إنما | تراءت لتشفي عاشقاً جد عاثر
شهيديَ ليلٌ سامرتني نجومُهُ | كم التحت من بَرْح الهيام المخامر
وكم بتُّ أبكي أسأل الله راحةً | من الموت لو ألفي لدى الموت ناصري
أبنْ ليَ ألفاظاً من النار علّها | تؤديك ما يلقاه قلبي وناظري
وكلُّ بيانٍ عاجزُ اللفظِ كاذب | فليتك تُلقي خاطراً طيَّ خاطري
وليتك روحٌ طيَّ روحي خابرٌ | وليتك ربٌّ عالمٌ بالسرائر
وما إن كتمت الحبَّ إلاَّ مخافة | لفقدك من مسعاة لاحٍ وغادر
فيا ويح قلبي لا صديقٌ مصادق | ولا حبّ إلا عادَ عون المقادر
أمن أرَبٍ أحيا لآسى كأنني | غذاءٌ لأفواه الشجونِ الجوائر
فيا نائياً أغدق على القلب رحمةً | بعينين نجلاوين من صنع ساحر
وعطفُك عندي نهزةٌ ليس بعدها | إلى أبد الآباد إسعاد خاسر
فيا دهر كفّر عن همومي كلّها | بمرأى حنان الحسنِ من طرف هاجري
أليس قليلاً نهزة لو ينالها | أخو الموت من خلدِ اللهى والذخائر
فيا لبلائي لا عزاء أصيبه | عن الحب والخِلِّ الحبيب المؤازر
وإن كنت أدري أن عيشيَ خدعةٌ | وحُلم تقضّى أو أكاذيب سامر
أرى الزهرَ غضّاً يانعاً طلّه الندى | مليّاً بأن يشجو ظماءَ النواظر
فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا | وأنفاس أيام اللقاءِ الغوابر

أتذكر وعداً باللقاءِ بذلته	بمجتمع الأطيارِ بين الأزاهرِ
وليلاً طرقناه سميرين في الدُجى	كما جال سرُّ الوحي بين السرائر
طرقتكَ ياليلَ اللقاءِ فرقتني	بلذات حبٍّ كالنجوم الزواهر
فهل من معيد لي لقاءً مضى لنا	وعهداً تقضى بين إلفٍ وناصر؟
ولا تتركنّي ذاكراً عهد ما مضى	كعادٍ يرجّي الذخرَ بين المقابر

طيرة الفرخ

جناحُك واهنٌ فإلى م تبغي	بذاك الوهن مطَّلب النسورِ
أقم في وكر غصنك مستريحاً	من الأحداث والقدر المغيرِ
ألا طرْ حيث شئت فغير بدع	إذا غالتك عاديةُ الصقورِ
لطيرة من يؤم الشمس أجدى	على الزّلات والجدّ العثور
لقدُ جعل الطموحُ لكلٍّ ندب	كما جعل القوادمُ للطيور
وقد يبكي الجبانُ على جريءٍ	كما يبكي الجزوعُ على الصبور
أرى الآلام محملها خفيف	على الضعفاءِ والبطلِ القدير
أنفرق من ديونٍ هنّ حتم	على النَفْساءِ والطفل الصغير[1]
ووقعُ النحس في الأجسام وخز	كوخز اللذّ من وقع السرور
فسلْ قلبَ الشهيد عن البلايا	يخّبرك الشهيدُ عن الحبور
وما من مهجةٍ هانت وذلّت	بغير مخافة الألم الذعور

(١) النفساء : المرأة إذا ولدت .

حب العزوف [1]

ليس الوجودُ وأنت بعضُ كيانه … أسراً لقلبِ العاشق الغطريفِ [2]

والندبُ يحمل بين جنبيه الدنى … روع الغريب وراحة المألوف

إنّ الذى درس الزمانَ وفعله … لأجل من حَدَث الزمان الموفى

ويشيم أسرارَ الحياة بحكمةٍ … تعدى على المجهول والمعروف

هب حسنك الأقدار تطرق بالأسى … ما إن يعاب أخو الأسى بصروف

أو ما نما الأمر الصغير فأصبحت … تتلى قروف قراعه بقروف [3]

هبه الخطوب حقيرها وجليلها … عبث صيال جمالك الموصوف

عبثٌ ومن عبث مقالى إنه … عبث ملامة ذى قَلًى وصُدُوف [4]

عَبث عداء الحاسدين ومثله … نعستى لخلة جارمٍ وعَزوف

عَبثٌ نعيمى والشقاء ولوعةٌ … تفضى إلىَّ بعلّةٍ وحتوف

عَبثٌ جمالك فى الصدود وفى الرضى … عبثٌ هيام فؤادى المقروف [5]

أو بعد ذا حال أخاف صيالها … ولقد برمتُ برائقٍ ومخوف

لن تعرفَ الغيدَ الحسان إذا قضت … أنَّ الهيامَ أشده لعفيف

ومن العجائب أن جهلت وطالما … ذخر العزوف هيامه لحصيف

كم مدَّعٍ خَبَلاً لتحسب أنه … خبلُ الهوى واعجُ الملهوف

يلقاك بالدمع الغزيز ولم يكن … دمعى بخدعة ماذق مطروفٍ [6]

---

(١) العزوف : الذى لا يكاد يثبت على مودة خليل   (٢) الغطريف : السخى

(٣) القروف : الجروح   (٤) القلى : البغض . والصدوف : الانصراف عن الشىء .

(٥) المقروف : المجروح .   (٦) ٥٧٤٥٧٤ ماذق : غير المخلص فى الود .

إنى أجلّك عن سـوافحِ عـبـرةٍ عبثت لمغرور الحصاة سخيف[1]

يخشى على الباكين وقع جماله فيبيت نهزة خادعٍ ومروف[2]

ولأنت أعظم فى الفؤاد محلةً من أن تغـرّ بمدمعٍ مـرصـوف

يارب مضطغن يحبك إنّ لى شوقاً إليك ألحّ غير طفيف

الآن لما خلتُ صفـوك بالغى يسعي إليك بمدمع المشغوف

كيما أبيت علي جفائك حيث لا يخشى الحسودُ على الصفاءِ وقوفى

كـيـمـا يقـا ل حبوتَه بمودةٍ وتركتنى للعذلِ والتعنيف

أسفاً له لم يلق حيلةَ سابق بالجد يسبقني بغير طريف

حتـام أبلو كلَّ يومٍ خلَّةً للناس تغرى عنهمُ بوجيف

أو كلما قلت الحضيض بلغته من ذى النفوس عدوته لألوف

حسبى اغترارك بالمناقب ملهما صبراً فتثلج حرقةَ الملهوف

العدل والكسب

إذ كان رزق المرءِ كيداً يكيده فأى يقينٍ فى النفوسِ الكواذبِ ؟

فما ينتحى حيّ سوى نفع نفسه وإن خاضَ منه فى خبيثِ المكاسب

يذود قلوب الناس عن كل سابقٍ كما ذيد طيرٌ فى الرياض بحاصب

أبيتُ على الأسقام نضواً محسَّداً وأحسبُ أنىّ ناعمٌ بالمآرب

وهل ذاق لؤم الناسِ إلا أخو ضنى تكنَّفه الأعداءُ من كل جانب ؟

---

(١) الحصاة : الرأى والعقل . (٢) المؤوف : الفاسد .

أناسيهم أحقادهم غير جاهل … وأسالهم من صفوهم غير عاتب

ومـا الناس إلا ظاهراً غيـر باطن … حماة الأفاعي في جلود الأرانب

يخالون خيرَ الناس من رام نفعهم … وإن كان ذا نقص خسيس المعائب

وإنَّ أخسُّ الناس من عافَ شرّهم … وإن كان ذا فضلٍ نبيل المواهب

تجارب قد زهدتني في إخائهم … وروّعن لبيَّ بالأمور العجائب

وخلفني في العيش لا عيش رائقي … وإن قيل إنّ الحزم حمد التجارب

فطوبى لمظلومٍ رأى العدلَ معوزا … قضى أن فوق العدلِ صبر المحارب

هل العدلُ إلا خوف سرّ تعافه … حذار العوادي من مهيب العواقب ؟

سفر اللؤم

حاولت مني بغضة … لما نظرتَ إليَّ شزرا

إن الحياة أعم شـ … ـراً من لحاظ منك تترى

فكأنها باب الجحيـ … ـم تبين منه ما استسرا

الناسُ سفري كيف أقـ … ـلى نعته لؤماً وشرّا

تُبدي وتنكر بغضةً … ولشدّ ما أنكرت نكرا

لو باخ حرّ البغض لا نـ … ـطفأت حياةٌ منك حرّى

فكأنما نارُ الحيا … ةِ تشبّ من غلٍ وتورى

فلئن بلغت به الحضيـ … ـضَ فميزة لك ما استقرا

فافخرْ بأنك الأم الـ … ـثقلين حسبك ذاك فخرا!!

فضلٌ خصصت به وكـ … ـلُّ خصيصةٍ عتد ذخرا

نفْسٌ بقيء المرءُ إن ... جُليت فضعْ للنفس سترا
فكأنما زخرفت إذ ... ألبست نفسَك منه قبرا
بيرُ العقارب والأسا ... ود بئست الأرواح بئرا
والمرءُ يغفر للظلو ... م إذا تبغّى منه خيرا
فلئن أهان خليلَه ... لم يُلف للمظلوم غُفرا
إكرامُهُ المظلوم إقـ ... رار بجرمٍ منه أسرى
جرمٌ يحاول سترَه ... جعل الشكاة لديه عذرا!

ويل للشجي من الخلي

هل للجوَى وقعٌ بقلبك رائق ... ترضاه لي بعادكَ المملولِ ؟
أم كنت معروفاً باكي في الورَى ... فوضعت صدقي موضعَ التضليلِ !
أم أنت تكذب في الحديث وفي الهوى ... إمّا شكوت لواعجاً لخليل ؟
فحسبت أن الخلقَ مثلك خادعٌ ... يحكي الهوي ببيانه المبذول [1]
خلتَ الأنين ترنّماً ، ولواعجي ... إفك القريضِ ، ومشتكًى لحمول [2]
أني اتهمت فصاحة كذبتها ... من ذا يعير فهاهة المفضول ؟ [3]
فلعلّ في بعض الفهاهة شافعاً ... يأتي إليك بحجةٍ ودليل
ياليت أنَّ الشعر ليس يجيده ... غيرُ الشقيّ بلوعة المتبول [4]
كذّب ولوعي بالفضائلِ والنُهى ... وبكل أمرٍ في الحياة جليل
وارتبْ بصدقي في المقالِ ولاتدعْ ... للشكِّ مسرًى في شكاة غليل [5]

(١) المبذول : المبتذل الركيك (٢) الحمول : الصبور الحليم (٣) الفهاهة : العي
(٤) المتبول : من تبله الحب فسقمه (٥) الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

أشقى الأنام من استريب بصدقه ... فى نحسه من مشتكى وعويلِ

أفئن رأيت على الطريق مبضعاً ... ترجو له لو راح غير قتيلٍ

ولئن رأيتَ أخا السقامِ رحمته ... ووددتَ لو يلقاك غير عليل

أو ناحت الثكلى رثيت لرزئها ... تبغى فداءَ وحيدها ببديل

وإذا اشتكى العافى الضريك برزته ... وكشفت ضرّ المجتدى المخذول[١]

وتودّ لو تنفى الأذى عن أنفسٍ ... راحت بجدّ فى الحياة ذليلِ

رحماتُ نفسك قد وسعن منادحا ... للكون غير فؤادىَ المعلولِ

ولأنت أبصر بالفؤاد ودائه ... وألطُّ منك بشاكلٍ وقتيل[٢]

أفكلُّ حىّ منك أقربُ شقة ... وأحقُّ بالرحماتِ والتأميل :

من عاشقٍ قد خبّرتك لحاظُه ... ما لم تخبرّ قبل عينُ خليل

فاقرن لحاظَ العاشقيك بلحظتى ... واظفر لها من لحظهم بمثيل

هيهات فات الناظرين لواعجى ... ومضوا بسؤر صَبَابتى وغليلى

الحبّ كونٌ لم تسعه برحمةٍ ... ياويح حبّ ظلّ غير قليل

لو كان أمراً هيناً لوسعته ... ورحمت قلباً منه غيرَ عليل

قد كنت أبغى منك سمعاً واعياً ... فظللتُ بين اليأس والتأميل

وبعثت شعرى موقظاً لك من كرًى ... عن لوعتى ولواعجى وغليلى

تالله لستَ بمسعدٍ لى فى الهوى ... ولئن دعوتُ ببوق إسرافيل

لم يبقَ إلاّ أنْ أُنيم خواطرى ... كالطفل راحَ بحسرةٍ وعويل

تشدو له الظئرُ الرؤوم فينثنى ... طلقَ المحيّا ، قانعاً بقليل

---

(١) الضريك : الأحمق .

(٢) ألط : أى لصق ، أى أنك ألصق بالفؤاد منك بشاكل أو قتيل لا تعرفه .

لهفى لو أن القلبَ مثلُ وليدها ... نسىَ الأسى وأصاخ للتعليل
لا يخدعنّك انْ بدوت تجلدى ... ما ذاك إلا حيرتى وذهولى
ولكم ذخرتُ للقية لك ، قولةً ، ... فإذا بدوتَ نسيتُ كلَّ دليل
وأودُّ لو أدعوك إمّا لحت لى ... فأرد عنك بحيرةِ المخبول
لهفاً لصادٍ خيل غير محوّم ... ولمقبلٍ قد خيل جدَّ ملول
وبوده لو كنت أنت جليسه ... فى ليلةٍ وصبيحة ومقيل [1]
ظفر الخلىُّ بُنهْزةٍ ما نالها ... أحجى رعاة الحسنِ بالتنويل [2]
إن الخلىَّ هو الجرىء على المنى ... حيث الشجىّ لخيبة المخذول
حُرمَ الشجىُّ تصافيا وتدانيا ... ومضى الخلىُّ بغاية التأميل
والصبُّ مسبوب ببادى حبِّه ... حيث الخلىّ لعزة التبجيل
ولعلَّ مسعوداً أحقُّ بخيبةٍ ... من عاشقٍ عفّ الغرام نبيل
جور القضاءِ وهل يجيرك غافلٌ ... عن جوره بفطانةٍ وكفيل ؟

صحو ولا صحو

لقد أصبحت لا عتبا ... ولا عذراً فيبتدرُ
وقدماً كنتُ إن أذنبـ ... ـتَ مما جئتَ أعتذرُ
لأقرب منك بالغفرا ... ن ، ذنبُ الحُسْنِ مغتفر
وفى الأعتاب لى وِردٌ ... وكيف وهمّيَ الصَّدَرُ
ففى الأعتاب لى عود ... وذاك الصابُ والصبر [3]

---

(1) المقيل : منتصف النهار

(٢) النهزة : الفرصة ... (٣) الصاب والصبر : المر .

وحـــــسبى منك أنَّ الحـ ... ـبُّ مـــخـــذولٌ ومــعــتكرُ

رعى الله البـــعـــاد لـو ا ... نَّ صـــبـــراً عنك يقـتـصـرُ

أأحـــمـــده وهذا العـــيـ ... ـش قـــربٌ منك والذكـــر

وأخــــشى أن يكون المو ... تُ فيــه ، منك لى خـبـر

فـمــا فى العيش لى منجى ... ومــــا فى الموت لى وَزَر [1]

وكـيف أصـيب لى منجى ... وأنت النفسُ والقـــدر ؟

نوازع نفـــسىَ اللاتى ... تؤوب بهـــا لك الفكر

أغـــرَّك مـقـــول المتـبــو ... لِ : أنت الشـمسُ والقـمـرُ

إذا مــــــا لجَّ بى ولَـهٌ ... فـــتـرب بقـيـعـــةٍ دررُ [2]

ومــــا نفسٌ بـاقطن من ... وليــدِ شَـــاقَـه المدَرَ [3]

الا غـــفــراً بنفـــسىَ لا ... يماز الشــهـــد والصبـــر [4]

فليس الذنبُ ذنبى بل ... هى الأرزاءُ والغـــيَـــر

فكـنْ فى ذروة الأكـــوا ... ن حظٌ بمهـجتى قـصـر

وكنْ حيث الحضيض فليـ ... ـس قولى ساقه الصعر [5]

ومـــا أدرى ســوى أن لـــ ... ـت مَنْ قــد كنتُ أنتظر

حـــبـيبٌ وامقٌ جـــاءت ... به الآمـــالُ والذكـــر [6]

بفـــتْكِ غـيــر من أبغى ... وأنت السمعُ والبصـر

ولو أنى حـــســبـتكمُ ... جــلاكم حلمىَ العطر

رضـيـتُ شـقـاءَ نفسى إذ ... يهُــون العيشُ والقـــدر

شـــقـــائى أننى أهوى ... حــبـيـبـاً غـيـره الوطر

---

(١) الوزر: الملجأ . (٢) البقيعة : قطعة الأرض . (٣) المدر: الطين . (٤) يماز : يفرق والصبر : المر . (٥) الصعر : الميل أو الكبر . (٦) الوامق : العاشق .

أتحـــــســـــبنى أغــــار إذا — أتــتـك بـآيـة غـــــــــررُ ؟

وكـــيف أغـــار من فـــضلٍ — لغـــيـــرى شَـــامَـــه النظرُ ؟

أذلـك ســـــــــوءُ رأيـك فـ — ـىً أم واشٍ فـــــينزجــــر ؟

وهل ألـفـــيـــتنى غـــرّاً — بما أحـــسنت أفــتـــخــر ؟

جـــفــاءُ الحـــسنِ منجــبـر — أســوءُ الرأىِ ينجــبــر ؟[1]

بـودى أن تـشـــيم الفــضـ — ـلَ أجــمـعـه فـتـبـتـدر[2]

بــودّى أن تــشــــيم النقـ — ـص َ لا يخــــفى له أثـر

لكيـــمـــا تعــرف الواشين — مـــا أبدوا ومـــا ســـتــروا

وأقـــبحُ مـــا يرى حـــسن — بـــرأى الخــبِّ يـــأتمـــرُ

فـــهل عَــوذتَ حـــسنَك بالـ — ـخـــداع كـلّه عَـــررَ[3]

لتـــدرأ حـــاســـداً لكمـــا — ل حــــسنِك لحظه شــــرر

وكــــــلا إنه الخـــــور — فــــأين الحـــزم والحــــذر ؟

العظيـــم

لمعـــاتُ رأيك مـــقلةُ العـــرفـــان — فـاحكم كـحكمِ الحقِّ فى البـرهان

لو كنتَ قد أعطيتَ فى الدهر المُنى — أو كـان مـا قـد شـئـت للحـدَثان

لتـعطلت سـبلُ الشـرور وبرّدت — وقـدت قلبٍ للضـريك العـانى[4]

ومسحتَ بالرحمات آماقَ الورى — حـتى تعـودَ قـريرةَ الأجـفـان[5]

---

(١) جبر الشيء : أصلحه — (٢) تشيم : تظن أو تقدر . — (٣) العرر : العيب أو الشر .

(٤) الضريك : الفقير — (٥) الآماق : العيون .

من غير أن يوبى الحياة ركودها لفناء ما دفعت من الحدثان[1]
نزعاتُ نفسك رحمةٌ مرجوةٌ رحمات مقتدر الأناة معان
وجلائلٌ تذر الحياةَ كأنها خلدٌ يعبّ بزاخرِ الأزمان
وعلوت عن حسدِ الحسود وربما حسدَ الحسودُ الشمسَ في الأعنان[2]
هيهات ما أسر الحسود تكرم إنَّ التكرمَ وقدُ غلٍّ الشانى
وفضائل ليست لغير مجرب إنَّ التجاربَ حجةُ الرجحان
وأجلُّ خيرِ النفسِ بعد بلائها فالعيشُ حربٌ فضيلةِ الغفلان
وترى الفرائضَ كالحقوقِ حبيبة أو كالديون رهينةَ الإيمان
دَينُ الحياةِ وربّ فرض غالق إلا لديك بمطلةِ الليان[3]
وعزائمٌ تمضى الحياة غلبَّةً وخواطرٌ كملائكِ الرحمن

الشمطاء الفتية [4]

قد بلوتِ الصروفَ في حالتيها ورمتك السراء والضراءُ
ورأيتِ الأطماع كالطير صرعى ثم عاد الرجاءُ وهو غشاءُ
واحتسيتِ الحياة فيضاً وسؤرا فإذا الذكر والرجاء سواءُ
وإذا المقبل المرجَّى كما فا ت به الدهرُ والحثيث ضراء[5]
وشهدتِ الأنامِ سلما وحربًا فإذا السلم والحروب عناء

---

(١) أي تمحو الشر من غير أن يكون ذلك سبباً في محو الخير وركود الحياة ، لانتفاء الفضائل التي في محاربة الشر . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

(٣) الليان : الخلف (٤) يرثى الشاعر لوطنه في عهود الاحتلال والجمود ، وقبل ثورتها وتحررها ، ويهيب بها إلى الانتفاض واليقظة (نشرت قبيل عام ١٩١٩) .

(٥) الضراء : المشي في خفاء فهو من أجل ذلك بطيء . والحثيث : المشي السريع .

وإذا العــيشُ والسنونُ جـهـادٌ ... ليس يدرى أسبـابَه الأحيـاء

إيه يا مصرُ ما تقضى جمال ... ترتضيه الآمالُ والأهواء

الليالى التى عهدتِ حسان ... والسماءُ التى عهدت سماء

وذُكاءُ التى أطلّت على مجـ ... ـدك دهراً على القصور سناء

وجرى النيلُ فى أديمك قدما ... يتهادى كأنّه الحسناء

فانشرى أهلك الذين تقضوا ... إنَّ عيشَ الباقين منهم فناء

فكأنَّ الأطماعَ والسعى فيهم ... عبثٌ غيرُ نافعٍ وعناء !

سحرتك الأيامُ يا مصر أم نو ... مك قد طار عنه الرجاء !

الغليلُ الذى عهدتِ مقيمٌ ... فى نفوسٍ كما عهدت تشاءُ

أبغضينى أو أحسنى ، أنتِ أمٌّ ... برّها لو تعق ولداً قضاءُ

لك منى الغديرُ فى نومةٍ ، من ... بعد جهدٍ قضى عليه العفاءُ

نصبٌ خالدٌ وأعظم منه ... اعتقاد تزيده الأرزاءُ

ورجاءٌ هو العبادة ، وإلا يـ ... ـمانُ درعٌ يرتد عنه الفناءُ

أبغضينى إذا هززت مناماً ... عطرّته الأحلامُ وهى رُخاءُ

مثلما يبغض النئوم المسجى ... موقظاً إذ يُماط عنه الرداءُ

مللٌ قد عراكِ من عنتِ العيـ ... ـشِ ، بلاءٌ أن الطماحَ بلاءُ

قد كرهت الرجاءَ والذكر طراً ... إن بالذكر تأرقُ الشمطاءُ

قد سمعت الذى نقول قديما وتقضى الدعاء أين الدعاءُ ؟

دعوة بعد دعوةٍ من صروف الـ ـدهرِ لبيتها وعادَ النداء

إنْ يكنْ باء بالزمانة من أهـ ـلك رهط كأنهم أشلاء

أو عناكيب عيشها ورداها يتقاضاهما بليلٍ قضاء

أبغضينى فليس ذاك ببدع آه لو جرَّ نفعك الشهداء!

غرّك المرجفون ميناً وحقداً وحمانى عن قلبك الجهلاء

لم أقصّر فى دعوةٍ غير أنىّ خذلتنى مسامعٌ صماء !

ليس إلا الأحقاد يبعثها العجـ ـزُ وغلٌّ يعدو به السفهاء

بعد عشرة أعوام

إلى حبيب غاض جماله

يا أليفَ الصبا عليك سلامٌ أين تلك اللوعات والآلامُ ؟

أين وردُ الخدودِ كالجمر يذكى حرقات يشقى بها المستهام ؟

أين قدٌّ ينقد من دونه القلـ ـبُ ويطغى عليه منه الهيام ؟

وثنايا مفلجات عذاب هن رىٌّ للمستقى وسلام

أين مدُّ الشفاه من عَبَث الد لِّ وثغرٌ يبلّ منه الأوام ؟

واختيالُ الطاووسِ يافتنةَ الطا ووس يورى الهواء منك ابتسام

أين غمزُ اللحاظِ والكف واللفـ ـظ ، وأين العهود أين الذمام ؟

أين ذاك الضحك المرنُّ الذى حـ ـرّك قلبى كأنّه الأنغامُ ؟

أين سحرُ الحديث واللحظ والد لِّ ، وسحرٌ تحوكه الأوهام ؟

نثرت عنك كالثمار وقد هـ ـزتك ريح والغصن منك القوام

أين خصرٌ يهتز كالغصن اللد نِ ،وقدٌ يهوى عليه الحَمام ؟

إذ ذراعى نطاقه ونطاق الـ ـجيدِ منّى ما تضمر الأكمام

ولقاءٌ كأنه رشفة الطيـ ـر وهجرٌ كأنَّه الأعوام

واختيالى على الزمان بعطفٍ منك والحاسدون بُلهٌ نيام

أين أين الوشاة والوصل والهجـ ـرُ وأين الآمالُ والأحلام ؟

يا أليفَ الشبابِ هل تذكر العهـ ـدَ وحولى وحولك اللوّام ؟

أسيَ القلب منك للغابر الفا ئتِ من حسنك الذى لا يذام

أم نسيت الدلال والمُلك والدو لة إذ أنت آمرٌ وإمامُ؟

لنقيمن مأتماً حول حسنٍ استوى الصمتُ دونه والكلامُ

ثم أكسوه من قريضىَ زهراً مثلما حببَّ الزهورَ الرجامُ

مثلما جَمَّل الأزاهر بيتاً هدمته الأحداث والأيام

ذائعٌ حوله من الحبِّ نفح كالشذى والجمالِ زهر يشام

وكأنَّ الهيامَ هالةُ بدرٍ فيه وجه الحبيبِ بدرٌ تمام!

سم الخسة وسعار الغرور

لو أنَّ كلباً عضه فى جلدتهْ لمات كلبٌ عضّه من خستهْ

وثائرٌ لطبعه الخسيس من كل خلقٍ رائقٍ نفيس

وغـافـرٌ لنفـسـه الجـريرة ... ويأخذ الجليس بالصغيرة
وقلبُـه جـهنمُ الأحـقـاد ... وإن بدا فى الصمتِ كالجماد
إن رعـتـه بجـانب الهـجـاء ... لقـيت منه جـانبَ الرجـاء
فـإن تلن ألفـيت جـدّ نابى ... أو رمت منه صـفـوه فـآبى
فـعـيـشُـه ونفـسُـه بضـاعـة ... وخلقُـه وودُّه رقـاعـة
إذا شـهـدت أمـرَهُ فـمـادح ... أو غـبت عنه طرفـة فـقـادح
ولؤمـه فى طبـعـه ديانة ... وعـيشـه لصـحـبـه خـيـانة
طريد أهل الموتِ والقـبـور ... مـشـرداً من ثقل الغـرور
مـفـاخـراً بعَـبثِ الكلام ... كـأنما يهـذى من الأسـقـام
ويدعى من سـفـه نجـابة ... وهو ضـئـيل الشـأن كـالذبابة
ووجـهـه من رقـعـة النعـال ... أو قطعـة من أخْـمَـصْى بلال
تخـاله مـزدرداً ثعـبـانا ... أو مـاضـغـاً فى شـدقـه أتانا
وعـقلهُ كـصـررِ الأطفـال ... تجـمع بين التـرب والنمـال
ياصـافـعـيـه صـفـعـه مـبرور ... وعـملٌ فى خـيـره مـشكور
إذا اشـتكى ممن شكاه أمـرا ... كـالهـرّ أو كـالكلب إمـاهرا
إن قطع الغلمـان من آذانه ... يصمُّ أهل الدار من جـيـرانه
يثـأر من آذانهم لسـمـعـه ... إذ ذاق مـر فـقـده بقطعـه
جـدّ به فى أهلـه الدلال ... (والقـرد عند أمـه غـزال) !

قربان القلب

لا تخجلن إذا علمت محبةً تحكى الصلاةَ وتشبه القربانا !

هل أنت تخجل أنَّ ربك راحم يهوى الجمالَ ويعشق الإحسانا ؟

أم من أب يحنو عليك مدافعًا يهوى لنفسك فى الزمان أمانا ؟

أذناب الخسة

ياعا ثباً نفسه عندى بلا خجل ذهبت تقدح فى ناءٍ بلا وَزَرِ

كى لا أصدق فى قولٍ تعاب به وإنْ أتيتُ بماثور من السور

ما زلتُ أرجو لهذا الناس منصلحاً على استفالك فى لؤمٍ وفى نكر

فربما فقد الإنسان خستَه مثل افتقادك للأذناب والوبر

يرى الحليم أخسَّ النفس إذ رفعت عنها الرياءولم تقصده بالحذر

حقوق الفرائض

الحقُّ مثل الشمسِ يشرق نورُها لتغاير الألوان طيّ شروقها

وبلوغ أفق الفرض يظهر غيره أقصى سماءٍ تطبى لسحيقها

فذر الحقوق إلى الفرائض إنها لذات معبود الخصالِ عريقها

لن يبلغَ المرءُ العلا بحقوقه إلا إذا بلغَ العلا بحقوقها !

درسى من الطبيعة - اللينوفر

زَهرٌ يعبد الشموس فلا تخدعه لمعة تضىء سواها

يتبع الشمس لحظه أين دارت ويرى الضوءَ حليةً وإلها

غـــيــر أنّا نرى الرياءَ كـــمـــالا ... ونرى الطهــر خــدعــةً وســفــاها
هل رأيت الرياضَ وهى ظمــــاءٌ ... ضلةً تحسب السرابَ مـياها ؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكى الـ ... ـنوحَ أم أنت مـشـبـه للغناء ؟
أنت قلب الأديبِ يشدو ويبكى ... كـدموع الندى وقطر السـمـاء !

محارب الخرافات

نقـضـت خـرافـةً لتـشـيـد أخـرى ... وخِلتَ الحقَّ أجـمـعـه مـشـيـدا
كـهـادم شـامخ العـرنين سـامٍ ... ليـرفع عنده جـبـلاً جـديـدا

يهوذا

لستَ من عـبـاد عـيـسى ... لا ولا تـعـبـد بـوذا
أنت فـيـمـا جـئـت من عـ ... ـبـاد ذى الخبِّ يهـوذا !

البطل

ترمى الحوادث بالظلال أمامها ... فيرى خُطى الأمر الذى هوآتى
حتى كأنَّ الدهرَ فى آباده ... يلقاه بين عشية وغداة
كشف الزمانُ لك الخفىَّ وقلما ... يعصى المذلَّل نافذ النظرات

سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم ... بلواحظ للرأيِ مقتدراتِ

وخواطرٌ لك فى الأنام تجيلها ... تجلو الشكوكَ وتبلغ الغايات

يا حكمة فاه الزمانُ بسرِّها ... من بعد طول تصامُمٍ وصمات

فاه الزمانُ فكنت أصدق منطق ... والناس أصداء بجوف فلاة

شتّان بين صدى يردد ضلة ... ومقاولٍ مرضيةِ الأصوات

نظر الأنام الدهر فى أعقابه ... ونظرتم الأيام فى الجبهات

ورموا مساعى المجد فى أقدامها ... ورميتم المسعاة فى الهامات

بعزائم للشر تنقض أمره ... وعزائم للخير مبتدرات

أفعال من صحت سريرة صدره ... لا يعقد التدبير بالخدعات

إنَّ العظيمَ إلى الصراحة ينتمى ... والغمر للتدليس فى الغفلات

سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة ... مثل الهداة وآية الآيات

والدهرُ ليلُ المدلجين ومجدكم ... وفعالكم فى الدهرِ كالمشكاة (١)

ومعاقل النعماء إنْ هى أعوزت ... كنتم معاقلَ منعة ونجاة

لا يصلح التدبير إلا أروع ... ينأى به عن ضيعةٍ وشتاتِ

أعبقت فى الأيام أزكى نفحة ... وخلعت من أردانها عطرات

والفضلُ مثل العرفِ يحيا نشره ... بنسائم العبقات والنفحات (٢)

ترمى إلى الغرض البعيد بعزمة ... تصميه بين تمهل وأناة

هيهات ما جاد الزمان بمثلها ... عقم الزمان بتلكم الحسنات

فكأنها قد جمّعت لموفقٍ ... من سالف الآبادِ والحقبات

لاتصلح التدبيرَ إلا أنفس ... الحق يغلبها على النزعات

---

(١) المشكاة : ما يوضع فيه المصباح (٢) العرف : الرائحة الطيبة

إنَّ المقـــادرَ تنتـــحـــيك لأنـهـــا ... ريضت لديك بحكمةٍ وحصاة [1]

كـالخـيل تعـرف رائضـاً ومـذللاً ... عند اقـتـعـاد الـسرجِ والصـهـوات

يـا راكـب الأيامِ تجـــرى تحـــتـــه ... مـــأمــونة الخطوات والعـــدوات

العـــقل أغلـب والحـــزامــة والنهى ... بموفق فـى العـــدل والرحـــمـــات!

فى فكسه

ارفق بـنـفـسٍ لـك مــــزّاحـــــة ... لا تـفـلتن فـى مـــزحـــةٍشـــاردة !

واطوِ مـــزاحـــاً ليس ذا وقـــتـــه ... فـــصـــيـــفـــه أيامـــه عـــائده !

كـــانون أم قطب الـثـــرى أم أعـــا ... لى الـشمّ أم أنـفـاسك الجـامـدة ؟

بردت حـــتـى صـــرت ذا وقـــدة ... يا ثلج تـكـوى نـارك البـــارده !

والـشـىءُ إن أربى عـلـى حــــدِّه ... صـــفـــاته عن طبـــعـــه حـــائده !

فى شاب يدعى الفكاهة والظرف

ثقلت على النفـوس فكنت سـداً ... وفـــقـت ســـوائلَ الأرواح بـردا

فـكـلْ نـاراً ولا تـطـعـم ســـــواهـا ... لـــعـــلّـــك أن تحـــبَّ وأن تُـــودا

وكـــلا لا تـذق جـــمـــرات نـارٍ ... فـتـشـعل منك أضـغـاناً وحـقـدا

كـــذاك الغـــاز يـخـــفـى منه جـِسـرْم ... فـــإن أجّـــجـت نيـــرانا تَبـــدَّى

ســـيظفـــر منك إبـليس بنفسٍ ... تقـــاطر من مـــخـــازيهـــا وتَنْدَى

---

(١) الحصاة العقل والرأى .

ويغسلُ بعدها يده بحمضٍ ... ويحرق حولها عوداً وندا

وإن النار تمحو كل نتن ... سوى نتنٍ عمدت إليه عمدا

لكان القردُ أكبر منك شأناً ... لو ان بجلده صلاًّ وقردا

ولو قول وجميع الذمّ مُرٌّ ... أريق على قفاك لعاد جمدا !

وعقلك مثل قطب الأرض فيهاً ... حكى أقطاره ظلما وبردا !

مر العمر

إن تباطأ ساعة طرقت ... فبما قد أوقرتْ حزنا

كم عدوتُ العمر منتهبا ... خلت أنيّ أسبق الزمنا

عدو أحلام أقاربها ... أجججت من عوديَ الغصنا

أتبغّى العمر من أمَمِ ... فكأني هارب جبُنا

يا بطيء العمر من وسنٍ ... قد هنيت السعدَ والوسنا

لهب الأطماع في كبدي ... آض وخط الشيب والشجنا

كم خليل قد وثقتُ به ... عابىء في خفةٍ إحنا

وحبيب كنت آمله ... لم أصب في خلقه حسنا

نحن والأيام تنقلنا ... ونعيُّ الموت ينذرنا

كرهين السجنِ مرتقباً ... قاتلاً يغتالُ من سُجنا

رقبتي للموت آن لذى ... لهفة أن يدرك السَكَنا

لا جديدٌ في الحياةِ ولا ... أمل يجلو لي المننا

وأعدّ العمر إن دلفت ... ساعةٌ ألفيتها محنا

وهى بشـــرى الموتِ إن نفـــدت   قـلـت : لـيـت الـدهـر زايـلـنـا
أغـــريم ذا الحـــمـــام فـــمــــا   بالـه بالـســـعـــد يمـطـلـنـا ؟

قصة هزّ الانوف

لقـد جـاء فى الأخـبـار أن مملكاً   حمته العوالى والسيوف الشواجرُ
رأى فى يسـيـر الظلمِ خُبراً لخابر   فـكان قـضـاءً أن تهـزَّ المناخــرُ
صباحاً إذا ما الشمس ذرّ شعاعها   وليـلاً وفى وكـر الكرى منه طائر
ومن لم يرد فى يومـه هز أنفـه   مطيـعـاً تولته السـيـوفُ البـواتر
فقال جبان القوم فى الحزم عصمة   ومن ذمّ شـراً أزعـجـتـه المقـادر
ومـاذا على مَن هزَّ ياقـوم أنفَـه   مطيـعـاً إذا لم يعص مـا سنَّ آمـر
فلما رأى الطاغى هوادةَ صبـرِهم   أطلّ عليـهـم جـارح منه كـاسـر
فـقـام إليـه ناقمٌ هزَّ أنفـه   وقـال وقـد مـدت إليـه النواظر :
إذا نحن طامنَّا لكل صغـيـرةٍ   فـلا بد يومـاً أن تسـاغ الكبـائر !

تم

الجـــزء الثـــامن

ويتضمن القصائد التى نشرها الشاعر
فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩
ولم تجمع من قبل فى ديوان خاص

الطبعة الأولى للجزء الثامن

في ديـوان خـاص

عـام ١٩٦٠

الطفل [1]

من عالم الروحِ وهو الخلدُ والقدم ... وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ

سرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت ... تطويه عن فكرٍ هَمت به الظُّلمُ

يُطلُّ من عينه معنى يزاوله ... معنى التفهُّم لم ترصَدْ له كَلِمُ

وحيرةٌ هى بعض اللبِّ يبرزها ... صفوٌ من العين لا خبّ فتَنْكتِمُ

صفو الغرارة أبهى ما رأي بَشَرٌ ... ما رنَّق العين لا شر ولا ندم

ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما ... يدجو له اللحظ والأفكار والشِّيم

ضعف الوليد وهل فى القلب مبتعثٌ ... نَبْعَ الحنان كضعف ليس يُتَّهمُ

لأىٍّ أمر بدا يفْترُّ مبسمه ... وما حباه بزعم الأشْيب الفَهَمُ

وكلَّما بَدَرَت للشرِّ بادرة ... قلب المسنِّ لها حيران يضطرم

يودُّ كل رجيح العقل مكتهل ... أن لو يعود وليداً أمره أمَمُ

وليس يبصر أن الشَّر مُقْتَبَلٌ ... يعود منه إليه الهمّ والهرم

لكنها مهلةٌ للقلب ينْشُدُها ... حيث الصفاء وعيْش ماؤه شبم

فلا عداءٌ ولا مكر ولا حِيَلٌ ... ولا حقودٌ ولا غدرٌ ولا جُرُم

حيث الحياة كبيت الله طاهرة ... لدى الطفولة وهى المعبد الحَرَمُ

أو جنّة الخلد لا إثم لساكنها ... وما تجاوز ذو عجز ومُجتَرَمُ

إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا ... صنوان والحسن فيها طهره عَمَمُ

---

(١) نشرت بمجلة الهلال فى عدد أول أغسطس ١٩٣٢ بتوقيع ع . ا . ش . ثم بمجلة الرسالة عدد ١٤٩ فى ١١ مايو ١٩٣٦ بتوقيع الشاعر كاملا .

مـرأى يُطهِّـر مـا بالنفس من دنسٍ حـتى يعـود بهـا والخيـر مُـغْـتَنَمُ

كـم ناقمٍ سلَّ منه الطفل عـــادية من الضــغــائن إذ يرنو ويبـتــسم

قد يحزن الزهرا إذ يَذْوى أمن شبهٍ بمصــــرع الطفلِ رائيـــه له يجِمُ

ما أعظمَ الفقدَ لو أن الورى خُلِقُوا خلق الرجال وكالأطفال ما وسموا

لمـا تملَّى أناسٌ طهْـرَ مـا فـقــدوا ولا أحـبـوا ولا أحنوا ولا رحـمـوا

شهداء الإنسانية[1]

مقــدمة :

شهـداء العـلـم والإصلاح يزدحمون عـلى باب الحيــاة ويسألون كل هـالك : هل تحقّق الخيرالذى بذلوا حياتهم من أجله ؟ فتدركه الحيرة ! أيكذب كى يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، أم يصدق فيفجعهم فى آمالهم ، أم يغريهم بالصبر الطويل كصبر الأحياء على الشر ، أم يُغريهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاح الحيـاة . وإذا استطاع أن يُعزّى الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء ؟ :

الناظم

* * *

على باب الحـيــاة أرى زِحـــامًــا مـن الأشــبـــاح عجّ بهم وســالا

من العــهــد القــديم إلى زمـــانٍ حــديث قــد مَـضـوا زُمَـرًا تَـوالى

هُمُ ضَـحّـوْا بهـذا العـيش كـيـمـا يطيبَ العـيشُ للأحـيـاءِ حـالا

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١٠٩ فى ٥ أغسطس ١٩٣٥

إذا مـــا هالـك الْقــــوهُ ظلّوا　　على شغف يُعيدون السؤالا

* * *

بربّك هل مضى قدرٌ بِشَر　　وخُبثُ النفس هل أودى وزالا ؟

وهل جَفَّت دموع الناس طُرّاً　　وهل بلغوا من العيش الكمالا ؟

وذلّ الجوع هل قد زال عنهم　　وكان سوادهم هَمَلاً مذالا ؟

وجَهلٌ يغتدى بالناس بَهْماً　　يُصرّفها يميناً أو شمالا

وهل غلبوا من الشهوات ما قد　　عدا سلطانه فيهم وغالا ؟

أصار العيشُ من مِقَةٍ وأمن　　وكان العيش لؤما واقتتالا ؟

أعاد العيش عدلاً واعتدالا　　وكان العيشُ مكراً واغتيالا ؟

بربك لا تقُل إنا غُبِنّا　　وإن هزئ الحِمَامُ بنا وصالا ؟

* * *

أيفجعهم بآمال عِزَازٍ　　وما نال الردى منها منالا ؟

يقول لهم : لقد رُمتم خيالا　　وأسديتم وضحّيتم ضلالا

أيسكت والسكوت له معانٍ　　أيخدعهم وما ألفوا احتيالا ؟

أيغريهم بصبر مثل صبر　　لدى الأحياء دام لهم وطالا ؟

أيَأْسَى انّ مَوْتى لم ينالوا　　من العرفان ما يرعى نوالا ؟

أيُغريهمْ ببَخع النفس يأساً　　إذا اسْطاعوا عن الأخرى انتقالا ؟

أيسخر أنهم – وهمُ رفات –　　أبوْا للعيش سقماً واعتلالا ؟

فيا عيش الورى ماذا تراه　　يقول لهم إذا الْقَى مقالا ؟

* * *

يقول لهم : إذا اسْطَعْتم فعُودوا ... دفاعاً للنوائب أو صيالا
إذا الأحياءَ لم يرعوا عهوداً ... لأحياءٍ فلا تشكوا انخذالا

* * *

يقول لمعشر الأحياء منهم ... ليقضوا العيش صبراً أو نزالا
أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً ... ليُسعد بعدكم صحباً وآلا
وكم من نعمةٍ لولا شقاء ... قديماً لم تكن إلا وبالا
فكم خبر الأوائلُ من شقاء ... فنلنا من شقائهمُ نوالا ؟

العصر الذهبى[1]

مقدمة :

أولع الناس من قديم الزمن بالتفكير فى عصر الإنسانية السعيد : عصر الخير العميم الشامل ، فبعضهم كان ينشده فى الزمن القديم ويبكى انقضاءه ، وبعضهم ينشده فى المقبل من العصور يُدنيه رقى الإنسان . وكثيراً ما استخدم شعاره أهل الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم . وكثيراً ما علق الأذلاّء بكماله حتى إذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة ، وهو مثل عال ، ولا تحلو حياة الإنسان إلا به . ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحققه نذير الفناء ، فمرحبا بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالى ، وقد لايصدق تشاؤمهم .

الناظم

عصرَ السلام تحية وسلام ... خلعت عليك رجاءها الأقوام

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١١٠ فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥

من كل عصرٍ فى نسيجك لُحمة ... ألأجل صنعك تدلف الأعوام ؟

إمَّا دنوت وما عهدتك دانيا ... عَفْقى على نقص الأنام تمام

نستقبل الأيام وهى كوالح ... مستبشرين إذ التمام إمام

خالوك فى الماضى - ولم تك ماضيا - ... إذْ زان منهُ البُعد والأوهام

ويرون فى غدهم سراباً نائيا ... فيطول نحس العيش والإجرام

تتغير المُثُل التى شاقتْهم ... تتبدّلُ الآمالُ والأحلام

حسب الورى من حُسْنِ عهدك قدوة ... علياء ما إن شانها استِبْهَام

ما فاتهم طبّ الطبيب وإنما ... تتباين الأرواح والأفهام

ولأنت فى سير النفوس إذا صَفَتْ ... يدنى إليك البرّ والأكرام

عطف النفوس على النفوس ولن تُرى ... أبداً ، ونفس فى الأنام تضام

هيهات يكرم فاضلاً ذو خسّة ... أو يغفر الجانى شآه كرام

اسْتَبْطَأُوك وأنت بين جنوبهم ... وتنظّروك ودأبك الإلمام

ورأوك فى الدهر البعيد ولَوْ دروا ... أنْ لو أرادوا كان منك لِمَام

لرأوا مشيئتهم تُشاء ولا تُشا ... هاموا وتحسب أنهم ما هاموا

ومن المشيئة ما يجئ فجاءة ... ليستْ تُجزِّئُ أمره الأيام

ونأى بهم عن وِرد خيرك أنهم ... للحرص حادٍ بينهم وزمام

أصباغتا بالخير بعد تمنّع ... حبُّ الأنام لعهدك استقدام

ولقد يَنُوب أخو الجهالة بغتة ... من بعد عيشٍ كلّه آثام

ويتُوب هذا الخلق من شرّ ومِنْ ... إثم فتحمد خيرك الأيام

كم فتنة أجّجت نار جحيمها ... شوقاً لعهدك والأنامُ حُطامُ

وشعار حقّ كم غدا أحبولة أثرى بحقك فى الأنام لئام

وإذا العبيد تحكموا فى فتنة ساروا على نهج الظلوم وضاموا

أترىَ العَبيد ببابل وبطيبةٍ أغرتْهم بكمالك الآلام

لو أنهم ملكوا لعافوا مسلكا يُدنى إليك وطاشت الأحلام

ولطالما حنّ اليهود لشرعه ودعا المسيح لهُ وريم سلامُ

وتنظّر المهدىَّ قومٌ أمَّلوا ركْباً له يحدُو به الإسلام

ثار الفرنسُ وخيرهم يبغى له عهداًتَدين لشرعه الأحكام

يبكى ويعتنق الغريب مبشِّراً بالشّر زال وبالكمال يشام

ما زال شر – لا – ولم يمهدْ به نهجَ السلام الحكمُ والحكام

أنَّى تكون وفى الأنام تفاوت أُسْدٌ لها فى الصّاغرين سوام

غرٌّ وذو مكر فلست بكائن حتى تَسَاوى فى الأنام الْهَام

فمتى يدينُ لسنةٍ لك جمعُهم ويراك خيراً شرّهم فترام

لا يصدقُ الكهان إنْ هم أنبأوا بدوام ما لم يُلْفَ فيه دوام

كم من عهود كان يحسب أهلها انْ زلّ عنها النقضُ والإبرام

نسِيَ الأنام عهودهم فعُهودهم أقصى وأدنى منهمُ الأوهام

فَقَدَ الأنامُ صفات أجداد لهم وتحولتْ وتبدلتْ أجسام

والطبعُ فى غدد الجسُوم فعلّها يوماً تصحّ فلا يكون أثام

وتعود من فرط الصفاء حياتهم ذهبيةٌ أيامُها والعَام

خيرٌ مَرَى الحرصُ الخسيسُ أقلّ من خير لديك تروده الأحلام

والنحس عدوى ليس يُقْصِى شرّها إلاّ التضافر شادَه الأقوام

كـذبوا فـمـا أبقى التـقـاتل بينهم ... إلاَّ الضـعـيف وقـد قـضى المقـدامُ

خلفت فى سيـر النفـوس مـباهجـاً ... وتجـمّلَتْ بجـمـالك الأيامُ

كَـغِنَاءِ حَـادى الركب رقَّـهُ عنهمُ ... نغَمَ النشـيـدُ ونعـمت الأنغـامُ

حـلـم هـو المثل الأجلّ ، وإنّـهـم ... لولا مـثـالُ كـمـالك ، الأنعـامُ

ولعلّ عـمـرَ الشـرِّ ليس بدائم ... ينمُـو سناك فـينْمـحى الإظلامُ

قـالوا : إذا مـا جـاء خـيـرا كُـلُّه ... لم يبق خـيـرٌ فى الحـيـاة يشـامُ

لولا جـهـادٌ فى الشـرور تعطلت ... سـبُل المكارم واسـتـنام أنامُ

إنْ لم يكن نقصٌ فـفـيمَ رجـاحـة ... وبضـدّها تتـمـيّـزُ الأقـوامُ

لا يطعم السـعـدَ الشـهىَّ وشُـهـده ... مَـنْ لا تـرودُ فـؤادَه الآلامُ

والوَهَن يسـعى للفنـاء دبيـبـه ... إن لـم يَكُـنْ حـذرٌ وعـمَّ سـلامُ

لغـز الحـيـاة وليس يفـهـم لغـزها ... بين الأنام مُـفَـهَّـمٌ عـلاَّمُ

والشـرُ أهْوَنُ بعـضـه من بعـضـه ... فـاطلب كـمـالاً كىْ يقلّ الذامُ

أهلاً بغـائـلة الفـنـاء نـذيـرهـا ... عـهـد يشـوق سـلامُـه وتمامُ

إنْ لـم يصحّ العـيـش إلا أن ترى ... شَـرْعَ التنافس فى الأنام يقـامُ

فـعـسى التنافس فى المحامد ينثنى ... طبـعـاً وإن قـيل الأنام لئـامُ

يدنو إذا بطلت ضـرورة كـائـدٍ ... يُـزْجَى بـهـا رزقٌ له وحـطـامُ

إن نـال كلٌّ مطمـئناً رزقَـه ... فـعـلام لؤم للورى وخـصـامُ ؟

دين التنافس فى المكارم ربّمـا ... أنماه نصح فـيـهمُ وحـسـامُ

فترى الورى دينَ الورى وصلاحهُم ... فـرضٌ يدين لشـرعـه الأقـوامُ

الشـــباب[1]

مقـدمـة :

مستقبل الإنسانية رهنٌ بطموح الشباب إلى المثل العليا ، وعزوفه عن حقيرات الأمور ، وإبائه الضيم للنّاس ولنفسه ، وبألّا يقنع من الحياة بما يرى ، وبأن يحاول أن يبلغ من جليلات أمورها البعيد الداني إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها ، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيعة .

(الناظم)

إنَّ الشـبـاب حـديقـة الأزمـانِ ... عَـطِـرُ الـروائـح نـاصـع الألـوانِ

مـثلُ الربيع إذا جَلَوْتَ بسـحـره ... نَوْرَ الربى وأطايب البسـتـانِ

روحٌ من الفـردوس يُشـمل نَشْـرُه ... تغـدو الحـيـاةُ به رياضَ جنان

مـا راعـه حُكْمُ الحِـمـام وصَـوْلُه ... إنَّ الشـبـابَ من الخلود لَدانِى !

لا اليـأسُ يضنيـه ولا جـزعٌ إذا ... كَـثُـر العِـثـار وزلّت القـدمـان

ينسى الذى يمضى لينشد مقبلاً ... مـسـتـأنفـاً للعـيش بالنسـيـان

ولو انّ رفـضـاً للقـضـاء يذيقـه ... كـأسـاً تذيب القلب من ذيفـان

والشّيبُ بالتسليم يكسر سمّها ... حـيث الشـبـاب لِغـرّةِ الأسـوان

وهو المغَـامِـرُ فى الحـيـاة بنفسـه ... نشـوان لا من خـمـرة النشـوان

نشوان من خمر الحياة وكـأسها ... تغنيـه عن نشـوات بنت الحـان

فـكأنما فلكُ الزمـانُ قـيـودَه ... عنـه ومـا للدّهر من سلطان

ويَصُـوغ من أحـزانه نغـمـاً له ... فـكـأنّـه خِـلْـوٌ من الأحـزان

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١١ في ١٩ أغسطس ١٩٣٥

يسمو إلى الغرض البعيد طموحه ويردّ خطبَ الدهرِ بالإيمانِ

مُتحصّنٌ منه بامنع معقلٍ متكفّل إيمانُه بأمانِ

ويكاد من فَرْطِ الهناءةِ والهوى يَدَعُ الثّرى ويهمّ بالطيران

والشيبُ يرسب في الحضيضِ تخلفا وترى الشباب كذرورة الأكوان

ما أرّقتهُ ذكرة من أشيب جمّ التردد خطوهُ متداني

وله على إدبار دهرٍ عزةٌ تنأى به عن ذلةٍ وهوان

كِبْرُ الشباب ولا اعتداد مُسَوَّدٍ بالجاه والأجناد والأعوان

إنْ كان صعلوكاً فليس بخانع فكأنّه ذو التاج والإيوان

إنّ العزيز هو العزيزُ على الصّبا والشيب مهما عزّ ذلّ جَنان

ذلّ الجَنان لوهن جثمان ولا ذلٌّ كذلّ الوهن في الأبدان

ورث المراح ذخيرةً لمبذّر خالَ الحياةَ رخيصةَ الأثمان

لذّاتُه دَيْنٌ يؤديه إذا حلّ المشيب وهدّ من جثمان

تتعادل اللذات في ريعانه ولواعجٌ للشّيب في ميزان

عهدُ الصراحة والمروءة والندى وتألّف الخلاّن بالخلاّن

عهدٌ المحبةِ والإخاء وربما تُلفيهما في القلب يمتزجان

عهد إذا طلبَ الكرى لم يُعيِه وكرى المشيبِ مؤرّق الأحزان

عهد الصّبا عهدُ المنى فإذا مضى لم يبق إلا مُرُّ سُؤْرٍ دنانِ

وتكادُ ذكراه إذا فات الصَبا تُحْيي الصّبا وترد غرب زمان

أطماعُه علويّة ، أحلامُه ذهبية الآمال كالعقيان

عهد الصيال ولا صيال لأشيب هابَ الحياةَ وصولة العدوان

والخطبُ أن يهوىِ المشيب بصائلٍ ... ما كان يخشى جولة الحدثان

حتى تراهُ بالحياة مُروَّعاً ... قلق الضلوع مؤرّق الأجفان

والخوفُ طبعٌ فى المشيب وقلّما ... تلقى الشباب على غرارِ جبان

ولربما جمحَ الشبابُ بسادرٍ ... عَبَدَ الحياةَ عبادةَ الشيطان

ولربما عَبَدَ الحياة أخو النهى ... كعبادةٍ لله والأوطان

قالَ المشيبُ وربَّ قولة صامتٍ ... تعظ المصيخ له بغير لسان

ما سَرَّنى أنى فطنت وإننى ... والحلم والتبيان فى أكفان

ونسيت ما نشْرُ الجنان وخلدُها ... وذكرتُ أن العيش مهلة فانى

ولقد علمتُ الآن ما عهد الصبا ... من بعدِ جَهْلي فيه والنسيان

والآن عالجتُ الحياةَ كما أرى ... لا ما أريد من البعيد الدانى

وعددت من سُنَنِ الحياةِ وحكمها ... ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسان

فى حِرْصه أو قَسْوِهِ أوْ رِقه ... من فتكه بالروح والأبدان

وفزعت من ظُلْمِ الحياة وطالما ... ذُلِّلْتُ منها أيَّما طغيان

وتلوت فى التاريخ آيات الأسى ... مسطورةً بمدامع الأحزان

فعسى الشباب بمقبلٍ من دهره ... يبلو الحياة بعزمةٍ وأمانى

ويَسّنُّ للدنيا الوسيعة سنَّة ... لا سنةً للحرص والحرمان

يستنقذ الأزمان من عبث الورى ... ويطهِّر الأحشاءَ من أضغان

ويذلّ طاغوت الأمور فيحتذى ... شرعُ الحياة شريعةَ الرحمن

ويحُيلُ ظلم العيش عدلاً سائغاً ... يُنْسَى به ما كان من عدوان

نحــو الفجــر[1]

مقــدمة :

إن الذى يأمل للإنسان فجراً تنجاب فيه ظلمة الضيم والشر ، يرى فى فجر كل نهار رمزاً له ووعداً به ، فيتعلل بهذا الرمز ، وينتظر إنجاز الوعد ، آملاً أن النومة التى يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى ، والتنابذ والكيد ، والاستهتار فى العبث بالحق ، يكون فيها أيضا نسيان لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم ، فتستيقظ فى خلق الحق والخير .

(الناظم)

* * *

أرقتُ فطال الليلُ أمْ طالَ بى عمرى	كأن انجياب الليل فى موعد الحشرِ
كــأنّىَ فى لجّ من الليل غــارق	سوى هداة لم تُلفَ فى لجج البحرِ
كـأنّى غـريبٌ من حـراك لواعـجى	بعالِم صمت غاله الصمت من سحرِ
كأنّ غصون الدوح فى حندس الدجى	رءوس ثكالى ارسلت أسود الشَّعر
كـأنَّ النجـومَ الغـانيـات تَرهَّبَتْ	تبيت طوال الليل تعبد فى دير
أو الفلُّ مزروعـاً بحـقـل بنفـسـج	وكـاللازوردِ الأفـقُ رُصّـع بالـدرّ
أو أنَّ ثقـوباً فى جـدار زبَرجـد	تطلّعُ منها الغيدُ بشرفن من خدر
اقلّبُ طرفى بينهـا مُـتَـفَـهّـمـاً	تَفَهُّمَ معْنى اللفظ فى صفحة السِّفر
كـأن الدجى دَيْر به البـدر راهب	جـمـيل المحيَّـا حوله هالةُ الحبر
كـان صقيعاً قد كسا الأرضَ نوره	أو انَّ عليـهـا ابيض الطهر ما يمْرِى

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١٢ فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٥

كـأنَّ فـراشـاً أبيـضـاً قـدّ نورُه مهاداً لروح أو شباكا من السحرِ
أمَا يذهل الراؤون من سحر ضوئه وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى ؟
وإن تك أحلام فأوهام خاشعٍ عراه جلال الحسن فى الليل والبدر
أيحلم هذا الدوح فى سحر ضوئه ؟ فقد خِلته من هدأة النوم فى أسر
كأن حفيف الدوح أضغاث حالم أو انّ حديثاً بيْنَه خافت السر
أدورُ بعينى لا أرى غير ساكن فأين احتيال الناس بالغدر والمكر ؟
وأين نشاط القوم للهو والهوى وأين مَساعى الناس فى الخير والشر ؟
ألا ليت نسياناً كذا النوم سافياً يدير لهم كأساً ألذّ من الخمر
لتذهلهم عن كلّ شرٍّ وفتنةٍ فيستيقظ النُّوَّامُ فى خلق الطهرِ
خواطر آمال أسلّى بها الدجى وتمضى مُضىَّ الليل أو طيرة الطيرِ
فلما تقضّى الليل وانجاب جنحه رأيت صباحاً يصبغ النّبت بالتبرِ
تشوبُ اخضرارَ الروض صفرةُ ساطع من الضوء مثل الغيد فى حُلل خُضر
كما تينع الأثمار شاب اخضرارَها لدى النّضج لونٌ فى غلائلها الصُّفر
كأنَّ نبات الروض من نبت جنةٍ رمى مَلَكٌ من أفقها الأرضَ بالبذر
أظلّ وطرفى فى مدى الأفق ذاهل أحاك عليه الفجر وشياً من السحر ؟
ويرنو إلىّ الفجرُ من خلف ظلمةٍ بنور كما شفّ الرمادُ عن الجمر
كأن مماتاً فى الدجى أهلك الدُّنا فتبعث فيها الروح فى وضح الفجر
كأن كيان الكون يُخلق ثانياً فإن انفجار الفجر كالخَلْق والنشر
تخالُ تباشير الصباح أزاهرا إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنَّوْر
فيختلط الزهران حسناً ومنظراً ويزدادُ نِظْرُ الحسن من مشهد النِّظر

تحـدّثُ أنبـاء السـمـاء بمشـرق		من الضوء مثل الرُّسْل تُبْعَثُ بالخير

تُبـادُهنا منهـا مـحـاسنُ جـمّـةٌ		كـما بادهَ الأذهان من حَسَن الفكر

تفضّ خـتـام النفس عن كلّ ذكـرة		وكم ذِكَرٍ في الضـوءِ والزهر والعطر

تذكـرنا الآمـالَ والحب والصّـبـا		كأن رُواء الصبح ضرب من الشعـر

كـذلك يغـدو منظر الحسن ذكـرةً		وخاطرةً في النفس تُسعِد في الضّر

وتستيقظ الأرضُ النؤوم إذا حنا الصـ		ـباح عليها ، يلمسُ الثغر بالثغر

كما استيقظ الطرف المغمَّضُ بعدما		أُريقَ عليـه سـاطعٌ من سنا البـدر

تحنّ إليـه النفسُ من بعـد ظلمـة		فتحكي حنين الطير تهفو إلى الوكر

ترى الصبح يجلو النهر كالقيْن سيفه		ويُذكي النّدى فوق الشجيرات كالدر

أُطلّ بأفكاري على النهـر مثلمـا		لَدُنْ هداة يحنو النبات على النهر

تصبُّ عليه الشمسُ رقراق مسجد		فـيـعلو لجينَ النهـر نهرٌ من التّبـر

ترى تارة في مـتـنه المـاءَ راجـفـاً		كـما ارتعدت أبْشَارُ غيدٍ من القُرّ

وتحسب أن النهـر يشعـر بالذي		يعـالج من حَـاليْـهِ في القرِّ والحـر

ترى النهر مثل العين سحراً وبهجة		ويمْـلأُ مـثل العين بالصـور الكُثْـر

يبـوح بسـرّ الحسن لونٌ مـجـدد		ولولاهُ ما ألفَيتَ في الكون ما يغري

واروعُـه مـا كـان منه فُـجـاءةً		فجاءة صبغ النهر من سُحُبٍ حمرِ

وليس رُواء الكون في الصيف وحدَه		فـربّ شـتـاءٍ ناثر أيّمـا ذُخـر

جلالٌ يريح النفس من بعـد رونق		نَصيبك من سحريْن في الحرِّ والقر

على أن ذكرى الصيف فيه جلية		ففي النهر من ذِكرٍ وفي الروض من ذكر

وقد يحلم المحروم باليسر واللّهي		كذلك حلم الأرض بالصّيف واليسر

فلما تقضى الليل يحدو لواعجي | وذكرى طيور الصيف تهزج في صدري
أخذتُ نصيباً من جَدَى الفجر وافراً | فنهنهت آلامي وأرخيت من صبري
وأملتُ للدنيا صباحاً مؤجلاً | سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر
فكلّ صباحٍ رمزه ومثالُهُ | ووعدٌ به يحدو إلى الزمن النضر
نسرّ بنعماه وإن لم تكن لنا | وننشده فيما يكون من الدهر

مناجاة الأمل [1]

الا عِدْ وأخلفْ أنتَ بالوعد مانحُ | فَمطْلك مغفور وخيرُك راجحُ
ولم تكُ مثلَ الآلِ فالآل مهلك | ووحيك أسْخى ما تضم الجوانحُ
وكم ناقمٍ من خُلف وعدك لاغنىً | له عنك أو تغنى المنايا اللوافحُ ؟
وأعشق من يهواكَ مَنْ هو ناقم | وأمدحُ من يرجوكَ من هو قادحُ
نَشاوَى هموم قد تُدير عليهمُ | كؤوسًا فتفترُ الثغورُ الكوالح
سلامٌ على الدنيا ورضوان راحمٍ | إذا ضاء نجمٌ منك في الأفق لائح
عفاءٌ على الدّنيا وهلكٌ ونقمةٌ | إذاً لم تكنْ والمرءُ بالعيش رازح
وكم في ثنايا اليأس منك كوامن | إذا فنَيتْ فالعيش فانٍ وطائح
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن | فلا شيَّد الباني ولا كدَّ كادحُ
إذا اشتدت اللأواءُ زدتَ تألقًا | كذاك سوادُ الليل للنجم قادح
وليس بعيبٍ أنْ تُراد لمحنةٍ | فَمن ذا يريد النجمَ والصبحُ واضح ؟!

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٦ في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥

أيا بلسمَ الأحزان لَولاك لم يَعشْ ... على عَنت الدنيا لهيفٌ ونائحُ
مُعينٌ على البلوى ، مُعينٌ على الضنى ... إذا لم يكن فيه معينٌ وناصحُ
ويا حادى الرّكبان فى العيش مثلما ... حدا الركبَ فى الصحراء حادٍ وصادح
ويا رحمةَ الله التى عَمَّت الورى ... ولَمْ يَخْلُ منها جارم النفس جامح
عَلَى صَاحِب الكُوخ المهدّم مشرق ... ببُشرى وربّ القصر راجٍ وطَامِحُ
وأسعدُ ما تُلفىَ إذا كنتَ ماطلا ... فكلّ طليبٍ شائقٌ وهو نازح
رَسَتْ بك فى لجّ الحياة نفوسُنا ... فَلَمْ تتقاذَفْها الهموم السّوارحُ
لشيَّدت للإيمان فى قلب أملٍ ... معابدَ قد ضُمت عليها الجوانح
ثباتٌ وصبر ، واعتزام وهمة ... فضائلُ نفسٍ كلهّا أنت مانح
ولولا مساعٍ أنت عاقدُ أمرها ... لآثر عقرَ الدار غادٍ ورائح
تكادُ تنير الليلَ إمَّا توقّدت ... أمانىُّ تذكو حينَ تخبو المصابحُ
تأرّجُ من ذكراك نفحة خاطر ... أأنت أريجٌ من شذا الزهر فائح ؟
وإن غنىُّ الناس من أنتَ ذخره ... وأى غِنى تغنى وضوؤك نازح
وسائلُ من جدْواك أنت استثرتها ... وتفتق إنْ لحتَ النُّهى والقَرائح
وَكَمْ لكَ دونَ النّفس وحىٌ وهمةٌ ... إذا نطقتَ تعيا اللغاتُ الفصائحُ
وكَمْ مِن غريق أسقط الجهدُ كّفه ... فما لُحتَ إلاّ وهو فى اليمّ سابح
منحت حياةً مرةً بعد مرة ... وتبخلُ بالعيش النفوس الشحائح
وَرُبَّ حبيسٍ أنزل السجنَ ظلمة ... عليه ونورٌ منك فى السجن لائح
أيا طائراً يشدو وفى النفس أيكةٌ ... فيخفتُ فيها يأسُها المتناوح
ويا آسى الأحزان والظلم والضنى ... ولولاك أعيا الطبّ مودٍ وطائح[1]

---

(١) الضنى : سوء الحال ، ومود : ميت .

تخلَّل أنات الشقاء ونوحه فتعذب فى الأسماع حتى المنائح

خلعت على الأيام أحسن خلعةٍ فيخفى بعيش شرَّه والمقابح

سقيتَ فأنسيت المؤجل من ضنى ومن وخط شيبٍ فى غدٍ وهو واضح

وأنسيتَ أن الشر حتمٌ مقدر وأن المنايا غاديات روائح

تضاحك فى يأس ونحسٍ وكربة كأن الرزايا عابثات موازح

بها مؤنسٌ من طيب عهدك عامر بشائرُ فى لأوائها ومفارح

وتخلق منك النفس دنيا سنية وفى أفق منها النّجوم اللوائح

مباديك شتى كالأزاهر جمة ففى كل حال موطن منك صالح

أيا سحر إن لمْ تغنِ فالسحر كاذبٌ مغاليقه فيما تريد مفاتح

تعللنا بالسعد من بعد ميتةٍ فتحسن فى مرآك حتى الضرائح[1]

فن الحياة[2]

مقدمة :

إن للإنسان فى الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فإذا عدم هذه النشوة صعب عليه أن يسوغ الحياة ، وأن يلتذها . ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلا من نقدها أو الرغبة فى إصلاحها ، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة فى إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر ، فلا يكرهها من أجل

---

(١) الضرائح : جمع ضريح .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١١٧ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٥

تمثيلها الشر ، وهذا خير من أن يظل يبكي ويندب ؛ لأن نمر الشر الذي في كل نفس لم يتحول إلى هرّة وديعة كالتي نراها في المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة ! (الناظم)

أيا حُسن هذا العيش لو كان قصّةً ... يُسرّ بها سارى الورى وهو يسمرُ

على ما بها من ضجّة بين شقوة ... وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكرُ

فليت الفتى يبدو له صرفُ عَيْشه ... كعيش غريبٍ قصةً تتدبَّرُ

ويارُبّ مأساة إذا ما بدت له ... تُمثّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبر

وفي فنّها ملهى وحسنٌ وسلوة ... ولولا فنون العيش ما كانَ يعذر

وإن كان ربّ الناس يقضي اقتتالهم ... فما شأن مثلي ، وهو أعلى وأقدر ؟

وما قصرت بي رغبة عن محاسن ... أريدُ لها عيشًا سوى العيش يُقْدر

حياةٌ كحسناء المسارح شرّها ... إذا ما حكْتهُ عاد بالفن يبهر

ممثلة حسناء كم مثّلت أذىً ... وغدرًا أجادتْ فنّها وهي تغدر

فما زادها إلاّ بهاءً وحظوة ... لدى عاشقيها وهي بالفن تأسر

تَمَلَّيتَها لما ولعتَ بفنها ... ولولاهُ تزري بالحياة فتكدُرُ

حنانيك إنَّ العيشَ فنٌّ فلا تُرَع ... وإن ناب خطبٌ فهو مَحْكَى ومخبرُ

تُعانُ بهذا الرأى إن كنتَ قادرا ... وإن أمكن الإصلاح لمَ تكُ تُقصر

يمثل كلٌّ دوره في حياته ... فإنْ راقَ فنٌّ فهو شأوٌ ومظهر

أإنْ نمرٌ في النفس لمْ يمس هرّةً ... تظلّ على الأسقام تبكى وتسخر

وما نمرٌ عن هِرّةٍ بمُبَاعدِ ... ويطغى وديع حين يبغى ويقدر

سر الحياة [1]

عبء لُغز الحياة يا قلبُ ما أفدح — عبئا يُخشى عليكَ وثقلا

لُغزُ عيشٍ ولُغز عقلٍ وما أعجبَ — لُغزًا يروم للُّغز حلا

كلما رمتَ بالمجاهل خُبْرًا — زادكَ العيشُ بالمعالم جهلا

عبثُ العيش كلمّا قال لا سِرًّا — أعَدْتَ السّؤالَ جدًا وهزلا

قد خبرتَ الأنامَ يا قلبُ هلْ تنشدُ — سرًا من بَعْد ذاك وسؤْلا ؟

وحياةٌ بالسّر أحجى حياة — هيَ أحلى مماّ تراه وأعلى

خدعةُ العيش أن يُلَوّح بالسر — إذا عاف عائشوه وملاً

فتزيد الحياةُ حسنًا ومأمولا — وتغوى الحياةُ نشأً وكهلا

مثلما حُجّبَتْ فتاة ليُرجىَ — سرّ حسن لها استَسرّ وقلا

لو بدتْ عاطلاً لما خَلبت لُبًّا — ولا استعبدتْ عشيقاً وخِلا

كم سعيد يلهو ويعمل لا ينقضُ — فعلاً وليس ينكر قولا

وعلى غدرها أحبَّ حياةً — وحباها في الحب أهلاً ونسلا

عاشقًا للحياة بعضا وكلا — راضيًا بالحياة فرعاً وأصلا

فإذا شاكه من العيش هَمٌّ — قَال قولاً ورام للّغز حلا

عبُء لغز الحياة يا قلب ما أفدحَ — عبئا يُخشى عليك وثقلا

سرُّها أنك السعيدُ إذا لم — تَدْر أن لا سرًّا لديها فَيُجْلى

ضَلّةٌ ما أقول كم لاح من كَشْفٍ — وقد كان خافيَ السرّ قبلا

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٩ فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٥

ولعلّ الحـــيـــاة أكـــبـــر لولا | مُـعْظِمٌ للحـيـــاة غـــالى وأغلى
فـهى من فـرطِ رفعةٍ فى انخفـاض | تلك عليـا إنْ يُعلهـا فـهى سُفلى
باءَ باليـأس من عُـلاها وقـد غـالى | فـقـــالَ الحـــيـــاة بالحظّ أولى
ويعـيـد الحـيـاة فـرضـاً وحـسـنًا | ومـتـاعًـا مَنْ يأخـذ العيش سـهلا

بعد الإخاء والعداء (١)

حنوتُ على الودّ الذى كـان بيْننا | وإن صـدَّ عنهُ مـا جنيْنا على الودّ
حنوتُ ولو أنى حنوتُ ومـا حنـا | ولو أنه يبـغى هلاكى من الحـقـد
ولا أكـذبنّ الناسَ قلبى كـقلبـه | له آنة مـيلٌ عن النّصف والقـصـد
كِـلانا جنى شـرًا فـعـاد إخـاؤنا | محالاً حكى ذكرى الشباب على بُعْد
فـيـا طيبَ ذكـراه ويا بُعْـدَ عـهـده | وأينَ قـديمُ الودّ من حـاضـر الصّـد
مَضَى حيثُ يمضى عابر بعدَ عابر | من الأهل والأصحاب والذخر والولْدِ
مضى حيث يمضى كلّ رأى ومذهب | له أجلٌ كـــالناسِ ظعنٌ بلا عَـوْدِ
إذا أنـا أُنســـيتُ الإســـاءة من أخٍ | ذكـرتُ له منىّ إسـاءة ذى عـمـد
وأيقنتُ لا ينسى عدائى وما جنى | عـدائى عليـه من عناءٍ ومن جـهـد
أيلتـئمُ الصّخـران فى اليمّ بـعـد مـا | تردّدَ مـوجُ اليـمّ بالصـدْع والهـدّ ؟
ويتـفق الخِـلاّنِ من بعـد مـا بدت | به بغـضـة من مين قـول ومـن نقـد ؟
وكنا على مـا كـانَ من قـرب أنفسٍ | كنهـرين فى وادى الغضـارة والورد

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٠ ، ٢١ أكتوبر ١٩٣٥

قد اقتربا مجرًى وماءً وعسجدا … من الشمس لألاءً كلألأة الود

حياة شباب عسجدٌ أىّ عسجد … وعهدُ إخاء لا يغيض ولا يكدى

إلى أن دعا داعى الحياة وإفنها … فمال بنا قصدُ السبيل عن القصد

وغيرٌ منا القلبَ والنفسَ والمنى … وزاد طماحُ النفس بعداً على بعد

هو البُغض مثلُ الحبِّ لحظٌ فمنطق … فنارٌ لها بين الأضالع كالوقد

وإن كنت تدرى الحبّ كيف طروقه … ولم تدره أيقنت ما جاء بالحقد

فياليتَ أنىّ قد غفرتُ جَفَاءه … ونَبْوته حتى يصدّ عن الصد

ويذكر لى صَبْرى على الضَيم والأذى … فيأسى على ما كان منه من الكيد

وتكسبنى منهُ الندامةُ ألفةً … وإنْ كان لى من قبل كالحجر الصلد

أعيشُ بصفو منه يومًا فإن جنى … على إثرِهِ غَدرًا ذخرتُ له ودى

وأُذْكِرُ نفسى منه عند انصرافها … شمائل تستدعى المَغيظَ إلى الحمد

أبعد بلائى العيش أبغى مُبَرأً … وكيف ونفسى لى كما الضدُّ للضد

يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجى … ومرأى رياض من عرار ومن ورد

وأحسنُ منها البشر فى وجه صاحب … حليفك منه ما استسرّ ولم يُبْدِ

فياليتَ لى دُنيا أبيعُ حطامها … بودٍّ أخٍ لو يُشترى الود بالنقد

إذا الحبّ لم يخلص من البغض والأذى … فكيف خلاص الود من عنت الحقد ؟

وخلاَّتنا مثلُ الجوارح أيّهم … فقدنا ، فبعضُ النفس فى ذلك الفقد

أحقٌّ طلاب الودّ من نقص طالب … إذًا قَمنٌ نشدانك الودّ بالحمد

لتكمل بالخل الذى أنت ناشد … كما كَملَ النصفان تجمع فى العد

ويا طيب قلب غرّه الودُّ حقبةً … كما عظم المخدوع بالفضل والمجد

وإنك لا تدرى أقلب مــــراوغ ... أســـرٌ أم القلب المغـــرّرُ بالودّ

وإنَّ ودادَ المرءِ من بعضِ غُنمـــه ... ولو أن مخلوف الوفا غاضَ لم يُجْد

تعيش بمخلوف الرجاءِ وكذبه ... فَطامِنْ فـإنَّ الودَّ يا قلبُ لم يُرْدِ

رحيق الحياة الودّ ، لوْ دام صفوه ... – وكالخمر – أصفاه المعتّق ذو العهد

وأحسنه ما كان من عصرة الصِّبا ... ولم يَحْلُ بعد الشّيب مُستَحدثُ الود

فمن لى بعود الدهر للودّ والصِّبا ... أليفينْ ما كانا كما الندّ للند

يخال الصّبىَ ودّا وودّ الصّبا صبًّا ... كيانهما الممزوجُ كالجوهر الفرد

وإن فقير الناس مَنْ خان خِلّه ... وإن نالَ حظّاً من طريفٍ ومن تلد

أأبغى إخاءً لم تشبه عداوة ... وأنقم عفو الغدر أو غدرة العَمْدِ ؟

كأنّىَ لم أدرِ الأنام وخلقه ... ولم أدر أن الضّد يولع بالضد

أبعد فراغى من جنازة ودّنا ... أروم خلود الودّ من عادم الخلد ؟

متى أرتضى الخلان صحواً وغيمة ... فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى

أُغالط نفسى فيهم وأغرها ... وإن لاح منهم غدر أعدائىَ اللد

وأكتم من آلام نفسىَ عزّةً ... إذا لم يُتَحْ لى ما أُزيل به وجدى

فيا ساقىَ النسيان عَاطِ صحابتى ... وهات لِىَ النسيان رفداً على رفد

وهيهاتَ ما أمرٌ إذا جدّ جده ... ليُنْسَى ولو واروه فى مُشبه اللحد

إذا انفلت السهم الطّليق فما له ... ولو أنّه سهم النّميرىّ من رد

ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله ... الا وهو الدّهر المصرِّفُ ذو الأَيْدِ

وفى وصف الطباع (١)

مـــا ازدريتُ الأنام إلاّ وهان الـــ ... ـــكيدُ منهم وهانَ منهم عداءُ

وتفــرّدت لا أصـــولُ بكيـــد ... وتنزهدتُ واستـقـام العزاءُ

ومِن الناس مَنْ إذا مـــا ازدراهم ... كــان منه الإجرامُ والاعتداءُ

ولو أنّى أكــبـــرتُهم لم يرونى ... غــافراً واحتـوتنىَ البغضاءُ

ولو أنّى أكــبـــرتُهم لم ترَ الرحـ ... ـمة دينى ومــا بهم رُحماءُ

وُدّهم مثل بُغضهم فيه عدوى ... مثل عدوى تسعى بها الثؤباء

وَيَـرى المــرءُ أنّـه كـلُّ شــيءٍ ... هو تبــرٌ ومــا عــداه هبــاء

مــركــزُ الكونِ حــوله دارة الأفـ ... ـق وبهـوٌ من فـوقـه وسمـاء

ولقـــد تحمـــد الخليل طويلا ... ثم يَبْــدُو مــا كــان منه انطواء

فـإذا الغـدرُ شيـمـةٌ وطِبـاعٌ ... وإذا الودّ والـوفــــــاء رياء

وإذا النفسُ جـــانبٌ مُـــدَلّهِمٌ ... بالدنايا وجـــانبٌ وَضّـــاء

وإذا المرءُ يحـمـد الصحب منه ... جــانبــاً والكريهُ منه خـفـاء

ومع الخُــبْــرِ بالأنام فـقـد يعْـ ... ـرو الفتى عند غدرهم إعياء

كلَّ يومٍ يَخــال منه جـديداً ... وهو رثٌ ومـا طواه العـفـاء

قلبُــه الآمل المضلّل بالــود ... يقــود الأسى إليــه الرجــاء

ومعَ اليـأس منهم كـرمُ الصـفـ ... ـح إذ الحتْمُ مـا جنـوْا والقضاءُ

كلُّهم يَشْـتكى ويشمت بالشا ... كى وكلٌّ كــمــا يسئ يسـاء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٢١ فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥

كلُّهم يندبُ الوفاءَ وكلٌّ ... يتأذّى وطَبْعُهُ الإيذاء

كلُّهم قانصٌ يرى فى وفاءِ الخلِّ ... صَيْداً ولَيْسَ منه وفاءُ

كلهم لا يودُّ للناس ما ير ... غب فيه لنفسه ويشاء

ويُسَرُّ الفتى ويبدى اكتئابًا ... إن ألمَّ بصاحب بأساء

صادق العطف كان أو كاذب العطـ ... ـف ففى نحْسِ خلّه سراء

وارتياح أن لَمْ يُصَبْ مثل خلٍّ ... نزل الحزن دَارَه والشقاء

وسواءٌ خِبٌّ وغِرٌّ ولا غروَ ... فللغرّ صولة وعداء

كلّهم إن يرقْكَ منه ذكاء ... بعد حين يرعْك منه غباء

فكأنَّ الذكاءَ منه وميضُ الـ ... ـبرقِ ، والعقل كله ظلماء

كلُّهم يبغض النقيصة حقا ... حذرَ الناس بغضه إخفاء

واكتسابًا للحمد والربح يقلا ... ها ولولاهما لعيف الرياء

كلُّهم يُلبْسُ النقيصة منه ... حلة الخير وهو منه بَراءُ

يغضب المرء للفضيلة كيما ... يحسب الناس أن ذاك نقاء

وسواء نقصٌ وفضلٌ لديه ... إن تدانت من كسبه النعماء

ومن الناس مَنْ يَبوح بنقصٍ ... وكثيرٌ من قوله إطراء

كالذى قال إنما أفقدته الحـ ... ـلمَ منه صراحةٌ وإباء

يمدح الحلم مغريا وهو يَسْطُو ... مغنم الخبّ فى الورى الحُلَماء

حذراً للشرور يمدح خيرا ... ذاك جبنٌ فى طبعه واتقاء

قسم النقصَ والمحامد بين النـ ... ـاس منه الأحقادُ والأهواء

فلئيم من كان منه جفاء ... وكريمٌ من كان منه إخاءُ

ذاك مـيـزانه ومـا الحقُّ إلا ... مـا رأى الحق يأسـه والرجـاءُ

ويرى الأخـرَق الذى يرحم النـ ... ـاس وإن ودّ أنهم رحـمـاءُ

كى يمدّوه بالذى ضنّ عنهم ... بجَـداهُ وهكذا الأحـيـاءُ

كلُّ حىّ يصـون منه حـيـاة ... ولئن غـال مـا عـداه العـفـاءُ

حاطها بالصّيال والمكر والقسـ ... ـو ولو عمّ مـا سـواه الشـقـاءُ

وبإنكار كـيـده وأذاه ... وبدعـوى الكمـال وهو طـلاءُ

يتـدنىّ يبـغى العـلاء ولا يثـ ... ـنيـه عَـمـًّا يحطّ منه إباءُ

غـيـر من آثروا على أنفس منـ ... ـهم نفوسَ الورى وقَدْ قيلَ داءُ

وعجيبٌ أن كان أطْهَرُ ما فى النـ ... ـفس داءً والحـرص منه الشـفـاءُ

وأشَـدُّ القُـسَـاة ينكر لؤم النـ ... ـاسِ كـيـمـا يكون منه مـضـاءُ

وهو يُطْرِى الحياة بُقْيَا على الكيـ ... ـد وذعـراً يكونُ منه الثناءُ

بين أمـرْين يدرجُ النَّاس طرا ... جـوع بطن أو أن يكون امـتـلاء

ومن الجـوع أو حَـذارا له أو ... خَشْيـة الموت كم قسـا الأحـيـاء

وامـتـلاء يصـيـر شـهـوة جـسـم ... يهـتك الطهـرَ حـفـزها والمضـاء

هَيِّنٌ بعـدها إذا مـا الضـحـايا ... نال منهـا نحسٌ ونال شـقـاء

خـمصُ بطن ، ونهـمـة وحـذار ... واحـتـيـال ، وقـسـوة ورياء

ذلك العـيش ثم مـا كان من خيـ ... ـرٍ بكىّ لولاه عـيف البـقـاء

وقـتـالٌ على الحـيـاة دَعـاه الحـ ... ـىّ فـضـلا يبـغى به مـا يشـاء

ذاك فَـضلٌ إذا أسـاء ولكن ... وهو نقصٌ فى الناس حين يُسـاء

ولو أنّ السـبـيل للموت سـهلٌ ... لم تكن عنه نجـوة أو عـزاء

فـاحـمـد الـعـيشَ إنَّ حـبّك للعـ ـيش مُلحٌّ مَـهْـمَـا تمادى العناءُ

إن أقـوى الرجـاء مـا تعـرف النفـ ـس وإن قـبَّحَ الحـيـاةَ الذكـاء

لـم يعـفـهـا وإنما شـاء أن يُبـ ـصرَ قدما من حسنها ما يشاء

دائبٌ بَصّـر الأنـام بماَ جَـ ـمّلَ عـيـشًـا ووصفُـه إغـراء

والذى يَكْلأ الحـيـاة على العلـ ـم بهـا لا تروعـه الأشـيـاء

يمدح المرء مثلَ ما حـاز من فضـ ـلٍ فـإن زاد كـان منه هجـاء

فـقليلٌ مـا نصـدق النفس قـولا وكـثـيـرٌ من أجل ذاك المراء

مُهجةُ الحاسدين من سورة الأحـ ـقادِ والبُـغْض مـهـجـة هوجـاء

سـاء فـعلٌ منهم فـسـاءت ظنون والورى فى طبـاعـهم شـركـاء

سـوءُ ظنٍّ الأنام طبعٌ ولكـن مـقـلة الظن مـقـلة حـولاء

كلُّ حيٍّ أمـامـه مـا جنى الخـصـ ـمُ يـراه ومـا جنـاه وراء

وعـجـيب أن يحـسـد المرء حـتى بعـد أن لـم تَدُم له النعـمـاء

أىّ نفس من أنفسٍ الناس عـافت حـسـداً للقلوب منه اكـتـواء

لابل الفـضل إن تضاءل ما فى النـ ـفـس مـنـه ولـم يـكـن إيـذاء

كـلهـم ذلك الحـسـود ولكـن هَيِّنٌ مـا بدت به الفـضـلاء

لو ينال الأنام مـا حـسـدوه حـسـدوا ضـدّه وليمَ القـضـاء

حـسـبـوا اللؤم من ذكـاءٍ وعـقل فـادّعـاه الطغـام والأعلـيـاء

وتبـاهـوا بقـدرة اللؤم فـيـهـم واسـتـشـاطوا إن قـيـل هم لؤمـاء

وقـليـل مـا يـنـدم المرء إن لـم يك جـرمُ من بعـده الازدراء

فـإذا الناسُ زَيَّنوا منه جـرمـا شـملتـه من مـدحـهم خـيـلاء

ومـضى سـادراً يرود من الآ ثـام مـرعى ودأبـه الكبـرياءُ

يبـتـغى المرء أن يرى الناس طُرا حيث يرضى ، وخلقـهم ما يشاء

وهو لا يستطيع تغـيـيـر مـا فى نفـسـه كى يكوَن منهم رضـاء

وحـقـيقٌ بالشك من رأيه يتـ ـبع مـا خـولجت به الحـوبَاء

رأيـه مـثل خلقـه وهـواه حـاكم فـيـه جـوهُ والغـذاء

فى قنوطٍ ومطمع ، وانقـبـاض وارتيـاحٍ ، تناكـرت آراء

لو بدا الشر فى النفوس تعادت رحم الله فـاحـتـواه كـسـاء

وإذا الشـر أعـوز المرء عـجـزاً ادّعى أن عـجـزه اسـتـعـلاء

ومُـقِـرٌ بالشـرٌ كى يُغـفـر الشـ ـرُ وكـيـمـا يعـود منه اعـتـداء

واعـتـداءٌ بالجود حـرصٌ وكـسبٌ وهو منه اسـتـزادة لا وفـاء

ولقـد يحـقـدُ العـشيـرُ إذا خـ ـلاّك رزء وكـان منه رثاء

يجرؤ الفرد بالجـمـيع على الشـ ـر ولولاه غـاله اسـتـخـذاء

شـدّ من أزر سـافل أنَّ شـرَّاً جـمـعت فى مناله الجـبناء

فـجـبـانٌ يشـدُّ أزرَ جـبـانٍ وعـداءٌ يكونُ منهُ عـداء

ولقـد يفعلون خيـراً ليخف الشـ ـر منهـم وذاك مـنهـم رياء

والشـقىّ الجَـزوعُ من شـر قـوم جـرّ نفـعـم منه إليـهم رجـاء

مـسـتنيمٌ إلى الولاء ويكوى قلبَـه أن يفـيـض منهم ولاء

جـاهل بالأنام يخـدعـه المطـ ـرى نفـوسـاً لهم وحق الهـجـاء

لـقَّـتـوهُ أنَّ المـروءةَ أنْ يـغـ ـتـر بالنَّاس وهو منه غـبـاء

لابل الفضلُ خيره وهو يدرى ... إنْ بلاهم أنْ قد يعز الجزاءُ
مطمئناً بعدَ اصطناعٍ جَميلٍ ... عندهم إن دهاه منهم بلاءُ
كلهم ظالم وإن كان مظلو ... مًا رأى أن قَسْوَهُ استشفاء
يشتفى من لواعج الغيظ والذ ... لُ بظلم الأذلّ ، بئس الدواء
يظلم الصاغر الضعيف كما يظ ... لمه من له عليه اعتلاء
طبقاتٌ مقدّرات من الطغ ... يان ما إن يُخال فيها انتهاء
ومعَ الشرُّ والأباطيل فى نف ... سٍ فللخير آنة سيماء

الصحراء (1)

أَرحبُك أم صمتٌ على الأرض غالب ... غدا مُصْحرٌ من روعه وهو هائب (2)؟
كَصمتِ الخشُوع المطرقين نزوعهم ... مقابرُ صرعى للردّى وخرائبُ
وصمت لذى المحراب فى بيت ربّه ... يقاربه فى صمته ويخاطبُ(3)
تَوقّعَ مَنْ قد غَاله الصمتُ هاتفا ... يكلّمه من فرط ما الصمتُ راعب
كمخترقِ الظلماء لاحَ لعينه ... إذا جَال فيها اللحظ ما هو غائب
حدٍ أن يُناجى النفس فيك أخو الحجى ... ويخشع صمتًا راكب فيك ذاهب(3)

---

(1) نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ١٢٦ فى ديسمبر ١٩٣٥ وفى كتاب « ديوان الاسكندرية » فى أكتوبر ١٩٣٥

(2) الرحب : السعة . ومصحر : من أصحر خرج إلى الصحراء . (3) ذو المحراب : أى العاكف على الصلاة . والضمير فى يقاربه وصمته يعود على البيت ، ويخاطب أى مع صمته يخاطب ربه .

(4) حرىً : جدير وخليق ، والحجى : العقل .

ويخشع من رَحْبٍ كأن لا مدى له حكى أبداً ما حدّه الدهرَ حاسبُ

ويخشع أن لا شيءَ إلا مُجانسٌ فلمْ يلفَ إلا مُشبهٌ أو مُناسبُ[1]

وكم راع رأى العين إن كان لا يُرى سوى الشِّبه يتلوه الشَّبيه المصاقب[2]

حكى خدعة الآمال آلُكَ رافعًا على الأفق بُشرى كذّبتها العواقب

سرابُ الأماني في الحياة خديعةٌ وقد تهلك المرءَ المُنى والرغائب

وَمَنْ ضلَّ في خَرْقٍ من العيش لبّه كمن خذلتْه في الفيافي المذاهب[3]

تَفتّحُ أبواب الجحيم عن اللظى كأنّ شُوَاظ القيظِ يسْفيه دائب[4]

سموم كدفّاع البراكين أو لظى الحرائق يصلاه الحصا والنجائب[5]

ويصلاه ركب خال دنيا تقلّصت عن النار لو يسعى جحيم مقارب

ويسودُّ وجه الأفق حتى كأنما ذُكاءُ دجت أو يكسف الشمس حاجب

وكم حَار ركب من فجاءة صحوة كما راع مرأى الحسن والعُرْى سالب

إذ الجو كالبّلوْر أخلص لونه وصبَّ عليه من سناء الشمس ساكب

كذلك غبّ الغيث ريعان بهجة كأن طلاءً قطره وهو صائب

كأنَّ ضياءً في سواد سحابةٍ تكاثر حتى ثَقَّب الدجن ثاقب

تفجّر ينبوع من النور غامرُ كما غمر الأرض المياهُ السوارب[6]

ضياءٌ ترى المألوف من كلِّ منظر به فإذا المألوف منه الغرائب

وما فرحةُ الولهانِ عاد حبيبه بأصدق منها فرحة وهو آيب

---

(١) مجانس : مشاكل ومشابه .

(٢) المصاقب : المقارب . (٣) الخرق : القفر . (٤) الشواظ : اللهب ، ويسفيه : يذروه

(٥) صلى بالنار : وجد حرها ، والنجب : القشر (٦) سرب الماء : جرى .

نهـــارك أم ليــلُ الدَّراريِّ نــائل من اللبِّ نيـلاً لم تنله الكواعب

أديم سماءٍ يُبْرِزُ الشهبَ صفْوهُ فـأحسـبـهـا تدنـو به وتقـاربُ

أما يخشع السُّمَّارُ من كثرة الدنى ويذهل من رحب الفضاء المراقب ؟

يَبيتُ يُناجِى النجم والنجم سامر فـتـفـضى إليـه بالحوار الكواكبُ

كـأنَّ لحـاظ النجم من لحظ عاقلٍ وأنَّ رقيبـاً فى السـمـاء يراقب

يُسائِلُهُ عن عيشه أيْن سِرّه كـأنّ وراء النجم مـا هو طالب

إذا خطّ فيك الدهر سطراً محوته كذا اليمُّ لا يقوى على اليمِّ كاتب

وترقل فيك اليعملات وإنما سفائن لجّ البيد تلك الركائب[1]

وللبحر أمواجٌ ؛ وللبيد مثلها ، إذا هبّ إعصارٌ على الركب كارب

فيغرق فى لجٍّ من الترب حائنٌ كما احتشدت فوق السفين السوارب[2]

ورحبك رَحب البحر يطويك هائب ويركـبـه ذو مطلب وهو هائب

بأفقكما للشهب رهب وروعة جَلا لكما شِبْهٌ وشِبْهٌ مقارب

وذى دولة فى اليمِّ قد دال أمره وآخـر أردتْه لديك المطالب

ويَصغر عيشُ المرء فى اليمِّ مثلما تضاءل فيك عيشه والرغائب

لمحْلك يلقى مكرم الضيف ضيفه بخيرٍ وأما خصمه فهو سالب

وتشحذُهُ الأخطارُ حتى كأنما بَنُوك سيوف ينتضيها المحارب

لقد صقلتها نار قينٍ وصيقل كما صقلتهم فى الحياة النوائب

تنسَّكْتِ فى بُردِ التقشف لم يكنْ معاش ولا ترجى لديك الأطايب

---

(١) اليعملات : جمع يعملة أى الناقة السريعة ، وترقل : تسرع .

(٢) الحائن : الهالك .

الشاعر البابلى المجهول [1]

يا غريبَ الدارِ عن وطنى ... ناظرًا فى غابر الزمنِ :

هل سمعت اسمى وما نقل الـ ... ـركب عن شعرى وعن فِطنى ؟

انكت الأطلال علّ بها ... أثرًا قد خطّ فى الدمنِ

قد وصفتُ الحسن أجمعه ... لم أدعْ فى الكون من حسنِ

وبحثتُ النفس قاطبةً ... لم يفتْنى أيما شَجن

ولكم ألجمتُ مضطغنا ... عائبًا قولى من الإحن

سَهرَ الأقوامُ واختصموا ... فىّ من راضٍ ومضطغن

كلُّ ما قد صاغه عربٌ ... أو من الإفرنج ذو لَسَن

صُغْتُه من قبلهم فعفا ... وكأنّ الأمرَ لم يكن

لم يعشْ بالصيت شاعرهم ... عمرَ صيتٍ كان لى وفنى

دُولٌ أودتْ بها غِيرٌ ... ورَدَى اسمى بعدُ لم يحن

لم أدعْ معنى لذى أدب ... عالقٍ بالشعر مرتهن

فاستباح الدهر من أدبى ... ما استباح الدهر من وطنى

بابلُ الأملاك ما عمرت ... مثلها فى سائر المدن

درستْ من بعد ما لبثَتْ ... حقبًا مشهورة السنن

بعد ما كانت خمائلُها ... فتنةً تربو على الفتن

بعد ما دان الزمان لها ... فكأنّ الدهر لم يدن

واستوى فى التُّرْب ذو لسن ... وذوو الإعياءِ واللكن

---

(١) نشرت بكتاب « ديوان الأسكندرية » لجامعه الأستاذ على البحراوى – أكتوبر ١٩٣٥ ص ١١١

نــم طويلاً يا أخــا الزمن وادعًا فى اللحد والكــفنِ

بعــد آلافٍ من الحــقب قم وسلْ عن صــولة المحنِ

لا ترى اسـما كنت تكبره سلْ عن الأوطان والسكن

سلْ عن المشهور من قدمٍ وعن المعــبود كــالوثن

عن عظيمٍ كنت تحسبه خــالداً كــالدهر والزمن

فــإذا أنتم وشــأنكمُ حُلُم قد كان فى الوسن

يا غــريبَ الدارِ عن وطن باحـثًا فى دارس المــدن

هل سمعت اسمى وما نقل الـ ـركب عن شعرى وعن فطنى ؟

النشوء والارتقاء [1]

أراكَ فــريســة الجُــوعيْن سـغْبــانا وشــهــوانا

بربِّك أيهــا الإنســا نُ لِمْ أصبحتَ إنسانا ؟

بعــقلٍ يبلغ الشــمسَ وأقصى الكون عــرفــانا

وجــدتَ لكلِّ مــا كــا ن من الأكــوانِ مــيزانا

كــأنك خــالق الخلْقَين أكــواناً وأزمــانا

وسخَّرتَ الرياحَ مطيَّـ ـةً والبــرق فــرسانا

وقــد أعليت عُمــرانا وقــد قــدَّستَ أديــانا

وردْت العــيشَ عُــريانا وترجع عنه عــريانا

---

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول نوفمبر ١٩٣٥ .

ومِلء حيـاتك الأحـزان والآلام ألـــــوانـــا

وتُبليكَ الحـيـاةُ كـمـا يفت الجـوُّ صـوّانا

وتصـرعك الجـراثيمُ كـمـا لو كُنتَ ديدانا

وقـد تهلك غـرثانا وقـد تهلك مـبطانا[1]

وقـد تغـدو إلى اللـذات فـتّـاكـاً وخَـزْيانا

فبينَ الجـوع والشـهـو ة قـد أُجـريت مـيدانا

وللتَحْليلِ والتـحـريم قـد أعـددْتَ تبـيـانا

فـمـا أصلحتَ حـاليْك ولا طـهّـرت أدْرانا[2]

وفُـقْتَ الطيْـر والحـيوان آثامـاً وأشـجـانا

وزنتَ الذّرة الصـغـرى ومـا أعـددتَ مـيـزانا

لعـيشك كى يكـون العـيش إسـعـاداً وإحـسـانا

بربك أيهـا الإنـسـا نُ لِمْ أصبحتَ إنسانا ؟ !

النجاح[3]

أنت ربُّ الأوشـاب والأعليـاءِ وجـمـاعُ الجـهـود والأهواءِ

تلبس المرء منك حلة فـضل يلهج الناسُ حـولهـا بالثناء

أىُّ فـضلٍ للمـرء إن لـم تَحُكه وذكاءٍ إن لم تكن فى الذكاءِ

---

(١) الغرثان : الجوعان ، المبطان : الكبير البطن . (٢) الأدران : الأوساخ .

(٣) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٣ فى ١١ نوفمبر ١٩٣٥ .

فُرَص العيش كلُّها لك جند والعطايا مواثلٌ كالإماءِ

وصروف الأقدار طرًا عبيد للذى تصطفيه للآلاءِ

لا يضيرُ الذى اصطفيتَ عداءٌ لا ولا يُزْدَرىَ لفرط الغباء

ويودّ الذكىُّ لو كان غِرًا ثم تكسوه خلَّه الأذكياء

أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالاً ويُنيلُ الوضيع أفقَ العلاء

وينيل القَمىءَ أجنحة النسر فيغدو لقومه كسماء

يرتجى الناس غيثها وعلاها بخشوعٍ وذلَّةٍ ورياء

إيه يا مالك القلوب قلوبُ الناس طرًا طوع اللُّها والعطاء

رُبَّ قلبٍ مُماكسٍ لك فى البيع وذاكَ المِكاسُ غير الإباء

تنثر التبر مثلما تبعث الشمس بأضوائها على الأرجاء

فوق وغدٍ أو فوق غِرٌ حَظِىٌ أوْ على ظافرٍ من الفضلاء

لك ثوبٌ يخُفى العيوبَ ويحبو الـ ـفضل فضلاً من روقة اللألاء

قَدَرٌ حاكه وليسَ صَناعٌ كصناع يدعونَه بالقضاء

معدنُ الخير والفضيلة والحكمة من يرتدى بذاك الرداء

أىَ فضل تعطى القوىّ قواه إن عداه النجاحُ فى الأحياء ؟

أىُّ صيت يجُدى الذكىَّ بيانٌ لم يُصبْ نهزةً من الإصغاء

أىُّ فضل تحبو الحكيمَ نُهاهُ وهو لولا الأنصار كالأغبياء ؟

سَرَفٌ أن أضاعه الدهر لا يفقر دهرًا أضاعه من ثراء

أترى التِّبر لو يظل دفينا كان يُجبى أطايب الأشياء ؟

أترى الحسن كان يعتد حسنًا وهو فى خفيةٍ عن البصراء ؟

يغنمُ الظافر السعيدُ وإن كذَّب ... منه النّقاد بُطْلَ الطلاءِ

وهو في أعين الأنام نضار ... وسواه في الخلق كالدقعاءِ

يغفر الناس شرَّه وأذاه ... ويمدُّونه بمحض الولاء

إنما الحقُّ ما رأى النَّاسُ حقًّا ... ثابتاً في عقيدة الأهواء

والشريف الذي يرون شريفاً ... نال أو لم ينل مدى الشرفاء

والكريم الذي يرون كريما ... حاز أو لم يحز هوى الخبراء

صاح لو يُنْبَذُ المزيَّفُ طُرّا ... حَربَ الناسَ كلٌّ هذا الإباء

ثم باءوا بحيرةٍ وضلالٍ ... في دعاوى العقول والآراء

وإذا النجح لم يكنْ منه ميزانٌ فكلٌّ مزيف الأنباء

كنْ جديراً به وإن لم تنله ... إنما الحقدُ آلة الأدْنياء

وَيَضيرُ الأنامَ كيدُ حقودٍ ... صدٌّ عن خير مطمح وعلاء

فدعِ النَّاسَ يكلفون بما شاءوا وعشْ في حقيقة الأشياء

إن تجدْها أو لم تجدها فللسعيٌ وللجدٌ نشوة الصهباء

نشوة النجح نشوة السعي والخاسر منْ لم يَفُزْ له بطلاء

ولعلّ الأحقاد ما صقّر النجح وانحنى عليه بالأزراء

ورجاءٌ للنجح خيرٌ من النجح فعشْ من طلابه في رخاء

إنَّ بعدَ الرجاء أن تبلغ القصد ولا قصدَ بعد نيل الرجاء

ولقد ينكب النجاح أناسا ... بالذي فاق نكبةً للشقاء

والسعيدُ المحرومُ من أسلم الأطماعَ طرًّا لصرف حكم القضاء

ويودّ الذي تودّ له الأقدار يبغي فيها رخاء الرضاء

ذاك خُبْر يغرى الحكيم وإن شقَّ فَيُلْفى رخاءَه فى العزاءِ

ولقد يحبط الطموحُ إذا زحزحَه الهمُّ عنه بالإعياءِ

وفروضُ الحياة أخلق بالسعى وأحجى من اقتعاد السماء

إن أعلى من العلاءَ خليقًا بعلاء لا حائزًا للعلاء

والسعيد الحظىُّ من رزق الجدَّ وفى الجدِّ مصرع الثؤباء

هو طبَّ الملال إنْ أعنتَ العيشُ وغالتْ غوائل البأساء

وسواء نجحٌ وفوتٌ إذا أحمدت ما فى مسعاته من دواء

والشقىُّ المحروم من لا يَرى فى العيش فرضاً ينأى به عن شقاء

ذاك من مات قلبه وهوَ حىٌّ وغدتْ نفسه كقفرٍ خلاءِ

خاصمتْه النعماء فى كلِّ أمرٍ وبدت فيه وحشة البيداء

خيبة المرءِ أن يمل مُناهُ لا تمادِى الحرمان والإبطاء

ولعلَّ الإبطاء فى النجح أهنَا وقصارى المبذول للأزراء

ويُمِلّ العطاء بعد أوانٍ كعزوف من بعد طول الغذاء

والذى لا يملّ فرضًا معاداً كلَّ يوم مُوَفَّقُ السعداء

لا ينال البعيدَ من لا يرى الأدنى سبيلاً يُدنى إلى البعداء

خطوةٌ إثرَ خطوةٍ هكذا سُنَّةُ عيشٍ وسُنَّة فى الجِراء

وامتناع الطليب أهونُ من أن يندب المرء خيبة الأهواء

هو خطبٌ أدهى من الفَوْتِ وقعا وهو داء أشدُّ من ذا الداء

كالذى يستطب بالخطب من خطبٍ ويُقْصى الأدواءَ بالأدواء

ليس يُدْعى الرضاء يأساً فكم راضٍ وفى سعيه دبيبُ الرجاء

والذى يستدر نجحًا من الخيبة أحجى برفعة وعلاء

فإذا ما نكصت فى العيش فاعْلَمْ ليسَ فى العيش موطن للنجاء

يُدخِلُ المرء نفسه فى الرزايا كىْ يداوى من رعدة الجبناء

مثلما أسمعوا الجيادَ صليلا كى يَهون الصليلُ فى الهيجاء

صاحِ ، ما العيشُ بالمخلَّدِ فى الدهر ، فترتدّ ناكصاً للوراء

وإذا ما ارتخصتَ ما هو مبذو ل ويارُبّ مُرخَصٍ من سخاء

فالهواءُ الحياةُ وهو مُذَالٌ لو نأى كان مُنْيَةَ الأحياء

لا تقلْ خيبة الرجاء سموم فالشقىُّ الشقىُّ بالأسماء

إنّ بَعْضَ السمومِ منه دواء كدواء الرَّمداء بالظلماء

وإذا ما هممتَ بالخير لا تولعْ بكسبِ الإجلال والإطراء

ليْس بين الإطراء والذمّ إلا كانطباق الجفون فى الإغفاء

واللبيبُ العليم بالناس لا يغتر بالمدح منهمُ والهجاء

غايظوا الراجحَ السعيد بمن خاب ولو فاز كان فى البغضاء

يزعمون الخُيَّابَ أحجى بفوزٍ قد لواه القضاء ذو الأخطاء

زعموا الدهر يظلم الندبَ إذ يسمو بشأو اللئام والأدنياء

فإذا الندب نال شأوًا أعدُّوا ما أعدُّوا له من الإيذاء

ولعمرى لو بُيِّن النقص والفضل لكانوا فى النقصِ كالشركاء

باتفاقٍ أو باقتدارٍ نجاح كان أو لم يكن لدى الفضلاء

ولو أن المفضولَ لم يُلفِ نُجحا ضاعف الفوتُ غَبن صرف القضاء

نابَهُ النقصُ من قضاءٍ فإن خاب فغبنٌ مضاعفٌ فى الجزاء

ليسَ فوزُ الأباة قدرَ شقاء هزم الذلُّ نخوةَ الأحياء

لا بل الفوزُ صحةٌ واقتدار وببذلٍ للذّخر أو للحياءِ

وبأن تطّبى رضاء ذوى الجاه وأهلِ الجدود والأقوياءِ

وبإحباطِ مَنْ يكيدُ بكيد رُبَّ فوز مستجلب بالدهاء

وبإطراء من ترى منه نفعا وبإرضاء كل دانٍ ونائى

واحتذاءِ الحياة ترضى الذى ترضاه من شيمةٍ ومن سيماء

وبأنْ لا تعاف كسبًا ولا خُلْقًا يُدانى من مطلبٍ ورجاء

فإذا عِفْتَ كان سعدك فى الخيبة والنجح من صنوف الشقاء

رُبَّ قُوتٍ للمرء منه سقامٌ وهو فى جسم آخرٍ كالدواء

وكذا النجحُ منه عزٌ ونعماءُ ونجحٌ يُلمّ بالبُرحاء

الجبل (1)

- ذكرى -

جلالُك أهدى من ضياءِ المنائر ومنبرُك الأعلى أجلُّ المنابرِ

لقد كنتَ عرشَ المجد فى الأرضِ عزّةً ومسكن أربابِ الدهور الغوابرِ

فيا معبداً سقفُ السماءِ غطاؤهُ وعمْدانُه الدوحات ملءُ النواظرِ

جلالُك يُلهى المرءَ عن كلِّ زائلٍ فيخشع مسحور النهىٰ الضمائرِ

توحّدت كالرهبان يارُبَّ راهب رأى عصمة الأطوار طهر السرائر

(1) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٣٥ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥

تطلُّ على السهل الفسيح كأنما ... تفكَّرُ في عيش القرى والعمائرِ
ألا إنّ للأهرام مجداً وروعة ... ولكنَّها إن لُحْتَ لَهوُ الأصاغرِ
فأنت بناء الله لم يَبْنِ مثلهُ ... قديرٌ ولم تعبث به يَدُ جائر
ومعتصمٍ في معقل منك مانع ... كما اعتصم الملاحُ بين الجزائر
علوت برأس في السماء مباعد ... أكيْمَا تُناجي السحب أم كبر قادر ؟
وينساب فيك الماء جذلان لاهيا ... وآناً له روعٌ كروعة هادر
عليك اعتراكٌ للعواصف رائع ... وبرقٌ ورعد طيَّ سُحْب مواطر
وأنت وقورٌ لم تُرعْ من رعودها ... ولم تتهيّب دورةً للدوائر
يغيّر مَرّ الدهر حيًّا وهامدا ... سواك فهل أوقفتَ خطو المقادر
فيا ملكا بُرْدُ الجليد كساؤه ... ومن فوقه تاجُ النجوم الزواهر
تشاهدُ جيلاً بعد جيلٍ كأنما ... تمرُّ بك الأجيال مرَّ العساكر
ترى مولدَ الدولات ثم مماتها ... وتبصر مجد اليوم بعد الغوابر
خلطتُ بك النفس الطموح إلى العلا ... ومرأى جلال منك ملء الخواطر

المستقبل (١)

كهانة

خطراتُ الأحلام ... ستـرى في الأيام

(١) نشرت بمجلة (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة في عدد أول ديسمبر ١٩٣٥ ص ٢٥

أقوال وفعال هى رهن الأوهام

– الآن –

ويكونُ الممنوع هو حقٌ مسموع

ويكونُ المنبوذ هو عرفٌ متبوع

– الآن –

وجهودٌ مشكورة ستغادى منكورة

آراءٌ ومعان حبات مبذورة

– الآن –

وترى فى الأجيال من حالٍ ومآل

وسبيلاً مطروقا كخيالٍ ومحال

– الآن –

وأمورٌ مجهولة ستغادى مملولة

من فرطِ العرفان وتراها مأمولة

– الآن –

خطراتُ الأذهان وضروبُ العرفان

تهدى إن لم تصم فتكات الإنسان

– الآن –

وولوعٌ ببقاء ككفيلٍ بنجاء

مهما صال الموت فى حرب وعداء

حالتان للنفس [1]

- ١ -

طلب السكينة

يا ليت قلبي غـدا خـلاءً كـعـالـمٍ كلّه بِحـارْ

على انتفـاءِ الحياة منهـا في خـضـرم مـاله قـرار

فـلا مـهـودٌ ولا قـبـورٌ ولا سـفـينٌ ولا منار

ولا حَـبـيبٌ ولا عـدوٌّ ولا نموٌّ ولا احـتـضـار

ولا رخـاءٌ ولا شـقـاءٌ ولا رجـاءٌ ولا ادِّكـار

أو كـان كـالنجم في سُراه الوادع السـائر المدار

أو كـان كـالليل في هدوء يُخال في صمتـه حوار

- ٢ -

طلب القوة

يا ليتَ قلبي على أسـاه أقـوى من الشرِّ والشـقـاء

وليت نفـسي على هواها أقـوى من الحبِّ والرجـاء

وليت لبِّي على حجـاه أجلد من غـفلة الغبـاء

لا يضْطنيـه عـداء عـادٍ وليس يغـتـرُّ بالإخـاءْ

يأخذ صـفـو الزمان عـفـوا ولا يُعنَّى من القـضـاء

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول ديسمبر ١٩٣٥

وليت صـبـرى على بلاء   أشـــدُّ من أروع البـــلاء
فـداوِ داء الحــيــاة فــينا   لو تُسـعـد النفس بالدواء
بالصـبـر والسـعى والأمـانى   والحلم والعـــزم والوفـــاء

عجز التجارب (١)

مَازادَ مرُّ حـيـاتى غيـر أشـجانى   فـزَوَّدَتْنىَ رُجـحـانًا كنقـصـانِ
يَا دهر لا تُنْسِنيِ فى ضـيق عـادية   محـاسِنَ العين من صبـرٍ وغـفـرانِ
وَقـونِّى بتــجــاريبٍ أزاولـهـــا   فـإنهـا لم تزدنى غـيـر عـرفـانِ
وكيف يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مصطبر   يَمْـرِى له الخبـر عـرفـانًا بإيهـانِ
يزيدهُ العـمـر من وَهْيٍ ومِن كـبَـرٍ   مـازاده العـمـر مِن خُبْـرٍ بحِـدْثانِ
فكيف ينفع تجـريبٌ ومــانحــه   يُوهى جـلادة أعـصـاب وجثـمـانِ
بعض التجارب ينسى ليذكر زمنًا   إذا تعـــاورَ لـبَّ المرءِ ضِـــدّانِ
فـإن تيـقظ فى تجـريب طارقـةٍ   فـــإنما هو يقظانٌ كـــوسنانِ
ضرورةُ العيش أن ينسى ليذكر ما   يغــدو يعــالج من أمـــرٍ له ثانِ
فـالمرء مـا عـاش من حـال لثـانيـة   مُنَقَّلٌ بين نســيـــانٍ ونســيـــانِ
فـإن تذكَّـر أمـــرًا واحـــدًا أبدًا   قـضى الحيـاة غـريرًا جـد غفـلانِ
وإن تناسَ فـــلا نفعٌ لخـــبـــرته   وكـــيف يجــديه منسىٌّ بِغُنيـانِ
فـــإن تذكـــر منســيًـــا تبـــادهه   منه فـجـاءة مـا يقضى الجديدانِ

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١٢٧ فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥

كأنه مستجدٌ لم يلمَّ به ... ولم يحوَّل إلى طبعٍ ودَيْدَانِ

وربَّ طبع بلا خُبرٍ وتجربةٍ ... أسْخى على المرءِ من خُبْرٍ وعرفان

ذُخر التجاربِ ذخرٌ لا رواج له ... ولم يخص بأرباح وأثمانِ

ذخر الأقاصيص مسحوراً ومختزَنًا ... فليس للعين منه غير ريعان

إلاَّ تجاربُ علمٍ يستجدُّ بها ... ما يملأ العيش من حسن وإحسان

لولا انتفاعُك من عَادٍ مُقَضَّلةٍ ... قد تجتبيها مع التجريب فى آن

لما خُدْعتَ بأشباه إذا اختلطت ... فعادةُ المرء والتجريبُ أمْران

والخُبْرُ ليس بنافٍ عادةً شَنَاتْ ... ولا يداوى به منَ وْهيِ أبدان

يزيدك الخُبْر علمًا بالحياة وما ... تغرى به الناس من شرٍّ وطغيان

حتى تسير على مجرى سجيتهم ... فلا يزيدك فيها غير إمعان

فإن أبيت سجايا الناس من شممٍ ... قضيت عيشك فى همٍّ وأحزان

إلا إذا ما لبست الدهر عافيةً ... فهيَّات لك من صبرٍ وغفران

ليلة حوراء [1]

رقَّ الظلامُ بليلةٍ ... حوراء كالطَّرف الكحيلْ

سحرُ العيون كسحرها ... بين الشواهد والشكولْ

هى فتنة الحَدَق الملاح ونعمة الطرف العليل

رقَّ الظلامُ كأنَّه ... متفيًّا الظل الظليل

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٨ فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٥

في روضـــــة فـــــينانة هجرَ الهجيرُ بها المقيل

وصـــفَـــا الدجـــا فكأنما مـــزج النهـــار به الأصـيل

فـتـمـازجـا كـتـمـازج المـــ ـاء المصـفّى والشّـمـول

في جُنحـهـا وصـفـائهـا قُـرِنَ الجليل إلى الجـمـيل

وتصـالحـا من بعـد مـا افـتـــرقَ السـبـيل عن السـبـيل

تحنو علينا مـــثلمـــا يحنو الخليل على الخليل

وتخـالهـا حُلْمًـا بسـعـدٍ جلَّ عن قـيـد العـقـول

ولرُبَّ ليلٍ فـــــاحـمٍ فـيكادُ يُقْطَعُ أو يسـيل

لا مـــثلَ لَيْلتِيَ التي تندى على الوجدِ الدخيل

في سـحـرِها وصـفـائِهـا ونجـومِـهـا بُرْءُ الغليل

عمَّ السكونُ كـــأنّه مَلَكٌ على الدُنيـا نَزيل

فكأنَّهـــا رسمٌ بَـــدَا وكـأنّهـا حُلْمٌ مـخـيل

في مـــثلهـــا من هَدْأةٍ سَكَن القـضـاءُ فَلا يَصول

وكـهـدأةٍ في مـعـبـدٍ للخَـاشِـعين به مُـثُـول

وكـأنَّمـا أَغْـفَى الهـواءُ كـغـضَّـة الطـرف الكـلـيـل

والبَـــدْرُ طَيْفٌ فـي المنــــام يُطيف كالحِبُّ الوَصول

في مـــثلهـــا من ليلة عـــبـــد الدُّنا أهلُ الحلول

ورأوا تجــلّـــيَ الله فــي كـــــونٍ عــــراه له ذهـول

والزَهْـرُ كـالمسـحـور وسـنـان المحـاسـن في ذبـول

والنهـر غـاف راكـد نسىَ التَرَقْرُقَ والمسيل

وسنانَ يحلم بالرياض وظلّها فيه الظليل

في مثلها من ليلةٍ يَقِفُ الزمانُ فلا يحول

يُصْغِي إلى نجوى القلوبِ وذِكْرِها العهدَ المحيل

كوقوف نجم سمائها يثنيه من سحر ذهول

كذهول مسحورٍ بما تجلو من الحُلم الجميل

يا ليل بل يا سحر بل يا حُلْمُ ليتك لا تزول

الشتاء في إنجلترا [1]

مقدمة :

يسقط الثلج في إنجلتره شتاءً على شكل حبات الدقيق . فيعلو الأرض والمنازل والأشجار ، فيخيّل للرائي كأنما قد كُسيت الدنيا كساء من القطن . وكأن النهار ليلة مقمرة ، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر . وتذكى النار في المواقد في البيوت ، فَكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية في جنّة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه فكأن في المواقد جمراً وفي الوجوه جمرا ! وتبحث في القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغضّ منها برد الشتاء وثلجه !

(الناظم)

* * *

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٩ ، في ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

نَشرَ الضَّريبُ على البسيطة حلةً ... بيضاء تمحو غبرة الغبراءِ
يسعى على وضح النهار كأنما ... يسرى الفتى فى ليلةٍ قمراءِ
فكأنَّ نور البدر ما حلَّى الثرى ... برواء تلك الحلَّة البيضاءِ
غلب البياض على اصفرار أشعة ... تَهَبُ النهار من اصفرار ذُكاءِ
وعلى المساكن كسوةٌ منه كما ... تعلو المفارقَ شيبة الشمطاء
فإذا مشابهة المشيب كدعوةٍ ... للنفس أن تنأى عن الأهواء
وإذا استراح لمُقْمرٍ فى لونه ... راءٍ ترى الأحلامَ عينُ الرائى
وكأنما فى عالم الأرواح يسعى مَنْ سعى لا عالم الدقعاء
وكأنَّ زهرًا أبيضاً غطى الثرى ... برواء ثوب الروضة الغناء
ولكلٍّ لون حسنه كالليلة الليلاء أو كالقبّة الزرقاء
ولربما اختلف الجمال ، وفعله ... متشابهٌ فى أخذة الصهباء
وإذا المواقد فى البيوت تضاحكت ... من شدة الإيقاد والإذكاء
خِلْتَ الربيعَ سعى إليك بحفله ... والنارَ زهرَ الجنة الفيحاء
يذكى الوجوه لهيبها فتراهما ... جمرين يشتعلان فى الظلماء
ما غضَّ من دفء الحياة ونارها ... ثلج الشتاءِ على ثرى الغبراء
الحبُّ والآمالُ فوق متونه ... كالحبِّ والآمال فى الصحراء
والقلبُ قلب حيث كان إذا ذكت ... نارُ الشباب وشِرَّةُ الأحياء

بحـر الحسـد[1]

مقـدمة :

الحياة هي بحر الحسد . ويسعى الناس في الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر ، كأنما يسبحون في بحر من الحسد . وقد يدفع بعضهم بعضا كي يظهر الدافع على متون أمواجه . وقد يعين بعضهم بعضا في الأحايين . أما المجاملة في الحياة والتحيات ، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفي بجماله ما في البحر من قبح وبلاء ! **(الناظم)**

* * *

يسبح الأحياء في بحر الحسدْ   فاعتصم بالصبر فيه والجلَدْ

واقتعد صهوته مستبشرا   سابحًا في الموج منهُ والزَّبدْ

ضاحكًا من عنت الأمواج ، لا   يُدفَعُ الغائلُ منها بالكمدْ

انظر الأمواج في الشط ، تَجدْ   لُجَّها منهزم الأمر بددْ

إن علَت موجة حقد فاصطبر   أىّ موجٍ في ذرى اليمّ خَلَد ؟

وإذا ما رمَّةٌ لاحتْ ، فلا   تحسب الرِّمة فيه كالسَّند

وإذا لألاتِ الشمس على اليمِّ أخفتْ قبح ما دون الزبد

كمقالِ الخبِّ يخفي كيدَه   إن سطا في العيش في لُؤمٍ وحِقد

وإذا غارَ بك الماءُ فقل :   كم حسام في قراب قد غُمد !

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٠ في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥

رُبَّ درٍ فــيــه لا تـأملـه | إنَّ مَن غــاص على الدرّ وجَـدْ
درةٌ مــخــبــوءة أنتَ إذا | مـا طفَـا باللؤم إن أُغرِقْتَ وغـدْ
أمجد السّــابح إن حــار وكـنْ | للذى أشقَى على الهُلْك عَضُـد
ليس مجـد الغدر أحجى بالفتى | أىُّ مجـدٍ ناله الأوغـاد مجـد ؟
أحـمقُ الناس جهـولٌ خـائف | كُـلَّمـا لاحَ لهُ برقٌ رَعَـد
ليس فى العـيش ولا الموت أذى | إنَّ من ســار على الدرب ورد
لا يَلَذّ الموتَ إلاَّ مُــتــعَبٌ | سـهـر العيش وفى الموت رقـد
رقـدة يا طيـبـهـا من رقـدةٍ | بعـد أن عـانى وأبلى وسـهـد !

الصدى [1]

أمــازحٌ أم ســاخــرٌ يا صــدى | تردد الصــوتَ ولفظ المقــالْ ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم قــائلٌ ذو خــبلٍ لا يعى | أغـراه بالترديد مسُّ الخبــالْ ؟

الصدى : خبال – خبال – خبال !

أم أنت طفلٌ عــابثٌ لا ينى | يلهو ويحكى ما يرى من فعالْ ؟

الصدى : فعال – فعال – فعال !

أم ببــغــاء مــا لهــا فطنة | كم رددت من حكمةٍ أو مثالْ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة ، عدد أول يناير ١٩٣٦ السنة الخامسة ص ٤٨

الصدى : مثال – مثال – مثال !

أم أنت روحٌ لا ترى تبتغى أمراً لدى الأحياءِ صعب المنالْ ؟

الصدى : منال – منال – منال !

أم أنت بعضُ الجنِّ فى خدعةٍ تسكن فى الأطلالِ أو فى الجبال ؟

الصدى : جبال – جبال – جبال !

أم أنت شيخٌ أَفِنٌ إن سها ردّد ما قيل له من مقال ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم كاصمٍ رامَ إخفاءَ ما به فلا يطلب رجعَ السؤال ؟

الصدى : سؤال – سؤال – سؤال !

أم أنتَ مثل الناسِ فى غيّهم كم ردّد الجهال قولاً يقال ؟

الصدى : يقال – يقال – يقال !

يخشون إن شذوا بإنكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال !

الصدى : ضلال – ضلال – ضلال !

فرددوا بغْيًا على ألفةٍ بينهم ، أو رددوا من كلال !

الصدى : كلال – كلال – كلال !

فقولهم مثل الصدى رجعة وعيشهم ما بين قيل وقال !

الصدى : وقال – وقال – وقال !

حكيتهم فى عيشهم ساخراً أذلك العيش وعقبى المآل !

الصدى : مآل – مآل – مآل !

صمت الشك [1]

علم أم ضعف ؟

ألا لا أبيحُ العَيش مدحًا ولا ذما ... سكتُّ فلا عذراً نطقت ولا لَوما

ولا يستقيم القولُ إلا لُمنْتشٍ ... من العيش والآمال لا من صَحَا غما

مللتُ أساطير الحياة فإن أُفِق ... فمن لى بحلْمٍ قد حلمت به قدْما ؟

حلمتُ بحسن العيش والصدقِ والنهى ... أمانىّ لاصماً تبدَّت ولا بُكْمَا

وإن لم يكن عيشُ الفتى حلَم حالمٍ ... فما عُذرُ قولى إن حَسِبْتُ الدنى حلما

فإنْ شئت كان الشكُّ ضعفًا وخَيْبةً ... وإنْ شئت كان الشك منطقه علما

وإن كان أصلُ الوحش والناس واحدا ... فلِمْ فَقَدُوا ظلفًا وقد كسبوا لؤما

وكيف أرى فى مستقبل الدهر للورى ... علاءً ومحْيًا يجمع الخلق والفهما ؟

إذا كان صدق الناس كذبًا وفضلهم ... رياءً ، وودٌّ منهم الغدرَ والسُّما

صحوت كصحو الموت من نوم عيشه ... أترجعنى للعيش ألْعَقه رغما ؟

كما يلعق الآسى العليلُ دواءَه ... وإن مجّ منه علقمًا قد نبا طعما

وهل ثقةٌ بالعيش والناس تشترى ... لأنثرها نثراً وأنظمها نظما ؟

وإن كان مدح المرءِ للعيش خَشْيَةً ... من اليأس كان المدحُ من وجلٍ ذماً

يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ ... ـحياة وإن أغرى بك الأمل الجمّا

وإلا فإنّ الصمت أولى بقائلٍ ... إذا قال قَولاً جدّد اليأس والهمّا

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٢ فى ١٣ يناير ١٩٣٦

علي تافهٍ لا ينقعَ الدهرَ غلة ... ولم يك بين الناس ربحًا ولا غُنما

رأيت زوال الكائنات فلا أسًى ... إذا لم أُخَلّدْ لى مقالاً ولا نظْمًا

سيحدث بعد القول قول يُديلُه ... وإن زال أقوام تجدْ بعدهم قوما

وما الخلد إلا عِزّةٌ وطماعة ... وأنبل كذْبٍ يخدع اللبّ والفهما

يكون الفتى فى اليأس دهراً وفى المنى ... (كأرجوحةٍ بين الشقاوة والنعمى)

وقد حلّ بى دهر إذا ما مدحته ... أظل كحاسى المُرِّ يفتعل البسما

وإن لم يُنلْك القولُ إلاّ مذمةً ... فمن برِّ نَفْسى أن ترى تركه حزما

فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكنْ ... صموتاً فحسْبى أن أرى الحمق والحلما

مللتُ نضالَ الناس فى غير طائلٍ ... وإن كان شراً يصقل الذهن والفهما

وكم شبّهوا فهما بسهم ومورد ... ويَا طالما أشْوَى الصواب وكم أظما

فيا ليت هذا العيش يبدو كصورةٍ ... لعينىَّ أو خطًّا على الطرس أو رسْما

كما تهدأ الهيجاء فى رسم راسم ... تراها فلا قتْلاً تراها ولا كَلْمَا

ترى حسن إحسان وتجويد صانع ... وقدرة فنّان وجهداً له تمَّا

سحر الطبيعة [1]

كئوسٌ من النور هذى الزهو ... ر أم هى أخيلة الشاعرِ ؟

وليست بحُلم ولكنها ... أجلّ من الحُلُم البَاهِرِ

وما خلِّقت لفنون الخيا ... ل فتنة حسنٍ لدى الخابرِ

وماءُ الحياة ونبع الخلو ... د فى مائها السلسل المائر

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٣ فى ٢٠ يناير ١٩٣٦

وعشب قشيب وظلٌّ ظليل ... ادنْيـاً أرى أم مُنى السـاحـر ؟

ومما يـزيـد رواء الـزهـور ... أذى العـيش والقـدر الجـائر

لقد خفت أن تنطوى مثلما ... يزول الخـيـال عن النـاظر

فأسلمت نفسى لسحر الخيال ... لأخلد فى حُسنهـا الزاهر

وغبتُ عن الحسنِ حسن الوجود ... كـأنى روح لدى العـابر

كـأنى نقلت إلى عـالم ... سَيُنشـأ فى الدهر أو غـابر

كـأنى نُقلت إلى جنة ... نـأتْ عن سطا القـدر الدائر

ومما يـزيـد رواء الـزهـور ... أذى العـيش والقـدر الحـائر

الغـابة (١)

قد حكيتِ الآباد كالبحر والصحـ ... ـراء من طول أرضك الشجـراءِ

وحجبتِ الأفق البعيد عن ... الطَّرف فأنسيت منتهى الأشيـاءِ

فكأنْ لامـدى لدوحك يُرجى ... حين تُدْحىَ مطارحُ الغَبـراءِ

ورياح تشـدو على ورق الدو ... ح بألحـانِ شـدة أو رخـاء

منطق لم يدع لنفس شجـونا ... لا يُحـاكى صفـاتها فى الغناءِ

ثم تبدو الغصون فى هدأة الريـ ... ـح كَنَاىٍ مـعلّق بالهـواء

وكـأنى أصغى إلى غـابر الدهر ... ومـا كـان فـيك من أزراء

وكـأنّ المسـاءَ ظلل دَوْحـا ... يتسـامى ولات حين مسـاء

وكـأن الظلامَ دسٌّ كـمينًا ... رابضًا فى آجـامك الدّكْناء

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٤ فى ٢٧ يناير ١٩٣٦

خطرتْ في ظلام دوحك أرْوا ... حٌ وناجت مسامع القدماءِ

لبث القوم فيك دهراً فناَجاَ ... هُمْ سرارُ الفنون بالإيحاءِ

عُمُداً شيّدوا وَسْقفًا لبَهْوٍ ... واستمدّوا من غابةٍ وسماء

حين شادوا للدّين بيعةَ إيما ... نٍ تبَّدت كالغابة اللفّاء

صِرْتِ ملهىً وكنت غيلا مخوفا ... وملاذَ اللصوص والطرداء

وارتضيت الأمان من بعد ذُعر ... لم يزل في المدينة الشماء

غابة شادها ابن آدم نزلا ... دَوْحها من قصورها الزهراء

ربما عرّشتْ وضاقتْ فلا شمـ ... ـسٌ لديها ولا مراحُ الهواء

ومخوفٍ من الفجاءة فيها ... كمخوف في الغابة القتماء

واحتيال ليُقْتَنَصَ الرزق والصّيْدُ ... سواء في مكرةٍ كسواء

كم وحيد لا يعرف الأنس فيها ... أصْبَحت نفسه كقفرٍ خلاء

ضاقَ ذرعًا بنفسه فغدا ينـ ... ـشُدُ طيًّا في معرض الأحياء

عذّبته لواحظ الشمس حتى ... أخذتْه لواعج الظلماء

وأفاعٍ في دُورها وقرود ... ووحوش من ناسها بالعَراء

وغريب ومُعدم وطريد ... قد عداه حتى خداع الرجاء

فكأنَّ الأقوام لم يخرجوا منك ... ولا زال عهدُكِ المتنائي

سُنَّةٌ قد سننتها في نفوسٍ ... إن دَعتها كانت جواب النداء

الحق والحسن [1]

عصيت الحسنَ من همّ ونحس ... ينيخ على الورى فى الطارقات

وقلتُ الحق خير منه عقبى ... وأولى بالنفوس الساميات

وقلتُ أيا رُواء الزهر بُعدا ... ويا سحر العيون الساحرات

ويا مُلح الخمائل لا تكونى ... حبائل قانصات آخذات

ويا شمس اخبئى ضوءا صبيحا ... يغازل حسنه حسن النبات

أليس الناس فى عنت وشرٌ ... سلى الأيتام والمترملات

سلى أهل الشقاء ومادهاهم ... وهل طابت لهم خدع الحياة

رمى بالنسل للآفات طُرًّا ... نشاوى لذّة لا الواجبات

وقالوا النسل فرضٌ أىّ فرضٍ ... جديرٌ بالنفوس المؤمنات ؟

ديار النحس كالجنات حُسنا ... لدى العشاق فيها والهواة

ورنّق من مناقع آسنات ... ألذّ مع الغرام من الفرات

وحيث ترى نعيم الحسن داء ... ترى فقد النفوس الآبيات

وهل ترجوه لاستصلاح أمر ... صريع عقار حسن الفاتنات

فإن الحسن يلهى المرء عما ... يحاول من صلاح الحادثات

ولولا سلوة للحسن ، عِيفت ... حياة فى حضيض الهاويات

فقال الحسن هل أنا غير سلوى ... تعين على كفاح النائبات

أنا الأمل الذى لولاه كانت ... حياة المرء شرّا من ممات

---

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » - عدد أول فبراير ١٩٣٦

أنا الحقُّ الذى تبــــغى جــــداه ... وتنشـــد كـــونه فى الكائنات

أنا المثل الأجلّ ، إلىّ مَـــرْقى ... خُطا الراقين من مــــاضٍ وآت

أنا الحادى الذى يحدو نفوسا ... فــتطرب طِرْبة المستـــوقرات

أنا الصـــبر الذى يودى بنحس ... ويسعد فى الهموم المضنيات

أنا الحبُّ الذى لولاه كـــانت ... وجوه الكون أشبه بالرفات

فلمّا أن تبدّى منه سحر ... أضـــاء بنوره وجـــه الحــيــاة

ولما أن تبـــدى منه سـحر ... أعاد النفس فى مثل السُّبات

خشعت وما ملكت قياد نفسى ... وقلت : الحق حُـسنٌ لو يؤاتى

وإن لم يزوِ نفس المرء عـــمـا ... يحاول من صلاح الحادثات

ما وراء الأمن [1]

« ولكن ما وراءك يا عصام ؟ »

(شاعر قديم)

أمـــــا فكّر هذا النا ... سُ كم من قاتلٍ عاتى

لو أن لكلّ ذى حقـــدٍ ... مناه فى الرمـــايات

لو أنَّ الأمــرَ فوضى لا ... حسيب على الجريرات

لكان الأمـــر مـــا كـــان ... قديماً فى البـــداوات

إذ الأشـــره فى الأرحـــ ... ـم مقضىٌّ المشيئات

ودامى الناب من لحم ... أخيه أو السخيمات

---

(١) نشرت بمجلة « بالمجلة الجديدة » بالقاهرة عدد أو فبراير ١٩٣٥ ص ١١ .

وغـــرّ الناسِ مـــا يـخـــد ... عُ مـــن بـــذلِ المـــروءاتِ
وغـــــــرّ الأمنِ والسلم ... وآيات الســـــمـــــواتِ
ومـن يـصــــغـى لآيـات ... وأرواح رحــيــمـــات
وخـلـف الأمـن والـسـلـم ... كـــحـــرب الذئبِ والشـاة
قـــتـــال بـالـنـكـايات ... وآخـــر بـالـســعـــايات
وبـالـكـذب وبـالـلـؤمِ ... وأرجـــاس الـغـــريـزات
ســلاح كلّ مـــا أسـعـــ ... ـــف فى حـــرب المبـــاراة
ولـو تـقـــتـل الـحـــاظ ... نمت قـــتـلى الـعـــداوات
أسـهـمٌ مـــا بـدا فى اللحـ ... ـــظ أم ســـهـم الحـــزازات
وقـــوم الـزمـن المـاضـى ... كـــقـــوم الزمـن الآتـى

* * *

ســـألـت اللّه أن يـخـلــ ... ـــف ظنى عند مسبقات
بأن يـخـلـف أقـــوامـــاً ... كـرامـاً فى الـسـجـيـات
فـمـن فـجـار مـهـواة ... إلى أطـهـــار مـــرقـــاة
ومـن رجسِ المـبـــاراة ... إلى طـهـــر المؤاخـــاة

نـذالـة التـعـاسـة (١)

كـدتُ أنْسى دواعىَ الرِّفْق ممـا ... قـد أرتْنى نذالة التُّـعَـسَـاء
يقـضـمونَ اليـد التى تَنْتَحِيهمْ ... بســخـاءٍ ونجـدة وإخـاء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٣٦ فى ١٠ فبراير ١٩٣٦ .

ويكيدون فى الخفاء أو الجهـ ... ـرةِ أَلْئِمْ بِجَهرهم والخَفاءِ

عشّش اللؤم حيثما عشش البؤ ... س سوى فى القليل من كرماءِ

ليس بدعاً ، أليس ما نغَّص العيـ ... ـش من البؤس باعث الشحْنَاء

كل قلب تبيت من حَسَك البؤ ... س مليئاً بخسَّة الأدنياء

يتلظَّى شراً ويرشح غدراً ... ويُداجى خوفاً بثوب رياء

يلؤم المرء وهو غير شقىّ ... كيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء

ليزيدَنَّهُ اغتيالا وحِقْداً ... وافتراساً على حُطَامِ الرّخاء

وسُعَاراً لَوْ انّه نال من أرْ ... ضٍ لجُنّتْ زلالزل الغَبْراء

وهو غلٌّ لو حاقَ بالشمس أمسَى ... مثل ذرّ الرماد وجهُ ذُكاء

ليس شر البأساء قصراً على النحْـ ... ـس ولكن كم أشعَلَت من عَدَاء

وحقودٍ وخسَّةٍ وسعار ... واغتيال ومكرة ورياء

تفسد الأنفس الكرائم حتى ... تَغتدى مثل أنفس اللؤماء

ضَاع عطف الرحيم إذ ضاع حسْن الـ ... ـخُلقْ فى خِيم أنْفُسِ التّعساء

وعظيمٌ ما أفسد النحسُ من خلـ ... ـق هضيم ورحمة الرحماء

كم شقاءٍ يمضى وفى النفس منه ... أثر واضح لغير فناء

من عوادى سخائم لست تدرى ... هى بالمرءِ علة الأدواء

أم هىَ النفسُ سقمُها مثل سقم الـ ... ـجِسْم من إحنةٍ ومن شحناء

مثل ذل الشعوب خلَّف لؤما ... بَعْدَ فوْتٍ من عهده وانتهاء

وصفات الشعب الضعيف لَتُلْفى ... فى جسومٍ صحيحةٍ أقوياء

من رياءٍ وإحنة واحْتيال ... وتعادِى تخاذلٍ وافتراء

شيمٌ يدرأ الذليل بها من ... عجزه سطوةً من الأعداء

أصبحت شيمة النفوس وإن لم ... يك ذل ولم يكن من عداء

فـمستى يلبس الخـلائق طرًا ... طيب نفْس فى شملة النعمـاءِ ؟

ليس إلا بهـا نجـاء نفـوس الـ ... ـناس طُرا من خسّـة الغبْـراء

فـاطلُبنْهُ فيـهـا وإلا فـدَعْ نشـد ... ان أمـرٍ بغـيـر داعى الرّجـاء

بين الـثريا والـثرى[1]

الحمل الجدى والسرطان : هى الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن الشباب لايهتم بما يخبئ له القدر ؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يُخبِّئهُ له القدر . (النـاظم)

١ - الشـبـاب

تُذكـرنى الشـبـابَ وقـد علونا ... به فـوق المجـرّة والنجـومِ

ونحن الخـالدون وكـان حـقـاً ... خلوُّ الخـالدين من الهـمـومِ

سوى الحزن الذى عُقبـاه ضِحْكٌ ... يرنّ صـداه فى ضحك الهزيمِ[2]

وطِئنْا فـوق أطلال الدرارى ... وأشـرفنا على بيـد السـديمِ

فـلا حَـمَلٌ ولا جـدْىٌ رقـينا ... ولا السـرطان ذو البـرج العَظيم

ومـا من صَوْلَةِ الأقـدار خـفْنَا ... ولا لاحَتْ لنا مـثل الغـيـوم

بأرواح لهـا فى الأفق مـسـعى ... وتحليق على العـيش البـهـيم

---

(١) نشرت بمجلة الرسالة - العدد ١٣٧ فى ١٧ فبراير ١٩٣٦

(٢) ضحك الهزيم : يُراد به صوت الرعد .

ركَضْنا في السماء لكل نجمٍ — حُنُوَّ الطير للزهرِ العميم
وحوّلنا وجوهَ الكون كأسا — حسوْناها ولم تَكُ من كرومِ
ولم نعْبأ بما تُخفِي الليالي — ولم نخْشَ المنيّة في الهجوم
وأسْلَفَنا الزمان نعيم عيش — ولم نحذر مقاضاة الغريم
وكنّا في ائتلاف الشمل نحكي — نظام الشهب والدرّ النظيم

٢ - المشيب

سكنّا الأرض بعد الأفق دارا — وأنزلنا إلى بطنِ الأديم
وأُفْهِمْنا القضاء وما فهمنا — وقل ما شئت في لغْوِ العليم
وكُسّرت القوادمُ والخوافي — وهِيضَ العَظْمُ في الجسم الكليم
صحونا للحياة وما تراه — من الخلق المُقبّح والذميم
فمن حذرٍ إلى بخل وذُلّ — وسوء الظن بالخلّ الحميم
أطلّ الموت من كثب علينا — وظِلُّ الموت أصبح كالنديم
تُرَوِّعنا الصروف بكل خطبٍ — وخطب الموت أهون للفهيم
وضاعت جدَّة الدنيا وصارت — كأطمارٍ على جسم العديم
يحُاربنا التذكّر والتمني — كلا الأمرين يُفْضي للهموم
وقدما قد نعمنا بالتمني — وأملنا الخلود على النعيم
وليت الذكر، وهو نذير شجو — يدوم بروقةِ العهد القديم
سننسى أننا كنا قديما — على هَام الثريا والنجوم

بيان ماض وحاضر[1]

أنشـودة

عــهــدى بالعــيش على رَغــدِ	عــذباً كــالماءِ حَــسَــاهُ صــدى
نـغـمٌ والـدهـر يُـوَقِّــعُــهُ	يـسـرى كــالنَّشْـوَةِ فى الجـسـد
يـاليـت الـدهـر كـمـن يـشـدو	بـأغــان إن يُـطْـرِبْ يَـزِدِ
إن قـلـتُ أعـدْ نـعـمى عـادت	كـتـرنُّـم ذى النَغَـم الفَـردِ
حـسنات كـنت بـهـا ثمـلاً	ذهـبـتْ فى الـدهـر فـلـم تَـعُـد
آمـالٌ كـنت بـهـا شـغـفـاً	نـظرَ الـولـهـان إلى الخُـرُدِ
أحـلامٌ كـنت بـهـا جـذلاً	قـد شحَّ النـوم ولـم تجُـد
وشـبـاب ذقـت بـه خـلـدا	فـى طـرفـة عـينْ مـن أبـد
لـو دام دوام الخـلـد لمـا	نقـع الظَّمْـآن من الصَّـفَـد
لو عـاد بـذلـتُ لـه ذخـرى	من مُـطَّـرَفـى أو مُـتَّـلَـدى
بـشـعـاعٍ مـنه أعـيـش مـدى	دفـءٌ لـلشـمـس عـلى بُعـد
آبَ الـتـذْكـارُ لـه شـبـحـاً	أو قَـبـراً شِـيـد لمُـفْـتَـقَـد
مـا خَـلَّـفَ لـى دهـرٌ ثـقـةً	بمـآل فـيـه أو أحـد
يـانـبْـع المـاضـى لـو عـاد الـ	ـوُرَّادُ إلـيـك عـلـى جَـدَد

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٨ فى ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .

لرجعتُ إليك رجوعَ صدٍ ... لم ينْهَلْ قَبلُ ولم يردِ
وغداً ماذا يادهرُ ترى ... قد قُدِّرَ لى بضمير غد ؟

صور الصداقة والعداوة[1]

وفيٌّ غادرٌ سمْحٌ حقود ... أرى الأضدادَ فيك إلى لقاءِ
أمدحُكَ لى انتقام من عدوٍّ ... أساءَ إليك أم محض الثناءِ
وفاؤك كى أبادلك التّحايا ... أذا سَبَبُ التقرُّب والتنائى؟
وكيما أصْطلى وأشنّ حربا ... على مَنْ مَدحُه لك كالهجاء
أتخدعُنى ولم تلحق بسنىّ ... ولم تظفرْ بخبرْىَ أو بلائى ؟
وتمذق لى إخاءك مذق حقد ... علىّ وما أصبتُك بالعداء[2]
تحاربنى وتحسب أن ستخفى، ... عداؤُك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نَعامةٍ للرأس تخفى ... وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولستَ بأول المُخْفين بُغْضاً ... نما بين المحبَّة والإخاء
عرفتُ الناس قبلَك ياخليلى ... وذقتُ الغدر من حلو الوفاءِ
فإنْ كان الولاء كما أراه ... فويْلى من وفائك والولاءِ
وبُعْداً للمديح وإن تغالى ... وسُحقا للمروءة والصفاءِ
سل الخلاّن ما فعلوا بقلبى ... وهل أبْقوْا لشدقك من غذاء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٠ فى ١٦ مارس ١٩٣٦
(٢) يمذق الإخاء : أى لا يخلص .

وهل أبقـــوا لبطنك منه شِلْواً ... مـريراً لا يســاغ على عـداءٍ ؟

أعـيــذُكَ أن أراك شـبـيـه قـوم ... رجـولةُ بعـضـهم فـقـد الحـيـاء

وهمْ فــقـــدُوه من ذلٍّ وعـــارٍ ... وهمْ فــقــدوه من فــقــدِ الإباء

وكم أخـفَـوْا رخـاوتهم بهُـجْـرٍ ... كـمن فـقـد الحـيـاء من النسـاء

وهـم مــثل الهلوك رمت رجــالاً ... بما قــد صحّ فـيــهــا من هـجـاء

علـى الأواب واقـــفـــة تَـنزَّى ... وتـرمـى القـــوم مـن دانٍ ونـائـى

وتحـــسبُ أنهـــا نفـــضت خناها ... كـــجلد الكلب هُزَّ لِنَفْضِ مـــاء

فــلا يعــديك خلقُـــهُم فــإنى ... رأيت الخلق يُعــــدى كـــالوباء

صــفــحتُ ولو أردتُ بلغـتُ ثأرى ... وقـد عُـرف اقـتـدارى فى الرِّمـاء

فـــإن يأبوا وإن تـأبى سـكـوتـى ... فــمــا صــمــتى بغىٌّ الأدعــيــاء

ولا يُعليك بين الناس خـفْـضـى ... ولـم تـبـعـدْ بأفـقـك عن مـــائى

لتنزلنى إلى حــيــث اســتـقـرتْ ... بك الـدنيـــا تقَّتنُ فى الـعـــداء

تُخَـــبِّـرُنـى اللحـــاظ بِغلّ قـــوم ... على مـــا نلتُ من فُـرص الرخـــاء

وكـنتُ أظنّه حـــســـداً لقـــوْلى ... فـخلت الصـمـت أقـرب للنجـاء

ولو سـمـعـوا بموتىَ مـا اسـتـراحـوا ... ولا يـشـفـى حــقــودهم فنائى !

أرادوا لى المـمـــــات ولو دهـانـى ... لفـرط الحـقـد أُحْـسَـدُ للفناء !

فـلا يُرضـيـهـمُ عــيـشى رخـيّـا ... ولا يرضـيـهـمُ منى عـفــائى

وفى الـدنيــا الدنيـئـة هان سـمحٌ ... تعــالى عنْ سِــلاح الأدنيـــاء

إذا مــا أحــرجـوا ســمــحـاً كـريما ... تـدَّرع بـالـقـــواذع فـى الـرمــــاء

دعُـونى صامـتـاً فـالصـمـت أوقى ... لـكم إن لـم تـصــولوا بالـغـبـــاء

أداجي الناسَ مـا داجـوا وإنـي ... لأزهـدُ فـي الـدّهـان وفـي الـريـاءِ

ولكنّ الحـيـاة لهـا قـضـاء ... فـمـن يأباه يزهد في البـقـاءِ

ومـا أدري لدن أُلفي عُـدواً ... أأبْلَه أم تبـالـه بالعـداء ؟

أخَـوَّفَـه أذاىَ أخـو دهاء ... أخَوَّفَـهُ ذكـائي واعـتـلائي ؟

أتمّقَ وعـده بالخـيـر إمّـا ... تمادى مَنْ تمادى في الجـفـاء؟

أسَـعْيُ سـعـاية أم قـولُ واشٍ ... يحكّمُـه المُحَكَّم في الخـفـاء ؟

أرجّاه مُـرَجّي الخوف مني ... ضـلالاً نيل عـونٍ أو ثنائي؟

أعَدْوى في التثاؤب من كسولٍ ... كـعـدوى في العداوة والإخاء؟

أرَشحُ اللؤم في رهط وضـيـعٍ ... يفـيض بما يشـاء من الأداء؟

ومن عـرف الأنامَ رأى أمـورا ... مُـرَعْـبَلةً كرعِبلة الكساء[1]

أراها كلّهـا صـوراً تنزّى ... تنزّى الآل في الخـرْق الخـواء

سرابٌ لست أتبعه فأخشى ... هلاكـاً لا ، ولا هوَ منْ رجائي

أنا المرء الذى عرف البرايا ... فلا يردى لعـادٍ أو لشـانئي

ومن خـبـرَ الأنام لصنع فنّ ... فكل الخلق من صور الأداء

تراموا بالهجاء فإن أصابوا ... فـرهطهم الملَطَّخُ بالهـجـاء

أليسَ الرهط فَـرْداً ثم فـرداً ... وأوصـافًا لهـا عـدوى الوباء؟

نعـتُّم رهطكم لما نعـتُّم ... نفـوسكم بأوضـار الرمـاء

نفـوسكمُ معـرّة كل رهطٍ ... ومدرجة الشعوب إلى الفناء

ومـهـزلة المكارم والمعالي ... وهل لؤم يئول إلى عـلاء؟

لعلكُم حسبـتمْ كل شـرّ ... إلى عـودٍ بخـيـر وانتحاء

---

(١) الرعبلة : الثوب البالي .

الهاربون من القضاء[1]

أتظلُّ موهونَ الجنان مروَّعا — قلقاً من الآفات والأقدار
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة — هبْها نصيب الموت فى الإصْغارِ
قلقاً تطلّ على الحياة كأنما — منها وقفت على الشفير الهارى
تخشى الحياة وكذبها وسفالها — وصيالها فى قسوة الغدّار
والحىّ يأكل من حياة مثيله — لَحْسَ الضوارى للدم المدرار
وتطاول المغمور ينحو نابها — كتطاول الغرقان فى التيار
متشبثاً منه بِعِطفىْ سابح — ليجرّه لمهالك وبوار
كلٌّ يخال الدهر إن هو عاقه — خطب الجميع بقاصم الأعمار
والموتُ يعصف بالدهور وأهلها — فكأنها صور الخيال السارى
فعلام تخضع للتناكص والأسى — وتخاف حكم الله فى المقدار
والقلب يلمسه الأسى فيهزُّه — وكأنه وترٌ من الأوتار
وعلام ترتقبُ الزمان وصرفه — والغيبُ وهو مُحجَّبٌ متوارى
عمرى لوان الغيب عاجل وانقضى — لقرأته خبراً من الأخبار
فمتى ترى صور الحياة صحائفاً — وكأنها سفر من الأسفار
لا إنها أمرٌ تُزاوِل صرفه — وتظل تعدو منه فى مضمار
أو تغتدى بين الأنام مغامراً — تسعى على سَنَنٍ لهم وشعار
فإذا أسيتَ أسيت طرفة ناظر — وإذا نسيت نسيت كل عثار

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤١ فى ١٦ مارس ١٩٣٦ .

وكذبتَ ما كذب الأنام ولم تجِدْ   في قسوةٍ منْ خِسَّةٍ وشنارِ

ونسيت ما جلب الزمان لأهله   من محنةٍ أو مهلك ودمار

فتقول للقلب المروع إذا نزا   حذَر الحياة وصولة الأشرار:

يا هارباً من صولة المقدار   أتُراك تفلت من يد الأقدار !

اهربْ إذا ما اسطعت فى أزل الدُّنى   أو فى مدَى الآباد والأدهار

أو فى المماتِ وما تُلاقى خلفه   بين الفناءِ ومعقل الأسرار

تعدو ويدركك الذى خلّفته   كالليّل ليس يفرّ منه السارى

كلٌّ من العيش المروِّع هارب   لو فاز خَلْق فى الدنى بفرار

بالفنّ أو بالعلم أو بمجانة   أو بالسّطا والجند والأنصار

فإذا القضاء مآلهم ونفاذه   كحصادِ كل وسائل المختار

سَلْ صفحة التاريخ كم قوم به   أجراه مجرى الدهر فى مضمار

أقوام أدهارٍ مضت بعضٌ لها   ذكرى وبعضٌ مالها من دارى

قد أبدلوا طبع السَّفالِ بأنفس   من طبعها المتصاعد السَّوَّار

صاروا إذا غضبوا وإن سروا وإن   درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدار

يتمرغُون مجانةً فنفوسهم   وجسومُهم كمزابل الأقذار

وصموا الشباب ولم يكن من طبعه   خلق اللئيم العاجز الغدَّار

إنّ الشباب مُروءةٌ وسذاجة   وترفّعٌ ينبو عن الأوْضار

تخذوا السُّفَال مجنّهم ليصونهم   من صولة الغلاب والمغوار

فغدا السُّفَال سعادة ومسرة   عبث الخنا ومجانة الفجار

نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة   للنائبات مجانة العُهّار

---

(١) الرعبلة الثوب البالى .

قد خِيلَ فى فقدِ الحياة رجولة ... فقدُ الحياء رجولةُ الدُّعار

طبعُ المجانة عمَّ حتى خلته ... كيداً يحاك عليهمُ بِسَرار

أمْ وُرِّثوه عن الجدود غنيمة ... يطفو الذليل بها على الأقدار

وُيذل من عنت الحياة وضيمها ... بسعادة المُجّان والفجار

وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن ... كتنابذٍ بطبائع الأحرار

واستمرءُوا مرعى الغَباوة والخنا ... إِلْفَ السجون لطول عهد إسار

هزموا الدهور الغازيات بهزلهم ... فمَضْت وظلواُ رهن عقر الدار

فإذا الدهور جديدةٌ قهَّارة ... وإذا اللِّئام فريسة الأدهار

درجوا علىَ دَرج الحياة إلى الردى ... من بعد جهلٍ راقهم وصغار

صديق البلاء[1]

يغدرُ الناس فى الشقاء ولكنْ ... عذرُه فى الرّخاء لا فى الشقاء

إنْ تفدْ نعمةٌ علىَّ تلظَّى ... حسداً لى وكان من أعدائى

فإذا الدهرُ مال بى كان بكا ... ءً على مِحنتى وطول بلائى

المُواسى فى الحزن حتى إذا ما ... كنت فى غبطة سَطا بالعداء

فى سقامى حلو الحديث شَهىٌّ ... وهو يرجُو أنْ لو يُخلَّدُ دائى

فإذا ماصَحَحتُ عاودَ بُغضى ... ويله لوْ أُعدُّ فى الأقوياء

لدهاه الأسى وطال عليه الـ ... ـهَمُّ حتى يموتَ بالبُرَحاء

إن هجانى العدَو أحسن قولا ... دَافعاً فِرْيةَ العدا بالثناء

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٢ فى ٢٣ مارس ١٩٣٦ .

فـإذا مـا مُـدِحتُ همّ بقـتلى ورمـانى بقـذعـه والهـجـاءِ

ياصـديقَ البـلاء عطفُك فى النحـ ـس رياءٌ أبغـضْ بـه مـن رياءِ

إيه ياقلب مـادهاك من الخـ ـلاَّن أدهى من صـولة الأعـداء

خلتَ أن الصديق مثل نسيمٍ نـافـع لازم قـليـل العَـنـاء

لا تنال الحـيـاةَ إن لم تنلهُ برُّه كـالإخـاء خـيـر غـذاء

إن تقـدّمت لا يعـوقك منه عـائق فى منادح الأرجـاء

ويعى مـا تقـوله ثم لا يلـ ـبثُ حـتّى يذيع فى الأنحـاء

من مديح تطرى به مجدك الأمْـ ـجـد أوْلبّك السنىّ الذكـاء

إن تُـردْهُ تجـدْهُ أو لم تـرِدْهُ لـم تـخف منه زورة الثـقـلاء

مـا اختـفى فى دخيلةٍ منه إلاَّ مـا بَدا ظافـراً به كل رائى

ويك إن النسيم قد يُرمِد الطر ف بسَـافى التـراب والأقـذاء

وهو مثل الصديقِ حَـراً وبردا فى اختـلاف الحالات والأجـواء

وله عـذرهُ إذا اعـتكر الجـ ـوّ وأنحى بالصَّرْصـرَ الهوجـاء

وعلى غِـرَّةٍ يبلّك بالمطـ ـرةِ من بعـد رونق وصـفـاء

وهو خـدن الممـات واسطة العـد وى رسـول الوبـاءِ والأدواء

عجائب مألوفة[1]

اليس عجيبـاً أن أحـدّ بميتـةٍ ورأيى أتىٌّ للخلود نظيـرُ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) فى أول أبريل ١٩٣٦ ص ٦٠ .

وإنّى أقضّى العمر فى جدّ آمل ... وأعلم أنى للفناءِ أسيرُ

وإن دهوراً بعدنا ، ثم بعدها ... دهور ، توالى بعدهن دهور

وإن على هذا الثرى عاش قبلنا ... شقىٌ بما نسعى له وأسير

ولست ترى من لايرى أن نفسه ... لبابٌ لهذا الكون وهو قشور

فلم يُجْدِه إعزازه النفس إن دنا ... رداه فلم ينجدْ عليه نصير

ويعلم كلُّ الناس هذا ولم يكن ... ليردع عن بغى الحياة مغير

وأن أرتضى للطرس ما أنا قائل ... وإن راعنى أن الحياة غرور

وأغضبُ إما سبنى فمُ هالك ... وأعلم ما يؤذى الغداة هرير

وأرهب صرف الدهر فى كل طارقٍ ... وأعلم أن الدائرات تدور

وأعلم لا يبقى سرور ولا أسى ... أحلّ حبور أم أناخ ثبور

أليس عجيباً أننى اليوم عاجب ... وعلّ حياة ما حكاه سمير ؟

وأن لا أرى الشرَّ الذى لايمسنى ... وأحسب أنى عالمٌ وخبير

وإن كان علمٌ فهو أنى أخاله ... دهانى وإلا فالبعيد يسير

وأنكر ما قد كنت فى السعد مادحاً ... به الناس إلا أن يعود حبور

أليس عجيباً أن نناط بمعجبٍ ... من الرأى والمزجى الفعال شعور ؟

وإنّ وجوه الكون فكرة ناظر ... سيفنَى ، وكنه الكائنات ستير

وأبغى صلاحَ الكونِ والناسِ مثلما ... مضى فى بناءٍ مالكٌ وأجير

كأنى خلقت الكائنات وأننى ... على الناس قاضٍ حاكمٌ وأمير !

عند بحر مويس شتاء[1]

كمْ خشع العابرُ من قبلنا على ضفافِ النهر وقت الأصيل
أوْ فى مساءٍ إذ تُرى ظلمة قد عشَّشتْ فى الدوح دوْحا كفيلْ
وربما كنّا الأُلى قد مضوا وإن نأى الظنّ وعزّ الدليل
وما الذى ينأى بنا عنهمُ من منظرٍ أو خاطرٍ أو ميول؟
كم منظرٍ تحسَب إمّا بدا من أخذة الفكر ووهمِ الذهول
أنكَ - والقلبُ خبيرٌ به - أجلْتَ قدْما فيه لحظ المجيل
الدوحُ كالمفكر فى هدأة إذْ سكن الجوّ سكون الكهول
أو ثاكلات طَال ثكلٌ بها فَسكَّنَت من شجوها والعويل
أو صمتت من طولِ ما عمِّرت كصمتة الشيخ الوقور الجليل
والنهر كالزئبق فى لمعةٍ وركْدَةٍ ما إن بها من مسيل
عهدتهُ فى صيفه لؤلؤا لو أن للؤلؤ سيلاً يسيل
والسحبُ كالأشجار قد عرّشتْ فى الأفق تبدو مثل ظلٍ ظليل
أوْ قطع من حُلم غامضٍ أو كمشار النقع أو كالطلول
والجو قد روّع من قرّه كأنه قرّمات يصول
أنفاس ثغر الموت فى قرّه تخرج من ثغر لجسمٍ محيل
والأرض غبراء سوى ما بدا من عشها منتشرا كالفلول
كأنما الدجن غدا تُربها وتربها الجَهْمُ كدجنٍ سديل

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٤ فى ٦ أبريل ١٩٣٦
وبحر مويس : ترعة كبيرة تمر بالزقازيق ومديرية الشرقية فى مصر .

تشـابهتْ فى اللونِ عـهـدي بهـا — فى صيفها ، واللون غيـر القليل

عـهـدى بهـا كـالخود فى غرسـهـا — زاهيـة الأصـبـاغ شَـتـى الذُّيول

خـيلَ حـداداً إذْ دَجَـا لونُهـا — وهو كـعقب العرس حتم البديل

خـلاعـة للصّـيف خـلابة — وفى الشتاء الحُسْنُ جم الفصول

تبـاينَ الحُـسْنان فى روقـة — لكنه زاد جـلال الجـمـيل

كم مـتـعـة جـاءت بهـا رهبَـةً — كـرهيـة البـرق وعـادى السّيول

قرب الموتى[1]

يارُوحَ إلف أليف الموت والحفـرِ — قُومى اسألى عن أليف الهمّ والسهرِ

أوْ فـابْعثى هاتفـاً بالليل يُؤنسنى — لو كـانَ للميْت من شوق ومن ذكرِ

وَخَلِّقى فـوق قـوم كنتِ زينتـهم — كالطيْر تهبط فوق الوكر فى الشجرِ

فـإنَّ نورك نور النجم يرشـدنا — ورحلة العيش تحكى رحلة السفرِ

أو كـالملائك تهـدى وهى خـافيـة — وتشعر النفس طهراً ليس فى السِّير

عـجـزٌ عن الشرِّ لم أبْصرهُ فى نفرٍ — ياشرَّ مـا خَلَّفَ الأحبـاب من نفرِ

غـرارَة ربما لـو عـشت مـا بقـيت — إذا عـداك الرّدى عن مـهبط البشـر

هل تلك طبعُ الصبا تودى الحياة به — لا بل غـرار فـؤادٍ غـيـر ذى نُكرِ

فـصـانك الله فى أمن وفى كنفٍ — وقُدْسِ طهْرٍ كـصون المرء للذّخرِ

كـأنما أنتِ ذخـرٌ لا يجـود به — على الدُّنى وهى من ضَيْرٍ ومن أشرِ

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٥ فى ١٣ أبريل ١٩٣٦

ما أقربَ الميت من حيّ وإن بعدت — مكانة بين هذا الوردِ والصَّدرِ
إن الأولى خلفونا بعدهم ومضوا — ما خلّفونا وإن غابوا عن النظرِ
همْ في الأمانيِّ والأرواح والذِّكر — منّا وفي القلب والأشجان والفكرِ
فكيف تجزعُ من فقدٍ وما انتقلوا — إلا إلى النفسِ حرزاً ريم من غيرِ
يا قربَ دارهمُ من واصل لهم — بالنفسِ إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حيٍّ يُغايرها — أشدّ من وحشة في السمع والبصر
من حاضرينَ وإن ماتوا وإن بعدوا — وإن غدوا كحديث الركب والسَّمَرِ
وربّ ذكرى تعيد الميْت في شبحٍ — يكادُ يُلْمَس لولا رادع الحذرِ
ماضٍ من الدهر والأقوام يُخبرنا — أن لا مسافة بين المهدِ والحُفرِ

نحن والزمن(١)

مقدمة:

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرةٌ من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه ، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحوّل ، وفكرة الزمن هذه أمر نسبى شأنها شأن الإحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصوّر العقل مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف في حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها في نظر الإنسان ، وهى أيضا قد تختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضاً قد تختلف في نظر الإنسان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ٤ مايو ١٩٣٥ - العدد ١٤٨

فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة ، أو مرض أو صحة ، والعجيب أن الإنسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوّره كأنه شيخ مُفن فى يده منجل ، يحصد به الناس والخليقة ، جيلاً بعد جيل ، والدهر خليق أن يُمثل بفتى فى ريعان الشباب !

فالإنسان يهرم ، والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر . ومن أجل ذلك تصوّر بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضى فيه ولا مستقبل ، وأما الماضى والمستقبل ففى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه .

وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم ! (الناظم)

* * *

ينشد البحر خرير الحقب	أم خُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمنِ[1]
أم ترى الأفلاك فى دوراتها	رتّلتْ منهُ خفيّ اللَّحَنِ ؟
فرش الناسُ له منهم وُجوهًا	خَدَّدَ الدهرُ بها ما خَدَّدَا
أثرٌ فى سيره من قدمٍ	جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمردا[2]
زعمَ النّاسُ إذا أمضاهم الـ	ـدهر أنْ أمضوا من الدهر سنين

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريرا من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضا قلب ، نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن بإحساسه . (الناظم)

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الإنسان آثار قدم الدهر ، وهى كآثار قدم الإنسان فى الرمال.

يستطيع البذل مَنْ يقوى على ... خَزْنه ، هيهاتَ ذا من هالكين

كم ملوك وَدَّهُمْ لو تُشْتَرَى ... منهُ عند الموت بالذّخرِ التليد

سنةٌ ، أو ساعةٌ ، أو طرفةٌ، ... فإذا الدهر قضاءٌ لايحيد

إيه يا دهرُ لقد شاطرك الـ ... حُكمَ في الناس قضاءٌ لا يَحول[1]

أَرْدِه يا دهرُ واعقدْ غيره ... إنما القِرنُ على القِرنِ يصول

كم شقيٌّ أبطأ الموتُ له ... ودّهُ أنْ لو يكون الأسرعا

سَلَّمَ الدهر عليه مثقلا ... ثم ما أبطأ حتى هُرِعا

وسعيد يجتني من عيشه ... زهراً يرْجو لو الدهر تأنَّى

فسواء مُتْعَسٌ أو مُسْعَدٌ ... أيْن من يَحمد خَطوَ الدهر أينا؟

نحن نبغي من زمان فُسْحَةً ... هل ربحْنا من زمان قد قضى؟[2]

لو يعود الدهرُ مردود الخُطَى ... لفعلنا فعلنا فيما مضى[3]

وصفُوا الدهرَ بشيخٍ حاصدٍ ... أشيب في يده كالمنجل

وَهِمُوا في شيب دَهر يافعٍ ... ذى فتاءٍ خالد لم يَنْصَل

يسرق الدهر بهاءً رائعاً ... ويُعيد النّؤْىَ حُسْنًا أروعا

فهو كالرسَّام يمحو صورةً ... ثم يستنبطُ رسماً أبدعا

وتَرَى الدهر مُغيراً آسياً ... يدهُ تأسو وأخرى تَجرَحُ

(١) فالقضاء لا يحول عما يراد بالخليقة.

(٢) فسحة من الزمن : أي زيادة منه ، وقضى : أي مات واندثر ومضى .

(٣) كثيرا ما تمنى الإنسان نفسه بأنه لو عاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل وهذا وهم ، ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه . (الناظم)

والذى فى القــوم بالرزء يصــول　　يمنحُ السلوان فـــيـــمـــا يمنحُ

ولَعَلَّ الـمُـضْـمَـرَ المخـبـوءَ من　　مـصـرع الدهر يُرى بالأعين

مـصـرعُ الدهر مَـمَـاتٌ للدُّنى　　كـيف يبْـغـيـه الورى بالإحَن ؟

مـوتُه مـوتٌ لمن قـد قـاسـه　　باتـصـال الفكر أو خـفق القلوب

عـجـبًـا نحن خلقناه فـمـا　　نسبـةُ الظلم إليـه والعيوب[1]

أقوام بادوا[2]

مفتاح القصيدة :

جعلوا لِطبع اللؤم كل قداسة　　و تحرّزُوا من سنة المختار

المختار هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل من نبذ سنة الله ورسوله ، لابد أن يصير إلى ما هو موصوف فى هذه القصيدة من الصفات ؛ ونعنى بالنبذ نبذ القلب وإن لم ينبذ اللسان ، ولا نعنى أحداً بالذات ، وإنما هى صفات يعرف كل متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار .　　(الناظم)

* * *

(١) خلقناه : بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الإنسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس .

(الرسالة) ربما كان لبعض العروضيين فى أبيات القصيدة رأى لايتفق مع حرية الناظم .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ١٤ فبراير ١٩٣٨ . وقد أضاف الشاعر فى ختام هذه القصيدة ١٩ بيتا كان قد نشرها من قبل فى قصيدته « الهاربون من القضاء » (ص ٦٥٧) لتشابه موضوع القصيدتين . فحذفت هنا لتكرارها دون أن يخل ذلك بالمعنى .

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ماشانَهم		من بهرجٍ في مطلب غرّارِ
عاشوا عبيد كلامهم لم يدلفوا		من خلفه لحقائق الأفكارِ
جعلوا حطام اللؤم أعلى مكسبا		وأعزّ محمدةً ليوم فخارِ
يخفون أوزار النفوس بمنطقٍ		فينمّ فاضح خافيَ الأوزار
حسبوا اغتياب الغائبين مطهّراً		لنفوسهم من خزية أو عار
كلٌّ يغار من الإجادة جُهْدهُ		مثل النساء تغار كل مغار(١)
يحكي عظيمُهم الحقيرَ سفالة		متكثّرا بدناءة الأنصار
يخشى البريء قضاءهم من خطةٍ		لم تُعفِ ناسًا من هوى الأصهار
العدل فيهم أجر كل مملّق		جعلَ النفاق عصابة الأبصار
كلٌّ يعاقب من يريد أليفه		ضرًّا له لا الكره للأشرار
الكذِب عجز فيهمُ وخساسة		والصدق عبد مزدرى متوارى
ندم المجيد على إجادة قوله		أو فعله من ضيعةٍ وضرار
الضيمُ ما يجزى اللئامُ مُجوِّدا		فيصون كلٌّ عجزه لفخار
سبقٌ بمضمار الحياة يحوزه		متخلِّفٌ بالغشّ في المضمار
وتفرقوا إلا لدى التهويش والتضـ		ـليل فهو مؤلف الدُّعّار
وتخالُهم حشرات روْثٍ مالهم		إلا به حظٌّ من الإكثارِ
وكأنَّ كلَّ إجادة قد دهورت		من عقلهم في بؤرة الأوضارِ(٢)

---

(١) تغار النساء في أمور الجمال واللباس ، أما ضعاف العقول من ذوي النفوس المسفة ، فتغار من كل إجادة في القول والعمل ، وهذا أعظم أسباب تأخر الأمم ؛ لأنهم يحاربون كل مسببات التقدم ، ويهزء من يقول إنها لاتهزم في أماكن الانحطاط .		(الناظم)

(٢) الأوضار : الأوساخ .

فكأنما أذهانهم بالوعة ... أخفتْ نفيسَ الدرّ في الأغوارِ

كلٌّ يلوذ بإثرةٍ ويخالها الـ ... إيثارَ بئس مزيّف الإيثار

ففعاله ومقاله وسكوته ... للّؤم لا فضلاً وحسن جوار

دأبوا على إخفاء حقٍّ ، مالهم ... في حجبه من مكسبٍ ونضار

لؤمٌ لعمرك لامدى لصياله ... وضؤولةٍ تحدو لسفل قرار

الطيش أغلب للتأمل فيهم ... حتى لدى العظماءِ والأخيار

سبق اللسان حصاتهم فكأنما ... سكر العقار لهم بغير عقار[1]

رانت على مهجاتهم وقلوبهم ... وعلى الحجا والسمع والأبصار

شيمٌ تُوَرَّثُ حقبةً عن حقبة ... كتخلف الأرجاس في الأنهار[2]

أومَا دهى أوصالَ جسم من ضنى ... يمضى ويترك باقى الآثار

جعلوا لطبع اللؤم كلّ قداسةٍ ... وتحرّزوا من سنة المختار[3]

هات المربّى للكبار ولا تقلْ ... يَا أيْنَ مُعْوِزَ رشده لصغار

هيهات يصلح نشء قوم لم يجد ... خُلق الكبار يضىء مثل منار

عدوى الضؤولة والخساسة فيهمُ ... عدوى الوباءِ تسير كل مسار

قومٌ إذا ابتدروا السباب رأيتهم ... يطلون موضع عُرِّهم بالقار[4]

متعاظمين على نجاسة أنفس ... نتجت نتاج الدود في الأقذار

ستر الخسيسُ خساسةً بخساسةٍ ... في أنفس الأعوان والأنصار

---

(١) الحصاة : العقل والرأى .   (٢) الأرجاس : الأقذار

(٣) أخلاق اللؤم لم تعد نصيرا يبررها من مذاهب الفلسفة الحديثة فضلا، وإنما هو اللؤم الذى يبرر اللؤم بالفلسفة .

(٤) العر : هو الجرب ، والقار : هو الزفت .

متعظّماً يبدو كريمًا سامياً مـتحلياً بفضائل الأطهار

وترى الوقار ولا وقار وإنما أخفوا دعارة أنفس بوقارِ

ودعوا إلى الإصلاح دعْوة مائق يسعى إلى الأرباح سعي تجارِ

هم يبتغونَ الجاه إن لم يبتغوا مالاً بدعْوة مصلح ثرثارِ

لم تدرِ وَحْيَ المصلحين حصاتُهم فتشبثوا بزوائف الأفكارِ

صارت وسائل عيشهم ما غاله من طبع لؤم سائق لبوار

فقد الحياءَ صغارُهم من ضيعة فغدوا كبار الفخر غير كبار

صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا يُؤذى لغير القوت وحشٌ ضارى

ضلّت غرائز شرهم عن أصلها فى صون عيشٍ أو لدفع ضرار

فغدت دناءة أنفسٍ وخساسة كيداً بلا كسب ولا أوطار[1]

وحديثهم كالحك يهتك عرَّهم فأخو السفاهة منه كاسٍ عارى

العدل ما وهبَ السمير سميره والرأيُ للأوْشاب والأغمار[2]

جرؤت صعاليك على مالم يكن فى فهمهم ، فقضوا بغير تمارى

فوضى لعمرك لاصلاح لشأنها كيف الصلاح لأمر هاو هارى؟[3]

عادوا الذكاء خساسة فكأنما نبذ الذبالة فى الظلام السارى

إلا الدعاوى الباطلات فإنها عادت كعود مزيف الدينار[4]

يتمرغون مجانةً ، فنفوسهم وجسومهم كمزابل الأوزار[5]

كتمرغ المفلوك دغدغ جلده عض من البرغوث فى الأقذار[6]

---

(١) الوطر : البغية والحاجة . (٢) الأوشاب : أخلاط للناس وأوباشهم .

(٣) الهارى : السئ الخلق .

(٤) العملة المزيفة تطرد العملة الصحيحة من السوق كما يعرف الاقتصاديون . وكذلك الذكاء المزيف كثيرا ما يطرد الذكاء الصحيح من سوق الحياة .

(٥) مزابل : جمع مزبلة . (٦) المفلوك : هو الفقير المعدم .

العداء والفناء[1]

عـفـا الجـانى وقـد بلغ التـشـفّى وبعض العفـو من فـرح الشّمات[2]

(للناظم)

قـد يُعـزّيك شـامت يتـشـفّى باجـتـلاء الآلام لا بالعـزاء

(للناظم)

مقدمة :

إن العفو لا يكون من المظلوم المجنى عليه وحده ، بل قد يكون أيضاً من الجانى الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم ، أو إذا أقنع الناس كى ينال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير فى شره ، اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم . أو لأن مساعدته فى الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة ؛ كما هى الحال فى مرض « السادزم » عند إطلاق هذا المصطلح عليه فى المعنى الأعم . وهذا النوع من العفو الذى يجود به الظالم إنما هو من فرح الشماتة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذى يعزى المصاب ، ويخفى فرح الشامت ويظهر الأسف . وهو إنما يعزي كى يرى آلام المصاب أثناء التعزية . وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر . وقد تجتمع الأضداد منها فى نفس واحدة من غفران وشمات ، ومن حقد الحياة وصفح الممات ، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التى يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء . (الناظم)

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ٢٨ مارس ١٩٣٨ . (٢) الشمات : الشماتة .

إذا ما دنا الموت من هالكٍ | وأيقن ألا يطول البقاءْ
وقد زال ما كان مِنْ نشوةٍ | ومن شِرَّةٍ نال عنها العزاءْ[1]
ولاح له عيشه مائلاً | وقد بزّ عما جناه الرياءْ[2]
وأُفهِمَ ما كان من حرصه | وأبصر ما قد طواه الخفاءْ
يُرَى أسفاً أنْ عَدا أو جنى | وإنْ كان منه الأذى والعداءْ
وليس يُرَى آسفاً لاغتفار | دعاه قديماً فلبَّى الدّعاء[3]
فليس على صفحه آسفاً | ولكن على النَّيْلِ ممّن أساء[4]
أيأسف أن ضاع ثأر سُدًى | ومُتِّعَ خصمٌ له بالبقاء ؟[5]
عدوّان عاشا على إحنةٍ | وباعا السماحة بيع الإماء[6]
أباحا النّفاقَ وكيد اللئام | لنيل الحطام وكسب الهباء
إذا ما دنا الموت من واحد | أيشمت خصم له بالفناء ؟
أيفرح مثل الجبان استراح | وبُشّرَ بالأمن بعد العداء ؟
أيطعنه طعن نذل خصيماً | صريع التراب مُراق الدماء ؟
ومرأى الحِمام كمرأى السَّقام | يذل العُتُلّ ويُخزِى الجفاء[7]
هو الموت يَشْفِى قلوب العدا | ويختم بالصلح حرب البقاء
وقد يُطْلَب الصلح من فرحة | تعير الشماتة ثوب السخاء[8]

---

(١) نشوة الحياة : سكرة غرورها ، والشرة بكسر الشين : نشاط الشباب الحيوى .

(٢) بز : خلع ونزع .

(٣) أى لا يأسف إذا فقد شرة الحياة على فلتات اغتفاره الماضى .

(٤) النيل من العدو وإصابته بالشر .

(٥) هذا التساؤل معناه هل يخالط اغتفاره أسف الحقد بضياع ثأره وبقاء خصمه وقد قلنا في المقدمة إن الصفات المتضادة قد تختلط فى النفس .

(٦) الإماء : الجوارى . الإحنة : الحقد .

(٧) السقام بفتح السين : السقم . العتل : الغليظ الشديد الجافي .

(٨) السخاء : الكرم ، أى أن الصلح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر فيظن العفو كرما . (الناظم)

وكم من عـــداء غـــدا أُلفـــةً فـيـــا عـبـــثًـــا إذْ تـراق الدمـــاء

كـم احــتــربت أمم ثـم عــادت كأن لم تذق فى الحروب الشقاء[1]

ألـم تسـمع الأرض نوح الجـريح يُودِّع حـــتى جنون الرجـــاء ؟

أمـا اخـتلطت بالصـديد الدمـاء أمـا أفـعم الموت نتْنَ الهـواء ؟[2]

وكـم عنُقٍ لقـــتـيـل ، بـه عـضـاضُ عـدو صـريع العـداء[3]

عـضــاض يحــاول خلد الضَّــغـائِنِ فى جـسـد خَلْقُـه للفناء

فـيــاعـبـثـا لجـهـود الأنـام سـيـمضي الرخـاءُ ويمضى العناء

ويُصْـبح من كـان خـصـمـاً لدودًا عــزيزًا ويُبْـغَضُ إلفُ المســاء[4]

مرأى الجمال وذكرى الجلال[5]

مقدمة :

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة فى النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة ، والهاويات العميقة ، والأعاصير وأثرها ، والبحار وأمواجها ، وهى تبعث اللذة فى النفس حتى فى مخاوفها إذا لم تتملك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب ، وقد ينقلب الحنين المقهور فى النفس إلى الجمال فيصير ولوعا بمناظر الجلال والروعة ، كما أن مناظر

(١) احتربت : تحاربت . قال البحترى : (إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها) .

(٢) الصديد : هو القيح . وأفعم : ملأ وأترع ، والنتن : خبث الرائحة .

(٣) العضاض : العض . وقد لوحظ بين القتلى بعد المعارك قتيل أنشب أسنانه فى عنق قتيل آخر قبل الممات واستمر فى الموت على هذه الحالة .

(٤) أى بين مساء وصباح يصير العدو صديقا والصديق عدوا ، وكأنما قد ضاع شقاء القتلى سدى .

(٥) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ١٤ مارس ١٩٣٨

الجلال والروعة قد تشحذ الحنين إلى الجمال وتذكر المرء به ، وقد تطغى كل من العاطفتين على الأخرى ، ولهما أيضا صلات أخرى غير ما ذكرنا . ومن مسرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلات العاطفتين في نفسه . وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع . (الناظم)

* * *

ذكـــرتك في البـحـــار الزاخـــرات ... وفي مـجـــرى السـفين الجـــاريات

كـــأنَّ البـــحـــرَ حيٌّ ذو جنان ... ومـــوجُ اليمِّ نبض النابضـــات[1]

وفي ذاك الجـــــــلال بـلاغ راءٍ ... وروّع لـلنفـــوس الواعـــيـــات

ولكنّي ذكـــرتك ياحـــبـــيـــبي ... كـمـــا حَنَّ المريض وإلى الحـيـــاة

كـــمـــا جنَّ الهـــزار إلى ربيع ... وأفنان الرياض على الأضـــاة[2]

وكم غلب الجـمـــالُ على جـلالٍ ... كـمـا غلب الرقـادُ على التـفـات

ذكـــرتك والقـــبـــور تردّ طرفي ... وتسـخـر من هيـام بالشـيـات[3]

وتخـــبـــرني بأن الحب فـــانٍ ... وأن العـيـش صنو للمـمـــات[4]

ولكني ذكـــرتك ياحـــبـــيـــبي ... وذاك الذكـر خيـــر الذكـريات

ذكـــرتك والسـقـــام يبـيـــد لبّي ... ويسلى النفس عن مـــاضٍ وآت

ويلهي النفس عن حبّ وشـــعـــر ... وعن سـحـر العـيـون السـاحـرات

ولكني ذكـــرتك ياحـــبـــيـــبي ... كـــذكـــرى للسنين المقـــبـــلات

ذكـــرتك في الطلول الدارســـات ... وآثار العـــصـــور الغـــابرات[5]

---

(١) الجنان : القلب .

(٢) الهزار : طائر - الأفنان : الغصون - الأضاة : غدير الماء .

(٣) الشيات : ألوان الحيوانات .

(٤) الصنو بكسر الصاد : القريب من أصل واحد .

(٥) الطلول جمع طلل : آثار المباني .

أرى الأهرام كالأعلام تزهو | على عبث الصروف المهلكات[1]
فأبصر من مضوا وأرى اعتزازاً | لهم بالمصبيات الفانيات
فيضؤُل عيش هذا الناس حتى | لينسى المرء ذكر المصبيات
ولكنى ذكرتك ياحبيبى | كذكرى للأمور الخالدات

حواء الخالدة[2]

من شعر الصبا

أنتِ يا مَن ألّفتْ بين الفنون | وهى لولا ما جنتْ منك ظنون
دوحة الفن التى تحبو الورى | بجناها من قطوف القاطفين
كل لحنٍ أو قريضٍ أو دُمى | نُحِتَتْ أو صورة ، منك تكون[3]
كلّ من قد خلبتْ لبّ الرصين | من حسَانٍ جمعتْ سحر الفتون
كُنتِها للناس حالاً بعد حال | تحفة فاتنةً للناظرين
فلبستِ الحسن شكلا بعد شكلٍ | وخبرتِ الحبّ حيناً بعد حين
ورأيْت الكونَ فى صحوته | وفهمتِ الناسَ في ضيقٍ ولين
كنتِ أُمَّا ، كنتِ أختاً ، كنتِ زوجا، | كنتِ فى البؤس عزاء البائسين
فعلى صدرك يبكى همّه | وأساه موجع القلب حزين
كم نفوسٍ وقلوبٍ بسطتْ | لك ما تضمر فى ماضى السنين

---

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) نشرت بمجلة « المقتطف » فى أول إبريل ١٩٣٨ - وقد خرج الشاعر فى هذه القصيدة على بعض القيود العروضية مع علمه بها رغبة فى التجديد .

(٣) الدمى : التماثيل .

فعرفتِ القلب ما ينشده وعرفت النفس والسر الكمين

وقرأتِ الروح دهرا بعد دهرٍ وبلوتِ الخلق فى مر القرون

أى قلبٍ مغلق لم تفتحي أى سرٌ للورى لا تعرفين ؟

كنتِ حواء التى من أجلها يندب الفردوس كل العالمين

وقليل لك يا حواء أن يفقد الخلْق جنان الخالدين

آدمٌ كان بجهلٍ قانعا ناعماً بالجهل في خفضٍ ولين[1]

ليس يستطلع أمراً غامضا فى ثمار العيش والسرّ المصون

بك شام الكون غضًّا زاهيا أكذا الغبْن ، فيا نعم الغبين

جذوة الفطنة فى اللبّ وفى نفسه من حسنك الغض ، شئون

كفّرى فى النّسل عن إثمٍ مضى وثقى فى الله خير الغافرين

لم يكن إثمك إلا قدرا كى يلذّ الناسُ سعدَ الهالكين

لا يحسّ السّعدَ إلا هالك قد أحسّ الهمّ فى القلب الحزين

كنتِ هيلينَ التى من أجلها خربتْ طروادةٌ ذات الحصون[2]

وقليل لك يا هيلين أن يهلك الأبطال فى الحرب الزبون

كنتِ شيرينَ التى قد ذلّلت عنْق كسرى وهو ذو الملك المكين[3]

كنتِ تاييس إذا ما خطرت خفق القلب كطير فى وكون[4]

---

(١) خفض العيش : نعيمه ولينه ، والمراد بإثم حواء المذكور في القصيدة أكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها .

(٢) هيلين : الإغريقية الحسناء التى كانت سبب حصار طروادة وتخريبها .

(٣) شيرين : من حسان الفرس .

(٤) تاييس : ممثلة إغريقية فاتنة .

كنت سيفُو إذ رمت بالشعر كالْـ ... جَـمْرِ تُذكي لفْطَهُ للسامعين[1]

كنْتِ اسبزْيا التى قد فتنَتْ ... باقتران الحسنِ والفهم الفطين[2]

كنتِ ليلى ، كنت بثْنا ، كنت عزّا، ... باعثات الوجد والشعر المبين[3]

كنت ما كنتِ ولكن أنتِ أنتِ ... لك سحر الضوء والليل الدجين !

وغدا كيف تكونين وما اسمُك ... بين الناس فى الآتى الشطون ؟[4]

جنون الأقوياء[5]

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها ... واستطالوا بجِنّة الأقوياء[6]

وسعوا ينشرون فى الأرض سرًّا ... مُنكرا فى شريعة الأتقياء

تارة فى الخفاء بالمكر يَغْدُو ... ن وطوراً فى جهرة العظماء

أهْوَنُ الوِزْر ما أتوْه جهارا ... من صيالٍ وقسوة وبلاء

والذى فى الخفاء أقتلُ للنفـ ... ـس وأقسى لصولهِ فى الخفاء

إن رأوا نقص أنفس فى خصوم ... استزادوه بالأذى والدهاء

---

(١) سيفو (سافو) : شاعرة إغريقية اشتهرت بالغزل .

(٢) اسبزيا : حسناء فى عهد بركليز اشتهرت بالعقل .

(٣) ليلى : صاحبة قيس ، وبثينة : صاحبة جميل ، وعزة : صاحبة كثير ، وقد ألهمن عشاقهن الشعر الرفيع .

(٤) الشطون : البعيد .

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ٢١ نوفمبر ١٩٣٨

(٦) جنة : أى جنون بكسر الجيم .

أفســدوا أمــرهــم ودســوا دُعَــاةً ... كي يهيجوا تشاحن الأشقياء[1]

واســتـمــالوا ســمع اللئــيم بلؤمٍ ... زاده خــسَّــةً على الأدنيــاء[2]

كـصـيـال الشـعـوب بالمكر والكيـ ... ـد وإن أحــرزت صـفــات العــلاء

حَلّلُوا للوشــاة أن تشــتــفي من ... لاعج الحــقــد بالأذى والعــداء

خـدعـتـهـم أرصــادهم أم رَأَوْا أنَّ ... ســمــاحــا بشـرهم كـالجزاء؟[3]

مَـكَّــنــوهــم ممــا أرادوا مــن ... الشَّــر جــزاء كــخــونهم والرياء

ذاك أن العــــدوَّ أرخصُ شـــأنًا ... من تَحامِي الإجحاف في الإيذاء[4]

قــرَّظوا العلم والحـضـارة جـهـراً ... وتـقـــاةً لله أو للقـــضــــاء[5]

ثم ساسوا بالختل في السرّ ماشا ... ءوا وشـــاءت جـــوامح الأهواء

لا رقـيـبٌ على الخـفـاء ولا الصـو ... لة فـيـــه ولا عـــديم الحـيـــاء

عَـــدِمــوه للكفـــر بالله والنا ... س ســوى مــارجــوا من الآلاء

عَلَّمَ العـلْمُ صـــائلاً إنما النـا ... س كنملٍ ســواؤهم كــسَــواء

زعــموا زعــمــهم وســمــوه علمــاً ... واســتطالوا بلؤم ذاك الذكـــاء

وأباحـــوا لحـــقـــدِ كل وَلِيٍّ ... مُــثْلجًــا نار إحنة الأحـشـــاء[6]

---

(١) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون في السر .

(٢) أي يدرسون أماكن الضعف في أخلاق الأمم ويحاربونهم ، ويستدرجونهم ، ويخدعونهم ، ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف في الأخلاق .

(٣) الأرصاد : الجواسيس .

(٤) تحامي الإجحاف : التفادي من الظلم . وتحامى متعدية وتفادى لازمة ، والمعنى : أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم .

(٥) تقاة : تقوى بضم التاء .

(٦) الولي : المناصر المخلص للوالي . أي أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم في السر .

ثم قالوا وسَطّروا فى ضميـر — إنه من ضرورة الأشياء
قسْ على مابدا من الشر جهراً — فى حروب ونزوة وعداء
ما أجَنّوه وهو أبلغ فى الكذْ — ب وفى كل قسوةٍ واعتداء(١)
وقديمًا جُنّ القوىُّ بما طا — ع له من تزلف الضعفاء(٢)
وضعوه فى منزل الله كُفْراً — فطغى واستباح سفك الدماء(٣)
ورأى الخير والفضيلة ماشا — ء وإن كان من أذى الأدنياء
ورأى الشر والكبائر ما عا — ف وإن كان سيرة الأبرياء
وكذا المرء وهو ليس ولى الـ — حكم يطغى بنصرة اللؤماء(٤)
وسواءٌ شعبٌ وفرد وذو السُّلـ — طان أو سادر من الدهماء(٥)
صنعوا الشر حسْبةً ولوجه الله، — شاهت وجوههم من رياء !
أو لحقد قد مَوَّهُوهُ بخير — وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
أو برأى الأحرار صاغوا قيودا — واستباحُوا فى الناس سفك الدماء(٦)
وجنون القوىّ أقبح من قسـ — ـوة حسن يقسو بغير ذكاء
إيه لغز الحياة هل دورةٌ للـ — ـشر والخير غير ذات انتهاء؟
لعبة ما أراه أم خبل الأنْـ — ـفس أم نزوة من الحمْقاء
إحَنٌ فى الحياة مثل خطوط — نسجوها فى البُرْدَة السِّيَرَاء(٧)

---

(١) أجنوه : أى أخفوه .

(٢) مثل بعض الفراعنة أو أباطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم . وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعي متعد .

(٣) لأنهم يقدسونهم فى العبادة .

(٤) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصورا على الإمبراطورة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته .

(٥) ويستوى فى جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد ، والسادر : المستهتر الخليع ، والدهماء : عامة الناس .

(٦) برأى الأحرار : أى باسم الديمقراطية .

(٧) السيراء : المخططة بكسر السين وفتح الياء .

فــغــدت نهْـزة الفنون ، هو الفنّ | كنحل يَشــتــار أرْىَ الشـقــاء[1]
هل لسـحْـر الفنون أنْ دَلَف الدّهـ | ـر وســاغ الأنامُ لؤمَ البـقــاء[2]
سـحـرُها يترك اليَبَابَ عـمـاراً | حــافــلاً بالنعـــيم والآلاء[3]
ويُحيل الخسيسَ من معدن العيـ | ـش شريفاً بصنعة الكيمياء[4]

خطرات فى الحياة والموت[5]

عند رؤية جمجمة

رحيقك ياكأسَ النهى والمشاعرِ | ومـهـبطَ سـر الله بين السـرائرِ[6]
أكأس الحجا أين الرحيقُ ترشّفتْ | علالاته نشوى النهى والبصائرِ[7]
أجُـرّعــهُ ثغـرٌ من الموت ظامئٌ | طوى مـا طوى من فطنة وخـواطر
حـوتهـا عـوادي الدهر إلا أقلهـا | إذا خُطّ لفظ فى بطون الدفـاتر
بدا الناس جيلا بعد جيلٍ كـأنهم | تهـاويلُ سحـر أو سمـادير ناظر[8]
وما تدركُ الألباب منهم عديدهم | إذا استجمَعتهم بين ماض وحاضر

---

(١) نهزة : فرصة ، ويشتار : يجمع العسل أو مادته . والأرى : العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من الام الحياة أقاصيص وعبر أو حكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة .

(٢) دلف : تقدم ، أى هل يسير الدهر أو العيش سيرتهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها ، وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون .

(٣) اليباب : القفر المجدب .

(٤) أى أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائعة جميلة ثمينة ، فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات فى حجر الفليسوف المنشود في عالم الماديات.

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ٢٨٤ فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٨

(٦) الخطاب موجه إلى الجمجمة . والمراد بالرحيق رحيق الفكر والإدراك .

(٧) كأس الحجا : أى الجمجمة .

(٨) التهاويل : الصور والرسوم والنقوش . والسمادير : ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح .

كـأن لـم يَلُحْ مـنهـم إذا الموتُ غـالـهـم ومـيض الـثنايـا أو بـكـاء المحـاجـر

ولـم يـعـرفـوا الآلام تُحْـسَبُ أنـهـا ستخلد في جسمٍ إلى الموت صائر

فـأين مـضت أحـقـاد قـوم كـأنـهـا لهـيب جحيمٍ خالدٍ في السـرائر؟

وأين ولـوعٌ بـالجـمـال كـأنـه زعيم بتخليد الوجوه النواضر؟[1]

وأين فـعـالٌ يحـسب الناس أنـهـا على جـبـهـة الأيام من وشم قـادر؟

وأين جيوش دكت الأرض خيْلها مضت حيث لا تمضي خواطر شاعر؟

وأين الـغـزاة الـفـاتحـون وقـد بدوا كـمـا تبعث الأشباحَ نفثةُ ساحر؟

فـهل أنت ممن قـد جنتـه سيوفـهـم وداسـتـه خـيلٌ تحـتـهـا بالحـوافـر؟

أم ازدان تاجٌ قـد لبست بحكـمـة بهـا اسْطعْت صريف الصروف الدوائر

وهـل أنـتِ ممن دبّر الـشـرَّ لُبّـهُ وأحكم زهرُ النفس جـرّ الجـرائر؟

أم الخـيـرُ مـا حنت إليـه نـوازع لديك وإن لم تحتقب خير غادر[2]

لقـد كنتِ وكـر اللبّ لـو أن عـادياً من الموت لم يهبط عليه بكاسر[3]

بكِ ارتاع مـسـعـود إذا ارتـاح يائس بذكـرى الردى يرجـو عُـلالَةَ صـابر

قد اختلف الأقوام في العيش والردى فَـمنْ ظافـر يهـوى الحياة وخـاسـر

هنيـئـاً لـكلٍّ مـا يرى من عُـلالَةٍ بحـسن حـيـاةٍ أو بنجـوى المقـابر

ومـا علّلَتْ نفس الـفـتى بمنيّـةٍ ستطوى هموم العيشِ طيّ الدساكر[4]

سوى رغبة في العيش يرهب صرفه فيعدو على البُؤْسى بذكرى الغوابر[5]

بذكرى الحتوف الجاليات على الورى من الراحـة الكبـرى أجلَّ البـشـائر

---

(١) زعيم بكذا : أي كفيل به .

(٢) احتقب : ادخر أو حمل معه . يقال احتقب خيرا أو شرا .

(٣) الكاسر : الطائر المفترس . والمراد بوكر اللب : الجمجمة . والوكر : عش الطائر .

(٤) الدساكر : جمع دسكرة وهي في هذا المعنى بيوت للهو والشراب ، وتأتي بمعنى القرى الصغيرة .

(٥) البؤسى بياء في آخر الكلمة : البؤس .

يوم مطير[1]

نهـار تدانَى الدّجْنُ فى عُلْوِ أفْـقِـهِ ... مـبلَّلـةٌ أرجـاؤه ومَنـاكِـبُـهْ

خَبَتْ شمسه كالجمر يخبو لهيبه ... وعـاد رمـاداً حـسنُهُ وعـجـائبُـهْ

دجـا مـثل وجـه الهمِّ إلا جـلاله ... فللدجنِ سحر يحزن النفس خالبُهْ[2]

ثقيل على القلب البهيج عُبُوسُهُ ... ولكنه قد يسْحر القلب كاربُه[3]

كما كان بعض الحزن للنفس شائقا ... تـعَـاقِـرُه فى نشـوةٍ وتقـاربُهْ

ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطلقَتْ ... لكسب رهانٍ أحرز السبقَ كاسبهْ

وتحـسـبـهـا كـالطيـر تهـفُو تنزيًّا ... تَنزِّى الدَّبىَ إن أهرق الغيث ساكبهْ[4]

كأن الصّلالَ الزاحفاتِ على الثّرى ... تجوس إذا ما الغيْث جاست سواربه[5]

كـمـا عـاج حـيـرانٌ يمينًا ويسْـرة ... من الذعر ، شرُّ الذعر ماعاج صاحبه[6]

على الأرض والجدران والدوح قطرهُ ... ويدفع فى وجـه المشَـرَّدِ حـاصِـبُـه

أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه ... أم الغـيـث من لَهْـوٍ تَراه يداعـبـه؟

كلهْـوِ غـلام مُلّكَ القـسْـوُ قلْبَـهُ ... إذا حـيـوانٌ هـابَه فـهْـوَ ضـاربه[7]

سـجيـة كل الناس من هاب شرهم ... رَموْهُ ببأسِ اللؤم والخوفُ شائبه[8]

ويعـزو خـيـال المرء للكون رُوحَـهُ ... مناقـبـه تُجْلى به ومـثـالبـه

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ٢٨٦ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ .

(٢) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلابة .

(٣) البهيج : هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والكارب : مسبب الكرب .

(٤) التنزى : التذبذب والاهتزاز . والدبى : صغار الجراد .

(٥) الصلال ، جمع صل : الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى .

(٦) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار على الأرض المنبسطة .

(٧) القسو معناها : القسوة .

(٨) شائبه : مخالطه .

إذا رنّق التـرْبُ الهـواء انبـرى له | من الوَدْق طُهْرٌ يغسل الجو صائبهْ
ترى البرق فيه مُصْلِتًا سيف نقمة | لها الرعدُ صوت يذهل اللبّ راعبهْ[1]
إذا خف كان الغيث لهواً ونعْمة | وإن لجَّ لاحتْ للعيـون خـرائبـه
ويطغى على الوادى بجيش عَرَمْرمٍ | مسـالكه مـذمومـة وعـواقـبـه
يخف على لوح الزجاج فصوته | طنين فراشٍ مَرّ باللوح حـاصبـه
وطوْراً يلحّ الودقُ منه فـصـوتـه | خريرٌ كما يستحْلِبُ الدَّرَّ حالبهْ[2]
ويرنو إليـه المرءُ من ثقب بيـتـه | كـأنَّ غـريبـا يتـقى منه هائبـه
وطوْراً ترى الغلمـان تلقط طَلّهُ | يداعـب صنْوٌ صنْوَهُ ويلاعـبـه[3]
ترى كلَّ لَوْنٍ بعـده قـد زها به | كـأنَّ طِلاءً فـوقـه لجَّ خَـاضـبـه
يُعَلِّق قـرْطا فى ذُرى الدوح قطره | فـتحـسبـه قـد نَظَّم الدُّرَّ ثـاقـبـه

السكون بعد النغم[4]

أفحمَ الشجوُ مقولَ النغم العذ | ب فأمسىَ هذا السكونَ المهيبا
مثلما تفحم الشجون خطيبا | صار فى صمته قؤولا خطيبا
كسكوتِ العشّاقِ فى نشوة الـ | ـحبِّ تناجى فيه القلوب القلوبا

---

(١) مصلتا : شاهرا.

(٢) الدر : بفتحتين اللبن . والودق : قطر الغيث .

(٣) الطل : ضد الوابل والأول هو الخفيف من المطر ، الصنو : القريب النسب .

(٤) نشرت بمجلة « المقتطف » عدد يناير ١٩٣٩ .

أو سكوت اللهيف فوجئ بالبشرى ... ويخشى من حسنها أن تخيبا

أو سكوت الشباب فى حُلم الآ ... مالِ من قبل أن تُعانى المشيبا

أو سكوت الخشوع فى صلـ ... ـلوات القلب صار البعيد منه قريبا

أوسكوت الأم الرءوم حنانا ... وابنها نائم حمته الخطوبا

حلمت حلمها بما سوف يسعى ... فى مساعيه جيئة وذهوبا

من ثمار الحياة تختار أحلا ... ها له نعمة وسعداً وطيبا

* * *

نَغَمٌ خلّفتْ بواراً للحنٍ ... دقَّ عن أن تصيبَ سمعًا طروبا

وكأن لم تزل بمسمع مسحو ... رٍ من اللحن آملٍ أن تؤوبا

فهو يُصغى لعودة الصوت منها ... وهى فى نفسه تدبُّ دبيبا

سحر القلب شدوها أم سكون ... خلّفته فكان سحراً حبيبا

عجب يسحر السكوت أم اللحن ... يناجى فى ذا السكون الغيوبا[1]

وكأنَّ الأصداء من بعدها فى النـ ... ـفس تشدو وتستثير الوجيبا

هامساتٍ فى النفس همش مسرّ ... بائح بالهوى ويخشى الرقيبا

فى سكون كأنما هدأ الكون ... خشوعاً لها وسحراً عجيبا

هدأة الكون فى المساء وقد يخـ ... ـشع راءٍ والشمس تحدى غروبا

فكأنَّ الحياة عادت سكونا ... كسكون الردى رهيباً مهيبا

---

(١) وكان المسحور من أثر اللحن يناجى فى ذا السكون الغيوبا . (الناظم) .

تحسب الدهر ساعةً دقّها قد ... منع الصمت صوته أن يجوبا

ساعة توهم الورى أن هذا الـ ... ـكون قلب ما إن يحس وجيبا

تحسب الدهر مسقط الماء غا ... ل الماء فيه جموده أن يصوبا

فدويٌّ بالذكر فى النفس منه ... وسكوت فى الأذْن يسبى القلوبا

قيد الماضى[1]

أخذنا عن الماضى قليلاً من النّهى ... وأكثر ما نِلْنا الهواجس فى النّفسِ

فمن غامض لا يدرك الفهمُ فهمَه ... ومن واضحٍ كالخطّ فى صفحة الطرسِ

فمن قسو ذى خوف من الموت والأذى ... ومن ضغْن مهمومٍ من الفكر والحدسِ[2]

ومِن حقد ذى حقد يرى العيش كلّه ... ظلامة مغلوب على الغد والأمس

ومن كيد لاهٍ أشرب العيشُ قلبه ... لذاذة صنع الشرّ فى الجهر والهمس

ونلْنا ، وما زال الذى كان كائنًا ... يدافع عنه المرء بالسيف والفلس

يدافع عنه المرءُ بالحق والهوى ... ويسعى له الأضداد ندباً إلى نكس[3]

* * *

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » فى مارس ١٩٣٩ .

(٢) الحدس : الظن والفراسة .

(٣) الندب : الشهم الذى ينتدب للأمور . والنكس : المرذول الذى لا خير فيه . والهوى هنا : الميل للباطل .

ويغـرى به حـتّى الـذين شـقـاؤهـم — بأن يخذل الإصلاحَ ضغن ذوى النحسِ

حـقـودُ قلوبٍ لا يُداوَى فـسـادُها — فتدعو ذوى الآمال فيهم إلى اليأس

* * *

يريدون منع الحـربِ والحـربُ سُنَّةٌ — إلى أن تُفيق النَّفسُ من إثرة النفس

فهل يدركون الطهر من قبل عمرةٍ — وطينتهم معجونة الدم بالرجس ؟

ويا ويلهم شبّت عن الطوق حربهم — وأزرت بفعل السيف والروح والترس

وظلُّوا حيارى خشية من دمارها — وكلٌّ يرجّى نفع أحداثها الحُمْس[1]

وكلٌّ يعـاف العـدلَ إلاَّ لنفـسـه — سـجـيـة لؤم هل تزول من الجنس

وتأبى سجـايا الشـرِّ طهرةَ عـادل — تغيّر فيهم مأتم العيش بالعُرس

سـواء لعـمـرى طبع فـرد وأمـةٍ — همُ الأنس ما أبدوا سوى نجس الغرس

وكيف تزول الحرب ، والسلم بينهم — كحربٍ طغت بالقهر والمكر والخلس ؟

وكم قـدّسوا قُـدساً لتطهـر أنفس — فـأزرى جـوارُ النفس بالدين والقـدس

خـميرة عيش شرُّهم وحقـودهم — فكيف يراد العيش للأمن والأُنس ؟

بناء المعـالى كـان بالشـر قـائمـا — ومــا طربوا إلا إلى نغم النحس

ومـا شـربوا من لذة العـيش شـربة — صفا ماؤها من كدرة الهمِّ فى الكأس

غـفلنا ونام الهـامـدون ، وفـوقنا — نجوم الدجى زَهر على قُبّة الرمسِ

---

(١) الحمس : الشديدة .

فإنْ كان خلق الناس للعجز والأسى ... ولم يستطيعوا البرء من خطل المسِّ[1]

وأعـجـز أوصـافَ الأطبـاءِ داؤُهم ... ولم يشفهم من شرّهم عمل النّطسِ[2]

وإن قبسوا من شعلة القدس قبسه ... فما صانها العادى ولا فاز بالقبس

فـإنَّ ارتهـان المرء في سـجن شـره ... إذا جدَّت الأحداث شر من الحبس

وإن انغـمـاس المرءِ فى لُجَّ أمسـه ... كما يغرق الغواص من نهكة القمس[3]

وإن رسيف النفس فى قيد شرها ... كما يخلد المحموم فى خطأ الحسِّ

يقـولون إن الحق فى الناس قـوة ... وأقوى من الحقِ الجهالة فى النفس

صوتك[4]

صوتُك صوتُ السلامِ تألفه الأنـ ... ـفسُ بعـدَ الكفـاح والظَّفَـرِ

أو مثل صوتِ الطيور في وَضَح الصبـ ... ـح نشـاوَى من غـيـر مـا سُكُرِ

صوتك صوت الربيع يبعث فى الرو ... ضِ حـيـاةَ الطيـور والزهَرِ

أو مـثل صـوت الحـيـاة ظافـرةً ... عـابثـةً للجـمـال والصُّـوَرِ

يُطربُ مـثل الصَّـدى الخلوبِ إذا ... ردَّدَه الريف فى سَنا القـمـرِ

أو مثل شدو الشَّجىِّ يسمعه السّا ... هرُ فى هَدأةٍ من السَّـحـرِ

---

(١) المس : الجنون .

(٢) النطس بفتح وسكون : المجرب .

(٣) القمس : الغمس فى الماء .

(٤) نشرت بمجلة « الهلال » عدد أول سبتمبر ١٩٥٠ ص ١٧ .

من عالم الخُلد خِيلَ منبعثاً ... لعالم الفانيات والغِيَرِ[1]

تنال منه الأسماعُ فتنتَهُ ... وتقتضى مثلها من الأشَرِ[2]

فهو كمعنى يُضْفِي لسامعه ... مواردأ ثرَّةً من الفِكَرِ[3]

أو عَيْنِ دعجاءَ ، فى محاسنها ... عمقٌ كعمق البحارِ والدُّرَرِ

تأخذ منها العيون أقربَها ... وأبعدُ الحسن أطيب الأثرِ

صوتكِ صوت الشباب والعمر مادا ... مَ فان فاتَ فات بالعُمر

أو مثل صوت المُنى السحيقة ... والحبُّ و صوتُ الداعى من القَدَرِ

كلاهما نافذ يُلبَّى على ... ما كان من قِسمةٍ لمؤتَمِرِ[4]

شفق الغروب[5]

شفقُ الغروبِ وإنه ... سحرٌ تُراح له القلوبْ

وكأنّه الأنماط أعْلَى ... صُنْعها فنٌّ عجيب[6]

خدرت ذُكاءُ كأنها الحـ ... ـسناء يرقبها الرقيب[7]

---

(١) الفانيات : الأمور الفانية . الغير : تقلبات الدهر وصروفه .

(٢) الأشر : الشره والطمع .

(٣) يضفى ما ضفا الحوض : أى امتلأ ماء . وثرة : أى يفيض مياهها .

(٤) يلبى : أى يطاع . المؤتمر : الذى يطيع الأمر .

(٥) نشرت بمجلة « الهلال » فى أول نوفمبر ١٩٥٠

(٦) النمط هنا : شبيه بالبساط والسجاد .

(٧) خدرت ذكاء : دخلت الشمس خدرها ، والمراد الشفق .

وكـأنـهـا الملك المحـجَّبُ … فى تحـجّـبـه رهيبْ
بستـار مُلْكٍ حـاك رو … نق حسنه الحـذِقُ الأريبْ
عـبـاتٌ مـسـفـاتن لونـهـا … والحسن معشوق مهيب
والحسن أبهى حين رَوْ … قُ الحسن رَوْعٌ لا يريب
رَوْعٌ لمهـلـك كـل يـومٍ … لا يُـقـيم ولا يـؤوب
كم مـرَّ فى يوم مضى … أملٌ يحقّقُ أو يخيب
وأسىً يُخـال مُـخـلّدا … فإذا به ذكرى تنوب
والعيش ألوانٌ وبعض الـ … ـعيش من بعض قريب

* * *

شـفقٌ على أفق البحـا … رِ به سفـائنه تغيبْ
سـود تشـابه عنبـراً … فى يمّه ذهبٌ صبيبْ
وكـأنَّ صـفـحـة مـائه … نور على نور يذوب
من منبع الذهب استقى … أم أنّه ورد يصوب[1]
أسـفـائنًا قـد حـمّلتْ … ما يحمل الرائى الطروب
شـوقًا إلى وهجٍ على … أفق كما حنّ الغريب
والنفس تنشـد مرتقىً … كلٌّ على وطنٍ يلوب[2]

* * *

وعـوالم للسّحر تعـر … فـهـا وتنشدها القلوبْ
لاحت على شفق الغـر … وب كـأنّها الحلم الحبيبْ
نـارٌ تـؤجج فى الغـد … ير وحليـة المرجِ العشيب
والشـمسُ تبـدو فى المنا … قع ماسةً مثل اللهيب

---

(١) يصوب : يسيل .

(٢) يلوب : يحوم .

مـــــاءٌ ونارٌ جُـــــمِّـــــعـــــا في المنظر العـــجبِ العـــجـيـبْ

وتـوهّجٌ كــــــدمٍ يـلـو ح بلا قــتـيـلٍ أو حـــريـب[1]

كـــدم الرحـــيقِ بنشـــوةٍ ردّ الكُهُـــولَ عن المشـــيـب

* * *

وعــــلـى المـــزارع هـــابــطٌ بجناح ذي الريِّش الخـــضـيـبْ[2]

وهدوء ذي الـســمع المُـصـيخ وراحـــــة القـلب المجـــيـب[3]

وعناق أرض والســـمـــاء به وبـالدّغَش العـــقـــيـب[4]

وعلى البـــهـــائم وحـــشـــة من غـــيـــر مكروب كـــئـيـب

مفتاح القلوب[5]

هـل عندك الخُـبْـرُ والخَـبَـرْ عن مـــعلن الســرِّ يا قـــدَرْ؟

فـــهـــبـــه لي أتقَ الأعـــادي وأعـــرف الصـــادقَ الأبَرّ

من قـــبـل أن أنقـم العـــوادي والعقَ الصّـابَ والصَّـبِـر

فــأعـــرف الحـــافـزات طرّاً إلى المودّات والســـيـــرْ

يا طالما غـــرّني ابتـــســـامٌ كم باسمٍ قلبُـه كـــشـــر

قـــد حـــرتُ دهراً وحـــارَ مني قـــوم تهـــابُ الذى اسْـتَـتـرْ

هل عندكَ الخُـبْـرُ والخَـبـرْ عن مـــعلن السّـــر يا قـــدَرْ ؟

ليـــقـــرأ العـــاذلون غـــيـبي ويـأمنَ الحبُّ إن نـفـر

واحـــــرّ قـلبي إذا تـنـاءتْ وخـــالني الغـــادرَ المكر

---

(١) الحريب : هو السّليب

(٢) الإشارة إلى اختلاف ألوان الشفق في أفق المزارع .

(٣) المصيخ : المصغى .

(٤) الدغش : ظلمة المساء .

(٥) نشرت بكتاب « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد .

فيعرف الخلّ أنّ قلبي أصفى من العذب في الغُدُر

قد أخفق الحبّ في بيانٍ وأخفق اللحظ والبصر

وأخفق العيش وهو سفر تبلى على الحازم الحذر

هل عندك الخبر والخَبَرْ عن معلن السرِّ يا قَدَرْ ؟

الأندلس العربية[1]

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها بمثيلٍ ، جنة الأندلسِ

إذ دَجَت أقطارُ أوربا بَدت في ظلامِ الدهر مثل القَبَسِ

أو كنجمٍ يهتدي الساري به في ضلالِ المسلكِ الملتبسِ

أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به موحشاً في البيدِ وسط الحندسِ

أهلُها الغُرُّ الأُلى قد ملكوا بالنُّهى منهم عنانَ الشُّمُس

عمروا الأرضَ وأجروا ماءَها وزَها كالسحرِ نبتُ اليبس

لم يهابوا بهجةَ العيشِ ولا جعلوا الطهرَ قرينَ الدنس

أفسحوا للفكرِ فيهم موطناً موطنَ الفضلِ الشهي الأنس

كللوا بالمجد هاماتهم في نعيم العزِّ أو في الأبؤس

في خلال البحرِ أو في المصنع في لظى الحربِ وطيبِ المغرس

لم يكونوا مثل قومٍ أنفوا أن ينالوا منه أعلى منفس

نجدةُ الفارسِ فيهم شيمةٌ علمت قوماً صفاءَ الأنفس

ووفاء بعهودٍ وثقت في ظلالِ السعدِ أو في التعس

أخذ الإفرنجُ عنهم فكرَهم وابتكاراً لم يكن بالأوكس

نهضةُ الأحياءِ لولا صحف صنعوا ، عزَّت على الملتمس

---

(١) أو « حلم بالأندلس » – لم ينشرها الشاعر في حياته .

لم يكن مصرعُهم من وهنٍ … لا ولا من لذةٍ لم تُحبَسِ

شجعوا في ضحوةِ المجدِ كما … شجعوا في أُخرياتِ الغَلَسِ

دبَّت الفرقةُ فيهم كاللظى … تتلظى في الهشيمِ اليبسِ

صيَّرت بهجةَ أيامٍ لهم … مأتمًا من بعد حسنِ العرسِ

وإذا شَمْلُ أناسٍ لم يكن … معقلاً هانوا على المفترسِ

قاتلوا قوماً بقومٍ منهم … عن قلوبٍ نفرت لم تسلسِ

بربرٌ من تحتهم والقوط من … فوقهم مثل رحى المندرسِ

تأنسُ النفسُ إلى عهدك يا … حلم الأحلامِ بالأندلس !

كنت أوحى من خيالٍ طارقٍ … في الكرَى أو قبلة المختلسِ

فعلى القومِ سلامٌ إنهم … حملوا شعلةَ نارِ القدسِ

وهي أعباءُ حياةٍ ونهى … وكفاحٌ ثم نومُ المرمسِ !!

بهاء الحياة[1]

كم أسينا على زوال بهاءٍ … كان أُنساً وكان للنفسِ أهلا

وودناه خالداً ليس يفنى … فنرى الزهرَ في الحدائق حولا

ونرى بهجةَ الربيعِ دواما … ليس يفنى الربيع ضوءاً وظلا

ونرى عارمَ الشبابِ جديداً … أبداً سادرا إذا الشيخ غَلاَّ

ونرى كل ما نودُّ ونهوى … خالداً لا يزول رسماً وشكلا

فأسينا إذ الفناء طريق الـ … ـحسنِ والعيش يتبع اليوم ليلا

كل آنٍ يجدد الكون وجها … من حلاه يحلو إذا الرث ملاَّ

لذةُ العيشِ في التقلب في العيـ … ـشِ ونيل الجديدِ حلواً مُحلَّى

(١) لم يسبق نشر هذه القصيدة .

أبداً يبسط الزمان ويطوى مُلحَاً لا تدوم إلا لتُسلى

جدةُ الحسنِ رونقٌ تأخذ الطر فَ طَريفاً وما استجد ليقلى

ورأينا مفاتنا ربما مرّ ت سراعًا كالطيفِ حين اضمحلا

غفل الطرفُ عن سناها فلما غربت ضاء حسنها وتجلى

أعجمت في حياتها ثم عادت في ضميرِ الآباد أشهى وأحلى

ثم عادت يحبو البيان حلاها حجة توضح البهاء وقولا

حسرة للبيان بعد فوات الـ حسن لو قد غدا أليفا وخِلاً

وإذا بالفناءِ فينا ينادى لو يدوم الجمالُ هان وقلا

بهجةُ العيشِ في زوال بهاءٍ ملأ النفسَ طرفةً ثم ولّى

وإذا خافت النفوسُ على فا نِ تحلى وكان أشهى وأغلى

فوددنا الزمانَ حبًّا عليه لا جديداً يرجى ورثًا أملا

أبداً واردين ورداً زلالا نَهَلا جارعين منه وعلا

غير ما قانعين أن حياةً وقفت في الزمان تعتد بُطلا

وقفةُ الكون ميتةٌ وفناءٌ لا حياةٌ به ولا حُسن يقلى

فرضينا وما رضينا ولـ كنا عرفنا الأمور فهماً وعقلا

ثم عدنا إلى الأسى والتمنى أبداً غالبين فرعاً وأصلا

وودنا خلودَ كل مراد ودوام الجمال شكلاً وشكلا

واستطبنا المحال من بعد ما لا ح بنور اليقين بطلاً وجهلا

وأسينا على زوال بهاء كان أنسًا وكان للنفسِ أهلا !

مقطوعات شعرية[1]

صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحْيا ولا تقُلْ لى : ما حكمة العَيش والبقاء
فمطلب للعلاء يحدو وآخر كله عناء
كم سأل السائلون قدما ما الكون ، ما العيشُ ، ما الفناء ؟
مسألةٌ ما لها جوابٌ وليس يُلْفى لها غناء
كساخطٍ من طروق داءٍ وتاركٍ خلفه الدّواء

ود الأسى

يارفاقاً طالما أنستْهمُ لذة العيش حزيناً يارفاق
قد وجدت الصّدق فى ود الأسى مِقَةُ اللذات كسبٌ ونفاق

غبى ذكى

يا غبيًّا رأى الذكاءَ شقاء ورأى النّحس أن يكونا أريبا
أنت أذكى من الذكىّ الذى يحـ ـيا شقيًّا لكىْ يكون أديبا
وإذا كانت الغباوة نعمى فمن الحمق أن تكون لبيبا[2]

البصير الأعمى

ياقلب صَبْراً ولاتعتب على قِسَم قد استوى الناس فى عتب على القسم
الحظُّ أعمى لدى من لم ينل أربا وهو البصير لدى من فاز بالنعم

خطة الضعة

فى كلِّ نفسٍ من نفوس الورى شىءٌ مِنَ الحقد وسوء الظنون
إنْ كذّبَ المُثْنى على نفسه صدّق من يزرى بفضل القرينِ

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٦٠ فى ٢٧ يوليو ١٩٣٦

(٢) للمعرى ولإسكندر بوب مثل هذا المعنى . (الناظم)

لذاك يعلى الخبّ من نفسه إن هدًّ من فضلٍ بمدح قمين(١)

أكثر من إعلائه نفسه بأن يزكّى النفس عند الفطين

ناجح

كل بشر منه فخٌّ كل لفظ منه غدرُ

بلغ النُّجحَ بلؤمٍ إنَّ بعض النجح وزرُ

الكذب

للكذب فى الناس أوساط مجنحة والصدق يسعى لديهم كالسلحفاةِ

يهوون ما لا يسيغ العقل من كذب وينبذ الحق من حِرص المجاراة

كأنما الكذب ملح يستلذ به طهيُ الحديث وإشباع السخيمات(٢)

إخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقا لتبسط من لغو الكلام على الصدقِ

وأنَّ لسانًا بين فكيك ناطقا لإخفاء ما دون السريرة بالنطقِ

وتكتم ما قد يظهر الوجه أمره بقولك قولا باطلا شَبَهَ الحقِّ

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء فى بُغضٍ وفى مقة هما العجيبان إن آخى وحين عَدا

يرمى النّفاية لا يبغى لها ثمنا حتى إذا ما حداها راغب حسدا

ويغفر الذنب من إحسان فاعله حتى إذا نفدْت الآؤه حقدا

---

(١) جدير

(٢) الأحقاد .

فخر الناجح

قبيحٌ نجاحُ المرءِ إن هوَ شانَهُ   بفخرٍ فلا يقبحْ نجاحُك بالفخرِ
كأن لم يكنْ أهلا له حين ناله   هو الصمت قد يطرى إذ الفخر لأيُطرى
جلا منه عيبَ النفس من بعد ستره   كذاك حديث العهد بالمال واليُسر
ويارب نجح يسلبُ المرء رشده   ويبدى خصالاً منه تقتل أو تزرى

نذالة الحسد

عدوُّك مرجوٌّ فإن كان حاسدا   فلا رحمةٌ ترجى لديه ولا عدلُ
وليس بنذلٍ كلُّ من صال أو عدا   وتابَ ولكنّ الحسود هو النذل

مغفل لمغفل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم   وبلوتَ من أحوالهم ما يبتلى :
غرّ يخادعه لئيم عاقل   ولبئس حَظّ المرءِ إن لم يعقل
كذبوا ، فما عيش الأنام وهزله   إلا خداع مغفلٍ لمغفل !
يتهارشون على الحياةِ ورجسها   فعلَ الكلاب على خبيث المآكل !

باقة غزل من شعر الصبا[1]

يا أيُّهـا الخـاذل النـائى بجـفـوته   خلفت فى العيش سحر المنظر البهج

خلعت حسناً على عيش كما خلعت   شمس الغروب على الآفاق من وهج

* * *

فـرص الحـيـاة قليلة   فـإلى مَ صـدك ياحـبـيـبى

بينا جـمـالك يانع   فـينان كـالغـصن الرطيب

إذ لا جـمـال ولا صـبـا   يصـبى القلوب إلى الوجـيب

والعـيش خلد فى الشـبـا   ب فـإن دنوت من المشـيب

أحـسـست إقـبـال الردى   كـخشـوع قلبك فى المغـيب

فـترى الحـيـاة قـصـيرة   كـتـلألؤ البـرق الخلوب

وإذا الحـيـاة كنغـبـة الـ   ـعـصـفـور روِّع بالرقـيب

مـتلفـتـاً يحـسـو ويخـ   ـشى أن يفـاجـأ من قـريب

بينـا تـراه عـلى الـغـديـ   ـر تـراه في الأفق الرحـيـب

* * *

خلفت فى القلب يا مـعـذبه   مـا خلفت نغـمـة من الجـرس

ذكـراك فى نفس منصت يقظ   ذكـرى غناء فى الأذن كـالهـمس

كـأنما القـلب نحـوكم أبدا   لينوفـر دائر مع الشـمـس

* * *

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ٢٥٦ فى ٣٠ مايو ١٩٣٨ – وقد أضاف إليها الشاعر مقطوعات أخرى من دواوينه السابقة فحذفت هنا لتكرارها .

كنت روضى والعيش صيف وفىّ | حافل بالنعيم والآلاءِ
فلئن عادت الحياةُ شتاءً | أنت فيها كزهرة فى الشتاءِ
فهى محبوبة وأندادها كثـ | ـر ومحبوبة بقفر عراء
وهى أشهى إلى النفوس وأحلى | لافتقاد الأنداد والأكفاء

أعِـرْ البدر طلعتك | علّم النجمَ نظرتك
وامنحِ الصيفَ من روا | ئك والزهرَ نضرتك
وهب الطير شدو صو | تك والفجرَ غرتك
وإذا ما هفا النسيـ | ـمُ فَعلِّمْهُ خطرتك
امنحِ الكون نشوتك | علِّم السحرَ قدرتَكْ

ملاحظـــــات

* ١ - طبع الشاعر عبد الرحمن شكري ، الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ثم أعاد طبعه عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) في ثمانين صفحة - بلا مقدمات .

٢ - وطبع الجزء الثاني عام ١٩١٣ في ١٠٨ صفحة مع شرح للكثير من الألفاظ والأبيات في الهوامش . وكتب مقدمته الأستاذ عباس محمود العقاد .

٣ - ونشر الجزء الثالث عام ١٩١٥ في ٧٦ صفحة . وصدره بعبارة إهداء إلى صديقه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني . وكتب الشاعر مقدمة عن « العاطفة في الشعر » .

٤ - ونشر الجزء الرابع عام ١٩١٦ بعنوان « زهر الربيع » - في ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « في الشعر » .

٥ - ونشر الجزء الخامس عام ١٩١٦ في ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « في الشعر ومذاهبه » .

٦ - وظهر الجزء السادس عام ١٩١٨ في ٦٤ صفحة ، بعنوان : « ديوان الأفنان » وصدره بفصل « في أن الشعراء كماليون » .

٧ - وظهر الجزء السابع عام ١٩١٩ بعنوان : «ديوان أزهار الخريف » في ٦٤ صفحة . وصدره بعبارة إهداء ، وبمقدمة ، رداً على بعض الحملات التي اعتاد البعض كتابتها عنه في الصحف .

وقد طبعت الأجزاء الستة الأولى بمطبعة غرزوزي بالإسكندرية . وطبع الجزء السابع بالمطبعة المصرية بشارع فرنسا بالإسكندرية سنة ١٩١٩ .

ولم يضع الشاعر أسماء للأجزاء : الثاني ، والثالث ، والخامس ، كما وضع للأجزاء : الأول ، والرابع ، والسادس ، و السابع . ولكنه أعلن على غلاف كتابه النثري « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ مايلي :

ديوان عبد الرحمن شكري : الجزء الأول : « ضوء الفجر » - والجزء الثاني : « لآلئ الأفكار » ، والجزء الثالث : « أناشيد الصبا » ، والجزء الرابع : « زهر الربيع » والجزء الخامس : « الخطرات » - وقد وضعت هذه الأسماء على دواوينه كما سماها هو .

وكان الشاعر قد أشرف على طبع هذه الدواوين السبعة الأولى بنفسه . ووضع لكل جزء منها فهرساً وكشفاً بالأخطاء المطبعية ، صححت في هذه الطبعة .

ولم يهتم الشاعر بوضع الشكل على الحروف ، أو بتفسير الكثير من الكلمات والأبيات .

٨ - أما الجزء الثامن فلم يجمعه الشاعر أو يفكر في طبعه ونشره في حياته ، وتركه للزمن . وقد سبق أن قال :

أرمي بشعري في حلق الزمان ولا　　　أبيت منه على هم وبلبال

ويتضمن هذا الجزء « الثامن » ما نشره الشاعر في حياته من القصائد في الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ . ومعظمها في الواقع نشر بعد عام ١٩٣٥ . ولو أنه نظم قبل هذا التاريخ . وقد جمع منها هنا ٥٣ قصيدة . وقد تكون هناك أبيات أو قصائد أخرى مطوية في بعض الصحف القديمة . وللزمن أن يظهرها للطبعات القادمة . فقد علمنا أن الشاعر نشر قصيدة بعنوان : « في القافلة » بجريدة عكاظ عدد ٦١ في ١٩٢٠/٤/١٢ . كما علمنا أنه نشر بالمقطم قصائد : « الإنسان والكون » و « الأبد في ساعة » و « الخلق العظيم » و « إلى المجهول » . وبالأهرام : « المثل الأعلى » . وأن له قصيدة بعنوان « سنة ١٩١٩ » بأحد الكتب . وبعض هذه القصائد منشور في هذا الديوان بالعناوين نفسها .

وكان الشاعر قد نشر قصيدة « الطفل » بمجلة « الهلال » في ١٩٣٢/٨/١ ، ثم أعاد نشرها بلا تبديل بمجلة الرسالة في ١٩٣٦/٥/١١.

كما نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « ديوان الإسكندرية » لجامعه الأستاذ على محمد البحراوى ، والذى صدر منه الجزء الأول فى أكتوبر ١٩٣٥ . وهى : « الصحراء » و « الأمل » و « الشاعر البابلى المجهول » . وأعاد الشاعر نشر القصيدتين الأولى والثانية بمجلة الرسالة عام ١٩٣٥، وكلها منشورة هنا .

وكذلك نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد . وهى : « البحر » و « مرأى الجمال وذكرى الجلال » و « مفتاح القلوب » . وأعاد نشر الأولى والثانية بالرسالة . وكلها منشورة هنا أيضا .

وكان الشاعر قد بدأ ينشر قصائده المنشورة فى الجزء الثامن متلاحقة بمجلات : الرسالة ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة ، والمقطم ، والأهرام فيما بين ١٩٣٥ ، ١٩٥٠ : منها ٣٥ قصيدة بمجلة الرسالة و ٦ بالمقتطف و ٤ بالمجلة الجديدة و ٣ بالهلال . ثم كف عن النظم والنشر منذ عام ١٩٥٢ لإصابته بالشلل النصفى .

وبين قصائد الجزء الثامن قصيدتان لم ينشرهما الشاعر فى حياته وهما : « الأندلس العربية » (أو حلم بالأندلس) ، و « بهاء الحياة » . وكان فى خلال مرضه الأخير قد أعارهما لآنسة بجامعة عين شمس ، كانت تنوى إعداد « ماجستير » فى شعر شكرى ، ثم عدلت عن ذلك وتزوجت ، واحتفظت بالقصيدتين حتى عثرنا عليهما ، وهما منشورتان فى هذا الديوان (ص ٦٦٧ ، ٦٦٨) . كما أنه أعارهما مع كثير من الصحف والمجلات التى نشرت قصائده ، لأديب آخر بالقاهرة كان ينوى إعداد رسالة جامعية عنه ، ولم يعدها للآن . ولهذا خلت مكتبة الشاعر قبيل وفاته من جميع آثاره .

* * *

* أعاد الشاعر نشر تسع من قصائد دواوينه السابقة ، وذلك بمجلة الرسالة ، ولم يدخل عليها غير قليل من التعديل فى بعض الألفاظ . وقد أشير إلى ذلك فى هوامش تلك القصائد . وهى :

١ - « هرم خوفو » - أعيد نشرها بالرسالة (عدد ١٥٧ فى ١٩٣٦/٧/٦) من ديوانه الجزء السادس ، ص ١٠ ط - ١ و ص ٤٤٤ هنا)

٢ - « أبو الهول » - الرسالة (عدد ١٥٩ - ١٩٣٦/٧/٢٠) عن الجزء السادس ص ٧ و ص ٤٤٠ هنا .

٣ - « الشلال » - الرسالة عدد ١٦٣ - ١٩٣٦/٨/١٧ عن الجزء السابع ص ١٤ - وص ٥١٢

٤ - « ياضوء » - الرسالة ، عدد ١٦٥ - ٩٣٦/٨/٣١) عن الجزء السابع ص ٣٤ و ٥٣٣ - وحذف منها أربعة أبيات أعيدت إلى مكانها هنا .

٥ - « وصف البحر » - نشرت بالرسالة بعنوان « البحر » - عدد ١٦٢ - ١٩٣٦/٨/١٠ (عن الجزء الثانى ص ٢٠ - وص ١١٨ هنا) - وأضاف الشاعر إلى القصيدة القديمة ٢٥ بيتا جديداً فى أولها - ذكرت هنا كلها (ص ١١٨) .

٦ - « الفصول » - الرسالة ، عدد ٢٤٩ - ١٩٣٨/٤/١١ (عن الجزء السادس ص ٢٧ - وص ٤٦٢ هنا - وكان عنوانها الأول : « الصيف » وحذف من الأول ستة أبيات أعيدت إلى موضعها هنا .

٧ - « الباحث الأزلى » - الرسالة عدد ٢٥٠ - ١٩٣٨/٤/١٨ ، عن الجزء الرابع ص : ى وهنا ص ٢٩٢ - ونشرت بالرسالة بعنوان « الباحث » فقط .

٨ - « إلى المجهول » - الرسالة ، عدد ٢٥٢ فى ١٩٣٨/٥/٢) عن الجزء الخامس ص ٣١ وهنا ص ٣٩٦ - وحذف منها البيت التالى :

فليتهن خفافيش تلوح لها مجاهل الحق خافيه وباديه

وذلك بعد البيت الذى يبدأ : « ليل مهيب كموج البحر »

وختمها بهذا البيت :

هيهات ما كشفت لي الحق خاطرة ولم يجب لي سؤالا ما أناديه

٩ - « الملك الثائر » - بفتح الميم واللام - بالرسالة (عدد ٦٨٠ - ١٥ / ٧ / ١٩٤٦) عن الجزء السابع ص ٣٧ - و ص ٥٣٧ هنا - وأضاف إليها مقدمة وبعض الشرح في الهوامش .

١٠ - أما « باقة غزل من شعر الصبا » - ص ٦٧٣ فهي أبيات مختارة من بعض قصائده المنشورة في دواوينه السابقة . وقد حذف منها ما سبق نشره في الديوان .

* * *

* أعلن الشاعر على غلاف كتابه : « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ أن له كتبا (تحت الطبع) وهي : « رسائل الحب » و « مظاهر القوة في الحياة » و « أدب الشعر » . كما أضاف إليها عام ١٩١٨ على غلاف كتابه : « الصحائف » أن له كتاب « المدارس » (تحت الطبع) . وجاء على غلاف ديوانه السادس (الأفنان) عام ١٩١٨ ما يلي : « سيطبع بعد قليل الجزء الثاني من « حديث إبليس » و « كتاب المدارس » - وهو آراء في التعليم والقائمين به ، وفي المدارس ونظارها » . ثم كتب في مقدمة الجزء السابع من ديوانه عام ١٩١٩ (ص ٥٠٤) ما يأتي : « . . . وقصيدة (سم الحسنة) مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه (مجالي الأخلاق) لم ينشر ، وكثيراً من قصائد الغزل في هذا الديوان خواطر كانت تخطر لي فأقيدها في رسائل سميتها « رسائل الحب لم تنشر . . » .

والواقع أن الشاعر كان يعد فصول هذه الكتب لينشرها ، ولكنه لما توقف عن طبع الدواوين والكتب النثرية بعد عام ١٩١٩ عدل عن إتمامها أو تأليفها ثم اكتفى بنشر فصولها فيها بعد في الصحف والمجلات ، ومنها الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال ، وعدل فيها بحيث خرجت كتباً جديدة بأسماء أخرى ، كما يرى في قائمة مؤلفاته المنشورة في أول الديوان . . .

* نشر الشاعر في آخر كتابه من حديث إبليس » - ١٩١٦ - مختارات من شعره بعنوان « حكم وأمثال » استغرقت ٢٣ صفحة . وكلها من دواوينه الخمسة الأولى » ، ونشر في آخر كتابه « الثمرات » - ١٩١٦ - قصيدة « وصف البحر » المنشورة من قبل في الجزء الثاني من كتابه .

* الأبيات الشعرية التي على وجوه بعض الدواوين ، وضعها الشاعر بنفسه واختارها من بعض قصائده السابقة .

* الهوامش المذكورة في هذا الديوان أكثرها بقلم الشاعر ، وأقلها أضيف في هذه الطبعة لتفسير بعض الألفاظ .

* لم نعثر على قصائد للشاعر بمجلة « أبو للو » التي أنشأها الشاعر أحمد زكي أبو شادي ، وإن كان قد نشر بها مقالة عن الرمزية ، كما أن له بها حديثا عن مطران أفضى به إلى أبي شادي . كما نشر بها أبو شادي كلمة عن شكري . ونشر بها الدكتور رمزي مفتاح عدداً من المقالات عن شكري والعقاد . (١٩٣٣ - ١٩٣٤)

* نشر الشاعر بمجلة « المقتطف » - مجلد ٧ سنة ١٩٤٧ - مقالات بامضاء ع . ش. وهي : « الحضارة واختلاف الطبائع » و « السلم الدائم والحلف العام » و « الحرب تؤدي إلى الحرب » وقصة مترجمة بتصرف عن جوزيف كونراد بعنوان « جريمة أم قصاص » (مايو ١٩٤٧) . وهذا غير فصول كتابه : « نظرات في النفس والحياة » بقلم ع . ش . الذي نشره مسلسلا فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر - ١٩٥١ وكلمة عن « انتحال المعاني الشعرية » وغير القصائد الست التي نشرت بالمقتطف عام ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الرسالة نحو ٤٠ مقالة نثرية في النقد والأدب والدراسات النفسية ، وذلك فيما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الهلال - إلى جانب قصائده الثلاث - ثلاث مقالات : هل تنجح

الدكتاتورية عندنا (مارس ١٩٣٥) وعبقرية الفنون (نوفمبر ١٩٣٥) والمعري : هل كان سابقاً لعصره (يونيه ١٩٣٨) وبين المطرقة والسندان ١٩٣٥ .

* نشر بمجلة الثقافة (السنة الأولى ١٩٣٩) سلسلة مقالات بعنوان : « الرثاء في شعر العرب » ، ومقالة عن عواقب النصيحة ، وعن جهاد النفس .

* نشرت بعض الصحف أن الشاعر أحرق كل ما نظم من شعر ، وما كتب من نثر بعد عام ١٩١٩ في نوبة من نوبات اليأس . وهذا غير صحيح فإن ما نظم وما كتب بعد ذلك التاريخ منشور في الصحف والمجلات كما سلف . كما نسبت إليه بعض الصحف أيضا قبيل وفاته أحاديث وكلمات قالها قبل موته ، وجلها غير صحيح .

* * *

دراسات عن عبد الرحمن شكري

الكاتب		الجريدة أو المجلة أو الكتاب	التاريخ
إبراهيم عبد القادر المازني	:	جريدة « عكاظ » الأسبوعية	١٩١٤
«	:	ديوان المازني جـ ١ ص ١٠٦ - (قصيدة)	١٩١٤
«	:	ديوان المازني جـ ٢ ص ٢٦٩ و ٣٢٢	١٩١٧
«	:	كتاب « شعر حافظ » ص ٨ - ١٠	١٩١٥
«	:	كتاب « الديوان » جـ ١ و جـ ٢	١٩٢١
«	:	جريدة « السياسة الأسبوعية »	١٢، ٥ أبريل ١٩٣٠
«	:	جريدة « البلاغ »	١٩٣٤/٩/١
أحمد زكي أبو شادي	:	مجلة « المقتطف »	١٩١٧ - ويولية ١٩٥٢
«	:	كتاب « قضايا الشعر المعاصر »	١٩٥٥
«	:	مجلة « أبولو » (مقالة - وحديث)	
أديب كدواني	:	مجلة « العالم العربي » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
أسعد حسني	:	مجلة « العالم العربي » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
إسماعيل أدهم	:	مجلة « المقتطف » - مقالات عن مطران وشكري	
حسن كامل الصيرفي	:	مجلة « المجلة » ص ١١	١٩٥٩/١/١
حسن ماهر فهمي	:	مجلة « المجلة »	١٩٥٩
رمزي مفتاح	:	مجلة « أبوللو »	أبريل ١٩٣٣ ويونيه ١٩٣٤
«	:	كتاب « رسائل في النقد »	
شوقي ضيف	:	كتاب « دراسات في الشعر العربي المعاصر »	١٩٥٦
صديق شيبوب	:	جريدة « البصير »	١٩، ٢٠/ ١٩٥٩
عباس محمود العقاد	:	مقدمة الجزء الثاني من ديوان شكري	١٩١٣
«	:	جريدة « الجهاد »	١٩٣٤/٩/٤
«	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/٢٢
«	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/١٨
«	:	مجلة « الهلال »	١٩٥٩/٢/١
«	:	مجلة « الشعر »	١٩٥٩/٣/١
عبد اللطيف السحرتي	:	كتاب « شعراء مجددون »	١٩٥٩
«	:	كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »	

عبد المنعم عواد يوسف :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٦/٩/١٥
علي أدهم :	« المجلة » ص ١٣	١٩٥٩/٢/١
عمر الدسوقي :	كتاب « دراسات في الأدب الحديث » ص	٢٢٠ - ٢٣٠ (١٩٥٤)
محمد مندور :	كتاب « الشعر بعد شوقي »	١٩٥٩
محمد مندور :	جريدة « الجمهورية »	ديسمبر ١٩٥٨
محمد مندور :	« المجلة » ص ٤١	١٩٥٩/٦/١
محمود الخولي :	مجلة « أبولو »	يونيه ١٩٣٤
مختار الوكيل :	كتاب « الشعراء المجددون »	١٩٣٤
محمد رجب البيومي :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٨/٣/١
محمد رجب البيومي :	مجلة « الأدب »	يولية ١٩٥٨
محمد عبد المنعم خفاجي :	كتاب « الشعر والتجديد »	
محمد عبد المنعم خفاجي :	كتاب « رائد الشعر الحديث »	
نقولا يوسف :	مجلة « العالم العربي »	١٩٥٦/٩/١٥

* * *

فهـــرس

* * *

* * *

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوربسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوييا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
هوية فرنسا	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور

صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبــة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : د/ منيرة كروان
الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرين
الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح

(تحت الطبع)

المختار من نقد ت . س . إليوت
الشعر الأمريكى المعاصر
الجانب الدينى للفلسفة
الولاية
حيث تلتقى الأنهار
النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس
المدارس الجمالية الكبرى
الإسكندرية : تاريخ ودليل
مختارات من الشعر اليونانى الحديث
بارسيفال
اثنتا عشرة مسرحية يونانية
الخوف من المرايا
العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل
عدالة الهنود
جان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية
غرام الفراعنة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
صاحبة اللوكاندة
التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعى
العنف والنبوءة
خسرو وشيرين
العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)
وضع حد

التليفزيون فى الحياة اليومية
أنطوان تشيخوف
من المسرح الإسبانى المعاصر
فلاحو الباشا
خطبة الإدانة الطويلة
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
تشريح حضارة
حكايات ثعلب
شامبوليون (حياة من نور)
الحورية الهاربة
الإسلام فى السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلى
آلة الطبيعة
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
أيديولوجى
تاريخ الكنيسة
فن الرواية
ما بعد المعلومات
الورقة الحمراء
موت أرتميد كروث
علم الجمالية وعلم اجتماع الفنى
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علماً جديداً
قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى
مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٤٥٦ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 046 - 7)



عبد الرحمن شكري

إن عبد الرحمن شكري، شاعر رومانسي حتى

النخاع فهو من الأنا يبدأ وإلى الأنا يعود وعنده..

إنما الشاعر شاعر القلب؛ فهو الذي يصف عواطف النفس

وأطوارها، فيصف عواطف الحب والجمال والجلال والخوف

والفزع والأمل واليأس والرحمة والكره والحقد والبخل

والجود والشجاعة والجبن وغيرها من عواطف النفس وأحوالها.

وهو الذي يصف أساليب الحياة التي تجول فيها هذه العواطف كل

مجال، ومظاهر الوجود التي تتعلق بها العواطف. فهو الشاعر

الذي عواطفه مثل عواطف الوجود، مثل الأمواج أو الرياح أو

الضياء أو النار أو الكهرباء؛ فإن هذه عواطف الكون، وهو الذي

يحكي فيه الأوركستر الكبير الإلهي الكون الأعظم

وإنما الشعر شعور ونظرة

وسمعة وخيال غير خوان

ومن الشعر سر لطيف

في الحياة في سرور وأحزان

والأمنا الحمد إحساس بما صنعت

له القلوب كالقرن معطفا